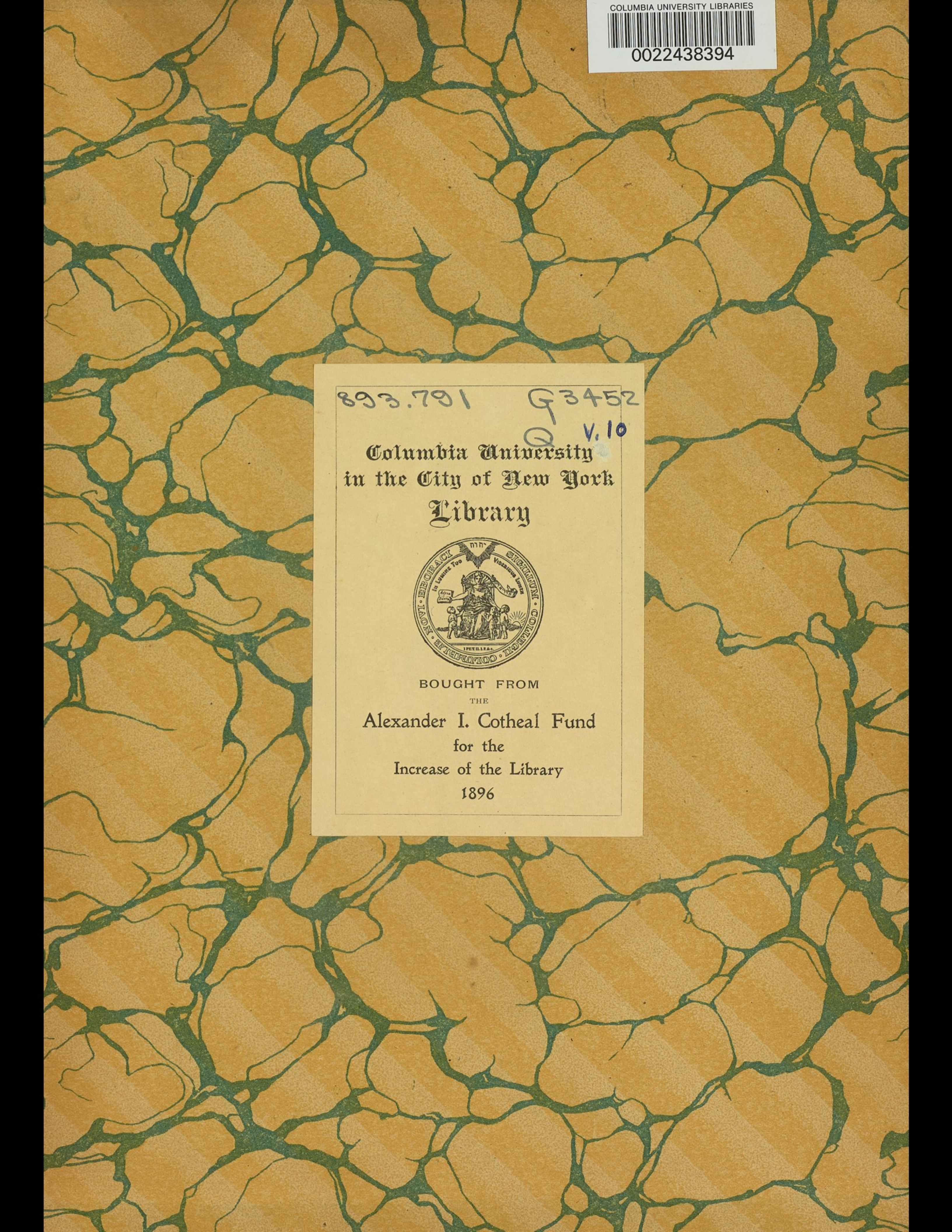

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0022438394
893.791 G3452 Q V.10
Columbia University
in the City of New York
Library
BOUGHT FROM
THE
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896



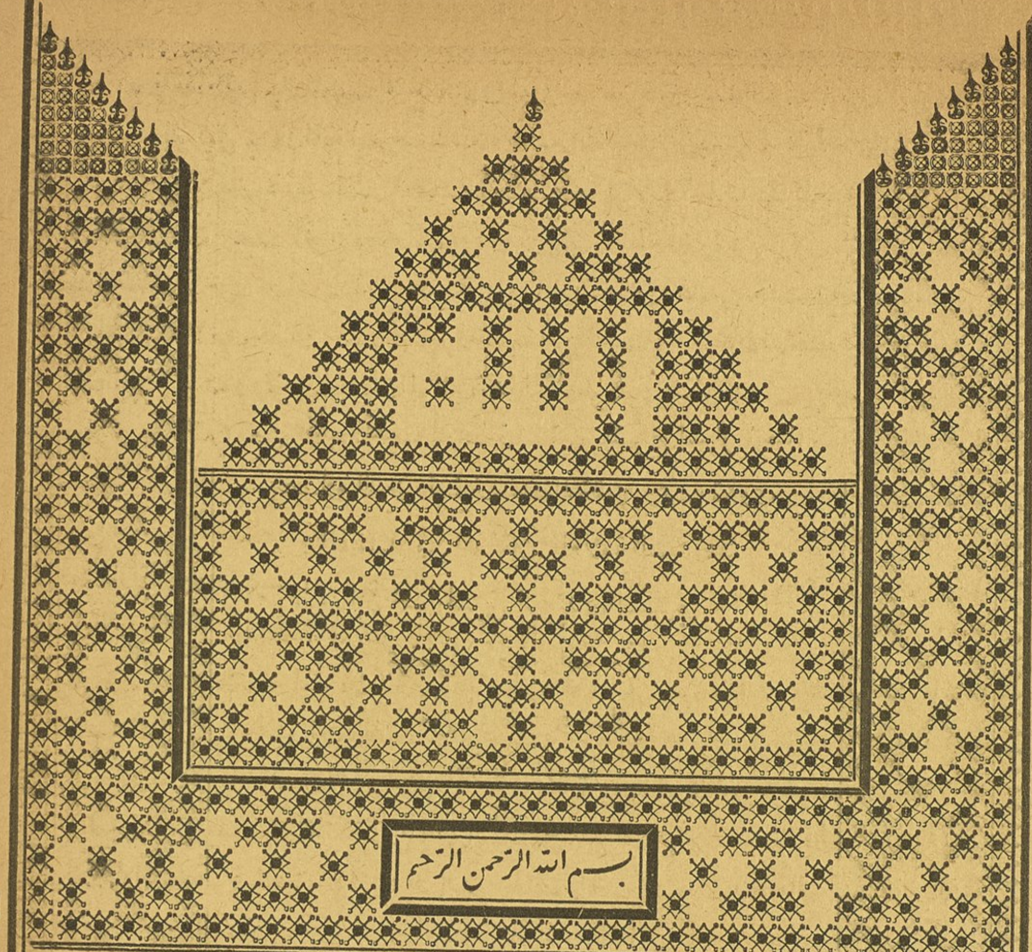
DUE DATE
MAY 29 1992
MAR 09 REC'D
Printed in USA

الجزء العاشر

من كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء
علوم الدين تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوى
الفضائل من المدققين العلامة السيد محمد
ابن محمد الحسينى الزبيدى الشهير
بمرتضى رحمه الله وأثابه
من فيض فضله
جزيل الرضا
آمين

تنبيه

حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الاحياء فى بعض
مواضع من شرحه فتتميما للفائدة وضعنا الاحيا المذكور فى
هامش هذا الشرح



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر الحمد لله الذى أنس بذكره المخلصون * ولهج بمحبته الصادقون * وفرح بحسن بلائه الراضون * أحمده حمدا يشرق اشراق النجوم * واستغفره مما تراكم على القلوب من الغموم * واستهديه لما يرضيه من اكتساب المعارف والفهوم * وأشهد أن لا اله الا الله محسن الاعمال بالنيات * ومزين الاحوال بأشعة التجليات * ومودع الخواطر من حكمه جواهر مضيئات * سبحانه من اله شرع لنا من الدين ما وصى به نوحا * وأطلع لنا من أفقه المحيط يوحا * وأفاض علينا من لذيذ شربه غبوقا وصبوحا * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى اصطفاه * ورسوله الذى اجتباه * وصفيه الذى اختاره وحباه * امام المخلصين * وعصمة أهل اليقين * وتاج هامة المتقين * الذى هدى به السبيل الاقوم * وبين به الطريق الاعدل الاحكم * وشد به عرى الدين فاستوثق واستحكم * صلى عليه وعلى آله بحور المعارف * وأصحابه كنوز اللطائف * صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه * وتحل صاحبها من الرضوان أوسع رحابه * وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما * وبعد فهذا شرح

(كتاب النية والاخلاص والصدق)

وهو السابع والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام * غوث الائمة الاعلام * قطب العلم والحال والمقام * الملقب بين الانام بحجة الاسلام * أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * أسكنه الله الفردوس الاعلى * وروى ثراه من الكوثر الاحلى * رفعت عن مخدرات عرائس أفكاره حجب الاستار * وأوضحت ما استكن فى ضمائر فوائده من الاسرار * حتى ظهر للمريدين سبيله * وصفا للواردين سلسبيله * وراق للشارب بين زلاله * وامتدت للائذين ظلاله * فدونك شرحا مفيدا يسدى الخير اليك * ويبين كل ما أشكل عليك * يفتح لك منه باب الفهم * ويخلصك من ورطة الوهم * ويرشدك الى الصواب * ويحصل لك جزيل

(كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين)

الثواب

(بسم الله الرحمن الرحيم)
نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد أن لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فالله الا الدين الخالص المتين فانه أغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين (أما بعد) فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وأنوار القرآن أن لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق

الثواب * والله تعالى أسال العون والامداد * واياه أرجوا لتوفيق والسداد * انه الكافى الكفيل * وهو حسبي ونعم الوكيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) اذ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكره فهو أبتر كما ورد بذلك الخبر (نحمد الله حمد الشاكرين) أشار بالجملة الفعلية الى تجدد الحمد منه للمنعم فى كل آن بتجدد أنواع نعمه المتواترة فى كل شان والجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت احداهما الى الاخرى سواء أفاد أولا وفيما نحن فيه أفادت صدورا لحمد من الحامدين للمحمود المطلق على كل حال والكلام فى حقيقة الحمد والشكر ومابينهما من النسب والاضافات قد تقدم بيانها فى صدر شرح كتاب العلم فلا نعيده (ونؤمن به ايمان الموقنين) أى ايمانا موصوفا باليقين كايمان من اتصف به على التعيين (ونقر بوحدانيته) مصدر الواحد الذى لا يصح عليه التجزى والتكثر (اقرار الصادقين) الذى طابق قولهم الضمير والمخبر عنه معا (ونشهد أن لا اله الا الله رب العالمين) أى مالكهم وحافظهم ومربيهم الى ان ينتهوا الى مرتبة الكمال اللائق بهم والعالم كل ماسواه من الجواهر فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده (وخالق السموات والارضين) أى ومابينهما والاقتصار فى الذكر عليهما اتباعا لما فى القرآن الحمد لله الذى خلق السموات والارض لانهما أعظم المحسوسات فى المشاهد (ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين) فى بساط حضرته قربا يليق بهم كما قال تعالى يشهده المقربون وذلك بحسب مقاماتهم ودرجاتهم كما قال تعالى حكاية عنهم ومامنا الاله مقام معلوم (أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به ولا يشاركون غيره فى عبادته والضمير فى قوله وما أمروا راجع الى الكفار من أهل الكتاب والمشركين عبدة الاصنام أى وما أمروا فى كتبهم بما فيها الا الاخلاص فى العبادة (فالله الا الدين الخالص المتين) يشير الى قوله تعالى ألا لله الدين الخالص والى قوله تعالى وذلك دين القيمة أى المستقيمة المتينة (فانه أغنى الاغنياء عن شركة المشاركين) كما جاء ذلك فى الحديث القدسى قال روى ابن جرير والبزار من حديث أبى هريرة قال الله عز وجل من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك (والصلاة) مع السلام (على نبيه) سيدنا (محمد سيد المرسلين) أى رئيسهم ومقدمهم (وعلى جميع) اخوانه من (النبيين) والمرسلين (وعلى آله الطيبين) فى أنفسهم (الطاهرين) عن الرذائل والادناس (أما بعد فقد انكشف لارباب القلوب) أى أهل الباطن (ببصيرة الايمان) بما وقر فيهما من نوره (وأنوار القرآن) أى بما تجلى عليهما منها (ان لا وصول الى السعادة) الابدية التى لا شقاء بعدها (الا بالعلم) الذى هو الاصل الاعظم فى كل مقام من مقامات الايمان (والعبادة) التى يثمرها الحال المنتج عن العلم (فالناس كلهم هلكى) أى هالكون فى بحر الضلالة والجهل (الا العالمون) فبعلمهم يخلصون أنفسهم من هلاك الجهل (والعالمون كلهم هلكى) أى هالكون فى بحر الحيرة والدهش (الا العاملون) بمقتضى علومهم (والعاملون كلهم هلكى) فى بحر العجب والرياء (الا المخلصون) لله فى أعمالهم (والمخلصون) مع ذلك (على خطر عظيم) لا يدرون كيف يختم لهم خائفون من خفى مكر الله تعالى وهذا القول نسب الى سهل التسترى رحمه الله تعالى قال الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل أخبرنا الحسن بن محمد الخلال حدثنا محمد بن عبد الله الشيبانى قال سمعت عبد الكريم بن كامل يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى الا من عمل بعلمه قال وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ أخبرنا أبو أحمد الغطريفى حدثنا بكر بن أحمد ابن سعدويه قال قال سهل بن عبد الله رحمه الله الدنيا جهل وموات الا العلم والعلم كله حجة الا العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم به (فالعمل بغير نية) لصاحبه (عناء) أى تعب (والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء) أى مكافئ له وقرين (ومع العصيان سواء) أى فى مرتبة واحدة (والاخلاص من غير صدق وتحقيق) بان يطابق القول الضمير والمخبر عنه معا

هباء وقد قال الله تعالى فى كل عمل كان بارادة غير الله مشو بامغمورا وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعرى كيف يصح نيته من لا يعرف حقيقة النيـة أو كيف يخاص من صحح النية اذالم يعرف حقيقة الاخلاص أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق اذالم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصـدق والاخلاص اللذين هـما وسيلتا العبـد الى النجاة والخلاص ونحـن نذكر معانى الصدق والاخلاص فى ثـلاثة أبواب (الباب الاول) فى حقيقة النيـة ومعناها (الباب الثانى) فى الاخلاص وحقائقـه (الباب الثالث) فى الصدق وحقيقته (الباب الاول فى النية) وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خـيرا من العمل وبيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النيـة عن الاختيار

(بيان فضـيلة النية)

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهـم بالغـداة والعشى يريدون وجهـه والمـراد بتلك الارادة هى النية وقال صـلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولـكل امرئ مانوى فـمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه

(هباء) وهو ما يرى فى ضوء الشمس من الذرات (وقد قال الله تعالى فى) شان (كل عمل) صادر من العامل (وكان بارادة غـير الله مشو بامغمورا) أى مخلوطا (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) قال البيضاوى أى وعمدنا الى ماعملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقـدم الى أسبابهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكنه نظمه أو تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (وليت شعرى كيف يصح نيته من لا يعرف حقيقـة النية أو كيف يخلص) أى يصير مخلصا (من صحح النية اذالم يعرف حقيقـة الاخلاص أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذالم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبـد أراد طاعة الله تعالى أن يتعـلم النية أولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصـدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معانى النية والاخلاص فى ثلاثة أبواب الباب الاول فى) بيان (حقيقة النية ومعناها الباب الثانى فى) بيان (الاخلاص وحقائقه الباب الثالث فى) بيان (الصدق وحقيقته * الباب الاول فى النية وفيه بيان فضيلة النية) من الكتاب والسنة (وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار)

*(بيان فضيلة النية)

(قال الله تعالى) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعاتباله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشى) أى فى مجامع أوقاتهم أو فى طرف الليل والنهار (يريدون وجهه) أى رضاه وطاعته قال الطبرانى حدثنا على بن عبـد العزيز حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثورى عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نستبق الى النبى صلى الله عليه وسـلم ندنو اليه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فكان النبى صلى الله عليه وسـلم هم بشئ فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وقال صاحب الحلية انا أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن شيرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن المقدام ابن شريح الحارثى عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر فقال المشركون اطرد هؤلاء عنك فانهم وانهم قال فكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسمهما قال فوقع فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ماشاء الله فحدث به نفسه فانزل الله تعالى لا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (والمراد بتلك الارادة هى النية) أى ينوون بدعائهم وجه الله تعالى وحده (وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه) أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل الحسنى قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا على بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسنى ثنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أحمد بن على الحافظ أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنا محمد بن محمد بن ابراهيم أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم أخبرنا عبد الوهاب بن على وعبد الرحمن بن أحمد العمرى والمبارك بن معطوش قالوا أخبرنا هبة الله بن محمد أخبرنا محمد بن محمد بن ابراهيم البزاز أخبرنا محمد بن عبـد الله الشافعى أخبرنا عبد الله بن روح المدائنى ومحمد بن ربح البزاز قالا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يحيى بن سعيد الانصارى عن محمد بن ابراهيم التيمى انه سمع علقمة ابن وقاص الليثى يقول سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره أخرجه الائمة الستة فاخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة

كلاهما عن يزيد بن هرون فوقع بدلا لهما عاليا بدرجتين واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي وأخرجه البخاري وأبو داود من رواية الثوري ومسلم من طريق الليث وابن المبارك وأبي خالد الاحمر وحفص بن غياث والترمذي من رواية عبد الوهاب الثقفي والنسائي من طريق مالك وحماد بن زيد وابن المبارك وأبي خالد الاحمر وابن ماجه أيضا من رواية الليث عشرتهم عن يحيي ابن سعيد الانصاري أورده البخاري في سبع مواضع من صحيحه في بدء الوحي والايمان والنكاح والهجرة وترك الحيل والعتق والنذور ومسلم في الجهاد وأبو داود في الطلاق والنسائي في الايمان وابن ماجه في الزهد وهذا الحديث من افراد الصحيح لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم الامن حديث عمر ولا عن عمر الامن رواية علقمة ولا عن علقمة الامن رواية محمد بن ابراهيم التيمي ولا عن التيمي الامن رواية يحيي بن سعيد الانصاري قال أبو بكر البزار في مسنده لانعلم يروى هذا الكلام الاعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاسناد وقال الخطابي لاأعلم خلافا بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم الامن رواية عمر اه هذا هو المشهور وقد روى من طرق أخرى غير طريق عمر وفي كل منها مقال منها من طريق أبي سعيد الخدري رواه الدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك والخطابي في معالم السنن من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد وهو غلط من أبي رواد قاله الدارقطني ومنها من طريق أبي هريرة رواه الرشيد العطار في بعض تخاريجه وهو وهم أيضا ومنها من طريق أنس رواه ابن عساكر من رواية يحيي بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن أنس وقال هذا حديث غريب جدا والمحفوظ حديث عمر اه والمحفوظ من حديث أنس ما رواه البيهقي من رواية عبد الله بن المثنى الانصاري قال حدثني بعض أهل بيتي عن أنس فذكر حديثا فيه انه لاعمل لمن لانية له الحديث ومنها من طريق علي رواه محمد بن ياسر الجياني في نسخته من طريق أهل البيت اسنادها ضعيف وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم ان موسى بن عقبة رواه عن نافع وعلقمة وأما من تابع يحيي بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه ابن سعيد عن محمد بن ابراهيم أورده في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد وقال انه غلط فيه وانما هو عن يحيي بن سعيد لا عبد ربه بن سعيد وذكر الدارقطني أنه رواه حجاج بن ارطاة عن محمد بن ابراهيم وأنه رواه سهل ابن صقير عن الدراوردي وابن عيينة وأنس بن عياض عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن ابراهيم ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة وغيرهم عن يحيي بن سعيد وقال النووي هو حديث مشهور بالنسبة الى آخره غريب بالنسبة الى أوله قال وليس متواترا لفقد شرط التواتر في أوله رواه عن يحيي بن سعيد أكثر من مائتي انسان أكثرهم أئمة ثم ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام حتى قيل فيه انه ثلث العلم وقيل ربعه وقيل خمسه وكونه ثلث العلم روى عن الشافعي وأحمد وكونه ربعه روى عن أبي داود وروى عنه أيضا كونه خمسه قال ابن دقيق العيد لابد من حذف المضاف واختلاف الفقهاء في تقديره فالذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال بالنيات أو ما يقاربه والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال بالنيات أو ما يقاربه وقد رجح الاول بان الصحة أكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى قال وقد يقدرونه انما اعتبار الاعمال بالنيات وقال قاضي القضاة الحنفية شمس الدين السروجي في شرح الهداية ان التقدير ثوابها الاصحتها لانه الذي يطرد فان كثيرا من الاعمال يوجد ويعتبر شرعا بدونها ولان اضمار الثواب متفق على ارادته لانه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس فكان ما ذهبنا اليه أقل اضمارا فهو أولى ولان اضمار الجواز والصحة يؤدى الى نسخ الكتاب بخبر الواحد وهو ممتنع ولان العامل في قوله بالنية مقدر باجماع النحاة ولا يجوز ان يتعلق بالاعمال لانها رفع بالابتداء فيبقى بلا خبر فلا يجوز فالمقدر اما مجزئة أو صحيحة أو مثيبة ومثيبة أولى بالتقدير لوجهين أحدهما ان عند عدم

النية لا يبطل أصل العمل وعلى اضمار الصحة والاجزاء يبطل فلا يبطل بالشك الثاني ان قوله ولكل امرئ مانوى يدل على الثواب والاجر لان الذى له انما هو الثواب وأما العمل فعليه انتهى وهذا قد رده الزين العراقي في شرح التقريب وقال فيه نظر من وجوه أحدها انه لا حاجة الى اضمار محذوف من الصحة أو الكمال أو الثواب اذ الاضمار خلاف الاصل وانما المراد حقيقة العمل الشرعي فلا يحتاج حينئذ الى اضمار وأيضا فلابد من اضمار شئ يتعلق به الجار والمجرور فلا حاجة لاضمار مضاف لان تعليل الاضمار أولى فيكون التقدير انما الاعمال وجودها بالنية ويكون المراد الاعمال الشرعية والثاني ان قوله ان تقدير الثواب أقل اضمارا لانه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس فلا نسلم ان فيه تقليل الاضمار لان المحذوف واحد ولا يلزم من تقدير الصحة تقدير ما يترتب على نفيها من نفي الثواب ووجوب الاعادة وغير ذلك فلا يحتاج الى ان يقدر انما صحة الاعمال والثواب وسقوط القضاء مثلا بالنية بل المقدر واحد وان ترتب على ذلك الواحد شئ آخر فلا يلزم تقديره والثالث ان قوله ان تقدير الصحة يؤدى الى نسخ الكتاب بخبر الواحد فان أراد به ان الكتاب دال على صحة العمل بغير نية لكون النية لم تذكر في الكتاب فهذا ليس بنسخ وأيضا فالثواب مذكور في الكتاب في العمل ولم تذكر النية على ان الكتاب ذكرت فيه نية العمل في قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا القصد هو النية ولو سلم له ان فيه نسخ الكتاب بخبر الواحد فلا مانع من ذلك عند أكثر أهل الاصول والرابع ان قوله ان تقدير الصحة يبطل العمل ولا يبطل الشك ليس بجيد بل اذا تيقنا شغل الذمة بوجوب العمل لم نسقطه بالشك ولا تبرأ الذمة الا بتعيين فحمله على الصحة أولى لتيقن البراءة به والخامس ان قوله ان الذى له انما هو الثواب وأما العمل فعليه والاحسن في التقدير ان لا يقدر حذف مضاف فانه لا حاجة اليه ولكن يقدر بشئ يتعلق به الجار والمجرور فانه لابد من تقديره كما تقدم فتقديره انما الاعمال وجودها بالنية ونفي الحقيقة أولى والمراد نفي العمل الشرعي وان وجد صورة الفعل في الظاهر فليس بشرعي عند عدم النية والله أعلم اه (وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش) أي الذين يموتون على فرشهم ولهم نية جميلة في طلب الشهادة (ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لهيعة اه قلت ورواه كذلك الحكيم في النوادر ولفظهما ان أكثر شهداء أمتي لاصحاب الفرش والباقي سواء (وقال) الله (تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق) ولفظ القوت فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة ولفظهم ولكن انما ينظر والباقي سواء ورواه كذلك أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر من حديث أبي امامة ورواه هناد في الزهد عن الحسن مرسلا ورواه الحكيم عن يحيى بن أبي كثير مرسلا بلفظ ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ورواه الطبراني من حديث أبي مالك الاشعري بلفظ ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى احسابكم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما أنتم بنو آدم وأحبكم الى أتقاكم وقد تقدم (وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول) لهم (القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه) كذا في القوت قال العراقي رواه الدارقطني من حديث أنس باسناد حسن قلت وهو في كتاب الاخلاص لابن أبي الدنيا من طريق أبي عمران الجوني قال بلغنا ان الملائكة تصف بكتبها في السماء الدنيا في كل عشية بعد العصر فينادى الملك

وقال صلى الله عليه وسلم أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه

ا كتب لفلان بن فلان كذا وكذا فيقول يارب انه لم يعمله فيقول انه نواه انه نواه (وقال صلى الله عليه وسلم
الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل
ما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول
رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن
ماجه من حديث أبى كبشة الانمارى بسند جيد بلفظ مثل هذه الامة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم
ورواه الترمذى بزيادة فى أوّله وفيه انما الدنيا لاربعة نفر وقال حسن صحيح اهـ قلت لفظ ابن ماجه مثل هذه
الامة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا فهو يعمل بعلمه فى ماله ينفقه فى حقه ورجل آتاه الله علما
ولم يؤته مالا وهو يقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله
مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط فى ماله ينفقه فى غير حقه ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا وهو يقول لو كان لى
مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل فهما فى الوزر سواء وهكذا رواه أيضا أحمد وهناد والطبرانى والبيهقى
(ألا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه) ولفظ القوت ألا ترى كيف شركه بحسن النية فى
محاسن عمله وشركه الآخر بسيئ النية فى مساوى عمله (وكذلك فى حديث أنس بن مالك) رضى الله عنه
(لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال ان بالمدينة أقواما ماقطعنا واديا ولا وطئنا موطئا
يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله
وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية) كذا فى القوت قال العراقى رواه البخارى مختصرا
وأبو داود اهـ قلت رواه البخارى مختصرا بلفظ ان أقواما بالمدينة خلفنا ماسلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا
فيه حبسهم العذر وأما لفظ أبى داود ان بالمدينة اقواما ماسرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر ورواه كذلك أحمد وابن
أبى شيبة وعبد بن حميد وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان كلهم من حديث أنس ورواه أيضا عبد بن حميد
ومسلم وابن ماجه من حديث جابر بلفظ ان بالمدينة رجالا ماقطعتم واديا ولا سلكتم طريقا الا شركوكم فى
الاجر حبسهم العذر وقوله فشركونا بحسن النية هكذا هو فى القوت وفى بعض نسخ الكتاب فشركوا بحسن
النية وهذا يشعر بانه ليس من بقية الحديث بل هو من عند المصنف (وفى حديث ابن مسعود) رضى الله
عنه (من هاجر يبتغى شيأ فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس) كذا فى
القوت قال العراقى رواه الطبرانى باسناد جيد قلت وقال فى شرح التقريب مااشتهر بين الشراح لهذا
الحديث ان سببه قصة مهاجر أم قيس رواه الطبرانى فى المعجم الكبير باسناد رجاله ثقات من رواية الاعمش
عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فابت ان تتزوّجه حتى
يهاجر فهاجر فتزوّجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس ثم قال ولم يسم أحد ممن صنف فى الصحابة هذا الرجل
الذى ذكر وانه كان يسمى مهاجر أم قيس فيما رأيته من التصانيف وأما أم قيس المذكورة فقد ذكر
أبو الخطاب بن دحية ان اسمها قيلة فالله أعلم اهـ قلت وقال الحافظ فى ترجمة أم قيس من الاصابة مالفظه
غير منسوبة أخرج ابن منده وأبو نعيم من طريق اسمعيل بن عصام بن يزيد قال وجدت فى كتاب جدى يزيد
الذى يقال له جبر حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة
يقال لها أم قيس فابت ان تتزوّجه حتى يهاجر فهاجر فتزوّجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس قال ابن مسعود
من هاجر لشئ فهو له قال أبو نعيم تابعه عبد الملك الذمارى عن سفيان ثم ذكر أم قيس الهذلية وقال قال
أبو موسى أوردها جعفر ولم يخرج لها شيأ قال الحافظ أخشى ان تكون هى التى قبلها فان ابن مسعود يقول
فى مهاجر أم قيس رجل منا وابن مسعود هذلى فالرجل هذلى فكان أم قيس المخطوبة أيضا هذلية (وكذلك
جاء فى الخبران رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل

وقال صلى الله عليه وسلم
الناس أربعة رجل آتاه
الله عز وجل علما ومالا فهو
يعمل بعلمه فى ماله فيقول
رجل لو آتانى الله تعالى
مثل ما آتاه لعملت كما يعمل
فهما فى الاجر سواء ورجل
آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته
علما فهو يتخبط بجهله فى
ماله فيقول رجل لو آتانى
الله مثل ما آتاه عملت كما
يعمل فهما فى الوزر سواء
ألا ترى كيف شركه بالنية
فى محاسن عمله ومساويه
وكذلك فى حديث أنس بن
مالك لما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة
تبوك قال ان بالمدينة أقواما
ماقطعنا واديا ولا وطئنا
موطئا يغيظ الكفار ولا
أنفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا شركونا فى ذلك
وهم بالمدينة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وليسوا
معنا قال حبسهم العذر
فشركوا بحسن النية وفى
حديث ابن مسعود من
هاجر يبتغى شيأ فهو له فهاجر
رجل فتزوج امرأة منا
فكان يسمى مهاجر أم قيس
وكذلك جاء فى الخبران رجلا
قتل فى سبيل الله وكان يدعى
قتيل الحمار لانه قتل رجلا
ليأخذ سلبه وحماره فقتل

على ذلك فاضيف الى نيته) كذا فى القوت وقال العراقى لم اجده أصلا فى الموصولات وانما رواه أبواسحق الفزارى فى السير من وجه مرسل (وفى حديث عبادة) بن الصامت رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غزا) فى سبيل الله (وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى) رواه أحمد والدارمى والنسائى والرويانى وابن حبان والطبرانى والحاكم والبيهقى والضياء وقد تقدم غير مرة (وقال أبى) بن كعب رضى الله عنه (استعنت رجلا يغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له) كذا فى القوت قال العراقى رواه الطبرانى فى مسند الشاميين ولابى داود باسناد جيد من حديث يعلى بن أمية انه استأجر أجيرا للغزو وسمى ثلاثة دنانير فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما أجد له فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة الا دنانيره التى سمى اه قلت وحديث يعلى أخرجه كذلك الحاكم وروواه الطبرانى فى الكبير من حديث عوف بن مالك (وفى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة) أى زمن قحط أصاب الناس به الجوع (فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس) قال (فاوحى الله تعالى الى نبيهم) فى ذلك الزمان (ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به) نقله صاحب القوت وهو فى كتاب الاخلاص لابن أبى الدنيا من طريق اسمعيل بن أبى خالد قال أصابت بنى اسرائيل مجاعة فمر رجل على رمل فقال وددت هذا الرمل يكون دقيقا لى حتى أطعمه بنى اسرائيل فاعطاه الله على نيته (وقد ورد فى أخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة) رواه أحمد من حديث أبى هريرة بزيادة فان عملها كتبت له بعشر امثالها الى سبعمائة وسبع امثالها ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فان لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة وقال العراقى متفق عليه وقد تقدم (وفى حديث عبد الله بن عمرو) بن العاص رضى الله عنهما (من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت باسناد جيد دون قوله وفارقها ارغب ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهد ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبد الله بن عمرو اه قلت حديث زيد بن ثابت هذا جاء بالفاظ مختلفة منها عند ابن عساكر بلفظ من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وشتت الله عليه ضيعته ولا يأتيه منها الا ما كتب له ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه فى قلبه ويكف عليه ضيعته وتأتيه الدنيا وهى راغمة وعند الطيالسى وابن ماجه والطبرانى بلفظ من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب الله له وقد روى هذا أيضا من حديث أنس بلفظ من كانت نيته طلب الدنيا شتت الله عليه أمره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته منها الا ما كتب له ومن كانت نيته طلب الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة هكذا رواه ابن أبى حاتم فى الزهد وعند هناد والترمذى بلفظ من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له وهذا اللفظ قد رواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس ولم ار ذلك فى حديث عبد الله ابن عمرو فى شئ من الكتب والذى يظهر لى انه تصحف على النساخين فى كتاب القوت وتبعه المصنف ويكون المراد عبد الله بن عمر لا عبد الله بن عمرو فقد روى الحاكم من حديث ابن عمر ما يقرب سياقه مما تقدم وهو من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ومن تشاعبت به الهموم لم يبال الله فى أى أودية الدنيا هلك والله أعلم (وفى حديث ام سلمة) رضى الله عنها (ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء) الصحراء بين مكة والمدينة (فقلت يارسول الله يكون فيهم المكره والاجير

على ذلك فاضيف الى نيته وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى وقال أبى استعنت رجلا يغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروى فى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم أن قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد فى أخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفى حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها وفى حديث أم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يارسول الله يكون فيهم المكره والاجير

فقال يحشرون على نياتهم) كذا فى القوت قال العراقى رواه مسلم وأبو داود وقد تقدم اه قلت ورواه ابن أبى شيبة والطبرانى والحاكم بلفظ يبايع لرجل من أمتى بين الركن والمقام الحديث وفيه فيأتيهم جيش من الشام حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم الحديث (وقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخلاص والنية باسناد ضعيف بلفظ انما يبعث ورويناه فى فوائد تمام بلفظ انما يبعث المسلمون على النيات ولابن ماجه من حديث أبى هريرة انما يبعث الناس على نياتهم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه اه قلت ورواه ابن عساكر أيضا بلفظ انما يبعث المقتتلون على النيات وروى أحمد من حديث أبى هريرة بلفظ يبعث الناس على نياتهم بدون انما (وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففى الصحيحين من حديث أبى موسى من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اه قلت وحديث أبى موسى رواه كذلك أحمد والاربعة أصحاب السنن وروى الطبرانى والحاكم من حديث فضالة بن عبيد من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة رباط أو حج أو غير ذلك (وعن جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على مامات عليه) قال العراقى رواه مسلم قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن ماجه وابن حبان والحاكم ورواه أيضا الطبرانى والبغوى والحاكم فى الكنى من حديث زيد بن حارثة ورواه الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عمر وعند ابن حبان فى حديث جابر زيادة المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه (وفى حديث الاحنف) بن قيس التميمى له رواية (عن أبى بكرة) نفيع بن الحرث الثقفى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه) رواه الشيخان وأبو داود والنسائى بلفظ اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ورواه ابن ماجه والطبرانى من حديث أبى موسى وفى لفظ لابن ماجه من حديث أبى بكرة اذا التقى المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم فاذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعا وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وابن أبى شيبة ومسلم اعلم ان البخارى روى هذا الحديث فى عدة مواضع من صحيحه ففى الايمان حدثنا عبد الرحمن ابن المبارك حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الاحنف قال ذهبت لانصر هذا الرجل فلقينى أبو بكرة فقال اين تريد قلت أنصر هذا الرجل قال ارجع فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار فقلت يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وأخرجه فى الفتن عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الوهاب عن حماد بن سلمة عن رجل لم يسمه عن الحسن عن أبى بكرة وقال أيضا حدثنا سليمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب ويونس عن الحسن عن الاحنف وأنكر يحيى بن معين والدارقطنى سماع الحسن عن أبى بكرة وقال الدارقطنى بينهما الاحنف قال وكذا رواه هشام بن زياد بن المعلى عن الحسن عن الاحنف وذهب غيرهما الى صحة سماعه من أبى بكرة واستدل بما أخرجه البخارى فى الفتن فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد من طريق سفيان عن اسرائيل وفيه قال الحسن ولقد سمعت أبا بكرة قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الحديث قال البخارى قال على بن المدينى انما صح عندنا سماع الحسن من أبى بكرة بهذا الحديث وقال أبو الوليد الباجى المراد بالحسن هنا هو ابن على بن أبى طالب لا البصرى قلت

فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على مامات عليه وفى حديث الاحنف عن أبى بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه

وكلام أبي الوليد هذا مردود ساقط يأباه سياق الحديث كما هو ظاهر عند من تأمله قال الحافظ في الفتح وكان الاحنف أراد أن يخرج بقومه الى علي بن أبي طالب ليقاتل معه يوم الجمل فنهاه أبو بكرة فرجع وحمل أبو بكرة الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسما للمادة والا فالحق انه محمول على ما اذا كان القتال بينهما بغير تأويل سائغ وقد رجع الاحنف عن رأي أبي بكرة في ذلك وشهد مع علي باقي حروبه اهـ واختلف العلماء في القتال في الفتنة فمنع بعضهم القتال فيها وان دخلوا عليه عملا بظاهر هذا الحديث وهو مذهب أبي بكرة وغيره من الصحابة وقال عمران بن الحصين وابن عمر لا يدفعها فان قصدوه دفع عن نفسه وقال معظم الصحابة والتابعين وغيرهم يجب نصر الحق وقتال الباغين وهو الصحيح قال العيني وتتأول أحاديث المنع على من لا يظهر له الحق أو على عدم التأويل لواحد منهما ولو كان كما قال الاول لظهر الفساد والحق الذي عليه أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة وحسن الظن بهم والتأويل لهم وانهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا فمنهم المخطئ في اجتهاده والمصيب وتوقف الطبري وغيره في تعيين المحق منهم وصرح بالتعيين الجمهور وقالوا ان عليا رضي الله عنه وأشياعه كانوا مصيبين والله أعلم وقوله انه كان حريصا على قتل صاحبه قال بعض العلماء وفي هذا حجة للباقلاني ومن تبعه ان العزم على الذنب والعقد على حمله معصية بخلاف الهم المعفوّ عنه وللمخالف ان يقول هذا فعل أكثر من العزم والمواجهة والقتال وقال النووي الصحيح الذي عليه الجمهور ان من نوى المعصية وأصر عليها يكون آثما وان لم يعملها ولا تكلم وقال العيني التحقيق ان من عزم على معصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ولهذا جاء بلفظ الحرص فيه ويحمل ما وقع من نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو يعملوا به وفي الحديث الآخر اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه على ان ذلك فيما لم يوطن نفسه عليها وانما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم وان عزم تكتب سيئة واحدة فان عملها كتبت معصية ثانية اهـ (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله عنه (من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادّان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق) كذا في القوت قال العراقي رواه أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصرا على قصة الدين دون ذكر الصداق وفي سنده اضطراب اهـ قلت حديث صهيب عند ابن عساكر بلفظ من تزوج امرأة ومن نيته ان يذهب بصداقها لقي الله وهو زان حتى يتوب ومن ادّان دينا وهو يريد ان لا يفي به لقي الله سارقا حتى يتوب رواه هكذا عن صيفي بن صهيب عن أبيه ورواه ابن النجار والرافعي في تاريخيهما بلفظ من تزوّج امرأة بصداق لا يريد ان يؤديه جاء يوم القيامة زانيا ومن تسلف مالا يريد ان لا يؤديه جاء يوم القيامة سارقا ورواه البيهقي في الشعب بلفظ من تزوّج امرأة ثم مات وهو لا ينوي ان يعطيها مهرها مات وهو زان ومن استقرض من رجل قرضا ثم مات وهو لا ينوي ان يعطيه مات وهو سارق وقد روي الحديث أيضا من طريق ميمون بن جابان الكردي عن أبيه رفعه من تزوّج امرأة وهو ينوي ان لا يعطيها الصداق لقي الله وهو زان رواه ابن منده وأما قصة الدين فقد رويت من حديث أبي امامة وميمونة أخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي امامة من ادّان دينا وهو ينوي ان يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة ومن استدان دينا وهو لا ينوي ان يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت ان لا آخذ لعبدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت الآخر فجعلت عليه وأخرج الطبراني من حديث ميمونة من ادّان دينا تنوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة وفي لفظ له وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله عليه وأخرجه ابن ماجه بلفظ من ادّان دينا ينوي قضاءه كان معه عون من الله على ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة) نقله صاحب القوت وقال رويناه في خبر مقطوع قال العراقي رواه أبو الوليد الصفار في

وفي حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة

كتاب الصلاة من حديث عبد الله بن أبي طلحة مرسلا قال صاحب القوت وليس الطيب من البر المأمور به ولا من الاثم المنهي عنه وانما الصاحبه منه نيته فان كانت نيته اتباع السنة واظهار النعمة كان بذلك مطيعا وكان له ثواب مانواه وان تطيب لغير ذلك كان به عاصيا لاتباعه هواه (وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ماافترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى) نقله صاحب القوت (وكتب سالم بن عبد الله) بن عمر بن الخطاب أبو عمر أو أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة وكان ثبتا عابدا فاضلا وكان يشبه بأبيه في الهدى والسمت وروى له الجماعة مات في آخر سنة بعد المائة على الصحيح (الى عمر بن عبد العزيز) الاموي رحمه الله تعالى وكان قد كتب اليه يستنصحه فكتب اليه (اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره) كذا في القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن يحيي الازدي حدثنا سعيد ابن سليمان وقرأته عليه حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن مجبر حدثنا موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن عبد العزيز كتب اليه من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين الى سالم بن عبد الله سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله ابتلاني بما ابتلاني من أمر هذه الامة من غير مشاورة مني فيها ولا طلبة مني لها الا قضاء الرحمن وقدره فاسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الامة بما ابتلاني به ان يعينني على ولائي وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن موازرة وان يرزقهم مني الرأفة والمعدلة فاذا أتاك كتابي هذا فابعث الي بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد فاني متبع أثر عمر وسيرته ان أعانني الله على ذلك والسلام فكتب اليه سالم بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من سالم بن عبد الله بن عمر الى عبد الله عمر أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله خلق الدنيا وما أراد وجعل لها مدة قصيرة وكان ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا يقدر منها أهلها على شئ حتى تفارقهم ويفارقونها أنزل بذلك كتابه وبعث به رسله وشرع فيه دينه وانك اليوم يا عمر قد وليت أمرا عظيما ليس يليه عليك أحد دون الله قد أفضى فيما بينك وبين الخلائق فان استطعت ان تغنم نفسك وأهلك فافعل ولا حول ولا قوة الا بالله فانه كان قبلك رجال عملوا بما عملوا وأماتوا ما أماتوا من الحق وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى ولد فيه رجال ونشؤا فيه وظنوا انها السنة ولم يسدوا على العباد باب رخاء الا فتح عليهم باب بلاء فان استطعت ان تفتح عليهم أبواب الرخاء فانك لا تفتح منها عليهم بابا الا سد به عنك باب بلاء ولا يمنعك من نزع عامل ان تقول لا أجد من يكفيني عمله فانك اذا كنت تنزع لله وتعمل لله أتاح الله لك رجالا وكالا باعمال الله وانما العون من الله على قدر النية فاذا تمت نية العبد تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر ذلك فان استطعت ان تأتي الله يوم القيامة ولا يتبعك أحد بظلم فافعل ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انك كتبت الي تسأل ان أبعث اليك بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضائه في المسلمين وأهل العهد فان عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك واني أرجو ان عملت بمثل ما عمل عمر ان تكون عند الله أفضل منزلة من عمر وقل كما قال العبد الصالح وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب والسلام عليك قال ورواه اسحق بن سليمان عن حنظلة بن أبي سفيان قال كتب عمر ابن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله فذكره مطولا ورواه جعفر بن برقان قال كتب عمر الى سالم فذكره مختصرا ورواه معمر بن سليمان الرقي عن الفرات بن سلمان قال كتب عمر الى سالم فذكره بطوله (وقال بعض السلف) رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم تصب (رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية) نقله صاحب القوت قال وكتب بعض الاولياء الى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل قلت وسيأتي هذا من حديث معاذ (وقال) أبو سليمان (داود) بن

(وأما الآثار) فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود

الطائى البرهمته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى لا أحب ان يأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولاتهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم يبكى ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وقال الحسن انما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات وقال أبو هريرة مكتوب فى التوراة ما أريد به وجهى فقليله كثير وما أريد به غيرى فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر فى عمله فاذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر فى ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحرى أن يصلح مادون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

(بيان حقيقة النية)

(اعلم

نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (البرهمته التقوى ولو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة فكذلك الجاهل بعكس ذلك) أى ان الجاهل بالله تعالى وآياته همته الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الله تعالى وموافقة الهوى لان سرها كان همة النفس بعاجل عرض الدنيا كذا فى القوت وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن عبد الوهاب قال قال داود الطائى كل نفس ترد الى همتها فهموم بخير ومهموم بشر (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل) كذا فى النسخ ولفظ القوت كما تتعلمون العلم قال وقال محمد بن الحسين ينبغى للرجل ان تكون نيته بين يدى عمله (وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوى الخير فأنت بخير) كذا فى القوت (وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى لا أحب ان تأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله) نقله صاحب القوت قال وقال زيد بن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولاتهم لله بمعصية وتمسى ولاتهم لله بمعصية (وكذلك قال بعض السلف) فى معناه (ان نعمة الله تعالى عليكم أكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك) نقله صاحب القوت (وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولاتهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم) نقله صاحب القوت (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم) وهذا قد رواه أحمد من حديثه مرفوعا بلفظ يبعث الناس وقد تقدم (وكان الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (اذا قرأ) قوله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم يبكى ويرددها ويقول) يارب (انك ان بلوتنا أفضحتنا وهتكت أستارنا) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (انما خلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار بالنيات) نقله صاحب القوت لان تخليد الله العبد فى الجنة ليس بعمله وانما هو بنيته لانه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو اضعافه لكنه جازاه بنيته لانه كان ناويا ان يطيع الله أبدا لو بقى أبدا فلما اخترمته جوزى بنيته وكذا الكافر لانه لو جوزى بعمله لم يستحق التخليد فى النار الا بقدر مدة كفره لكنه نوى الاقامة على كفره ابدا لو بقى فجوزى بنيته (وقال) أبو عمرو (بلال بن سعد) بن تميم الاشعرى ثقة عابد فاضل مات فى خلافة هشام روى له البخارى فى الادب المفرد وأبو داود فى القدر والنسائى (ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر ماذا نوى فان صلحت نيته فبالحرى ان يصلح مادون ذلك) رواه البيهقى فى الشعب فاذا عماد الاعمال النيات والقطب الذى عليه المدار والوسيلة بعد الايمان الى السعادة العظمى فى الاولى والعقبى (فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعائق) وليس للشرع عناية فى طاعة من الطاعات بعد الايمان بالله أعظم من اعتنائه بالنية اذ صحة العبادات أجمعها موقوفة على وجودها يعنى الايمان والنية فهى تلى الايمان فى الرتبة والشرط فى صحة الاعمال فحينئذ يجب عليك فهم حقيقتها وتخليصها مما يشوبها من الحظوظ الدنيوية وجوبا وعن الاعراض والعوارض الاخروية استحبابا ثم تفصيل أعمالها وطريق اكتسابها وقد شرع المصنف فى بيان حقيقتها وبيان ما يضاف اليها من الارادة والعزم والقصد لانها من روادفها فقال

(بيان حقيقة النية)

أعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه أصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى فانه لا يتم الا بثلاثة أمور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان مالا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل مالم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما فى الحال أو فى المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافى عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة وأعنى به نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو ان يقوى فى نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال واما فى المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل

(اعلم ان النية) بالكسر اسم من نواه ينويه اذا قصده والياء مشددة والتخفيف لغة حكاها الازهرى وحذفت اللام وعوض منها الهاء على هذه اللغة كما قيل فى ثبة وظبة وأنشد بعضهم * أهم القلب حوشى النيات * وفى المحكم النية مثقلة والتخفيف عن اللحيانى وحده وهو على الحذف واذا عرفت هذا فاعلم ان النية (والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختيارى) أى صادر باختيار العبد (فانه لا يتم الا بثلاثة أمور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان مالا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل مالم يرد فلا بد من ارادة) تسبق العمل (ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما فى الحال أو فى المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور) ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور هذا من لطف الله تعالى وكمال حكمته (فاحتاج الى جلب الملائم الموافق) لطبعه النافع له فى العاجل والآجل (لنفسه و) الى (دفع الضار) له فيهما (المنافى) لطبعه (عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع) وهو العلم المعرّف له ذلك (حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول مالم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق) له (ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل) اليه (ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى) بلطفه وحكمته (الميل والرغبة والارادة وأعنى به) اى بمجموع الميل والارادة والرغبة (نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه) فوجود الميل الى الموافق الملائم والنفرة عن المؤلم المنافر بعد العلم ضرورى بان لا كسب للعبد فيهما فلا ثواب ولا عقاب عليهما حتى ينصرف عن القلب ما يعارضهما او يضادهما من علوم وارادات لطلب أغراض أخر لان المعارضة والمضادة تمنع من جزم النية واليه أشار المصنف بقوله (ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا) لا يقدر على التحرك (فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو ان يقوى فى نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة حادثة عن الارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة) فحينئذ يكون هذا كسبا للقلب وعملا من أعماله يقع عليه الجزاء والثواب (فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال واما فى المآل فالمحرك الاوّل هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل) وبه تبين ان النية والقصد والارادة الفاظ متواردة على معنى واحد وان حققت فلا بد من تفرقة قريبة فالنية عبارة عن تمييز الاغراض بعضها عن بعض والقصد هو

الاان انهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا فى فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما (أما الاول) فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له فى القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته (وأما الثانى) فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كان كافيا فى الحمل لو انفرد ومثاله فى غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غنى فيرغب فى قضاء حاجته وفقير أجنبى فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثانى رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة للبواعث (والثالث) ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوى مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله فى المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغنى فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبى الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدى الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب فى التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء

على

جمع الهمة نحو الغرض المطلوب والعزم يقوى القصد وينشطه والارادة تصرف الموانع المثبطة لانتهاض القدرة وتتوجه نحوها هذا حقيقة النية (الاان انهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا فى فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد كان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا) كل ذلك بحسب الاغراض المطلوبة (فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا) من المحسوس (واسما أما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع) أو جلس فى مجرى سيل (فكلما رآه) أى واحدا منهما مقبلا عليه (قام) هاربا (من موضعه) خوفا مما دهاه (فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع) أو السيل (فانه رأى السبع وعرفه ضارا) وكذا السيل (فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع) أو السيل (لا نية له فى القيام لغيره وهذه النية) فى الهرب (تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته) فاما اذا اقترن بالنية باعث آخر يجرى مجرى المرافقة أو المعاونة او المشاركة فلا يسمى اخلاصا (وأما الثانى فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض) للقدرة (لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كافية فى الحمل لو انفردت ومثاله فى غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة) من حوائجه (فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة ولولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غنى فيرغب فى قضاء حاجته وفقير أجنبى فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة) وهو تاسع ذى الحجة (فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية) لانه له غرض فيها أى لو استغنى عن الصوم كان يحتمى (ولولا الحمية) أى لو استغنى عنها (لكان) يصوم (ويتركه) أى الاكل (لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثانى رفيق الاول) لانه لم يؤثر فى الصوم حقه ولكنه رافقه مرافقة (فلنسم هذا مرافقة للبواعث) وهى تشوب العمل والرجاء من رحمة الشرع ان يثاب عليه ولكن لا يقع موقع الرضا (الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوى مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله فى المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغنى فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبى الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم قصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدى الناس لغرض الثواب وغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب فى التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء

على العطاء ولما اجتمعا أو ربما بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هـذا الجنس مشاركة) وهذا اشك في بطلانه واحباط ثوابه فلاله ولاعليه الاان كان باعث الرياء أقوى فانه يأثم بقدر قوته وزيادته أو كان باعث الثواب أقوى فانه يثاب بقدر قوته وزيادته وهذا تحقيق قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (والرابع ان يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لايستقل ولكن لما انضاف اليـه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله من المحسوس ان يعاون الضعيف الرجـل القوي على الحمـل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تحقيقه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهـدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لولم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة) وهذه حالة مخوفة لانها تدل على اجـلال غير الله تعالى والتماس الثناء عليهم (فالباعث الثاني اما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها) أي حكم هؤلاء الثلاثة وهي المرافقـة والمشاركة والمعاونة (في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل) في الخبر (انما الاعمـال بالنيات لانها) أي الاعمال (تابعة لاحكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع) الذي هو النية

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله)

قال العراقي رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف اهـ قلت في سياق كل من الطريقين زيادات كما نذكرها وأما هذا الذي أورده المصنف فرواه العسكري في الامثال والقضاعي في مسند الشهاب والبيهقي في الشعب وابن عساكر في أماليه من طريق ثابت البناني عن أنس مرفوعا الا انهـم قالوا أبلغ بدل خير وقال البيهقي اسناده ضعيف وقال ابن عساكر غريب من هذا الوجه وقال ابن دحية انه لايصح وجزم الزركشي بانه ضعيف وتبعه السيوطي في الدرر وكانه لاجل أبي عبد الرحمن السلمي فقـد تكلم فيه جماعة بانه وضاع ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يصب فله طرق بمجموعها يتقوى الحديث وقد رواه أيضا الحكيم والعسكري عن ثابت البناني بلاغا وأما لفظ حديث سهل بن سعد نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خـير من نيته وكل يعمل على نيته فاذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور أخرجه الطبراني في الكبير والخطيب في التاريخ والضياء في المختارة قال الهيثمي رجاله موثقون الا حاتم بن عباد بن دينار لم أر من ذكر له ترجمة انتهى فحينئذ اطلاق العراقي القول بالضعف فيه محـل نظر ولفظ حديث النواس نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر خـير من عمله هكذا هو لفظ العسكري في الامثال وقد أخرج الطبراني مثله وقد حكم العراقي بضعفه أيضا وقد روى أيضا من حـديث أبي موسى الاشعري نية المؤمن خير من عمله ان الله عز وجـل ليعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله وذلك ان النية لارياء فيها والعمل يخالطه الرياء أخرجه الديلمي في مسـند الفردوس بسند ضعيف هذا ما يتعلق بتخريج الحديث ولنرجع الى معناه قال المصنف رحمه الله تعالى (اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر) لانه من عمل القلب (لايطلع عليـه الا الله تعالى والعمل ظاهر) لانه من الجوارح يطلع عليه (ولعمل السر فضل) على عمل العلانية وهذا الذي قرره المصنف يخرج منه وجهان في الترجيح وتقرير ذلك ان النية سر واعمال السر تضاعف فهذا وجه والثاني ان النية غيب لايطلع عليه غير الله تعالى والظواهر مشتركة (وهذا صحيح) في نفسه وقد قرره غالب شراح الحديث واعتمدوه واليه يشير ما في حديث أبي موسى عنـد الديلمي الذي تقدم قريبا وهو ان النية لارياء فيها والعمل يخالطه الرياء أي لكونها عمل السر وهو سبب المضاعفة فيكون سبب الترجيح (ولكن ليس هو المراد) من الحـديث (لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه

على العطاء ولو اجتمعا أو ربما بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة (والرابع) أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لايستقل ولكن لما انضاف اليـه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لولم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لاحكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع *(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله)* اعلم انه قد يظن أن سبب هذا الترجيح ان النية سر لايطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه

أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لاتدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لاتدوم الا فى لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضى أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك

ولكنه بعيد أن يكون هو المراد اذ العمل بلا نية أو على الغفلة لاخير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين فى أصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أى لكل واحد منهما أثر فى المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا فى النية وفى العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق فى الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعنى به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها فى الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله

تعالى

أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضى عموم الحديث أن يكون نية التفكر خيرا من التفكر) أو نية الذكر خيرا من الذكر وهذا لايعول عليه (وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية متصلة تدوم الى آخر العمل والاعمال) منقطعة (لاتدوم) فبالنية خلد أهل التوحيد فى الجنة وخلد أهل الشرك فى النار لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر (وهو) أيضا صحيح واليه يشير كلام الحسن البصرى المتقدم واعتمده بعض شراح الحديث وقرره وبسط فيه لكنه (ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لاتدوم الا فى لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم) فى الحديث (يقتضى ان تكون نيته خيرا من عمله) مع انها انقطعت والعمل دام (وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية) وتقرير هذا القول على وجهين الاول ان يقال النية من شرط العمل حتى لايصح عمل الابها وهى تصح بمجردها هكذا قرره صاحب القوت الثانى ان يقال ان النية خير من العمل بلا نية اذ لو كان المراد خيرا من العمل مع نية لزم كون الشئ خيرا من نفسه مع غيره والمراد ان الجزء الذى هو النية خير من الجزء الذى هو العمل هكذا قرره الكرمانى شارح البخارى (وهو كذلك) أى صحيح فى نفسه (ولكنه بعيد ان يكون هو المراد) من الحديث (اذ العمل بلا نية أو على الغفلة لاخير فيه أصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين فى أصل الخير) وهنا لا اشتراك فهذه ثلاثة أوجه وهى ترجع الى أربعة وفيه أقوال أخر يأتى ذكرها فى آخر البحث (بل المعنى به) فى الحديث (ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أى لكل واحد منهما أثر فى المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذى هو من جملة طاعته والغرض) من بيان الحديث (ان للعبد اختيارا فى النية وفى العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه) وقد قرره صاحب القوت فقال وفيه وجه آخر يكون الكلام على التقديم والتأخير أى نية المؤمن هى من عمله خير كانه قال هى بعض اعماله الخير فهذا كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها معناه نأت منها بخير وكما قال تعالى يسألونك كأنك حفى عنها معناه يسألونك عنها كأنك حفى بهم وأخر قوله عنها ومعناه التقديم فيكون على هذا التأويل ان النية من اعمال القلوب وانها من عمل العبد خير كثير اهـ وهو صحيح ولكنه عند التأمل يرجع الى الوجه الاول الذى قررناه ومع ذلك فلا يخلو من تكلف من جهة التقديم والتأخير ولعل المصنف غير فى التعبير لاجل ذلك (وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق فى الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعنى به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب) كما ان الاطعمة غذاء للجوارح (والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها فى الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط) وهذه هى سعادة الآخرة (ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله

ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا
الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم أن سعادته فى الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد
والحجامة لعلمه بان سلامته فيها واذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات
القلب وارادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم أو طلب الرياسة
لا يكون ميله فى الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة (١٧) والاعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ
وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذى ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا فى وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى تراد بها الآخرة والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعة وترك المعاصى بالجوارح
لان بين الجوارح و بين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم
بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع فكأنه
الامير والراعى والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة
الى المقصود ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح الراعى والرعية
وأراد بالراعى القلب

تعالى ولن يحبه الا من عرفه) المعرفة الخاصة (ولن يانس به الا من طال ذكره له) فى سائر أحواله (فالانس
يحصل بدوام الذكر والمعرفة) تحصل (بدوام الفكر) بمراقبة القلب (والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة)
لانها ثمرتها (ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من
شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى
الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته فى الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان
سلامته فيها واذا حصل أصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة
على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجرى مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة
و يقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله فى الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى
الميل واشتغل بالميل وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بذلك تأكد ميله ورسخ) أى ثبت (وتعسر عليه
النزوع) عنه (وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذى ينظر الى وجه
حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة
والمحاورة حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله
لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون) ذلك (زبرا) أى منعا بشدة (ودفعا فى وجهه
حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هى التى
تراد بها الآخرة والشرور كلها هى التى تراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية
وانصرافها عن الدنيوية هو الذى يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على أعمال
الطاعات وترك المعاصى بالجوارح لان بين الجوارح و بين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر
فترى العضو اذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم
أمر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير
والراعى) أى بمنزلتهما (والجوارح) كلها (كالخدم والرعايا والاتباع) أى بمنزلتها (فالجوارح خادمة
للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود) الاعظم (والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال
النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد) متفق عليه من حديث النعمان
ابن بشير وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اصلح الراعى والرعية) قال العراقى لم أجده وقد تقدم
(وأراد بالراعى القلب) وبالرعية الجوارح وكانه قال اللهم اصلح الظاهر والباطن وقال صاحب القوت وقد
ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثل القلب بالملك والجوارح جنوده قال واذا صلح القلب صلح الجسد واذا
فسد فسد الجسد معناه فاذا صلحت للعبد نيته دامت للعبد استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر

وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهى صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لامحالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح أن يعوّد القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر أيضا انما أريد به أن يسرى منه الاثر الى المعدة فما يلاقى عين المعدة فهو خير وأنفع فهكذا ينبغى أن تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن أن فى وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بلى من حيث انه بحكم العادة تؤكد صفة التواضع فى القلب فان من يجد فى نفسه تواضعا فاذا استكان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد فى قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة فى قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من أعضائه أثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا او

وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض أثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فاذا قصد به رياء

والهوى خلصت الاعمال من الرياء وصفت من الشهوات والاهواء واذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت أعمال الجوارح بحب المدح والرياء وقال أيضا أوّل سلطان العدوّ على القلب عند فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه وأوّل ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى واذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس ولان ينتقل العبد من معصية الى معصية فيكون تاركا للاولى بنية الترك لاجل الله تعالى كان انفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب الى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات لانه حينئذ يكون متقلبا فى المعاصى بفساد نيته وخالط عملا سيئا بسيئ مثله ودرأ بالسيئ السيئة قبلها وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة ومخالف لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها اه (وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لامحالة ان تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها) أى أعمال القلب (أفضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضها من الاعمال بالجوارح ان يعوّد القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل ليفرغ من شهوات الدنيا) ووساوس النفس (ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود) وهذا كما أن المعدة) التى هى حوض البدن (اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر أيضا انما أريد به ان يسرى منه الاثر الى المعدة فما يلاقى عين المعدة فهو خير وأنفع) لقرب التأثير (فهكذا ينبغى ان تفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان فى وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع فى القلب فان من يجد فى نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصوّرها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد فى قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة فى قلبه) وقد ورد فى مسح رأس اليتيم عدة أخبار منها عن أبى امامة رفعه من مسح رأس يتيم لا يمسحه الا لله فان له بكل شعرة مرت على يده حسنة الحديث رواه ابن المبارك وأحمد والطبرانى والحاكم وصاحب الحلية (ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا أصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه أثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض أثر الى قلبه يتأكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه) ومفهوم هذا تقرير صحة الاعمال بالنيات فى حديث انما الاعمال بالنيات وقد تقدم الكلام عليه قريبا وفيه اشتراط النية لصحة العبادة قال العراقى فى شرح التقريب وقد اتفق العلماء على ذلك فى العبادة المقصودة لعينها التى ليست وسيلة الى غيرها وحكى أبو الوليد بن رشد المالكى فى كتابه بداية المجتهد اتفاق العلماء على اشتراط النية فى العبادات وحكى الاختلاف فى الوضوء لاختلافهم فى انه مقصد أو وسيلة وحكى ابن التين انهم لا يختلفون ان العبادة المحضة مفتقرة الى النية والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة الى النية (هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء

أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهى صفة الرياء التى هى من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل) وقد ذكرت فى سبب الترجيح وجوه أخر غير ماذكره المصنف فمنها ان الله عز وجل يهب النية للعبد خالصة لايشوبها شئ اذ اوهبها ولا تدخل عليها الآفات فهذا عطاء مهنأ وسائر الاعمال مدخولة نقله صاحب القوت ومنها ان المراد اخلاصه فى العمل خير من العمل نقله صاحب القوت عن عبد الرحيم بن يحيى الاسود قال فالاخلاص بغير عمل خير من عمل غير مخلص والنية عنده هو نفس الاخلاص وعند غيره هو الصدق فى الحال باستواء السريرة والعلانية وسيأتى الكلام على الاخلاص والصدق ومنها ان النية فعل القلب وفعل الاشرف مشرف ومنها ان القصد من الطاعة تنوير القلب وتنويره بها أكثر لانها صفته ومنها ان النية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وعمل القلب أبلغ وأنفع وهو أمير الجوارح وهذه الوجوه الثلاثة الاخيرة مفهومة من سياق المصنف عند التأمل ومنها ماقاله البيضاوى فى تفسير قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجله تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب فالمعنى ان جنس النية راجح على جنس العمل بدلالة ان كلا من الجنسين اذا انفرد عن الآخر يثاب على الاول دون الثانى وهذا لايتمشى فى حق الكافر ولذا قال نية المؤمن خير من عمله اه ومنها ان العمل يدخل تحت الحصر والنية لا اذ المحقق فى ايمانه عقد نيته على أن يطيع الله ما أحياه ولو أماته ثم أحياه وثم وثم وهذا اعتقاد منبرم مستدام فيترتب له من الجزاء على نيته ما كان يترتب له على عمله ومنها ان المؤمن كلما عمل خيرا نوى أن يعمل ماهو خير منه فليس لنيته فى الخير منتهى والفاجر كلما عمل شرا نوى أن يعمل ماهو شر منه فليس لنيته فى الشر منتهى ومنها ان المؤمن ينوى أن يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله وهذا نقل عن ثابت البنانى أحد رواة هذا الحديث كما فى القوت ومنها ان النية هى التى تقلب العمل الصالح فاسدا والفاسد صالحا فكانت أبلغ وأنفع فهذه عشرة أوجه غير التى ذكرها المصنف يكون الجميع خمسة عشر وجها (وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) تقدم وتمامه فان عملها كتبت له عشر حسنات (لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى و) عن (حب الدنيا وهى غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا) لوجه (الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما فى الكتاب العزيز (والتقوى ههنا أعنى القلب) وهذا قد رواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بلفظ التقوى ههنا قاله ثلاثا وأشار الى القلب (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أقواما بالمدينة قد شركونا فى جهادنا كما تقدم ذكره) قريبا (لان قلوبهم فى صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين فى الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات) وفى هذا السياق رد على من زعم ان حديث من هم بحسنة مضاد لحديث نية المؤمن خير من عمله لدلالته على ترجيح العمل (وبهذه المعانى تفهم جميع الاحاديث التى أوردناها فى فضيلة النية فاعرضها عليها لتنكشف لك أسرارها فلا نطول بالاعادة) قال الكمال محمد بن اسحق الصوفى فى مقاصد المنجيات سألت الامام عز الدين بن عبد السلام عن ترجيح النية على العمل فاجاب ان الوسيلة ليست أفضل من مقصودها اه قال وهذا بحسب نظر الناظر فمن نظر الى ان النية وسيلة محثة على العمل قال العمل أفضل من النية لانه مقصودها كمن نوى أن يتصدق بمال ثم تصدق به كان فضل العمل بقدر ماأدخل من السرور على قلوب الفقراء والصالحين لسد خلتهم ومن نظر الى ان أعمال الجوارح

أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهى صفة الرياء التى هى من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهى غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا أعنى القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا فى جهادنا كما تقدم ذكره لان قلوبهم فى صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين فى الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعانى تفهم جميع الاحاديث التى أوردناها فى فضيلة النية فاعرضها عليها ينكشف لك أسرارها فلا نطول بالاعادة

(بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية) اعلم أن الاعمال وان انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر احصاؤه واستقصاؤه فهى ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات *(القسم الاوّل المعاصى)* وهى لا تتغير عن موضعها بالنيـة فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذى يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر فى اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيأ أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التى هى وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم

المنوطة بالنية هى وسائل لتقوية النية قال النية أفضل اذ الاعمال بهذا الاعتبار وسيلة الى تقوية النية وكانها وسيلة أوّلا مقصودة آخرا وهذا معنى ماذكره الامام الغزالى وهو نظر صحيح لمن تامله والله أعلم

(بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الاعمال وان انقسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر احصاؤه واستقصاؤه فهى ثلاثة أقسام طاعات ومعاص ومباحات) كانه يشير الى بيان الاعمال التى ذكرت فى حديث انما الاعمال بالنيات وقد قالوا ان المراد بها أعمال الجوارح حتى يدخل فى ذلك الاقوال فانها عمل اللسان وهو من الجوارح قال ابن دقيق العيد ورأيت بعض المتأخرين من أهل الخلاف خصه بما لا يكون قولا وأخرج الاقوال من ذلك قال وهذا عندى بعيد ولا تردد عندى فى أن الحديث يتناول الاقوال أيضا (القسم الاول المعاصى وهى لا تتغير عن موضعها بالنية) ولا تصح فيها النيـة (فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذى يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره) بنية الارضاء (أو يطعم فقيرا من مال غيره) بنية الصدقة (أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير) وهو بقاء أجرها بعد موته وكذا اذا غصب أرضا بنية أن يبنيها مسجدا (فهذا كله جهل والنية لا تؤثر فى اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر) فمن ذلك الاصرار على تلك المعصية والفرح بها واستخفافها كما ذكرناه فى كتاب التوبة (فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم (والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا هيهات بل المروّج) أى المزين (لذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفوس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيأ أشد من الجهل قال نعم) قيل ما هو قال (الجهل بالجهل) قال صاحب القوت يعنى أن يكون العبد جاهلا وهو لا يعلم أو يحسب بجهله أنه عالم فيسكت عن جهله و يرضى به فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم ولعله أن يفتى الجهال أو يتكلم بالشبهات وهو يظن انها علم وهذا أعظم من سكوته واليه أشار المصنف بقوله (وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم) وقد روى عن الخليل بن أحمد قال الرجال أربعة رجل يدرى و يدرى أنه يدرى فذاك عالم فجالسوه ورجل يدرى و يدرى أنه لا يدرى ورجل لا يدرى و يدرى أنه لا يدرى فذاك ضال فارشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذاك جاهل فامقتوه (وكذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم النافع من العلم والضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التى هى وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم) ولفظ القوت وكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بمثل العلم ومن علم العلم بالعلم أى شئ هو وذلك أيضا واجب من حيث كان العلم واجبا ليكون على بصيرة من تعلم العلم لانه قد دخل مذهب المتكلمين وأقوال الغالطين من الصوفية والقصاص فى شبهات العلم فصار زخرفا من القول غرورا يشبه العلم وليس بعلم لالتباس المعنى بعضه ببعض ولاشكال دقائق العلوم وغرائبه وخفاء السـنة من طريق علماء السلف فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون

بالعلماء

والمقصودان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله سبحانه فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه و يقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على ممارات العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه

الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى و يتباعد عن التقوى و يستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وأمثاله و يتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى و يتسلسل ذلك وو بال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفى سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا أن يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده و يقول انما أردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله الجميلة وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو أحب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

بالعلماء فصار معرفة العلم أي شيء منه والعلم بالعالم من هو علما آخر وصار العلم بالعلم ما هو دون الزخرف من القول كانه عالم فكان أيضا العلم بالعلم بمنزلة فضل العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي لان الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيه شيأ ونور العلم يهتدي به القاصد وان لم يعش (والمقصودان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور) ولفظ القوت وان كان قد خفي عليه الهوى ودق عليه لطيف حب الدنيا لجهله بالعلم فهو مأثوم فيه لتقصيره في طلب العلم الذي يعرف به الاخلاص وسكوته على الجهل الذي يدخل منه الانتقاص ولا عذر له في ذلك اه (الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال) الله (سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه) كذا في القوت قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يعذر الجاهل على الجهل وقال لا ينبغي بدل لا يحل اه قلت لفظ الطبراني في الاوسط لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله قال الله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد تقدم في كتاب العلم (و يقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس) والرباطات (بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على ممارات العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس) اليهم (وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال) قائما مقامه (يتكالب على الدنيا و يتبع الهوى و يتباعد عن التقوى و يستجرئ الناس بسبب مشاهدته على مناهي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وأمثاله و يتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى و يتسلسل ذلك وو بال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفى سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه) ومن هذا القبيل من يحدث الناس بحديث لا يبلغ عقولهم بنية نشر العلم (ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا أن يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه) و يزينه في عينه (والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق) للمسلمين (وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده و يقول انما أردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق جميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله) تعالى (فان اعداد الخيل والقوة للغزاة من أفضل القربات) كما وردت به الاخبار (فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد أجمع الفقهاء على ان ذلك حرام) كما حكاه ابن المنذر وغيره وصرح به النووي تبعا للرافعي (مع ان السخاء هو أحب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء فليت شعرى لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر الى
قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغى ان يسعى فى سلب سلاحه فى أن يمده بغيره والعلم سلاح
يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون

به أعداء الله عزوجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته
وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فلو رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل أنكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق أن اعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغنى انك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب
العلم وهذا وأمثاله مما يلتبس على الاغبياء وأتباع الشيطان وان كانوا أرباب الطيالسة والاكمام الواسعة
وأصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير أعنى الفضل من العلوم التى لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب فى الآخرة
والدعاء النهابل هى العلوم التى تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون

تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها اليه السخاء) تقدم فى كتاب المحبة والشوق نحوه دون قوله وأحبها اليه السخاء (فليت شعرى لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغى أن يسعى فى سلب سلاحه لا فى أن يمده بغيره) هذا فى السلاح الظاهر (والعلم) أيضا بمنزلة (سلاح) فى أنه (يقاتل به الشيطان و) سائر (أعداء الله و) هو (قد يعاون به أعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله تعالى يتفقدون أحوال من يتردد اليهم) لاجل الاستفادة (فلو رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل) فضلا عن الفرائض (أنكروه وتركوا اكرامه) وأعرضوا عنه بوجوههم (واذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم فان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة ولم يتعوذوا من الفاجر الجاهل) وقد روى ذلك عن عمر وغيره قال أحمد بن عبد الله العجلى قال عمر رضى الله عنه للاحنف بن قيس مع قومه من بنى تميم لما دخل عليه وكلمه ويحك يا أحنف لما رأيتك ازدريتك فلما انطقت قلت لعله منافق فى صنع اللسان فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك وكان حبسه سنة وروى مالك بن مغول عن أبى حصين عن زياد بن حدير قال قال عمر يهدم الاسلام ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون وفى جزء أبى الجهم حدثنا سوار حدثنا مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد عن ابن عباس قال خطبنا عمر فقال ان أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان وزيغة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم قلت وقد روى بعض ذلك مرفوعا من حديث عمر وغيره روى أحمد وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة وابن عدى ونصر المقدسى فى الحجة والبيهقى والضياء من حديث عمران أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان ورواه الطبرانى والبيهقى من حديث عمر بن الحصين بلفظ عليكم بعدى بدل قوله على أمتى وروى أبو نصر السجزى فى الابانة من حديث ابن عمر ان أخوف ما أخاف على أمتى ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم ورواه الطبرانى نحوه من حديث معاذ (حكى عن بعض أصحاب) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (انه كان يتردد اليه سنين) للاستفادة وكان يقبل اليه بوجهه ويكرمه ويفيده (ثم اتفق ان أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغنى انك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم) نقله صاحب القوت (فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا أرباب الطيالسة والاكمام الواسعة وأصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير أعنى الفضل من العلوم التى لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب فى الآخرة والدعاء النهابل هى العلوم التى تتعلق بالخلق) فى فصل خصوماتهم ونظم معايشهم (ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران) بالرياسة والافتخار (فاذا قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات) هكذا رواه ابن حبان فى الانواع والتقاسيم بدون انما (يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات) فقط (دون

المعاصى

المعاصى اذا الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه اذا انضاف اليها مقصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرناذلك فى كتاب التوبة

(القسم الثانى الطاعات)

وهى مرتبطة بالنيات فى أصل صحتها وفى تضاعف فضلها أما الاصل فهو أن ينوى بها عبادة الله تعالى لاغير فان نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود فى المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون فى جملة انتظاره فى الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو فى معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتى القعود فى المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر فى الآخرة ودفع

المعاصى اذا الطاعة تنقلب معصية والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد) والنية (فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلا نعم للنية دخل فيها وهو أنه انضاف اليها مقصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها) من الاصرار والفرح والاستخفاف (كما ذكرنا ذلك فى كتاب التوبة) فلا نعيده (القسم الثانى الطاعات وهى مرتبطة بالنيات فى أصل صحتها) على اختلاف فيه تقدمت الاشارة اليه (وفى تضاعف فضلها أما الاصل فهو أن ينوى بها عبادة الله تعالى لاغير فان نوى الرياء صارت معصية) فاصل صحتها بتخليصها من الشوائب وكذا تمييز رتب العبادات بعضها عن بعض لتمييز الفرض عن النفل والنفل عن العبادة وهذا مستوعب فيما تقدم فى الربع الاول (وأما تضاعف الفضل) فعلى ضربين أحدهما ما أشار اليه المصنف بقوله (فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر) رواه هناد من حديث أنس وقد تقدم (ومثاله القعود فى المسجد فانه طاعة) من الطاعات (ويمكن أن ينوى فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين) وافضال شأن الدين (وتبلغ به درجات) المحسنين (المقربين أولها أن يقصد أنه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه) لينال بذلك كرامة الزائرين (رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره) رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث سلمان وللبيهقى فى الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا باسناد صحيح وقد تقدم فى كتاب الصلاة (وثانيها أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون فى جملة انتظاره) كانه (فى الصلاة) فقد روى ابن جرير من حديث أبى هريرة من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة والملائكة تقول اللهم اغفرله اللهم ارحمه مالم يحدث وروى مالك فى الموطا وابن حبان والطبرانى والحاكم والبيهقى والضياء من حديث عبد الله بن سلام وأبى هريرة من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى تصلى وروى عبد بن حميد وابن جرير والطبرانى من حديث سهل بن سعد من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة وروى عبد بن حميد من حديث جابر المرء فى صلاة ما انتظرها (وهو معنى قوله تعالى ورابطوا) روى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه من طريق داود بن صالح قال قال أبو سلمة تدرى فى أى شئ نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال سمعت أبا هريرة يقول لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت فى قوم يعمرون المساجد يصلون الصلاة فى مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت اصبروا أى على الصلوات الخمس وصابروا أنفسكم وهواكم ورابطوا فى مساجدكم واتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحون وروى ابن جرير من حديث جابر وعلى ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قلنا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ورواه ابن مردويه من حديث أبى أيوب وفيه فذلكم هو الرباط فى المساجد ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة وفيه فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط وروى ابن أبى حاتم عن أبى غسان قال انما نزلت هذه الآية فى لزوم المساجد (وثالثها الترهب بكف السمع والبصر) عن المنهيات (والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف) أى منع فمن دخل المسجد ونوى الاعتكاف فقد كف نفسه عن المنهيات فيكون ذلك من الفائزين (وهو فى معنى الصوم) الذى هو منع النفس عن الشهوات (وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتى القعود فى المساجد) كذا فى القوت وقال العراقى لم أجدله أصلا (ورابعها عكوف الهم على الله) بان لايخطر بقلبه غير الله (ولزوم السر) وهو باطن القلب (للفكر فى) أمور (الآخرة ودفع

الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد) فيكون بذلك من الاقربين (وخامسها التجرد لذكر الله تعالى ان أمكنه (أو لاستماع ذكره وللتذكر به) فيكون بذلك من المرحومين المجاهدين (كما روى فى الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى) كذا فى القوت قال العراقى هو معروف من قول كعب الاحبار رويناه فى جزء ابن طوق وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة من غدا الى المسجد لا يريد الا ان يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كاجر حاج تام واسناده جيد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة منزلا كلما غدا أو راح اه قلت لفظ حديث أبى امامة عند الطبرانى من غدا الى المسجد لا يريد الا ان يتعلم خيرا أو يعلمه كان كاجر معتمر تام العمرة ومن راح الى المسجد لا يريد الا ليتعلم خيرا أو يعلمه فله أجر حاج تام الحجة وقد رواه كذلك الحاكم وصاحب الحلية وابن عساكر والضياء وربما يشهد لما أورده المصنف ما رواه أبو الشيخ من حديث الزبير من جلس من حين يصلى المغرب يذكر الله حتى يصلى العشاء كان مجلسه ذلك روضة فى سبيل الله ومن جلس حين يصلى الغداة يذكر الله حتى تطلع الشمس كانت مثل غدوة فى سبيل الله عز وجل قال صاحب القوت ومثل ذلك اذا جلس ليعلم علما أو يتعلمه كان أيضا كالمجاهد فى سبيل الله (وسادسها ان يقصد افادة علم بأمر بمعروف ونهى عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن يسىء فى صلاته) باخلال شئ من أركانها او واجباتها وسننها وآدابها (أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف) وينهاه عن المنكر (ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته) فيكون بذلك من خير أمة وقد وردت فى الامر بالمعروف وارشاد الضال والهداية أخبار كثيرة مر ذكرها فى مواضعها (وسابعها ان يستفيد أخا فى الله) عز وجل (فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة) وقد تقدم ما يتعلق بذلك فى كتاب الصحبة والاخوة (والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفى الله) أى مظنة وجودهم فيه فانه محل أهل الله الصالحين وعشهم فيكون ممن يحق له محبة الله ويكون فى ظله يوم لا ظل الا ظله (وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وخشية) أى خوفا (من ان يتعاطى فى بيت) من بيوت (الله ما يقتضى هتك الحرمة) وذلك من تقوى القلوب وقد يكون ترك الذنوب لا من باب الحياء بل من باب الخشية من عذاب الله تعالى لو تعاطى شيأ من المخالفات فى المساجد (وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال أخا مستفادا فى الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء) منه نقله صاحب القوت قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديثه رواه الطبرانى فى الكبير وابن عساكر من طريق سعد بن طريف عن عمير بن المأمون عن الحسن بن على وعمير لا شئ وسعد متروك (فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر فى قلب العبد المؤمن بقدر جده فى طلب الخير والتشمر له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات) وهى طريقة العلماء الذين تفردوا الذكر الله لا يعرفها غيرهم قد وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا الضرب الثانى فى مضاعفة الفضل لم يشر اليه المصنف وهو لا بد من ذكره وذلك انه قد تقدم ان الجزاء فى الآخرة على قدر النيات وتقدم ان النية تتبع المعرفة والمعرفة تتبع الغرض المطلوب وتمهد فى الشريعة ان الجزاء الواقع فى الآخرة موازن لاعمال العباد ومناسب له كما ورد ان الصائمين يدخلون الجنة من باب الريان وان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وان المتكبرين على صور الذر وأمثال هذا لا تنحصر فاذا حققت ان العبد اذا لم يقصد بعمله الا امتثال أمر الله حياء منه وتعظيما لجلاله وكبريائه وكماله فى ذاته وصفاته وجميع أفعاله وانه المستحق لذلك بصفات الالوهية على عباده كان ذلك من أفضل النيات وأشرف القربات وأثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده من النظر الى وجهه جل سبحانه ومن ضعفت بصيرته عن ذروة الكمال حتى لم يعرف من شهادة الآخرة الا اللذات الحسية دل عليه انه لم يعرف من نعيم

الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روى فى الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة العلم بأمر بمعروف ونهى عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن يسىء فى صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه فى خيره الذى يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد أخا فى الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفى الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى فى بيت الله ما يقتضى هتك الحرمة وقد قال الحسن بن على رضى الله عنهما من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال أخا مستفادا فى الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر فى قلب العبد المؤمن بقدر جده فى طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات

(القسم الثالث المباحات) ومامن شئ من المباحات الا و يحتمل نية أونيات يصير بها من محاسن القربات و ينال بها معالى الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها و يتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغى ان يستحقر العبد شيأ من الخطرات

الجنان الا أقل المراتب واخفض المنازل فاذا قصد بطاعته ذلك صحت نيته ونقصت عن درجات الكمال مع صحتها فى نفسها فان الانسان يطلق عليه الصحة والحياة وهو فاقد لجميع المحاسن المكملة لصورة الرجال (القسم الثالث المباحات ومامن شئ من المباحات الا و يحتمل نية أونيات يصير بها من محاسن القربات و ينال به معالى الدرجات) كما روى عن بشر الحافى رحمه الله تعالى انه رؤى ماشيا فى طريق الحج فسئل عن ذلك فقال أريح الجمل وأسر الجمال قال العراقى فى شرح التقريب كما اشترطوا النية فى العبادة اشترطوا فى تعاطى ماهو مباح فى نفس الامر ان لا تكون معه نية تقتضى تحريمه كمن جامع امرأته أو أمته ظانا انها أجنبية أوشرب شرابا مباحا وهو ظان انه خمر أو أقدم على استعمال ملكه وهو ظان انه لاجنبى ونحو ذلك فانه يحرم عليه تعاطى ذلك اعتبارا بنيته وان كان مباحا له فى نفس الامر غير ان ذلك لا يوجب حدا ولا ضمانا لعدم التعدى فى نفس الامر بل زاد بعضهم على هذا بانه لو تعاطى شرب الماء وهو يعلم انه ماء ولكنه على صورة استعمال الحرام كشربه فى آنية الخمر فى صورة مجلس الشراب صار حراما لشبهه بالشربة وان كانت النية لا يتصور وقوعها على الحرام مع العلم بحله ونحوه لو جامع أهله وهو فى ذهنه مجامعة من تحرم عليه وصور فى ذهنه انه يجامع تلك الصورة المحرمة فانه يحرم عليه ذلك وكل ذلك لشبهه بصورة الحرام اه (فما أعظم خسران من يغفل عنها و يتعاطاها تعاطى البهائم المهملة عن سهو وغفلة) وما أعظم حسرته (ولا ينبغى ان يستحقر العبد شيأ من الخطوات والخطرات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذى قصد به هذا فى مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب) قد تقدم للعراقى انه لم يجده يعنى مطلقا مرفوعا وقد رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه عن على موقوفا بلفظ وحرامها النار وسنده منقطع وقد روى من حديث ابن عباس عند الديلمى بلفظ يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومن حديث أنس عند الحاكم فى أثناء الحديث أف للدنيا ومافيها من البليات حلالها حساب وحرامها عقاب (وفى حديث معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه) نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له اسنادا قلت بل رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير وساق الحديث بتمامه وفيه يا معاذ ان المؤمن ليسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه الحديث (وفى خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة) تقدم قريبا انه من مرسل عبد الله بن أبى طلحة رواه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة (فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية فان قلت فما الذى يمكن ان ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال لتحسده أقرانه) ولذا فانه لا يتنبه الانسان لشراء الطيب الا من فاضل المال بعد التفرغ من الحوائج الضرورية و يدل ذلك على الكثرة (أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم) فيملكها بذلك (و يذكر بطيب الرائحة أوليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور أخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة) لان روائح المعاصى هكذا توجد هنالك (الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا أنه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب) رواه الشيخان من حديث عائشة وعند الطبرانى من حديث ابن الزبير من نوقش المحاسبة هلك ومن أتى شيأ

والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذى قصد به هذا فى مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وفى حديث معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب أخيه وفى خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لابد فيه من نية فان قلت فما الذى يمكن ان ينوى بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفى سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا أو يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه فى قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أوليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر

اليهن ولامور أخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة فى القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسئل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن أتى شيأ

من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى
وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان
يدخله زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح

من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى) فهذه النيات السيئة في استعمال الطيب (وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ قد عرف من طريقته كثرة استعمال الطيب في كل وقت خصوصا (يوم الجمعة) فانه يوم القربة الى الله تعالى (وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله) اذ المساجد بيوت الله تعالى (فلا يرى ان يدخله زائر الله) تعالى (الا) وهو (طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه) في الصف (ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه) الطيبة (وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه) مما يحصل من الاعراق ولا سيما زمن الصيف (وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به الى ان السبب الى الشر شر) ومن الغريب ان الحافظ العراقي صحف قول المصنف وأما النيات الحسنة بقوله وأما الثياب الحسنة وأورد حديث أبي هريرة من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان عنده ولبس أحسن ثيابه الحديث وحديث عبد الله بن سلام ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة الحديث وحديث عمر في الحلة السيراء وقوله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة فهذه الاخبار وهو صحيح لكنه غير مراد في سياق المصنف فتأمل ذلك وسبحان من لا يسهو (وان يقصد به معالجة دماغه) أي تقوية جوهره (لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه) بذلك (درك مهمات دينه بالفكر) الصحيح (فقد) اتفق الاطباء أن الروائح الطيبة تقوي الدماغ وتصححه ومن هنا (قال الشافعي رحمه الله تعالى من طاب ريحه زاد عقله) نقله البيهقي وغيره في مناقبه (فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس) فقط (وليس هذا من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد) الذي ذكرناه سائر (ما عداه) مما لم نذكر فانه لا ينحصر فكل لتتقوى على عبادة الله ونم لتتقوى على قيام الليل وتنزه لتستعين على العبادة بكنه الهمة فان القلوب اذا أكرهت عميت فاقتصد في دخولك في عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (ولهذا قال بعض العارفين من السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء) نقله صاحب القوت هكذا وفي موضع اني لاستعد النية في كل شيء قبل الدخول فيه حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء والنية في هذا التقوي على الطاعة والاستعانة به على الخدمة لان النفس مطيتك ان قطعتها بها قطعت بك ونية المتطهر من التخلي لاجل الدين (وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الأكل التقوي على العبادة) ومن النوم التقوي على قيام الليل (ومن الوقاع تحصين دينه) بتحصين فرجه (ومن الانبساط تطييب قلب أهله) وادخال السرور على قلوبهم وغض بصرك وبصر أهلك عن غيرك (والتوصل به) أي بالوقاع (الى) تحصيل (ولد) صالح (يعبد

الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم أشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس
بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي
ودخولي الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو
معين على الدين فمن قصده من الأكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به الى ولد صالح يعبد الله

الله تعالى بعده) و يدعوله (فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم) فتكثر بهم الخيرات (كان مطعما بأكله ونكاحه) وكذا بنومه وتنزهه وانبساطه (و) انما خص بهما لان (أغلب حظوظ النفس الاكل والنكاح وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة) وكذا ان أمر بمعروف بنية امتثال أمر الله تعالى لا لعداوة ولا لغضب وحقد هذا كله فى الفعل (و) أما فى الترك فانه (كذلك ينبغى ان يحسن نيته مهما ضاع له مال) فى بر أو بحر (ويقول هو فى سبيل الله) و يترك الطلب ولا يتعلق باسبابه وكذا اذا سكت عن منكر فليكن لعجز أو انتظار فرصة لا لغش وعدم نصيحة وان ترك تجارة أو كسبا فللتوكل على الله ولفراغ القلب لذكر الله لا للترفع وخوف سقوط المنزلة عند الناس وكذا عند ٧ من الفتوح وكذا ٧ فليترك الحزن عليه و يراعى بقلبه الرضا بقضاء الله تعالى (واذا) خاصمه مخاصم أو (بلغه اغتياب غيره فليطيب قلبه) وليصبر لوجه الله أولما أعده الله له (بانه) أى المغتاب (سيحمل سيا ٓته) على ظهره (وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب) فان عجز عن الصبر لوجه الله فالافضل الدعاء والترحم عليه حتى لا يعرضه لسخط الله وعقابه بسببه فلعل الله ان يعفو على عباده (ففى الخبران العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة ما يستوجب بها الجنة فيتعجب و يقول يارب هذه أعمال ما عملتها فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك) ولفظ القوت ومن أوذى أواغتيب فاحتسب عرضه عند الله تعالى فلعل ذلك يكون ٧ سيدا من عمله وسببا لنجاته فقد روى فى الخبران العبد ليحاسب على أعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب النار ثم تنشر له أعمال من الحسنات لم يكن عملها فيقال هى أعمال الذين اغتابوك وآذوك جعلت حسناتهم لك اه قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شبيب بن سعد البلوى مختصرا ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولم أعملها فيقال بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لهيعة اه قلت رواه أبو نعيم فى كتاب المعرفة وكذلك رواه ابن منده من طريق أحمد بن سيار وراويه شبيب بن سعد بن مالك البلوى قال ابن يونس له صحبة وشهد فتح مصر وله ذكر فى كتاب الفتوح وقال يحيى بن عثمان بن صالح عن ابن عفير شهد بيعة الرضوان وفتح مصر ولا تحفظ له رواية كذا قال وليس كذلك بل له رواية محفوظة كما ذكرنا واختلف فى ضبطه فقيل هكذا كما أوردناه بالشين والموحدة كامير وضبطه الآمدى هكذا الا انه قال وآخره مثلثة وقيل هو بكسر أوله وسكون التحتية ثم مثناة فوقية والله أعلم وقد روى من حديث أبى امامة نحو من ذلك ولفظه ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول رب لم أعمل هذه الحسنات فيقول انها كتبت باغتياب الناس اياك وان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيقول رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له محيت عنك باغتيابك الناس رواه الخرائطى فى مساوى الاخلاق فيه الحسن بن دينار عن خصيب بن جحدر فالحسن قال النسائى متروك والخصيب كذبه شعبة والقطان وروى الحكيم من حديث ابن عمر يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته فى كفة وسيا ٓته فى كفة فترجح السيا ٓت فتجئ بطاقة فتقع فى كفة الحسنات فترجح بها فيقول يارب ما هذه البطاقة فما من عمل عملته فى ليلى أونهارى الاوقد استقبلت به قال هذا ما قيل فيك وأنت منه برئ فينجو بذلك (وفى الخبران العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيا ٓتهم ثم صكوا له صكا الى النار) كذا فى القوت وروى سمويه فى فوائده وأبو نعيم فى الحلية والخطيب فى المتفق والمفترق من حديث سالم مولى أبى حذيفة نحوه بلفظ ليجاءن يوم القيامة بقوم معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى اذا جىء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم فى النار الحديث وقد تقدم فى كتاب

الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطعما بأكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغى ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطب قلبه بانه سيحمل سيا ٓته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففى الخبران العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يارب هذه أعمال ما عملتها قط فيقال هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفى الخبران العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيا ٓتهم ثم صكوا له صكا الى النار

٧ هنا بياض بالاصل

و بالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع
عليك وشهيد وما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت ان أتربه من حائط جارلى فتحرجت ثم قلت تراب وما
تراب فاتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرآه مقلوب الثوب
فعرفه فمد يده ليصلحه ثم
قبضها فلم يسوه فساله عن
ذلك فقال انى لبسته لله
تعالى ولا أريد ان أسويه
لغير الله وقد قال الحسن
ان الرجل ليتعلق بالرجل
يوم القيامة فيقول بينى
وبينك الله فيقول والله
ما أعرفك فيقول بلى أنت
أخذت لبنة من حائطى
وأخذت خيطا من ثوبى
فهذا وأمثاله من الاخبار
قطع قلوب الخائفين فان
كنت من أولى العزم
والنهى ولم تكن من المغترين
فانظر لنفسك الآن ودقق
الحساب على نفسك قبل أن
يدقق عليك وراقب أحوالك
ولا تسكن ولا تتحرك مالم
تتأمل أولا أنك لم تتحرك
وماذا تقصد وما الذى تنال به
من الدنيا وما الذى يفوتك
به من الآخرة وبماذا ترجح
الدنيا على الآخرة فاذا علمت
انه لا باعث الا الدين فامض
عزمك وماخطر ببالك والا
فامسك ثم راقب أيضا قلبك
فى امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد
له من نية صحيحة فلا ينبغى
أن يكون لداعى هوى خفى
لا يطلع عليه ولا يغرنك
ظواهر الامور ومشهورات
الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز أهل الاغترار فقد روى عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل فى بالاجرة
حائط بالطين وكان أجير القوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما
علم من سخائه وزهده وظنوا أن الخير فى طلب المساعدة فى الطعام فقال انى أعمل لقوم

العجب والرياء وله أيضا شاهد من حديث أبى امامة الذى ذكر قبل هذا وروى صاحب القوت أيضا ان العبد ليرى من أعماله الحسنات ما يرجو به المنازل فى الجنة فتلقى عليه اسيآت لم يعملها فترجح بحسناته كلها فيستوجب النار فيقول يا رب هذه سيآت ما عملتها قط فيقال هذه ذنوب القوم الذين اغتبتهم وآذيتهم وظلمتهم ألقيت عليك وتخلصوا منها (و بالجملة فاياك ثم اياك) يا أخى (ان تستحقر شيا من حركاتك) وسكناتك (فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) فلا تقدم ولا تحجم الا بنية (وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان أتربه من حائط جارلى فتحرجت) من ذلك (ثم قلت تراب وما تراب) كانه استحقر شانه (فاتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب) نقله صاحب القوت (وصلى رجل مع) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى صلاته وكان قد خرج معه بغلس (فرآه) حين أصبح (مقلوب الثوب) أى لبس ازاره مقلوبا (فعرفه) أى قال له يا أبا محمد قد لبست ثوبا مقلوبا فاصلحه (فمد) سفيان (يده ليصلحه ويسويه (ثم قبضها) أى يده (فلم يسوه) أى لم يصلحه وابقاه على ما كان عليه (فساله عن ذلك) وقال ما منعك أن تسويه عليك (فقال انى لبسته لله تعالى ولا أريد ان أسويه لغير الله) عزوجل نقله صاحب القوت (وقد قال الحسن) البصرى فيما رواه ابن المبارك عنه (ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى) وان الرجل ليتعلق بالرجل فيقول أنت (أخذت خيطا من ثوبى) ولفظ القوت فيقول هذا أخذ من ثوبى زيشبرا (فهذا وامثاله من الاخبار) والآثار (قطع قلوب الخائفين) وشرد عنهم الراحة (فان كنت من أولى العزم) البالغ (والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن) وأنت فى الدنيا (ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب أحوالك) مراقبة من يتحقق باطلاع مولاه عليها (ولا تسكن ولا تتحرك مالم تتأمل أولا انك لم تتحرك) أى لاى شئ حركتك هذه (وماذا تقصد) بهذه الحركة (وما الذى تنال به من الدنيا وما الذى يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك) وقصدك (وماخطر ببالك والا فامسك ثم راقب أيضا قلبك فى امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغى ان يكون لداعى هوى خفى) فى النفس (لا يطلع عليه) وفى القوت ولا ينبغى للعبد ان يدخل فى كل شئ حتى يعلم علمه فيكون داخلا فى كل عمل بعلم مثله لان لله فى كل شئ حكما فاعلم من ذلك حد الله عليه وعمله وما جهل سأل عنه من هو أعلم به وما أشكل عليه امسك عنه حتى يتبين له وجهه فيقدم عليه أو يتركه وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله وتقربا اليه لا لاجله فهذا على النيات (ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار فقد روى) فى بعض الاخبار (ان زكريا عليه السلام كان يعمل فى حائط بالطين وكان أجير القوم فقدموا اليه) أى أصحاب الحائط (رغيفه) أى غداءه (اذ كان لا ياكل الا من كسب يده) وقد اشتهر انه عليه السلام كان نجارا فلعله أيضا كان بناء (فدخل عليه قوم) فسلموا عليه (فلم يدعهم الى الطعام) الذى بين يديه (حتى فرغ) من الاكل (فتعجبوا منه) حيث لم يدعهم الى الطعام (لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير فى طلب المساعدة فى الطعام) ففهم عنهم ما قام بذهنهم فاعتذر لهم (فقال انى أعمل لقوم

بالاجرة وقدموا الى الرغيف لاتقوى به على عملهم فلوأ كلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر فى البواطن بنور الله
فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص فى فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان
وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال لولا انى أخذته بدين لاحببت ان تأكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه
وليس له رغبة ان يأكل
منه فان أجابه فأكل فعليه
وزران وان لم يأكل فعليه
وزر واحد وأراد باحد
الوزرين النفاق وبالثانى
تعريضه أخاه لما يكره لو
علمه فهكذا ينبغى أن يتفقد
العبد نيته فى سائر الاعمال
فلا يقدم ولا يحجم الا بنيته
فان لم تحضره النية توقف
فان النية لاتدخل تحت
الاختيار

(بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما
ذكرناه من الوصية بتحسين
النية وتكثيرها مع قوله
صلى الله عليه وسلم انما
الاعمال بالنيات فيقول
فى نفسه عند تدريسه أو
تجارته أو أكله نويت أن
أدرس لله أو أتجر لله أو
آكل لله ويظن أن ذلك
نية وهيهات فذلك حديث
نفس وحديث لسان
وفكر أو انتقال من خاطر
الى خاطر والنية بمعزل من
جميع ذلك وانما النية
انبعاث النفس وتوجهها
وميلها الى ماظهر لها أن
فيه غرضها اما عاجلا واما
آجلا والميل اذا لم يكن لايمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهى الطعام وأميل اليه أو قول الفارغ
نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب
أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على

بالاجرة وقدموا الى الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو) دعوتكم اليه و (أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى و) كنت قد (ضعفت عن عملهم) ولفظ القوت وروى عن زكريا عليه السلام ان قوما دخلوا عليه وكان يعمل فى حائط لقوم بالطين وكان صانعا يأكل من كد يديه فقدم اليه عندهم رغيفاه وجعل يأكل ولم يدعهم حتى فرغ فسألوه عن ذلك لعلمهم بزهده وكرمه فقال انى اعمل لقوم باجرة وقربوا الى هذين الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلوأ كلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم اه (فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله) عز وجل (فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص فى فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض) ولفظ القوت فهذا ممن ترك نفلا لفرض وان كانت له نية فى الترك كما تكون له فى الفعل (وقال بعضهم دخلت على سفيان) ظاهر اطلاقه ان المراد به الثورى وليس كذلك ففى القوت دخلت على سفيان أبى عاصم وهو سفيان بن عبد الرحمن بن عاصم بن سفيان بن عبد الله الثقفى المكى روى له النسائى وابن ماجه (وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه) أى فرغ من الاكل (ثم قال لولا انى أخذته بدين لاحببت ان تأكل منه) نقله صاحب القوت وهذا أيضا يعرفك النظر الى البواطن دون الظواهر (وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة ان يأكل منه) ولفظ القوت وليس له نية ان يأكل منه والمعنى ليس له رغبة فى اجابته (فان أجابه وأكل فعليه وزران وان لم يأكل) ولفظ القوت وان لم يجبه (فعليه وزر واحد وأراد باحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه أخاه لما يكره لو علمه) ولفظ المقاصد وبالثانى انه أطعم أخاه مالو علمه لم يأكله ولفظ القوت فيصير عليه وزرين مع أكل طعامه بغير نية لتعرضه بالمقت وحمله أخاه على مايكره اذ لو
٧ لما أجابه (فهكذا ينبغى ان يتفقد العبد نيته فى سائر الاعمال) والاحوال (فلا يقدم ولا يحجم عن الاقدام (الا بنية) ان كان مريدا السعادة الآخرة (فان لم تحضره النية توقف فان النية لاتدخل تحت الاختيار) والله الموفق

(بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الجاهل) قد (يسمع ماذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع سماع (قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات) فيحدث نفسه بذلك (فيقول فى نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله) مثلا (نويت ان أدرس لله أو اتجر لله أو آكل لله و يظن ان ذلك نية) وكذا فى كل حركة وسكون من حركاته وسكناته (وهيهات فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو) حديث (فكر أو انتقال من خاطر الى خاطر) لاثواب فيه (والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما) حقيقة (النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ماظهر لها ان فيه غرضها) أى انصراف الداعية الى الغرض المطلوب (اما عاجلا او آجلا) وذلك لايكون الا بحسب الهمة وقوة الايمان وغلبة حب الله تعالى والآخرة (والميل اذا لم يكن لايمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت) ان أشتهى (الطعام وأميل اليه أو قول الفارغ) البال عن العشق (نويت ان أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلبى فذلك محال بل لاطريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها ومالم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على

٧ بياض بالاصل

اعتقاده فى كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت والدواعى والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هى اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوى الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن أن ينوى بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا ايمانه بالشرع ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان

ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال ليس تحضرنى نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدرى فقالت أجىء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له فى ذلك فقال كان لى فى المدرى نية ولم تحضرنى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى

اعتقاده فى كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت والدواعى والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع) فمن تكسب النية ولم يتكسبها باسبابها فقد فوت حظه من الله تعالى (ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا) وأقلقه الشبق (ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع) أى يجامع (على نية الولد) أى لا يتصور فيه وجود هذه النية أصلا (بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة) فقط (اذ النية هى اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوى الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كان محبوبا اليه (يعظم فضله لا يمكن ان ينوى بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية) لفقدان حقيقتها (نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوى أولا ايمانه بالشرع أى بالله واليوم الآخر وما أعده) الله فيه من المثوبات والعقوبات المرتبة على الطاعة والمعصية (ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم) وانصرفت الدواعى المضادة لذلك (ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد) وخطرات النكاح (من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره) ويتذكر الفضائل الواردة فى فضل النكاح لاجل الولد وفضل تربيته وتعليمه الخير (فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان) وكذا كل غرض شرعى ورد الشرع بفضله وله صوارف من جهة النفس والهوى كمن دخل فى صوم نفل ثم أمره أبواه أو أحد من اخوانه بالافطار فاراد ان يفطر لادخال السرور على قلب الوالدين فادامت شهوة الطعام تزاحمه لا تصح نيته فان أفطر لاعتقاده انه عامل لله فعلامة صحتها تصغير اللقمة وقصر اليد وعدم الشره فى الباطن والقيام قبل الشبع ومامن حالة من الحالات الا ويتقدمها اسباب يكتسب بها وتتأخر عنها علامات يعرف بها صحتها فليطلب علم كل حال من موضعه وقد ذكرنا ما يحسم خواطر النفس والهوى فى كتاب الصبر والخوف والرجاء فاجمع بين ماذكرناه وبين ذكر الفضيلة المرغوب فيها فعند ذلك تحصل النية بهذا الطريق فافهم ذلك ان كنت من أهله والا فدع عنك الدعوى لمقامات الرجال والزم الذل والتواضع لهم والمحبة عسى ببركتهم تحشر معهم (ولذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا) يتعللون و (يقولون ليس تحضرنا فيه نية) وهم معذورون اذا لم يقدروا على كسبها (حتى) روى (ان ابن سيرين) وهو محمد بن سيرين الانصارى أبو بكر بن أبى عمرة البصرى وأبوه سيرين مولى أنس بن مالك امام ثقة مأمون واخوته تابعيون ثقاة ولد لسنتين من خلافة عثمان (لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال ليس تحضرنى نية) ولفظ القوت مات الحسن فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك فقال لم تكن لى نية اه قال حماد بن زيد مات الحسن فى أول يوم من رجب سنة عشر ومائة ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوال فى السنة المذكورة وقال ابن حبان مات ابن سيرين بعد الحسن بمائة يوم وهو ابن سبع وسبعين سنة (ونادى بعضهم امرأته وكان) فوق سطح (يسرح شعره ان هات المدرى) ليفرق به شعره (فقالت أجىء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له فى ذلك) أى قال له من سمعه لاى شئ سكت وتوقفت عن المرآة (فقال كان لى فى) قولى هات (المدرى نية و) لما قالت أجىء بالمرآة (لم تحضرنى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى) فقلت نعم جيئى بها نقله صاحب

ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان أحدهم اذا سئل عملا
من أعمال البر يقول ان رزقني الله تعالى نية فعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث ولا يسئل
فيبتدئ فقيل له في ذلك قال
أفتحبون أن أحدث بغير
نية اذا حضرتني نية فعلت
وحكى أن داود بن المحبر
لما صنف كتاب العقل جاءه
أحمد بن حنبل فطلبه منه
فنظر فيه أحمد صفحا ورده
فقال مالك قال فيه أسانيد
ضعاف فقال له داود أنا لم
أخرجه على الاسانيد فانظر
فيه بعين الخبر انما نظرت
فيه بعين العمل فانتفعت
قال أحمد فرده حتى أنظر
فيه بالعين التي نظرت
فاخذه ومكث عنده طويلا
ثم قال جزاك الله خيرا فقد
انتفعت به وقيل لطاوس
ادع لنا فقال حتى أجد له
نية وقال بعضهم أنا في طلب
نية لعيادة رجل منذ شهر
فما صحت لي بعد وقال
عيسى بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما
انتهى الى باب داره انصرفت
فقال ابنه ألا تعرض عليه
العشاء قال ليس من نيتي
وهذا لان النية تتبع النظر
فاذا تغير النظر تغيرت
النية وكانوا لا يرون
أن يعملوا عملا الا بنية
لعلمهم بان النية روح
العمل وان العمل بغير نية
صادقة رياء وتكلف وهو
سبب مقت لا سبب قرب
وعلموا ان النية ليست هي
قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من
كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة

القوت (ومات) أبو اسمعيل (حماد بن أبي سليمان) الاشعري مولاهم واسم أبي سليمان مسلم (وكان أحد علماء أهل الكوفة) فقيه صدوق روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة مات سنة عشرين أو قبلها (فقيل للثوري) سفيان (الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت) نقله صاحب القوت (وكان أحدهم اذا سئل عملا من أعمال البر فقال ان رزقني الله تعالى نية فعلت) ولفظ القوت وكان العلماء اذا سئلوا عن عمل شئ أو سعي فيه يقولون ان رزقنا الله نية فعلنا ذلك (وكان طاوس) بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى (لا يحدث الا بنية وكان يسئل ان يحدث فلا يحدث ولا يسئل فيبتدئ فقيل له في ذلك قال أفتحبون ان أحدث بغير نية اذا حضرتني نية فعلت وحكى ان) أبا سليمان (داود بن المحبر) بن حزم الثقفي البكراوي البصري نزيل بغداد متروك قال ابن حبان كان يضع الحديث على الثقات مات سنة ست ومائتين روى له أبو داود في كتاب القدر وابن ماجه وقد تقدم له ذكر وترجمة في آخر كتاب العلم (لما صنف كتاب العقل) وهو كتاب صغير الحجم يذكر فيه فضائل العقل وما ورد فيها من الاخبار والآثار وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب أيضا في اواخر كتاب العلم وقال الحافظ في التهذيب ان أكثره موضوعات (جاءه) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (فطلبه منه فنظر فيه) أحمد (صفحا) بالضم أي تصفحه كله (فرده اليه (فقال) ابن المحبر (مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال داود أنا لم أخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر) بالضم أي الاختبار (انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت) بها فرده عليه (فاخذه ومكث عنده) زمانا (طويلا) حتى اقتضاه اياه ابن المحبر فرده عليه (ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به) منفعة بينة نقله صاحب القوت فدل ذلك على ان النيات قد تختلف لاختلاف المقاصد فيصير بعد اما كان قربا بحسن النية وما كان حسنا سيئا لسوء النية به (وقيل لطاوس) اليماني رحمه الله تعالى (ادع لنا فقال حتى أجد له نية) رواه ابن المبارك في الزهد من طريق داود بن شابور قال قلنا لطاوس ادع بدعوات فقال لا أجد لذلك حسبة أي نية وروى ابن أبي شيبة من هذا الطريق قال قال رجل لطاوس ادع الله لنا قال ما أجد لقلبي حسبة فادعو لك أي نية (وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد) وهذا الصعوبة اكتساب النية ولهذا قال يوسف بن اسباط تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد (وقال) ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت حدثنا أبو كريب حدثنا خلف بن حبان حدثنا (عيسى بن كثير) الاسدي الرقي قال (مشيت مع ميمون بن مهران) الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز امام جليل ثقة روى له الجماعة الا البخاري ففي الادب المفرد حتى أتى باب داره ومعه ابنه عمرو (فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال) له (ابنه) لما رأى انصرافي وابنه هذا هو عمرو بن ميمون بن مهران الجزري أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل روى له الجماعة مات سنة سبع وأربعين يا أبت (ألا تعرض عليه العشاء قال ليس) ذلك (من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بنية) لانهم كانوا يستحبون ان تكون لهم في كل شئ نية حتى قال الفضيل بن عياض لا تحدث الا بنية (لعلمهم بان النية روح العمل) فلا يصح بقاؤه بدونها (وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت) أي بعد عن الله تعالى (لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هي قول القائل بقلبه نويت) ولا قوله كذلك بلسانه (بل هو انبعاث القلب) لغرض المطلوب (يجري مجرى الفتوح من الله) تعالى (فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها) اذ ليست داخلة تحت الاختيار (نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين) والنظر الى الآخرة (تيسر عليه في أكثر الاحوال) والاوقات (احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة

الى أصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض الا بجهد جهيد وغايته أن يتذكر النار و يحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة و يرغب نفسه فيها فر بما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها و يعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس فى (٣٢) الطاعات أقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الآخرة وان كان من جنس المألوفات فى الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ أكثر أهل الجنة البله وأما عبادة ذوى الالباب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط. وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم و يسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به أصلا ولا تلتفت اليه

الى أصل الخير فينبعث) لذلك (الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه) وقصر نظره عليها (لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض الا بجهد جهيد) لاشتغال باطنه بامور الدنيا (وغايته ان يتذكر النار و يحذر نفسه عقابها أو) يتذكر (نعيم الجنة و يرغب نفسه فيها فر بما تنبعث له داعية ضعيفة) لا مسكة لها (فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته) وبقدر خوفه وتحذيره (وأما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية) واعطاء مقام الربوبية ما يستحقه (فلا يتيسر للراغب فى الدنيا) لانه عنه بمعزل (وهذه أعز النيات وأعلاها و يعز من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها) يعنى الطاعة لامتثال أمر الله حياء منه وتعظيما لجلاله وكبريائه وكماله فى ذاته وصفاته وجميع افعاله وانه المستحق لذلك بصفات الوهيته على عباده (ونيات الناس فى الطاعات أقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار) لا غير (ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة) لا غير (وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الآخرة وان كان من جنس المالوفات فى الدنيا وأغلب البواعث) على الانسان (باعث الفرج والبطن) للنكاح والاكل (وموضع قضاء وطرهما فى الجنة) لانها دار الجزاء (فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه) فهو (كالاجير السوء) الذى ان أعطى عمل وان لم يعط لم يعمل (ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ) قد ورد فى الخبر (أكثر أهل الجنة البله) كما تقدم (وأما عبادة ذوى الالباب) يشير الى جملة ذكرت فى آخر الخبر وهى قوله وعليون لذوى الالباب وتقدم انها مدرجة من كلام بعض رواته وليست من أصل الحديث فانه (لا يجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله) واعظاما لربوبيته (وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف) أى توابع (وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لم يقصدوها) ولم يعيروا طرفهم اليها (بل هم الذين) قال الله تعالى فى حقهم (يدعون ربهم بالغداة والعشى) فى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يقصدون وجهه (فقط) لا غير وليس لهم التفات الا اليه (وثواب الناس بقدر نياتهم) فمن كانت نيته أشرف اثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده (فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم و يسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كمن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد) وأعظم (فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين) اذ لا مناسبة بين المقامين (بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية) التى جبلت على شهواتها كالبهائم (لقضاء الوطر من مخالطة الحسان) بالضم والتقبيل والوقاع (واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهى استعظام الخنفساء) وهى دويبة منتنة تعبث بالاقذار وأشد حرصها بارجلها (لصاحبتها والفها لها) وأنسها بها (واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء) الحسان (فعمى أكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانه لا تشعر به أصلا ولا تلتفت اليه) أبدا

والجنسية

والجنسية علة الضم (ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن) وقد صدق الله تعالى فى قوله (ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم) وتمت كلمة ربك وقال صاحب القوت وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تقربا اليه لاجل الله تعالى فهذا أعلى النيات وهو غاية الاخلاص ومن أراد باعماله ما عند الله تعالى من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه ومعانى شهواته ولذته من النعيم فى الجنان واتخاذ الحور والحسان مما وصفه الله تعالى وندب اليه لم يقدح ذلك فى اخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل ان الله تعالى مدحه ورغب فيه ووصفه كان ذلك مزيد مثله الا ان هذا نقص فى مقام المحبين عندهم وعيب كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك فى اخلاص الموحدين الذين اختصوا بالعبودية فعتقوا من أسر الهوى بالحرية فلم يسترقهم سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية وخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة الان من رزق المقام منها دخل بحقيقة اخلاص المعاملة مزورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين وانما أتعب المريدين بالتنقية والتصفية للمعاملة لما بقى من الشرك الخفى والشهوة الخفية كما أتعب خدام الدنيا بالجمع لما استرقهم من الهوى فاما الاحرار فهم من مذمة الخلق برآء وهذا يذهب الاخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص انتهى (وحكى ان) أبا حامد (أحمد بن خضرويه) البلخى رحمه الله تعالى من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبى قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج الى بسطام فى زيارة أبى يزيد البسطامى وكان كبيرا فى الفتوة وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد مات سنة أربعين ومائتين عن خمس وتسعين سنة ترجمه القشيرى فى الرسالة (رأى ربه فى المنام فقال له) يا أحمد (كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد) يعنى البسطامى (فانه يطلبنى) نقله القشيرى (ويحكى) انه (رأى أبو يزيد) البسطامى رحمه الله تعالى (ربه فى المنام فقال يارب كيف الطريق اليك) أى دلنى على طريق الوصول اليك كما قال القائل مشيرا الى هذا المقام

يامن هواه أعزه وأذلنى * كيف الطريق الى وصالك دلنى

(فقال اترك نفسك وتعال وروى) أبو بكر (الشبلى) قدس سره (بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبنى على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما) من الايام (أى خسارة أعظم من خسران الجنة) أى لا أعظم من خسارة من غفل عنها بعد ان أمكنه تحصيلها (فقال) تعالى (بل أى خسران أعظم من خسران لقائى) وذلك لان لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه أعظم من نعيم الجنة (والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات) منها أعلى ومنها دون وبينهما أوساط (ومن غلب على قلبه واحدة منها لم يتيسر له العدول الى غيرها) لاستغراقه بها (ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء) أى الذين يتكلمون فى ظاهر الفقه (فانا نقول من حضرت له نية فى مباح ولم تحضر فى فضيلة فالمباح أولى) وأفضل حينئذ (و) قد (انتقلت الفضيلة اليه) أى انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة (وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة) أى صارت الفضيلة هى النقيصة لعدم النية فيها (لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار فى الظلم) أى ان يكون رجل قد ظلم فله أن ينتصر وان عفا كان أفضل (وربما تحضره نية فى الانتصار) لعجزه عن كسب النية باستحضار فضيلة العفو وما ورد فيها من المثوبات والقربات (دون العفو فيكون ذلك أفضل) لوجود النية فيها (ومثل أن يكون له نية فى الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى بها (على العبادات فى المستقبل) لوقت آخر (وليس تنبعث نيته فى الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم) صار (هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه) وقوته الى أوله (فاللهو) حينئذ (أفضل من الصلاة قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (انى لاستجم نفسى) أى أطلب جمامها أى راحتها (بشئ من اللهو

ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم حكى ان أحمد بن خضرويه رأى ربه عزوجل فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الجنة الا أبا يزيد فانه يطلبنى ورأى أبو يزيد ربه فى المنام فقال يارب كيف الطريق اليك فقال أترك نفسك وتعال الى وروى الشبلى بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبنى على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما أى خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أى خسارة أعظم من خسران لقائى والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية فى مباح ولم تحضر فى فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار فى الظلم وربما تحضره نية فى الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية فى الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات فى المستقبل وليس تنبعث نيته فى الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة قال أبو الدرداء انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو

ليكون ذلك عوناعلى الحق) نقله صاحب القوت الا أنه قال ببعض اللهو (وقال على رضى الله عنه روّحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت) نقله الشريف فى نهج البلاغة وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس روّحوا القلوب ساعة وساعة ويشهدله مافى صحيح مسلم ياحنظلة ساعة وساعة (وهذه دقائق لا يعرفها الاسماسرة العلماء) ونقادهم وهم العلماء بباطن العلم وغوامض التعريف (دون الحشوية منهم) الذين يتعلقون بالقشور دون اللباب (بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر فى الطب) ويقول كيف يداوى بمايضره (وانمايبتغى به أن يعيد أوّلا قوّته) ان كان هناك ضعف مزاج (ليحتمل المعالجة بالضد) ولوعالجه بمايدفع حرارته ولاقوّة عنده لاحتمال ذلك العلاج لاضره (والحاذق فى لعب الشطرنج مثلاقد ينزل) فى لعبه (عن الرخ والفرس مجانا) أى بلاعوض مثلهما او الرخ والفرس من أقوى مايقاتل به اللاعب لكثرة أعمالهما فى الرقعة وانمايفعل ذلك مع كمال احتياجه اليهما (ليتوصل بذلك الى الغلبة) على نديده (والضعيف البصيرة قد يضحك به و يتعجب منه) وسببه عدم نفوذ بصيرته وقد يتفق أنه ينزل عن الفيل فى مقابلة البيدق لامرمّا ومن لاخبرة له ينكر ذلك (وكذلك الخبير بالقتال) أى باموره (قد يفر بين يدى قرينه ويوليه دبره حيلة منه) لاجبنا (ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره) وتارة الى متسع ليملك غرضه فى حربه فيغلب عليه فان الحرب خدعة كما ورد (فكذلك سلوك طريق الله تعالى) فانك اذا نظرت بعين التأمل فانه (كله قتال مع الشيطان) ومحاربة معه (ومعالجة للقلب) بالتصفية والتهذيب عن الرذائل (والبصير الموفق يقف فيها) فى اثناء سلوكه (على لطائف من الحيل) ودقائق (يستبعدها الضعفاء) ويستنكرونها (فلا ينبغى للمريد أن يضمر انكارا على مايراه من شيخه) يفعله مع نفسه أومع مريده فى حركاته وسكناته والافلا يفلح أبدا (ولاللمتعلم أن يعترض على أستاذه) ولو بقوله لم كان كذا والافلا يفلح أبدا (بل ينبغى أن يقف عند حد بصيرته) ولايخطر بباله شئ من الانكار (ومالا يفهمه من أحوالهما) أى الشيخ والمعلم (يسلمه لهما الى أن تنكشف له أسرار ذلك) ولو بعد حين (بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما) كما أفصح عنه القشيرى فى آخر الرسالة فى آداب المريدين (ومن الله حسن التوفيق) ولنذكر مايتعلق بالنية من كتاب القوت ممالم يذكره المصنف ليكون تكميلا للباب ثم نتبعه بمافى شرح التقريب للحافظ العراقى وادراك الامنية فى النية للشهاب القرافى ومنتهى الآمال للحافظ السيوطى رحمهم الله تعالى قال صاحب القوت روينافى الخبر من طريق آل البيت لا يقبل الله قولا الا بعمل ولاقولا ولاعملا الابنية فينبغى أن يكون للعبد فى كل شئ نية حتى فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من أعماله التى يسئل عنها فان كانت لله وفى الله كانت فى ميزان حسناته وان كانت فى سبيل الهوى ولغير المولى كانت فى ميزان سيا آته اذ لكل عبد مانوى وان كان ذلك غفلة وسهوا من غير نية ولاعقد طوية ولاعزمة لم يكن له فى ذلك شئ ولم يجد عمله فى الآخرة شيأ وكان فيه لاله ولاعليه وكان ذلك فى الدنيا على مثال الانعام التى تتصرف عن غير عقول ولاتكليف ولكن بالهام وتوفيق وأخاف أن يدخل فى وصف من قال الله تعالى فيه أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا قيل مجازفته قدما قدما من غير تمييز وقيل أى غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل مقدما الى الهلاك فالنية الصالحة هى أول العمل وأوّل العطاء من الله تعالى وهى مكان الجزاء وقال بعض السلف رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم تنصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائى البر همته التقوى ولو تعلق جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة فكذلك الجاهل بالله وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الدنيا وموافقة الهوى لان سرها كان همة النفس لعاجل عرض الدنيا وقال محمد بن الحسين ينبغى للرجل أن تكون نيته بين يدى عمله وقال بعض العلماء اطلب النية قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وقال بعض التابعين قلوب الابرار تغلى بالبر

فيكون ذلك عونا الى على الحق وقال على كرم الله وجهه روّحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت وهذه دقائق لايدركها الاسماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر فى الطب وانما يبتغى به أن يعيد أولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق فى لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدى قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغى للمريد أن يضمر انكارا على مايراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه بل ينبغى أن يقف عند حد بصيرته ومالا يفهمه من أحوالهما يسلمه لهما الى أن ينكشف له أسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق

وقلوب الفجار تغلى بالفجور والله مطلع على نياتهم فيثيبهم على قدر ذلك فانظر ما همك وما نيتك وقدرو يناعن الله تعالى فى بعض الكتب قال ليس كل كلام الحكيم أتقبل ولكنى أنظر الى همه وهواه فمن كان همه وهواه لى جعلت همته ذكرا ونظره عبرا وسئل سفيان الثورى هل يؤاخذ العبد بالنية قال نعم اذا كان عزما أخذ بها فاول سلطان العدو على القلب عن فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى واذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس وفى الاثر من عمل عملا لا يريد به وجه الله لم يزل فى مقت من الله حتى يفرغ ولو لم يكن فى تجديد النية الحسنة الا ان صاحبها لا يزال عاملا من عمال الله بقلبه وهمه وان لم يساعده القدر على الافعال بجوارحه فيكون أبدا مأجورا ولو لم يكن فى نية الشر الا ان صاحبها فى بطالة وخسارة وان لم يساعده المقدور على الافعال السيئة بجوارحه فيكون أبدا خاسرا مأزورا نعوذ بالله من ذلك ولقد كان السلف لشدة تفقدهم وحسن رعايتهم صادقين فى ترك كثير من أعمال البر لضعف النية ويعملون فى احكام الاصل وقال ابن عيينة انما حرموا الوصول لتضييع الاصول والنية أصل الاصول لانها فرض الفرائض

(فصل) وقد تلتبس النية بالامنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه والنية ما كان يراد به وجه الله ويطلب به ما عنده والامنية ما تعلق بالخلق طلب منه عاجل الحظ من الملك الفانى وقد تلتبس الارادة بالمحبة والحاجة بالشهوة فالارادة أن يريد وقوع الامر وقد لا يحب كونه أو يريد أيضا وجود ضده والمحبة ما قهر العقل وغلب الوجد وحل فى مجامع القلب وكره وجود غيره ولم يرد فقده والحاجة ما اضطررت اليه ولم يكن منه بد ولا يستغنى عنه بغيره والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة واجتلاب تقدم عادة وقد يختلط الذكر بالقلب بالفكر فى معانى القرب فالذكر ما أظهر المنسى وكشف الغى واذكر الشئ والفكر ما صور الامر وأظهر الخبر وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية فالرجاء ما طمعت فيه بسبب ما أو لسبب ما والمحبة ما تطعمت ذوقه ووجدته بغير سبب تستخرجه وقد يلتبس ذل القلب بضعفه وقوته للطمع فى الخلق بذل النفس لمشاهدة غيرة الحق سبحانه وقد يتداخل ذل الطمع لدناءة الهمة والنفس بذل العقل للاعتراف بالحق وخضوع العلم له وقد يلتبس ذل النفس لغلبة الهوى وقهره للعقل بذل القلب لسرعة الانقياد للعالم المحق وقد تختلط عزة القلب بقلبه بدوام النظر اليه وعزة العقل بعلمه الذى كثر عنده وقد تلتبس عزة النفس بوصفها المتسلط بعزة الايمان المعزز بغيبته اليقين فهذه فروق ظاهرة للعارفين وخروق متسعة توهت العاقلين وقد تلتبس العبادة بالعادة مثل أن تكون للعبد نية فى علم أو عمل أو صدقة أو نفقة الشهر أو السنة ثم تعزب نيته فيبقى على عادته يرث حال الذى قد عرف به لا يحب أن يخرج من عرف الناس له فيستعمل لاستقامة الحال على التكلف لتلك الاعمال فتذهب النية وتبقى العادة فيخرج به من ارادة الآخرة والسعى لها ويدخل فى ارادة الدنيا بالشهوات على جريان العادة بها وقد تلتبس طرقات الدنيا من طلب الرياسة لوجود الهوى بطرقات الآخرة فى معنى العلوم والاعمال فما طلب من علوم السلف وأريد به تاديب النفس ويعلم به الزهد فى الدنيا فهذه طرقات الآخرة وما كان على ضده فهو طرقات الدنيا اذ هى ضدها وقد يلتبس اظهار الاعمال وكشف ما كتم من الاحوال لاجل التأديب به والاتباع عليه أو لاظهار قدرة الله عز وجل وآياته لمزيد السامع من المعرفة به يفعل مثل ذلك للتزين والفخر أو للمدعى به وطلب الذكر وسئل أبو سليمان الدارانى عن الرجل يخبر بالشئ عن نفسه فقال اذا كان اماما يقتدى به فنعم وقال مرة هو أو غيره يختلف ذلك على قدر الارادة به ان أراد التأديب للنفس حسن ذلك فهذا يلتبس بمداخلة النفس أو بغناثها بغيوبة شاهد اليقين للرب عز وجل

(فصل) ترك العمل عمل كثير يحتاج التارك للنهى أو المكروه فرضا أو ورعا الى نية حسنة أن يتركه لله عز وجل طلبا منه أو رغبة فيما عنده لا لوجود الخلق ولا ليرب به حاله أو يقيم عند العبيد جاهه لان

ترك المعصية من الاعمال فيحتاج الى أحسن النيات اذ علمها من الله تعالى أجزل المثوبات لبلوى النفس فيها واضطرار النفس اليها قال بعضهم من أحب أن يعرف ورعه غيره فليس من الله فى شئ ور و ينافى خبران أعجميان بنظر قعود يتكلمون بكلام فيه استهزاء وهو يظن أنهم يدعون الله عز و جل فقال مثل ما يقولون بحسن النية قال فغفر الله تعالى له بحسن نيته وقال الحسن من علامة المسلم أن لايبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا تقصر به نيته يعنى لا تضعف ولا تقعد به عن المسارعة الى القربات هى أبدا فى قوة و زيادة وان قصرت أعماله فيها وعجزت قوى جوارحه وقال المؤمن تبلغ نيته وتضعف والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته وقال ابن عجلان العمل لا يصلح الا بثلاث التقوى لله عزوجل والنية الحسنة والاصابة وقال أبو عبيدة بن عقبة من قصده أن يكمل عمله فليحسن نيته فان الله تعالى ماجر العبد اذا حسنت نيته حتى باللقمة وقال بعضهم القصد الى الله بالقلوب أبلغ من حركات الاعمال للصلاة والصيام ونحوه وقال الانطاكى اذا صارت المعاملة الى القلب استراحت الجوارح وروى عن على رضى الله عنه من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة وروى عن الحسن فى تفسير قوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا قال نيته الصادقة اكتسب بها الاجر فى الآخرة اهـ سياق القوت

(فصل) قال السيوطى فى منتهى الآمال ورد فى مطلق النية أحاديث كثيرة جدا تزيد على عدد التواتر فروى البيهقى فى السنن من حديث أنس لا عمل لمن لا نية له وروى الشيخان من حديث ابن عباس وأحمد من حديث رافع بن خديج وزيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى والطبرانى من حديث غزية بن الحارث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وروى الستة من حديث سعد بن أبى وقاص انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى الا اجرت فيها وروى ابن ماجه من حديث معاوية انما الاعمال كالوعاء اذا طاب أسفله طاب أعلاه وروى الاربعة من حديث عقبة بن عامر ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة فذكره وفيه وصانعه يحتسب فى صنعته الاجر وروى النسائى من حديث أبى ذر وأبى الدرداء من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى

(فصل) قال الشهاب القرافى فى كتاب الامنية فى ادراك النية انما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولم يقل الافعال بالنيات لان عمل معناه فعل فعلا له شرف وظهور وفعل لمطلق الاثر ولذلك قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولم يقل كيف عمل لانه أثر فيه عقاب واقتصام لا شرف ولا تعظيم وقال تعالى مما عملت أيدينا وأكثر ما ورد فى القرآن من ذكر الجزاء بلفظ العمل لا بلفظ الفعل نحو بما كنتم تعملون نعم أجر العاملين من عمل صالحا قال واذا تقرر ذلك حسن حتما أن يقال الاعمال بالنيات دون الافعال بالنيات لان التقدير فى خبر المبتدا المحذوف الاعمال معتبرة بالنيات وانما يراد اعتبارها اذا كانت تصلح لله تعالى ولا يصلح له الا ما كان شريفا فى نفسه فاذا أضيف اليه النية صار يترتب عليه الثواب عند الله تعالى قال ويسمى الجرم عملا وان كان منهيا عنه مبعدا عن الله تعالى لانه عظيم فى ظهوره خيرا أو شرا قال ولذلك منع بعض العلماء من متأولى الحديث الوضوء حيث استدل به على وجوب النية فى الوضوء فقال لا نسلم ان الوضوء من الاعمال بل هو من الافعال والحديث انما ورد فى الاعمال وتقريره ان الطهارة شرط ووسيلة لا مقصد فى نفسه فلم يصل شرف رتبة المقاصد فليس فيه من الظهور والشرف ما فى الصلاة ونحوها فلا نسلم اندراجه وهو منع مشهور من قبل الحنفية

(فصل) فى حد النية قال الجوهرى النية العزم وقال الخطابى هى قصدك الشئ بقلبك وتحرى الطلب منك له وقيل هى عزيمة القلب وقال التيمى هى وجهة القلب وقال البيضاوى هى عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا والشرع خصها بالارادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى وامتثالا لحكمه وقال النووى النية القصد وهو عزيمة القلب وتعقبه الكرمانى

بان المتكلمين قالوا القصد الى الفعل هو ما نجده فى أنفسنا حال الايجاد والعزم قد يتقدم عليه ويقبل الشدة والضعف بخلاف القصد ففرقوا بينهما من وجهين فلا يصح تفسيره به وكلام الخطابى أيضا مشعر بالمغايرة بينهما وقال العراقى فى شرح التقريب اختلف فى حقيقة النية فقيل هى الطلب وقيل الجد فى الطلب ومنه قول ابن مسعود من ينو الدنيا تعجزه أى يجد فى طلبها وقيل القصد للشئ بالقلب وقيل عزيمة القلب وقال الزركشى فى قواعده حقيقة النية ربط القصد بمقصود معين والمشهور انها مطلق القصد الى الفعل وقال الماوردى هى قصد الشئ مقترنا بفعله فان قصده وتراخى عنه فهو عزم

(فصل) قال القرافى فى كتاب الامنية ان جنس النية هو الارادة وهى الصفة المخصصة لاحد طرفى الممكن بما هو جائز عليه من وجود أو عدم أو هيئة دون هيئة أو حالة دون حالة أو زمان دون زمان وجميع ما يمكن ان يتصف الممكن به بدلا من خلافه أو ضده أو نقيضه أو مثله غير انها فى الشاهد لا يجب لها حصول مرادها وفى حق الله تعالى يجب لها ذلك لانها فى الشاهد عرض مخصوص مصرف بالقدرة الالهية والمشيئة الربانية هى ومرادها وفى حق الله تعالى معنى ليس بعرض واجبة الوجود متعلقة بذاتها أزلية واجبة النفوذ فيما تعلقت به ثم الارادة متنوعة الى العزم والهم والنية والشهوة والقصد والاختيار والقضاء والقدرة والعناية والمشيئة فهى عشرة ألفاظ فالعزم هو الارادة الكائنة على وفق الداعية والداعية ميل يحصل فى النفس لما أشعرت به من اشتمال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة والميل جائز على الخلق ممتنع على الله تعالى فلا جرم لا يقال فى حق الله تعالى عزم بمعنى اراد الارادة الخاصة المصممة بل عزائم الله تعالى طلبه الراجع الى كلامه النفسى فظهر الفرق بين العزم والارادة وأما الهم فى مثل قوله تعالى ولقد همت به وهم بها وفى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فالظاهر أنه مرادف وان معناهما واحد ويستحيل على الله تعالى كما يستحيل العزم وأما النية فهى ارادة تتعلق بامالة الفعل الى ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو فعل ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربة أو فرضا أو نفلا أو أداء أو قضاء أو غير ذلك مما هو جائز على الفعل فالارادة المتعلقة باصل الكسب والايجاد هى المسماة بالارادة ومن جهة ان هذه الارادة مميلة للفعل الى بعض جهاته الجائزة عليه تسمى من هذا الوجه نية فصارت الارادة اذا أضيف اليها هذا الاعتبار نية وهذا الاعتبار هو تمييز الفعل عن بعض رتبه جائز على الله تعالى فانه سبحانه قد يريد بالفعل الواحد نفع قوم وضر قوم وهداية قوم الى غير ذلك مما هو جائز على فعله غير ان أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله تعالى ناويا ويسمى مريدا هذا ان اقتصر على هذا الاعتبار العام وهو مطلق امالة الفعل الى بعض جهاته حكم شرعى فينوى ايقاع الفعل عن الوجه الذى أمر الله تعالى به أو نهى عنه أو أباحه ومنهم من يقول بل أخص من هذا وهو أن يميل الفعل الى جهة التقريب والعبادة وعلى التقديرين فيستحيل على الله تعالى معناها بخلاف المعنى العام وتفارق النية الارادة من وجه آخر وهو ان النية لا تتعلق الا بفعل الناوى والارادة تتعلق بفعل الغير كما نريد معونة الله تعالى واحسانه وليست فعلنا وأما الشهوة فهى ارادة متعلقة براحات البشر كالملاذ ودفع الآلام فيستحيل على الله تعالى وأما القصد فهو الارادة الكائنة بين جهتين كمن قصد الحج من مصر ومن غيرها وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى وأما الاختيار فهو الارادة الكائنة بين شيئين فصاعدا ومنه واختار موسى قومه سبعين رجلا أى أرادهم دون غيرهم مضافا الى اعتقاد رجحان المختار وهو جائز على الله تعالى قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وأما القضاء فهو الارادة المقرونة بالحكم الخبرى فقضاء الله تعالى لزيد بالسعادة ارادته سعادته مع اخباره بكلامه النفسى عن سعادته ومنه قضاء الحاكم اذا أخبر عن حكم الله تعالى فى تلك الواقعة اخبارا انشائيا ولذلك تعذر نقضه بخلاف الفتيا وأما العناية فهى الارادة المتعلقة بالشئ على نوع من الحصر والتخصيص ولذلك قال العوفى * اياك أعنى واسمعى ياجاره * أى اخصك دون غيرك ولم يقل اياك أريد ويقولون ما يعنى بكلامه أى ما يخصه به من المعانى التى يحتملها

دون غيره وهذا التفسير جائز على الله تعالى غير أن أسماءه توقيفية فلا يقال الله عان وان قيل مريد وأما المشيئة فالظاهر انها مرادفة للارادة وقالت الحنفية هي مباينة وجعلوها مشتقة من الشيء والشيء اسم الموجود حتى قالوا اذا قال الحالف ان شئت دخول الدار فعبدي حر فاراد دخول الدار لا يعتق حتى يدخل ولا تكفي الارادة وأطلنا في كشف كتب اللغة ولم نجد للمشيئة معنى الا الارادة فهذه التفاسير والتغايرات بين هذه المعاني العشرة يساعد عليها الاستعمال والاصول الموجودة لعدم الترادف فتلخص ان النية غير التسعة الباقية لما ذكر من خصوصيتها وخصوصيات كل من التسعة المفقودة في النية فيجزم الناظر بالفرق حينئذ ولا يضر كون الاستعمال قد يتوسع فيه فيستعمل أراد ومراده نوى أو عزم أو قصد أو عنى فانها متقاربة المعاني حتى يكاد يجزم فيها بالترادف تكثير الفوائد اللغة قال وبهذا تظهر الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات ولم يقل بالارادات والعنايات أو غير ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم يرد الا الارادة الخاصة المميلة للفعل الى جهة الاحكام الشرعية كما تقدم في تفسير النية

(فصل) سئل الامام الغزالي رحمه الله تعالى عن قول الفقهاء بوجوب مقارنة النية للتكبير وكيف يكلف المرء بذلك ومعلوم ان الفرضية والظهرية والادائية ونية التقرب الى الله تعالى واجبة فكيف يخطر بباله هذه الامور حال افتتاح الصلاة وأنى يتصوّر ذلك فاجاب أمر النية سهل في العبادات وهو مثل النية في العادات وانما يتعسر بسبب الجهل بحقيقة النية أو بسبب الوسوسة التي هي نوع اضطراب وفساد في الفكر فلا بد من معرفة حقيقة النية وانما يلتئم أمر النية بقصد وعلم والقصد فنان وللعلم المفتقر اليه تعلقات أما الفن الاول من القصد فهو القصد الى الفعل وذلك ما يصير به الفعل اختياريا كالهوى الى السجود مثلا فانه تارة يكون بقصد وتارة يسقط الانسان على وجهه بصرعة أو صدمة فهذا يضاده الاضطرار والفن الثاني كالعلة لهذا القصد وهو الانبعاث لاجابة الداعي وقد يسمى باعثا فانك اذا قمت عند اجتياز انسان بك فلك قصد القيام بكل حال فان القيام لا يقع اضطرارا ولكن قد يكون غرضك في القيام احترام ذلك الانسان وقد يكون غرضك أن تلبس ثوبا وتسرج دابة وتخرج الى السوق أو غرض آخر من الاغراض فان كان المحرك الباعث على اختيار القيام احترام ذلك الانسان يقال نويت تعظيمه وان كان غرضك الخروج الى السوق نويت الخروج وكيفما نويت فالقيام لا يخلو عن ارادة قصد متعلق بمعنى القيام ولكن القصد الى القيام لا ينبعث من النفس الا اذا كان في القيام غرض فذلك الغرض هو المنوي والنية اذا أطلقت في غالب الامر أريد بها انبعاث القصد متوجها الى ذلك الغرض علة تحريك قصد القيام وقصد القيام اجابة لتحريك ذلك الغرض وانبعاث اليه وقصد الفعل لا ينفك عند التكبير اذ اللسان لا يجرى عليه كلام منظوم اضطرارا والتكبير قد ينفك عند النية فهذا تعلم ان النية عبارة عن اجابة الباعث المحرك فهذا تحقيق نوعى القصد وأما العلم فلا بد منه اذ لا قصد الا الى معلوم والقصد الاول يستدعى علما فان من لا يعلم القيام ولا التكبير لا يمكنه ان يقصده والقصد الثاني أيضا يستدعى العلم فان الغرض انما يكون باعثا في حق من علم الغرض فمن لا يعلم معنى الاحترام والتعظيم لا يمكنه أن يقوم لغيره على نية الاحترام والتعظيم فلنرجع الى القصد الثاني الذي هو النية وهي خطوة واحدة ليس فيها تعدد حتى يعسر جمعها نعم يمكن استدامتها بضدها وهو قصد شيء آخر كما لو ابتدأ القيام للاحترام ثم ندم عليه وقبل اتمام القيام عرض له قصد الخروج الى السوق فاستتم القيام على ذلك القصد أو بضد شرطها وهو الغفلة عن العلم بالاحترام فان العلم المقصود شرط لبقاء القصد ولا عسر في استدامته لهذا القصد من أول التكبير الى آخره فان التكبير لفظ مختصر يتم في لحظة ويبعد طريان ضد في دوامه بحيث يحس بانقطاعه قبل تمام التكبير واذا لم يحس بانقطاعه فلا يعتبر من الوسوسة ما يطرأ فيها وأما العلم فله متعلقات أحدهما نفس الفعل وهو شرط القصد الاول فانه لا يقوم لتعظيم زيد من لا يعلم القيام فلا بد وأن يعلم ما به

التعظيم

التعظيم والتعظيم بقيام مع الاقبال على ذلك الشخص تعرضا بدخوله فانه لو قام مستدبرا اياه أو بعد انصرافه لم يكن تعظيما فهذا علم بمابه التعظيم والعلم الثانى وهو شرط القصد الآخر وهو العلم بالمعظم ووجهه وجوب تعظيمه كالعلم بزيد الداخل وكونه شريفا فاضلا مستحقا للتعظيم فهذه العلوم والقصود اذا فصلت باللسان ونظم العبارات طالت وكان من ضرورتها الترتيب والتعاقب حتى يكون البعض منها بعد البعض سواء كان اللفظ باللسان أو بحديث النفس ولا يكون حديث اللسان والنفس الا بلغة عربية أو أعجمية وليس فى النية والعلم لغة ولا حرف ولا ترتيب بل يجتمع منها فى اللحظة الواحدة علوم كثيرة والذهن لا يشعر بترتيب الالفاظ المعبرة عنها ولكن تكون تلك العقود حاضرة وتلك العلوم حاصلة فى لحظة واحدة وهى مدة الانتصاب وهو مقترن به ولو لم يخطر تفصيل ذلك بحديث النفس ولم يقل بقلبه ولا بلسانه نويت ان انتصب قائما قياما مع الاقبال بالوجه والاقتران بالدخول تعظيما لزيد الشريف الفاضل ولو قال ذلك بلسانه وقلبه دل على خبل فى عقله وجهل منه فكذلك الصلاة فعل مخصوص كالقيام والنية باعث مخصوص وهو المنوى وهو ايجاب الله تعالى واستيجابه ويستدعى ذلك علوما وقصودا ويحضر جميع ذلك مقرونا بهمزة التكبير من غير عسر وانما العسر احضار الالفاظ المرددة على اللسان أو القلب دفعة واحدة فاما حضور القصد فى لحظة واحدة فلا يخفى لان القصد لحظة وأما هذه العلوم فمضمون اجتماعها ثلاث أمور أحدها ان حضور الاخص كاف عن حضور الاعم فان المأمور به فعل لا كل فعل بل فعل هو عبادة ولا كل عبادة بل عبادة هى صلاة هى ظهر فاذا حضر فى القلب الظهر أغنى عن احضار الصلاة والعبادة والفعل بالبال فان العلم بالاعم يتضمنه حاضر فى الذهن مفصلا الثانى ان هذه العلوم ان منعت الوسوسة عن احضارها معا وطلبت النفس تفصيلها بالنطق حتى اضطر الى التعاقب ولم يكن تعاقبا محسوسا فهذا معفو عنه الثالث ان التعاقب وان كان محسوسا فانا نجعل جميع المدة من همزة التكبير الى الراء فى حكم اللحظة الواحدة فانها مدة قريبة

(فصل) قال ابن المنير المشهور عند النظار حمل الحديث على العبادات واتسع البخارى فى الاستنباط فحمله عليها وعلى المعاملات وتبع مالكا بسد الذرائع واعتبار المقاصد فلو فسد اللفظ وصح القصد الغى اللفظ واعمل القصد تصحيحا وابطالا قال والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع وابطال الحيل من أقوى الادلة ووجه التعميم ان المحذوف المقدر الاعتبار فمعنى الاعتبار فى العبادات اجزاؤها وبيان مراتبها وفى المعاملات والايمان الرد الى القصد

(فصل) قال السيوطى قال العلماء النية تؤثر فى الفعل فيصير بها تارة حراما وتارة حلالا وصورته واحدة كالذبح مثلا فانه يحل الحيوان اذا ذبح لاجل الله ويحرمه اذا ذبح لغير الله والصورة واحدة وكذلك القرض فى الذمة وبيع القرض بمثله الى أجل صورتهما واحدة والاول قربة صحيحة والثانى معصية باطلة وقال ابن القيم فى كتاب الروح الشئ الواحد تكون صورته واحدة وهو ينقسم الى محمود ومذموم فمن ذلك التوكل والعجز والرجاء والتمنى والحب لله والحب مع الله والنصح والتأنيب والهدية والرشوة والاخبار بالحال والشكوى فان الاول من كل ماذكر محمود وقرينه مذموم والصورة واحدة ولا فارق بينهما الا القصد

(فصل) قال الزركشى فى القواعد النية تنقسم الى نية التقرب ونية القصد فالاولى تكون فى العبادات والثانية تكون فى المحتمل للشئ وغيره وذلك كأداء الديون اذا أقبضه من جنس حقه فانه يحتمل التمليك هبة وقرضا ووديعة واباحة فلابد من نية تميز اقباضه عن سائر أنواع الاقباض ولا يشترط نية التقرب قال ولا خلاف فى أن النية فى الصلاة والصوم للتقرب واختلف فى الوضوء وفى الزكاة هل هى فيهما للتقرب أو للتمييز بين الفرض والنفل

(فصل) قال السيوطى استثنى الغزالى فى المستصفى والامام فى المحصول مما تجب فيه النية النية فانها

لو افتقرت الى نية أخرى لزم التسلسل وقال الكرمانى انها خارجة من الحديث بقرينة العقل دفعا للتسلسل وقد ذكر الزركشى ان فى ذلك نزاعا وكانه يشير الى قول القرافى ان النية منصرفة الى الله تعالى بصورتها فلم تفتقر الى نية أخرى قال ولا حاجة الى التعليل بانها لو افتقرت الى نية لزم التسلسل ولذلك يثاب الانسان على نية مفردة ولا يثاب على الفعل مفردا لانصرافها بصورتها الى الله تعالى والفعل متردد بين ماهو لله و بين ماهو لغيره قال السيوطى واستثنى من الحديث أيضا معرفة الله تعالى حتى قال بعضهم ان دخوله فى الحديث محال لان النية قصد المنوى وانما يقصد المرء ما يعرف فيلزم ان يكون عارفا قبل المعرفة وتعقبه البلقينى بما حاصله ان كان المراد بالمعرفة مطلق الشعور فمسلم وان كان المراد النظر فى الدليل فلا لان كل ذى عقل مثلا يشعر مثلا بان له من يدبره فاذا أخذ فى النظر فى الدليل ليتحققه لم تكن النية محالا انتهى وقال العز بن عبد السلام لا مدخل للنية فى قراءة القرآن والاذكار وصدقة التطوع ودفن الميت ونحوها مما لا يقع الا على وجه العبادة وأما قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فالمراد به الاعمال التى تقع تارة طاعة وغير طاعة أخرى بدليل ذكر الهجرة فى سياق الحديث وأما هذه القربات ونحوها مما شرع لمصلحة عاجلة قصدا أو كان بصورة عبادة فعدم وجوب النية فيها لعدم ارادتها او لخروجها عن الارادة حسا لصورة العمل ان قيل بعموم الاعمال للطاعة والقربة

(فصل) قال السيوطى استدل بمفهوم الحديث على أن ما ليس بعمل لا يشترط فيه النية وذلك التروك كترك الزنا وشرب الخمر ومنه ازالة النجاسة فى الاصح قاله النووى ونازعه الكرمانى بان الترك أيضا فعل وهو كف النفس وبان التروك اذا أريد بها تحصيل الثواب بامتثال أمر الشارع فلا بد فيها من القصد قال الحافظ فى الفتح وتعقب بان قوله الترك فعل مختلف فيه ومن حق المستدل على المانع أن يأتى بما هو متفق عليه قال السيوطى الشرط أن يكون متفقا عليه بين المانع والمستدل فقط لا بين غيرهم أيضا والنووى موافق على أن الترك فعل الكف ثم قال الحافظ أما استدلاله الثانى فلا يطابق المورد لان المبحوث فيه هل يلزم فى التروك بحيث يقع العصيان بتركها والذى أورده هل يحصل الثواب بدونها والتفاوت بين المقامين ظاهر والتحقيق ان الترك المجرد لا ثواب فيه وانما يحصل الثواب بالكف الذى هو فعل النفس فمن لم تخطر المعصية بباله أصلا ليس كمن خطرت فكف نفسه عنها خوفا من الله تعالى فرجع الحال الى أن الذى يحتاج الى النية هو العمل بجميع وجوهه لا الترك المجرد

(فصل) قال الخلخالى فى شرح المصابيح حرف التعريف فى الاعمال لا يسوغ حمله على تعريف الماهية لعدم افتقار مطلق الاعمال الى النية من حيث هو المطلق بل المفتقر اليها هو افرادها فيتعين أن يكون للعموم ويخص البعض بالاجماع أو للعهد وهو الاعمال التى عهدت من الشرع وهى العبادات لان غيرها لا يفتقر الى النية

(فصل) ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية وما لا يشترط فقال كل عمل لا تظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا يشترط النية فيه الا ان قصد بعمله معنى آخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء فى بعض الصور من جهة تحقق مناط التفرقة قال وأما ما كان من المعانى المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يكفى أن يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة فيه استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلى وأما الاقوال فتحتاج الى النية فى ثلاث مواطن أحدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء والثانى التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان

(فصل) قال الشهاب القرافى النية قسمان فعلية موجودة وحكمية معدومة فاذا نوى المكلف أول العبادة فهذه نية فعلية ثم اذا ذهل عن النية حكم صاحب الشرع بانه ناو ومتقرب فهذه هى النية الحكمية

أى حكم الشرع ببقاء حكمها لانه موجود وكذلك الاخلاص والايمان والنفاق والرياء وجميع أحوال القلب اذا شرع فيها واتصف القلب بها كانت فعلية واذا ذهل عنها حكم صاحب الشرع ببقاء أحكامها لمن كان اتصف بها قبل ذلك حتى لو مات الانسان مغمورا بالمرض حكم صاحب الشرع له بالاسلام المتقدم بالولاية والصديقية وجميع المعارف المتقدمة وان لم يتلفظ بالشهادة عند الموت وعكسه يحكم له بالكفر والنفاق وجميع مساوى الاخلاق وان كان لا يستحضر فيها شيأ عند الموت ولا يتصف بها بل يوم القيامة الامر كذلك ومنه قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما مع انه لا يكون يوم القيامة مجرما ولا كافرا ولا عاصيا لظهور الحقائق عند الموت وصار الامر ضرورريا فمعناه محكوما له بالاجرام كما يحكم لغيره بالايمان واكتفى صاحب الشرع بالايمان والنية الحكمية للمشقة فى استمرارها بالفعل

(فصل) وقال أيضا فى نية الحسنة يثاب عليها حسنة واحدة وفعل الحسنة يثاب عليها عشرة لان الافعال هى المقاصد والنيات وسائل والوسائل أخفض رتبة من المقاصد وقال الكرمانى من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فيلزم ان من جاء بنية الحسنة فله عشر أمثالها فلا يبقى فرق بين الحسنة ونية الحسنة قال السيوطى لانسلم ان من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة بل يثاب على نية الحسنة فظهر الفرق اه قلت قال بعض الافاضل وكنت بحثت مع السراج البلقينى بالخشابية بجامع عمرو هل تضعف هذه الحسنة أيضا وقلت ينبغى ان تضعف لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الآية فقال نعم وتضعف من جنس ما هم فيه اه وهو كلام حسن

(فصل) نقل الكرمانى فى توجيه الخبر المتقدم نية المؤمن خير من عمله ستة أوجه تقدم ذكرها ثم قال أو ان المراد نية المؤمن خير من عمل الكافر كما قيل ورد ذلك حين نوى مسلم بناء قنطرة فسبق كافر اليها اه قال السيوطى وهى سبع احتمالات فى تأويل الخبر المذكور وكلها حسنة الا الاخير فانه باطل لا أصل له وقال البيهقى فى الشعب أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال وسئل الاستاذ أبو سهل الصعلوكى عن معنى هذا الخبر فقال لان النية تخلص الاعمال والاعمال بمقابلة الرياء والعجب وأخرج بسنده عن أحمد بن يحيى ثعلب قال سمعت ابن الاعرابى يقول نية المؤمن خير من عمله لان النية لا يدخلها الفساد والعمل يدخله الفساد قال البيهقى وانما أراد بالفساد الرياء فيرجع ذلك الى ما قال الاستاذ أبو سهل قال وقد قالوا النية دون العمل تكون طاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة والعمل دون النية لا يكون طاعة اه قلت ووجدت فى هامش منتهى الآمال عند ذكر الكرمانى الوجه الاخير الذى أبطله السيوطى ما نصه سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن هذا الحديث فاجاب عنه بجوابين أحدهما ان هذا ورد على سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضى الله عنه أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله يعنى الكافر ونظر فيه بعضهم بان افعل التفضيل يقتضى المشاركة وعمل الكافر لا خير فيه البتة وأجاب بان تسميته خيرا باعتباره فى نفسه وان لم يثب عليه بدليل أنه لو أسلم أثيب عليه من غير تضعيف كما ورد فى مسند البزار أنه اذا أسلم يثاب على كل طاعة حسنة واحدة من غير تضعيف لكن فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لشخص أسلم أسلمت على ما أسلفت من خير اه والجواب الثانى ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية وهذا قد تقدم بيانه آنفا

(فصل) فى ألفاظ وردت عن السلف طبق ما ذكره المصنف أخرج الدارمى عن ابن عباس قال انما يحفظ حديث الرجل على قدر نيته وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب النية والاخلاص والدينورى فى المجالسة عن عثمان بن واقد قال قيل لنافع بن جبير بن مطعم الا تشهد الجنازة قال كما أنت حتى أنوى ففكر هنيهة ثم قال امض وأخرج أيضا عن عبد الرحمن بن زيد قال كان أبى يقول يا بنى انو فى كل شئ تريده الخير حتى خروجك

الى الكناسة فى حاجة وأخرج البيهقى فى الشعب عن يونس بن عبد الاعلى قال قال الشافعى يا أباموسى لو جهدت كل الجهد على ان ترضى الناس كلهم فلا سبيل له فاذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله وأخرج البيهقى أيضا من طريق سفيان عن زبيد قال ليسرنى ان يكون لى فى كل شئ نية حتى فى الاكل والنوم وأخرج عن سفيان فى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه قال ما أريد به وجهه وأخرج عن الحسن فى قوله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب قال كان اذا قال قال لله واذا عمل عمل لله واذا نوى نوى لله وأخرج عن عوف قال سمعت محمد بن سيرين يقول ما أراد رجل من الخير شيأ الاسار فى قلبه سورتان فاذا كانت الاولى لله فلا يحزنك الآخرة وأخرج عن الحسن قال ما من أحد عمل عملا الا سار فى قلبه سورتان فاذا كانت الاولى لله فلا تحزنه الآخرة هذا ما يتعلق بالنية وسيأتى بقية الكلام على بعض أحكامها فى الباب الآتى والله الموفق

(الباب الثانى فى الاخلاص)

ويضاف اليه السر والغربة والتلبيس والهمة لانهن من فضائله (و) فيه بيان (فضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

اعلم ان الاخلاص هو العروة الوثقى والذروة العليا المأمور به على السنة الانبياء عليهم السلام (قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) حنفاء وهو الوسيلة لصحة الايمان والاعمال جميعا والسر المستودع فى قلوب الاولياء والمقربين الذين عزل الرب عن قلوبهم سلطنة الشيطان ونزغاته بقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أضاف عبوديتهم الى نفسه اضافة تخصيص وتكريم وجعلهم أتقياء أخفياء تحت ستره ليس لهم أكفاء ولا نظراء يورون عن أحوالهم باعمال معارة سترا لحالهم قد علقت قلوبهم بالملكوت وارتفعت هممهم لمولاهم ففنيت صفاتهم فى صفاته لقيامه عليهم واحاطته بهم فهم موجودون معدومون عند نفوسهم بحقائق ايمانهم وتوحيدهم واخلاصهم موجودون فى نظر غيرهم لانهم يرونهم قائمين قاعدين معطين مانعين فهم غرباء من الامثال والاكفاء لهذا السر الموقور فى بطونهم متلبسين بثياب ظاهرة عارية عليهم تستر بواطنهم وأسرارهم تعبد الله هممهم نافذة لخلوها عن الاغراض والاعواض ومشاهدة الاغيار فان قاموا فلله وبالله وان قعدوا فلله وبالله (وقال) تعالى (ألا لله الدين الخالص) أى الصافى الذى زال عنه شوبه الذى كان فيه (وقال تعالى) فى وصف أولئك المخلصين (الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) فالتوبة أول مقام من مقامات اليقين والاخلاص خاتمتها (وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه) أخرج عبد الرزاق وابن أبى الدنيا فى الاخلاص وابن أبى حاتم والحاكم عن طاوس قال قال رجل يا نبى الله انى أقف أبتغى وجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه شيأ حتى نزلت هذه الآية ورواه الحاكم وصححه والبيهقى موصولا عن طاوس عن ابن عباس وأخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب ان يرى مكانه فانزلت هذه الآية وأخرج هناد فى الزهد عن مجاهد قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله وأحب ان يقال لى خير فنزلت وأخرج ابن ابى حاتم عن كثير بن زياد عن الحسن قال نزلت فيمن عمل عملا يريد الله والناس فذلك يرده الله عليه (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل) أى لا يحقد (عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله) وتمامه والنصيحة لولاة الامور ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم هذا لفظ الترمذى ولفظ ابن ماجه والنصح لائمة المسلمين ولزوم جماعتهم قال العراقى رواه الترمذى من حديث ابن مسعود وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت والطبرانى وصححه من حديث النعمان بن بشير اه قلت ورواه ايضا الطيالسى من حديث زيد بن ثابت وابن ماجه أيضا من حديث جبير بن مطعم بلفظ ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين فان الدعاء يحيط من ورائهم وقال القشيرى فى الرسالة

(الباب الثانى فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال ألا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم أخلاص العمل لله

اخبرنا

اخبرناعلى بن احمد الاهوازى اخبرنا احمد بن عبيد البصرى حدثنا جعفر بن محمد الفريابى حدثنا ابوطالب حدثنى هانئ بن عبد الرحمن بن ابى عبلة العقيلى عن ابراهيم بن ابى عبلة حدثنى عقبة بن وساح عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الامور ولزوم جماعة المسلمين (وعن) أبى زرارة (مصعب بن سعد) المدنى ثقة روى له الجماعة مات سنة ثلاث ومائة (عن ابيه) سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه احد العشرة (انه ظن ان له فضلا على من هودونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم) قال العراقى رواه النسائى وهو عند البخارى بلفظ هل تنصرون وترزقون الابضعفائكم اه قلت وبخط الكمال الدميرى كذا رواه البخارى مرسلا فان مصعب بن سعد تابعى ورواه الحافظ ابو بكر البرقانى فى صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه عن أبى الدرداء رفعه ابغونى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم ورواه أبو داود باسناد جيد اه قلت وهو فى الحلية لابى نعيم من طريق عاصم ابن على عن محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما ينصر الله هذه الامة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم واخلاصهم قال رواه يحيى بن أبى زائدة عن محمد بن طلحة مثله ورواه عن طلحة ليث بن ابى سليم وزبيد ومسعر والحسن بن عمارة ومعاوية بن سلمة النضرى اه ورواه النسائى عن مصعب بن سعد عن أبيه بلفظ انما تنصر هذه الامة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم وروى أبو نعيم فى المعرفة من حديث أبى عبيدة بلفظ انما تنصرون بضعفائكم ورواه أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ انما ينصر الله هذه الامة بضعفائها بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم قاله حين ظن سعد أنه له فضلا على من دونه وأما حديث أبى الدرداء فلفظه ابغونى ضعفاءكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم هكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى والحاكم وابن حبان والطبرانى والبيهقى ولفظ البخارى ابغونى الضعفاء فانما تنصرون الخ وكذا هو فى رواية لابى داود والحاكم (وعن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى) قال العراقى رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى مسلسلا يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الاخلاص قال وهو من رواية أحمد بن عطاء الجهيمى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسين عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه ابو القاسم القشيرى فى الرسالة من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف اه قلت ورويناه فى جزء من المسلسلات للحافظ بن ناصر الدين الدمشقى قال سألت شيخنا أبا العباس أحمد بن يوسف بن البود عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الظفر يوسف بن محمد السلامى عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الشناء محمود بن على الدقوقى وأخاه أبا نصر محمدا عن الاخلاص ماهو قالا سألنا الامام أبا الخير عبد الصمد بن أحمد المقرى عن الاخلاص ماهو ح قال وأنبأنا جماعة منهم أبو العباس أحمد بن الصلاح على بن محمد بن قاضى الحصن اخبرنا أبو نصر محمد بن على الدقوقى كتابة من بغداد قال سألت أبا احمد عبد الصمد بن أحمد بن ابى الحبيش المقرى عن الاخلاص ماهو قال سألت ابا محمد يوسف بن عبد الرحمن البكرى عن الاخلاص ماهو قال سألت ابى ابا الفرج عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الفضل محمد بن ناصر عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الغنائم محمد بن على النرسى عن الاخلاص ماهو قال سألت الشريف أبا عبد الله العلوى عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الفضل محمد بن جعفر الخزاعى عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا نصر محمد بن أحمد بن الحسين الخراسانى عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الحسن على بن سعيد عن الاخلاص ماهو قال سألت على بن ابراهيم الفسطاطى عن الاخلاص ماهو قال سألت محمد بن جعفر عن الاخلاص ماهو ح وقال أبو الفرج وسألت أبا الحسن على بن يحيى عن

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال ظن أبى ان له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى

الاخلاص ماهو قال سألت أبا بكر محمد بن عبد الباقى عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسفرايني عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا الحسن على بن محمد الجمال الصوفى عن الاخلاص ماهو قال سألت محمد بن جعفر الخصاف عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشريطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال كذا وقع فى روايتنا من طريق أبى المظفر السلامى منقطعا وفى روايتنا عن ابن قاضى الحصن وغيره قال أحمد بن غسان سألت أحمد بن عطاء الهروى وقال هناد فى روايته الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة تبارك وتعالى عن الاخلاص ماهو فقال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببته فى عبادى وقد رواه مسلسلا الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى عن أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين الصوفى هو السلمى عن على بن سعيد وأحمد ابن محمد بن زكريا عن على بن ابراهيم الشقيقى عن محمد بن جعفر الخصاف عن أحمد بن بشار عن أبى يعقوب الشريطى عن أحمد بن غسان عن أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد به تابعه الاستاذ أبو القاسم القشيرى عن عبد الرحمن السلمى كذلك وأحمد بن عطاء كان متروكا فيما ذكره الدارقطنى اه سياق الحافظ الدمشقى قلت لفظ القشيرى فى الرسالة وقد ورد خبر مسند عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبر عن جبريل عن الله عز وجل أنه قال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى قال سالت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى وسالته عن الاخلاص فقال سمعت على بن سعيد وأحمد بن زكريا وسالتهما عن الاخلاص قالا سمعنا على بن ابراهيم الشقيقى وسالناه عن الاخلاص فقال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص فقال سمعت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سالت أبا يعقوب الشريطى عن الاخلاص ماهو قال سالت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو فذكره اه قلت وقرأت فى مسلسلات الحافظ أبى مسعود سليمان بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الاصبهانى رحمه الله تعالى التى خرجها باسم نظام الملك وهى عندى بخطه مالفظه النوع السابع والمائة سالت أبا الوفاء مهدى بن أحمد بن محمد بن طراز الواعظ عن الاخلاص قال سالت محمد بن الحسين الصوفى قلت هو أبو عبد الرحمن السلمى شيخ القشيرى عن الاخلاص قال سالت على بن سعيد وأحمد بن زكريا عن الاخلاص قال سمعنا على بن ابراهيم الشقيقى وسالناه عن الاخلاص قال سالت أحمد بن دينار عن الاخلاص قال سالت أبا يعقوب البويطى عن الاخلاص قال سالت أحمد بن غسان عن الاخلاص قال سالت أحمد بن عطاء الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سالت أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سالت الحسن البصرى عن الاخلاص ماهو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سالت رب العزة عن الاخلاص قال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى هكذا هو فى سياق الحافظ أبى مسعود وهى النسخة التى بخطه أحمد بن دينار بدل احمد بن بشار والبويطى بدل الشريطى وأحمد بن محمد بن عبد الواحد بن زيد والصواب عبد الواحد بن زيد كما فى سياق غيره من المتقنين وبما تقدم تعلم ان عزو المصنف ذلك الى الحسن على انه مرسل غير سديد وكذا قول العراقى انه رواه القشيرى من حديث على فيه نظر ويشبه ما تقدم فى الاخلاص ما رواه الحافظ أبو مسعود أيضا فى مسلسلاته فقال سالت محمد بن الحسين الصوفى يعنى أبا عبد الرحمن السلمى عن علم الباطن قال حدثنا أحمد بن يعقوب بن نصر وسالته عن علم الباطن قال سالت أحمد بن غسان عن علم الباطن قال

سالت الحسن عن علم الباطن فقال سالت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علم الباطن قال سالت جبريل عليه السلام عن علم الباطن قال سالت الله تبارك وتعالى عن علم الباطن قال ياجبريل هو سر بيني وبين أوليائي وأصفيائي أودعته في قلوبهم لايطلع عليه ملك مقرب ولانبي مرسل (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل) رضي الله عنه (أخلص العمل يجزك منه القليل) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ واسناده منقطع اهـ قلت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن حاتم والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قلت أوصني فقال أخلص دينك يكفيك القليل من العمل وقال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبي (وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) قال العراقي رواه ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وقد تقدم اهـ قلت تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الجاه والرياء وانه روي من حديث أبي أيوب بلفظ من أخلص لله أربعين يوما الحديث رواه صاحب الحلية من طريق مكحول عنه وسنده ضعيف ورواه أحمد في الزهد من مرسل مكحول وكذا رواه القشيري في الرسالة بلفظ ماأخلص عبد قط أربعين يوما الحديث وله شاهد من حديث ابن عباس رواه القضاعي في المسند وفي آخره زيادة وقد تقدم وأما قول علي رضي الله عنه فلفظ القوت كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لايقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل (وقال صلى الله عليه وسلم أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى) له (ماصنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول كذبت وتقول له الملائكة كذبت بل أردت ان يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك) رواه احمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فماعملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فماعملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فماعملت فيها قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ أخبرنا أبو الخير أحمد بن خليل العلائي أخبرنا والدي محمد بن مشرق أخبرنا علي بن المنير عن الفضل بن سهل عن أحمد بن علي الحافظ أخبرنا علي بن أحمد المقري حدثنا محمد بن العباس بن الفضل حدثنا محمد بن المثنى حدثنا جعفر ابن عون وعبد الوهاب يعني ابن عطاء قالا أخبرنا عبد الملك بن جريج أخبرني يونس بن يوسف عن سليمان ابن يسار قال تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال له ناتل أخو أهل الشام ياأباهريرة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل فذكره وقد رواه الترمذي أطول من هذا من رواية شفي الاصبحي عن أبي

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلام مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال عليه السلام أول من يسال يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماصنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك

قال ابوهريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وقال يا أباهريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوى
هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفى
الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فاسه
على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد ان أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك
تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتى قال فانى لا أتركك ان تقطعها فقاتله فأخذه

العابد فطرحه الى الارض
وقعد على صدره فقال له
ابليس أطلقنى حتى أكلمك
فقام عنه فقال له ابليس
ياهذا ان الله تعالى قد أسقط
عنك هذا ولم يفرضه عليك
وما تعبدها أنت وما عليك
من غيرك ولله تعالى أنبياء
فى أقاليم الارض ولو شاء
لبعثهم الى أهلها وأمرهم
بقطعها فقال العابد لا بدلى
من قطعها فنابذه للقتال فغلبه
العابد وصرعه وقعد على
صدره فعجز ابليس فقال له
هل لك فى أمر فصل بينى
وبينك وهو خير لك وأنفع
قال وماهو قال أطلقنى حتى
أقول لك فاطلقه فقال
ابليس أنت رجل فقير لاشئ
لك انما أنت كل على الناس
يعولونك ولعلك تحب ان
تتفضل على اخوانك وتواسى
جيرانك وتشبع وتستغنى
عن الناس قال نعم قال
فارجع عن هذا الامر ولك
على ان أجعل عند رأسك
فى كل ليلة دينارين اذا
أصبحت أخذتهما فانفقت
على نفسك وعيالك

وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم العابد
قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى
الله ان أقطعها فاكون عاصيا بتركها وماذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما أصبح رأى
دينارين عند رأسه فاخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث ومابعده فلم يرشيأ فغضب وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس فى صورة شيخ
فقال له الى أين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله

هريرة وتقدم فى ذم الجاه والرياء (قال أبوهريرة) رضى الله عنه (ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وقال يا أباهريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة فدخل راوى هذا الحديث) هوناتل بن قيس الجرمى أوشفى الاصبحى (على معاوية) رضى الله عنه وهو اذذاك أمير الشام (وروى له) ماسمعه من أبى هريرة (فبكى) معاوية (حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفى الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال) له (أين تريد رحمك الله قال) العابد (أريد ان أقطع هذه الشجرة) التى تعبد من دون الله (قال) ابليس (وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال) العابد (ان هذا من) جملة (عبادتى قال) ابليس (فانى لا أتركك ان تقطعها فقاتله) أى صارعه (فأخذه العابد فطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقنى) وقم عنى (حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس ياهذا ان الله قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك) أنبى أنت قال لا قال (وما تعبدها ولا عليك من غيرك) ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك (و) تركتها فان (لله أنبياء فى الارض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها قال العابد لابدلى من قطعها فنابذه) ابليس (للقتال فغلبه العابد فاخذه (وصرعه) على الارض وقعد على صدره (فعجز ابليس) عن مقاومته ورأى ان لا طاقة له به ولا سلطان له عليه (فقال له) ياهذا (هل لك فى أمر يفصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع) من هذا الامر الذى جئت تطلبه (قال وماهو قال أطلقنى) وقم عنى (حتى أقول لك فاطلقه) وقام عنه (قال ابليس أنت رجل فقير لاشئ لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتتسع) فى حالك وفى بعض النسخ وتشبع بدل وتتسع وهو تصحيف (وتستغنى عن الناس قال) العابد (نعم فارجع عن هذا الامر) الذى جئت فيه (ولك على ان أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين واذا أصبحت أخذتهما) وصنعت بهما ماشئت (فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك) أفضل و(أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها أخرى ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها) وفى بعض النسخ لها (فتفكر العابد فيما قال) له (وقال صدق الشيخ لست بنبى فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله تعالى ان أقطعها فأكون عاصيا بتركها) وانما هو شئ تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها (وماذكره لى أكثر منفعة) لعموم الناس قال (فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات) ليلته (فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث ومابعده) أى اليوم الرابع (فلم يرشيأ فغضب وأخذ فاسه على عاتقه) وخرج يوم الشجرة ليقطعها قال ان فاتنى أمر الدنيا لا ادركن أمر الآخرة قال (فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال له الى أين) تريد (قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله

العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أولا ذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال أيوب السختياني تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك فقال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك فيه ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم الى فوجدت ذلك لا على ولا لي

العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال هيهات) قال (فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور من رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أولا ذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال) العابد (يا هذا قد غلبتني فخل عني وأخبرني) عنك (كيف) وقد (غلبتك أولا) فصرعتك (وغلبتني الآن) فصرعتني فكيف ذلك (فقال) له ابليس (لانك غضبت أول مرة لله) تعالى (وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله) تعالى لك فغلبتني (وهذه المرة غضبت) أي جئت مغاضبا لنفسك و (للدنيا) أي كانت نيتك الدنيا فسلطني الله تعالى عليك (فصرعتك) هكذا نقله صاحب القوت قال وهكذا احدثونا في قصة تطول ان ملكة من بني اسرائيل راودت عابدا عن نفسه فقال اجعلوا الى ماء في الخلاء أتنظف قال ثم صعد أعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فاوحى الله تعالى الى ملك الهواء الزم عبدي قال فلزمه حتى وضع على الارض على قدميه رويدا فقيل لابليس ألا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين) أي فانه لا سبيل له عليهم (اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص) اذ قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي) العمل لله تعالى (تتخلصي) من كيد الشيطان (وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيآته) وهو يرجع الى قول من قال ان الاخلاص هو التوقي عن ملاحظة الاشخاص (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى) نقله صاحب القوت (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى) عبد الله بن قيس (الاشعري) رضي الله عنه وكان قد ولاه البصرة (من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس) وتمامه ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته أخرجه هكذا أبو نعيم في الحلية ومن طريق هناد بن السري حدثنا محمد بن فضيل عن السري بن اسمعيل عن عامر الشعبي قال كتب عمر الى أبي موسى فذكره (وكتب بعض الاولياء الى أخ له اخلاص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل) كذا في القوت وقد روى نحو ذلك مرفوعا من حديث معاذ وقد تقدم قريبا (وقال) أبو بكر (أيوب) بن أبي تميمة (السختياني) بفتح المهملة بعدها معجمة ساكنة ثم مثناة مكسورة ثم تحتية البصري الثقة روى له الجماعة مات سنة احدى وثلاثين ومائة عن خمس وستين سنة (تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال) كذا في القوت وروى نحوه من قول يوسف بن أسباط تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد (وكان مطرف) بن عبد الله ابن الشخير رحمه الله تعالى تابعي ثقة (يقول من صفى) نفسه عن الشوائب (صفى له ومن خلط) في أعماله (خلط عليه) كذا في القوت (ورؤي بعضهم في المنام) بعد وفاته (فقيل له كيف وجدت أعمالك فقال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها) أي الهرة وكذا حبة الرمان (في كفة الحسنات) قال (وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيآت) قال (وكان قد نفق) أي مات (حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار) قيمته مائة دينار (ليس فيها) ولا أرى له ثوابا (فقيل لي انه قد وجه حيث بعثته فانه لما قيل لك قد مات) الحمار (قلت في لعنة الله فبطل أجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك) نقله صاحب القوت قال (وفي رواية) أخرى (قال وكنت تصدقت) يوما (بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم الى فوجدت ذلك لا على ولا لي

قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله اذ لم يكن عليه فقد أحسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث
والدم وقيل كان رجل يخرج فى زى النساء و يحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء
فسرقت درة فصاحوا ان أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى
بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن اطلقوا الحرة
فقد وجدنا الدرة * وقال
بعض الصوفية كنت قائما
مع أبي عبيد التسترى وهو
يحرث أرضه بعد العصر
من يوم عرفة فمر به بعض
اخوانه من الابدال فساره
بشئ فقال أبو عبيد لا فمر
كالسحاب يمسح الارض حتى
غاب عن عينى فقلت لابى
عبيد ما قال لك فقال سألنى
أن أحج معه قلت لا قلت
فهلا فعلت قال ليس لى فى
الحج نية وقد نويت ان أتمم
هذه الارض العشية فأخاف
ان حججت معه لاجله
تعرضت لمقت الله تعالى
لانى أدخل فى عمل الله شيأ
غيره فيكون ما أنا فيه أعظم
عندى من سبعين حجة
و روى عن بعضهم قال
غزوت فى البحر فعرض
بعضنا مخلاة فقلت أشتريها
فانتفع بها فى غزوى فاذا
دخلت مدينة كذا بعتها
فربحت فيها فاشتريتها
فرأيت تلك الليلة فى النوم
كأن شخصين قد نزلا من
السماء فقال أحدهما
لصاحبه اكتب الغزاة
فأملى عليه خرج فلان
متنزها وفلان مرائيا وفلان
تاجرا وفلان فى سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله فى أمرى ما خرجت أتجر
ومامعى تجارة أتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريدان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فنظر الى
صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا أنه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز و جل فيه بما يرى وقال سرى
السقطى رحمه الله تعالى لان تصلى ركعتين فى خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو

قال سفيان) الثورى (لما سمع هذا) وروى له (ما أحسن حاله اذ لم يكن عليه فقد أحسن اليه) ولفظ القوت ما أحسن حاله حيث وجدها لاله ولا عليه قد أحسن اليه (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم) نقله صاحب القوت (وقيل كان رجل يخرج فى زى النساء) أى على هيئتهن فى اللبس (و يحضر كل موضع تجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم) أى فى فرح أو مصيبة (فاتفق) فى بعض المرات (ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش) من حضر من النساء فى ذلك الموضع (فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص) اى بخالص النية من القلب وعقد فى نفسه (وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا) أبدا (فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة) فهذه الحكاية دلت على ان الاخلاص فى النية هو المنجى من الفضائح الدنيوية والاخروية (وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابى عبيد) محمد بن حسان (البسرى) نسبة الى بسر بالضم وسكون المهملة الى قرية من قرى حوران بالشام حكى عنه ابنه بخيت قاله الحافظ فى التبصير وقال القشيرى فى الرسالة هو من قدماء المشايخ صحب ابا تراب النخشبى (وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ) فى اذنه (فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عينى) قال (فقلت لابى عبيد ما قال لك فقال سألنى ان أحج معه قلت لا) قال (قلت فهلا فعلت قال ليس لى فى الحج نية وقد نويت ان أتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله تعرضت لمقت الله تعالى لانى أدخل فى عمل الله تعالى شيأ غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندى من سبعين حجة) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن معمر يقول سمعت أبا زرعة يقول كان أبو عبيد البسرى يوما على جرجر يدرس قمحاله و بينه و بين الحج ثلاثة أيام اذ أتاه رجلان فقالا يا أبا عبيد تنشط للحج فقال لا ثم التفت الى وقال شحك على هذا أقدر منهما يعنى نفسه (و يروى عن بعضهم قال غزوت فى البحر فعرض بعضنا مخلاة) أى للبيع والمخلاة ما يوضع فيه العلف للدواب (فقلت اشتريها فانتفع بها فى غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها) منه (فرأيت تلك الليلة فى النوم كان شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان فى سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله فى أمرى) والله (ما خرجت أتجر ومامعى تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال) لى (يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريدان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى) نقله صاحب القوت فهذه الحكاية تعرفك ان الاشراك فى النية تزيل عن مقام الاخلاص فاذا خلاص النية بخروج اضدادها من القلب والقصد والهمة لتنفرد النية بقصدها و يخلص العمل بانفراد النية لوجه الواحد الفرد المقصود بها (وقال سرى) بن المغلس (السقطى) رحمه الله تعالى لان (تصلى ركعتين فى خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو قال سبعمائة) حديث (بعلو) نقله صاحب

القوت

وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه

الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسى مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى أبواب البر أجمع وقال محمد بن سعيد المروزى الامر كله يرجع الى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى مافعل وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد سعدت بهذين وفزت فى الدارين

(بيان حقيقة الاخلاص)

*اعلم ان كل شئ يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الالهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث

القوت وقد روى أبو الشيخ وابن عساكر من حديث جابر من صلى ركعتين فى خلاء لا يراه الا الله عز وجل والملائكة كانت له براءة من النار ورواه الضياء بلفظ كتبت له وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر من صلى ركعتين فى السر رفع عنه اسم النفاق (وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز) أى لصعوبته (ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص) فكما ان الزرع لا ينمو الا بالماء كذلك العمل لا ينمو الا بالاخلاص (وقال بعضهم اذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها) فالقبول والاخلاص والصدق من جملة امارات الحب (وقال) أبو يعقوب (السوسى) رحمه الله تعالى (مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط) ان لا يشركوا فيه غيره (وقال الجنيد) قدس سره (ان لله عبادا عقلوا) فيما أعطوا (فلما عقلوا عملوا) بما علموا (فلما عملوا أخلصوا) لوجهه (فاستدعاهم الاخلاص الى أبواب البر أجمع) نقله صاحب القوت (وقال محمد بن سعيد) بن ابراهيم (المروزى) رحمه الله تعالى (الامر كله يرجع الى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى مافعل) بك (وتخلص فيما تعمل) له (فاذا أنت قد سعدت بهذين) الاصلين (وفزت فى الدارين) فان المدار كله على الرضا والاخلاص وهو عين التوحيد

(بيان حقيقة الاخلاص)

(اعلم) وفقك الله تعالى ان الاخلاص شرط فى سائر العبادات وهو معنى قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين وقوله اياك نعبد وقد قدمنا عن برماهرة ان رؤية المنة لله تعالى واجبة للنعمة وليس لها حقيقة الا التبرى من الحول والقوة والرجوع الى الله تعالى بالفقر والفاقة وطلب الاستعانة وهو معنى ما أمرنا به بقوله واياك نستعين ولا نعمة لله على عبده أفضل من الايمان به والعمل لاجله فهذا وجه وجوب الاخلاص فى سائر العبادات وأما وجه استحبابها فى سائر التقلبات فان العبد البار لا يتحرك الا بسيده لان القوة التى يتحرك بها مكتسبة من تغذية نعمة سيده لان حقيقة العبد ان لا يملك من نفسه ولا لنفسه شيأ اذ هو خالقه ورازقه وعليه توليه ان أحسن لحكمة الكرم وله ان يعاقبه ان أساء فما أوضح هذا وما أعزه فى القلوب علما وحالا وعملا ولاجل عزته أوجب الله تعالى تكريره على ألسنتنا ولو بنا فى اليوم والليلة سبع عشرة مرة لنخلص له أعمالنا ونعتمد عليه فى جميع أحوالنا فاذا كان الاخلاص هو الايمان والطاعات وبه تمامهما ونماؤهما وجب شرح حقيقته وتفصيل درجاته ليظهر بذلك الواجب من المستحب فاعلم (ان كل شئ يتصور ان يشوبه) أى يخالطه (غيره فاذا صفا عن شوبه) أى خلطه (وخلص عنه سمى خالصا) لخلوصه عن الشوب (ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به) وعبارة القوت وحقيقة الاخلاص سلامته من وصفين الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا فكذلك معاملته لله تعالى اذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس لم تكن خالصة ولم يتم بها الصدق والادب فى المعاملة ولم يقبله الله تعالى منا اهـ (والاخلاص) وهو تجرد الباعث الواحد (يضاده الاشراك) وهو ان يشترك باعثان (فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الالهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص وضده) أى الاشراك (يتواردان على القلب فمحله القلب) بالاتفاق منهم ولو قال فهو محلهما كان أحسن (وانما يكون ذلك فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث

فهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض الهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من

ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة بأربع أسام يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلده أو ليهرب عن عدو في منزله أو يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزا بين العشيرة أو ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم عن الاطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس أو لينال به رفقا في الدنيا أو كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ ليتنظف أو يتبرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها

فهما كان الباعث واحدا سمي الفعل الصادر منه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص) بهذا الاعتبار (ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص) أيضا بهذا الاعتبار فاطلاق لفظ الاخلاص على كل منهما جائز (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب) وهو أحد الجانبين (كما ان الالحاد) لغة (عبارة عن الميل) المطلق سواء كان عن باطل أو الى باطل (ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق) الى الباطل وهو أحد الجانبين (ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه) الآن (اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات) فلا نعيده (وأقل أموره ما ورد في الخبر من ان المرائي) بأعماله (يدعى يوم القيامة بأربعة اسام يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب النية والاخلاص وقد تقدم (وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب) الى الله تعالى (ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس) جميعا لكن من الحظوظ ما يتصل أصله ومنها ما ينقص كله أما الرياء فهو ان يطلب الرجل بعمله حمد الناس وطلب نفعهم ودفع ذمهم فان العمل اذا تجرد لهذا الباعث أحبط العمل وأفسد الصلاة وأوجب المقت والنكال والعذاب الاليم وذلك على قدر المراءى به والمراءى لاجله أما المراءى به فهي الطاعات وذلك اما باصولها أو باوصافها وكل منهما على ثلاث درجات تقدم تفصيلها في كتاب ذم الرياء وأما ما يراءى لاجله فله أيضا ثلاث درجات وقد ذكرت في الكتاب المذكور وكذا درجات الرياء الخفي (و) أما الشوائب التي هي حظوظ النفس فلها أمثلة وقد أشار المصنف الى ذلك بقوله (مثال ذلك ان يصوم) العبد (لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا) من عبيده (ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه) وشره (أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلده) فيخرج هاربا (أو ليهرب من عدو له في منزله) لا يطيق دفعه (أو يتبرم باهله وولده) أي يتضجر بهم (أو شغل هو فيه فاراد أن يستريح اياما) من ذلك الشغل (أو يغزو) العدو (ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ومقدرته على تهيئة العساكر وجرها) أو يقدم أحد الجهادين على غيره لغنيمة فيه (أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب أهله أو رحله) عن اللصوص (أو يتعلم العلم ليسهل عليه) بذلك (طلب ما يكفيه من المال أو يكون عزيزا بين العشيرة) بذلك (أو ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم عن الاطماع) فلا تمتد اليه (أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث) وحلاوة التقرير (أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس) فيروه بعين التوقير والتبجيل (أو لينال به رفقا في الدنيا) أي في معيشته (أو كتب مصحفا) أو كتابا من كتب العلم (ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه) أو دارس قرآنا مع جماعة في منزل من يستدعيه ليمارس حفظه ويثبت في ذهنه (أو حج ماشيا ليخفف على نفسه الكراء) ويتوفر ماله (أو توضأ ليتنظف) بالماء (أو يتبرد) به (أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث) املاء (ليعرف بعلو الاسناد) وكثرة المسموعات (أو اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها) أو لتتوفر

الاوقات

الاوقات حتى يصرفها في اشغاله (أو تصدق على السائل ليقطع ابرامه) والحاحه (في السؤال عن نفسه أو يعود مريضا) ليعاد (اذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيأ من ذلك ليعرف بالخير و يذكر به و ينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك) والاخلاص عبارة عما خلص من الرياء وهذه الحظوظ جميعا (وقد قال) الله (تعالى) فيما روى عنه (أنا أغنى الشركاء عن الشركة) رواه ابن جرير والبزار من حديث أبي هريرة وأوله من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وقد تقدم (وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس و يميل اليه القلب قل أم كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه و زال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب) لان حقيقته ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا عزيز (بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى) ولم يشبه شئ من هذه الحظوظ (وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا تخفى شدة الامر على صاحبه فيها) وقد تقدم بيانه في ذم الرياء (وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب) الى الله تعالى (وانضافت اليه هذه الامور ثم) ان قلت ان (هذه الشوائب) من الرياء والحظوظ تحبط مطلقا فاقول اذا اقترن بباعث الاخلاص باعث آخر فلا يخلو (اما ان يكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية) اما المشاركة فالآيات والاخبار دالة على انها محبطة وقد اختلف العلماء في رتبة المعاونة والذي مال اليه المصنف انها تنقص من أصل الثواب بقدر ما خففت من العمل ورد على رأي الاحباط من العلماء كما سيأتي تفصيله قريبا وأما الموافقة فلا يجب التخلص منها لما في ذلك من الحرج على العامة ولكنها منقصة لكمال الاخلاص (وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره) قريبا (وانما) الاخلاص في الحقيقة (تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه) وهذا هو اخلاص العوام قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا عبد الرحمن المغربي يقول الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد انتهى وكأنه يشير الى كمال الاخلاص ولا يقدر عليه الا بعد استغراق الحب قلبه فرجع جميع المباحات عنده كالادوية لا يتناول منها الا الضرورة ولاجل كمال الاخلاص باصله شق على الناس علمه وعمله فصار حديث الاخلاص عند المتفقهة كالمستغرب وهو شرط في صحة اعمالهم وقد تقدم ذكر الشوائب المنقصة لاصل الاخلاص فلنذكر الشوائب المنقصة لكماله والكمال هو ان لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى عبادة أو عادة وان يكون وجود الناس عنده كعدمهم لان وجودهم مجازي لا حقيقة اذ لا قوام لهم بنفوسهم انما الموجود الثابت الحقيقي هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم الذي قامت ذاته بذاته وكل شئ سواه قائم به ومستند الى قدرته فان عجز عن هذا المقام فليكن وجودهم عنده كوجود البهائم بمعنى انهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا ولا مدحا ولا ذما فتى ما فرق في مشاهدة الخلق بين ان يشهده رئيس أو بهيمة في عبادة من عباداته فلا يخلو اخلاصه عن نقصان بحسب قوة النظر فيه وجهة قلبه عن الله تعالى أو ضعفها ولهذا كان المخلصون على خطر عظيم وكانت

أو تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضا ليعاد اذا مرض أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيأ من ذلك ليعرف بالخير و يذكر به و ينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك وقد قال تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس و يميل اليه القلب قل أم كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه و زال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه

وهـذا لا يتصوّر الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهى الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى ان لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص فى الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من أعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة صليتها فى المسجد فى الصف الاول لانى تأخرت يوما لعذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس حيث رأونى فى الصف الثانى فعرفت ان نظر الناس الى فى الصف الاول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال من امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم

في

اعمالهم أعمال المقربين فمن رزق هذه الحالة فنقصانها بالنظر اليها والاعتماد عليها هذا ما يتعلق بكمال الاخلاص وبالجملة فالباعث على الفعل اما ان يكون روحانيا فقط وهو الاخلاص أو شيطانيا فقط وهو الرياء أو مركبا وهو ثلاثة أقسام لانه لا يخلو اما ان يكونا سواء أو الروحانى أقوى أو الشيطانى أقوى فاذا كان الباعث روحانيا فقط (وهذا لا يتصوّر الا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة) ولا بد منه (فلا يشتهى الطعام لانه طعام بل لانه يقوّيه على عبادة الله ويتمنى انه لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل وشرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية فى جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوّى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه) واذا كان الباعث شيطانيا فقط ولا يتصوّر الا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بها حيث لم يبق لحب الله فى قلبه مقر فتكتسب افعاله تلك الصفة فلا يسلم له شئ من عبادته واليه أشار المصنف بقوله (ومن ليس كذلك فباب الاخلاص فى الاعمال مسدود عليه الا على الندور) أى القلة (وكان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة) وسائر الحظوظ (وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا) واذا استوى الباعثان يتعارضان ويتناقضان فيصير العمل لا له ولا عليه وأما من غلب أحد الطرفين فيه فيحط منه ما يساوى الآخر وتبقى الزيادة موجبة أثرها اللائق بها وسيأتى تحقيق ذلك فى أواخر فصول الباب (فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس) ودفعها (وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب) فلا يهمه الا هو (فاذ ذاك يتيسر) له (الاخلاص) أى كماله (وكم من أعمال يتعب الانسان فيها) طول عمره (ويظن) فى نفسه (انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها) فعليه ان يمتحن نفسه بالامتحانات (كما حكى عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها فى المسجد فى الصف الاوّل لانى تأخرت يوما لعذر فصليت فى الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس) اذ (رأونى فى الصف الثانى فعرفت ان نظر الناس الى فى الصف الاوّل كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر) وهـذا لا يحبط ثواب نفس الصلاة وانما ينقص ثواب المسارعة الى الصف الاوّل فعمل على خلاف ما تتقاضاه النفس لئلا يرجع ذلك له قويا فيستحب للمخلص ان يتفقد أحواله ليقف بذلك على أغوار مكايد النفس والشيطان (وهذا دقيق غامض قلما تسلم الاعمال من امثاله وقلما يتنبه له الا من وفقه الله تعالى) وهم قليلون (والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها فى الآخرة سيئات) ويندمون حيث لا ينفعهم الندم (وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل عملوا اعمالا لجهلهم ظنوا انها حسنات فوجدوها سيئات وبقوله تعالى (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (وبقوله تعالى قل هل أنبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم

فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للا كثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك و يقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق و وعظه للسلاطين و يفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعى انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه و يقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدرى المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للامامة أ كان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد فى الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء) والوعاظ (فان الباعث للا كثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء) أى الغلبة (والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم) أيها العلماء (نشر دين الله) تعالى (والنضال) أى المدافعة (عن الشرع الذى شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فانما يتصورون ذلك من نفوسهم هذا الذى أملى عليهم تتقوى صفات أفعالهم و يظنون انهم على غاية الكمال (وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحته الخلق ووعظه للسلاطين و يفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعى انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين) وهذا أيضا مغرور قد لبس عليه الشيطان و بمعزل عن الاخلاص (و) امتحان ذلك انه (لو ظهر من اقرانه من هو) أكثر منه علما وأذلق منه لسانا وأفصح منه بيانا (وأحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه) أى عن مجلس علمه أو وعظه (واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه) فبهذا يظهر الغرور والتلبيس فى علمهما (ولو كان باعثه الدين) وفرح بذلك لمساعدته له على انقاذ عباد الله من أيدى الشياطين (لشكر الله تعالى) على النعمة التى أداها وهى رتبة الصديقين فان العلم بالتعلم كمال فى العلم (اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره) ووجد مساعدا له على مهمه وان ضربته عقرب الحسد حتى اشتهى بذلك زوال النعمة عنه وظهور عثرات ليسقط بذلك وقع كلامه فى قلوب الناس فلا يشك انه راكع ساجد للناس وعيشه وحياته بهم لا بالله تعالى (ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول) له (انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدرى المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل) والاعلم والافصح (أجزل ثوابا وأعود عليه فى الآخرة من انفراده) فى الامر الذى فيه (وليت شعرى لو اغتم عمر رضى الله عنه لتصدى أبى بكر رضى الله عنه للامامة) والخلافة دون الناس (أ كان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذودين أن لو كان ذلك) وفرض (لكان مذموما اذ انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو أصلح منه أعود عليه فى الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله عنه باستقلال من هو أولى منه بالامر) كما دل على ذلك الآثار الواردة فى قصة البيعة (فما بال العلماء) وهم فى منصب الامامة (لا يفرحون بمثل ذلك) وهم أحق بهذا الفرح من غيرهم اذ كان سببا لمعرفتهم بغرور نفوسهم حتى يرجعوا الى الله تعالى و يجتهدوا فى الاخلاص له اذ معرفة الانسان بعيوب نفسه من جملة السعادات (وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد فى الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع) ولذا كانوا على خطر عظيم (الا الشاذ النادر الفرد الفذ وهو المستثنى فى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر) ولما كان الاخلاص نعمة من النعم وفعلا من افعاله والعبد آلة ومحل لما يرد عليه من مولاه لا من نفسه كثرت أقاويلهم فى حده وحقيقته

فوجب بيان ذلك

(بيان أقاويل الشيوخ في الاخلاص)

وسبب اختلافهم كما تقدم اما بالنظر الى اختلاف مقاماتهم واحوالهم واما بالنظر الى اختلاف اقوال السائلين واما بالنظر الى تنوع درجات الاخلاص قال القشيري الاخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به الى الله تعالى ويصح ان يقال الاخلاص تصفية العقل عن ملاحظة المخلوقين ويصح ان يقال الاخلاص التوقي عن ملاحظة الاشخاص و(قال) أبو يعقوب (السوسي) رحمه الله تعالى (الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى الاخلاص وماذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه) والسكون به (عجب) وسماه بعضهم رياء كما سيأتي بيانه (وهو من جملة الآفات) المتطرقة اليه (والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة) أي فلا تكون حقيقته جامعة لافراده (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة) أي لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى عبادة أو عادة (وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض) قال صاحب القوت وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تعالى تقربا اليه لاجل الله تعالى فهذا اعلى النيات وهو غاية الاخلاص وقال أيضا اخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة الا ان من رزق المقام منها دخل بحقيقة اخلاص المعاملة ضرورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين (وفي معناه قال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (الاخلاص صدق النية مع الله تعالى) أي في حركاته وسكناته فان الحركة والسكون اللذين هما أصل الافعال هما من أعماله التي يسئل عنها فيحتاج الى صدق النية فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى فيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده اما حبا لله واجلالا له واما خوفا منه أو رجاء له أو لاجل ما أمره به فينوي اداء الفرائض أو لما ندبه فينوي المسارعة الى الخير أو فيما أبيح له فتكون نيته في ذلك صلاح قلبه واسكان نفسه واستقامة حاله قال صاحب القوت والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة انها صحة العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الاعمال وأول كل عمل وقد قال الله تعالى أذكروا الله ذكرا كثيرا قيل في التفسير خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص اهـ ويقرب من قول ابراهيم قول ذي النون رحمهما الله تعالى حين سئل عن الاخلاص فقال الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه نقله القشيري فبين الصدق والاخلاص تلازم فمن اخلص في مقام وصدق في سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله الله الى ما فوقه وسئل الجنيد عن الصدق والاخلاص فقال بينهما فرق الصدق أصل والاخلاص فرع والصدق أصل كل شئ والاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في الاعمال والاعمال لا تكون مقبولة الا بهما وقال القشيري سمعت أبا علي الدقاق يقول الاخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق التنقي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا اعجاب له اهـ وماذكره هو أوفى مراتب الاخلاص والصدق فان اعلاها ان لا يسكن العبد الى عمله وحسنه وان كان صحيحا ويراه فضلا من ربه (وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى (أي شئ أشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها) أي للنفس (فيه) أي في الاخلاص (نصيب) نقله القشيري وذلك لان الغالب على عملها ان يكون لغرض ديني أو دنيوي وما ذكره مختص بحال المريد السالك فاما من كملت معرفته بمولاه اضمحلت لديه الاغراض فهو انما يلتذ بالقرب (وقال) أبو محمد (رويم) بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٠٣ كان جامعا بين

(بيان أقاويل الشيوخ في الاخلاص) قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وماذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن أدهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل أي شئ أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم

التصوف والفقه وكان يفتى على مذهب داود (الاخلاص فى العمل هوان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين) ولاحظا من الملكين هكذا بهذه الزيادة نقله القشيرى والمراد بالدارين دار الآخرة والدنيا والملكين ملك اليمين وملك الشمال أى بان يكون عمله لله لا يريد به سواه لا من دنياه ولا من أخراه (وهذا) الذى ذكره (اشارة الى ان حظوظ النفس آفة) أى دخول حظ فى العمل وآفة تعرضه اما (آجلا) فى دار الآخرة (أو عاجلا) فى دار الدنيا (والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات فى الجنة) من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك (معلول) فى عمله (بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى) فقط ولا عبرة بماله شئ من الحظوظ (وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق) والاخلاص الكامل ويعبر عنه أيضا باخلاص الاخلاص (فامامن يعمل لرجاء) دخول (الجنة وخوف) اقتحام (النار فهو مخلص) مقيد اى (بالاضافة الى الحظوظ العاجلة) فى الدنيا (والا فهو فى طلب حظ البطن والفرج) فى الآخرة (وانما المطلوب الحق لذوى الالباب هو وجه الله تعالى فقط) واليه الاشارة فى الخبر وعليون لذوى الالباب (وقول القائل) فى اعتراضه على من قال ان الاخلاص هو البراءة من الحظوظ فى الحركة والسكون كيف يكون هذا مع انه (لا يتحرك الانسان الا لحظ) وكذا لا يسكن الا لحظ (والبراءة من الحظوظ) كلها فى سائر الافعال (صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر) لانه قد أشرك بالله فى صفة من صفاته المختصة به (وقد قضى القاضى أبو بكر) محمد بن الطيب (الباقلانى) البصرى المتكلم على مذهب الاشعرى وسمع الحديث من العقيلى توفى سنة ٤٠٣ (بتكفير من يدعى البراءة) لنفسه (من الحظوظ) كلها (وقال هذا من صفات الالهية) فلا يتصف بها أحد (وماذكره حق ولكن القوم انما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة) الخاصة (والمناجاة) والانس (والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء) الطائفة (وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه) بجنب ما هم فيه (ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره) وقد يقال ان الذى ذكره رويم حد للعمل الخالص لا للاخلاص (وقال أبو عثمان) سعيد بن اسمعيل الحيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦٨ (الاخلاص نسيان رؤية الخلق) أى فى العمل (بدوام النظر الى) فضل (الخالق) عليك نقله القشيرى وهذا اخلاص فانهم يخلصون عملهم حتى من رؤيتهم له استحسانا (وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط) كأن قول السوسى اشارة الى آفة العجب (ولذلك قال بعضهم الاخلاص فى العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه) وهذا قول الجنيد ولفظه عند القشيرى قال الجنيد الاخلاص سر بين الله و بين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله اهـ أى لا يؤثر فيه احد من هؤلاء لما فى قلب المتصف به من افراده به بالعمل بسره وهذه الحالة انما يخص الله بها خواصه من أوليائه ولذلك قالوا من لم يكن بينه و بين الله سر فهو مصر و يؤيده ما تقدم من خبر حذيفة الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى و يقرب منه قول ذى النون الاخلاص ما حفظ من الله وان لم يفسده وأيضا قول من سئل عن الاخلاص فقال ان لا يشهد عملك غير الله (فانه اشارة الى مجرد الاخفاء) ويقال أيضا ان هذا أحد لخالص العمل لا للاخلاص (وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا من العلائق وهذا) الحد (أجمع للمقاصد) فان الشطر الاول يشير الى الاخفاء والثانى الى قطع الحظوظ فالاول فيه السلامة من الرياء والثانى فيه السلامة من الهوى وحقيقة الاخلاص السلامة منهما (وقال) الحارث بن أسد (المحاسبى) رحمه الله تعالى (الاخلاص هو اخراج الخلق

الاخلاص فى العمل هوان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين وهذا اشارة الى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات فى الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فامامن يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو فى طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوى الالباب وجه الله تعالى فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضى أبو بكر الباقلانى بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وماذكره حق ولكن القوم انما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال أبو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق فقط وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص فى العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق هذا أجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق

عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفى الرياء) و يقرب منه قول من قال هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وقول من قال هو التوقى عن ملاحظة الاشخاص وقول من قال هو التوقى عن ملاحظة الخلق وقد تقدم ذكر الاقوال الثلاثة (وكذلك قول) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية) أى فان العبودية تقتضى الذل واخلاصها عبارة عن كمالها فمن كمل فى عبوديته) كان بمعزل عن الرياسة (وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال) ولفظ القوت قالوا له يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل (فقال الذى يعمل العمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس) وتمامه عند صاحب القوت قالوا فمن الناصح لله عز وجل قال الذى يبدأ بحق الله عز وجل قبل حق الناس واذا عرض له أمران احدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الله تعالى قبل أمر الدنيا انتهى وروى فى الخبر لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شئ من عمل الله عز وجل (وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر) دون غيره من الآفات (لانه أقوى الاسباب المشوشة للاخلاص) ففى الخبر أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لاجل أن يؤجر العبد ويحمد (وقال الجنيد) قدس سره (الاخلاص تصفية العمل عن الكدورات) ولا يتم ذلك الا اذا ملك شيئين أحدهما ما عنده أولى به من الآخر صحة القصد لوجه الله ثم اخراج الآفات أو الحذر عليه من دخولها عليه الى فراغه منه فبذلك يتم اخلاصه ويصفو من كدورات الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون خالصا من الرياء بالاخلاص صافيا من الشهوة بتفقد دخول الآفة (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما) نقله القشيرى سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت على بن بندار الصوفى يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد بن عبد ربه يقول سمعت الفضيل يقول فذكره ومعنى قوله ترك العمل الخ أى من حيث يتوهم منهم أنهم ينسبونه بالعمل الى الرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم له بالاخلاص فيكون مرائيا بتركه محبة للدوام نسبة الى الاخلاص لا للرياء وقوله والعمل الخ أى لكونه أشرك فى عمله غيره وهذا يرجع الى قول من قال الاخلاص تصفية العمل من الرياء والهوى وقال صاحب القوت ولا يترك العبد العمل الصالح خشية دخول الآفة عليه ولا يدعه ان كان داخلا فيه لما يعتريه فان ذلك بغية عدوه منه لكن يكون على نية الاولى من صحة القصد فان دخلت عليه وضع عليها دواء فعمل فى نفيها وازالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملا لاجل الخلق حياء منهم وكراهة اعتقادهم فضله فان العمل لاجل الناس شرك وتركه لاجلهم رياء وترك العمل خشية دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن ومن دخل فى العمل لله تعالى وخرج منه لله تعالى لم يضره ما كان بين ذلك بعد أن ينفيه ولا يساكنه وقد يضره ما يكون بعد ذلك منه ان كان سرا فاظهر بعد زمان فصار علانية فنقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومثل أن يتظاهر به ويفتخر ويدلى به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لانه قد أفسده والله لا يصلح عمل المفسدين ومن دخل فى العمل لله تعالى ودخل عليه فى وسط العمل علة فخرج من العمل مما أبطل عمله ومن دخل فى العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله وجبر بآخره أوله وأفضل الاعمال ما دخل فى أوله لله تعالى وخرج منه بالله تعالى ولم تطرقه فيما بينهما آفة فيكون الله تعالى هو الاول والآخر معه وعنده ثم لا يظهره بعد ذلك ولا يتظاهر به انتهى وقال صاحب المقاصد الفائدة الثانية أن لا يترك العمل خوفا من غرة الاخلاص فان ترك العمل من جهة الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك بل يعمل ويجتهد فى الاخلاص فان ترك الاعمال لا يقدر عليها الا بالتدريج شيأ فشيأ ففى الخبر أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فهذا يدل على الدخول فى الدين قهرا لا بالاختيار ولكن ذلك تدريج الى مجالسة المؤمنين ومشاهدة أحوالهم والى استماع ما أنزل الله عليهم ليكون موصلا للايمان الى قلوبهم

عن معاملة الرب وهذا اشارة الى مجرد نفى الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذى يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه أقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية العمل من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما

وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا اشارة الى قطع ماسوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

(بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص) اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين *الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم ان أحسنت

فيدخلون في الدين باختيارهم ثم يتدرجون قليلا قليلا الى أن يبلغوا منازل المقربين والى هذا الاشارة بقوله تعالى والمؤلفة قلوبهم (وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل) فان دوام المراقبة يستدعي الاستغراق في العبودية والمستغرق فيها لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى ونسيان الحظوظ يستدعي عدم الرؤية في اخلاصه فصار بذلك جامعا لمعاني الاخلاص كلها (والاقاويل في هذا كثيرة) فمن ذلك قولهم الاخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال في الاعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة وهذا نقله القشيري عن ذي النون وهي من علامات الاخلاص وقيل نقصان كل مخلص في اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا نقله القشيري عن أبي بكر الدقاق وهو بعينه قول أبي يعقوب السوسي الذي ذكره المصنف وقال أبو علي الروذباري قال لي رويم قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وقال حذيفة المرعشي الاخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن وقيل الاخلاص ما أريد به الحق وقصد به الصدق وقيل الاخلاص الاغماض عن رؤية الاعمال وقال السري من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وقال يوسف بن الحسين أعز شئ في الدنيا الاخلاص (ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت) قال العراقي لم أره بهذا اللفظ وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يارسول الله حدثني بامر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم اهـ قلت ذكر الحافظ في ترجمة سفيان هذا في الاصابة الحديث المذكور باللفظ الاول وقال أخرج حديثه مسلم والترمذي والنسائي أي فذكر النسائي بدل ابن ماجه والله أعلم ووجدت في القوت ما يشبه هذا السياق قال فاحسن تفسير النية ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان فقال تعبد الله كانك تراه فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين فهم مخلص المخلصين انتهى (أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا) لا يطيقه الا الاكابر اذ هو (اشارة الى قطع ماسوى الله من مجرى النظر وهو الاخلاص حقا) وذكروا في الاستقامة انها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والله الموفق

(بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الآفات المشوشة للاخلاص) المكدرة لصفوه (بعضها جلي) أي ظاهر (وبعضها خفي) يدرك بالتامل (وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال وأظهر مشوشات الاخلاص) وأقواها (الرياء) ولذا جعل أكثرهم تركه اخلاصا كما تقدم في أقوالهم (فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار) أي التعظيم (والصلاح ولا يزدريك) أي لا يحتقرك (ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين) فلا حاجة في التطويل فيه (الدرجة الثانية يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك) أي ينقل عنك ويقتدي بك فيه (فيكون لك ثواب أعمالهم ان أحسنت

وعليك الوزران أسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع
بالاول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك فى
الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذى استقام فى نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره
الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه
ماليس متصفا به * الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته
بين الخلوة والمشاهدة للغير
محض الرياء ويعلم ان
الاخلاص فى أن تكون
صلاته فى الخلوة مثل صلاته
فى الملا ويستحى من نفسه
ومن ربه أن يتخشع
لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا
على عادته فيقبل على نفسه
فى الخلوة ويحسن صلاته على
الوجه الذى يرتضيه فى الملا
ويصلى فى الملا أيضا كذلك
فهذا أيضا من الرياء
الغامض لانه حسن صلاته
فى الخلوة لتحسن فى الملا فلا
يكون قد فرق بينهما
فالتفاته فى الخلوة والملا الى
الخلق بل الاخلاص أن
تكون مشاهدة البهائم
لصلاته ومشاهدة الخلق
على وتيرة واحدة فكان
نفس هذا ليست تسمح
باساءة الصلاة بين أظهر
الناس ثم يستحى من نفسه
أن يكون فى صورة المرائين
ويظن أن ذلك يزول بان
تستوى صلاته فى الخلا
والملا وهيهات بل زوال ذلك
بان لا يلتفت الى الخلق كما لا
يلتفت الى الجمادات فى الخلا والملا جميعا وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق فى الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد سببا
الخفية للشيطان * الدرجة الرابعة وهى أدق وأخفى أن ينظر اليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لاجلهم فانه قد
عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحى من أن ينظر الله الى قلبك وهو
غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله
لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما
يالفه فى الخلوة كما يالفه فى الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة

وعليك الوزران أسأت فاحسن عملك بين يديه فعسى يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض
من الاول) أى أدق فى المدرك (وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للاخلاص
فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرتضى لنفسه ذلك فى الخلوة ولا يمكن
أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس) والغرور (بل المقتدى به هو الذى استقام
فى نفسه) فى أعماله وأحواله (واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذه فمحض النفاق
والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه) لا محالة (وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ماليس
متصفا به الدرجة الثالثة وهى أدق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان)
وخداعه (ويعلم ان مخادعته بين الخلوة) بين الناس (والمشاهدة للغير) منهم (محض الرياء) أى خالصه
(ويعلم أيضا ان الاخلاص فى أن تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملا) من الناس (ويستحى من
نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته) المستمرة (فيقبل على نفسه فى الخلوة
ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملا ويصلى فى الملا أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض)
الخفى مدركه (لانه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن) صلاته (فى الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته فى
الخلوة والملا الى الخلق) وهذا بمعزل عن الاخلاص الكامل (بل الاخلاص) الكامل ان لا يلتفت اليهم
مطلقا ويكون وجودهم كعدمهم اذ لا قوام لهم بنفوسهم ويتحقق ان الموجود الثابت الحقيقى هو الله
الذى لا اله الا هو الحى القيوم الذى قامت ذاته بذاته وكل شئ سواه قائم به ومستند الى قدرته فان عجز عن
هذا الرفيع الذروة فالواجب فى حقه (أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة
واحدة) أى لا فرق بينهما (فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحى من
نفسه أن يكون فى صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوى صلاته فى الخلا والملا جميعا وهذا شخص
مشغول الهم بالخلق فى الخلا والملا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان) ولاجل هذا كان المخلصون على
خطر عظيم (الدرجة الرابعة هى أدق وأخفى أن ينظر اليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن أن
يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر فى عظمة الله وجلاله ومن أنت
واقف بين يديه واستح من أن ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه) وتنتفى عنه الخطرات
(وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص) اذ هو عبارة عن مراقبة القلب ونسيان الحظوظ وقد
حصل كل منهما (وهذا عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله) وعظمته (لكانت هذه
الخطرة تلازمه فى الخلوة) ومراقبة القلب فى وقت دون وقت لا يجدى نفعا ولا أن تدوم فى الاحوال كلها
ولكان يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه
فى الخلوة كما يألفه فى الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة

سببا فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن فى أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى فعل ذلك و يقول هذه سنة لا ينبغى أن تتركها و يكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف فى مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه و يتبين ذلك فى ميله الى أحد المسجدين أو أحد الموضعين اذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل لحقيقة الاخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف فى نفسه وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغر الغبى فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن

سببا) لذلك (فما دام يفرق فى أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص) وكأنه (مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء) بحسب قوة انصراف وجهة قلبه عن الله تعالى وضعفها (وهذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر) من حديث أبى بكر وعائشة وابن عباس وأبى هريرة بألفاظ مختلفة مع زيادات وقد تقدم فى كتاب العلم وكتاب ذم الجاه والرياء (ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره) وعظمت معرفته فى مكايده (وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فى كل حركة من الحركات حتى فى كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب) الحسنة (فان هذه سنن فى أوقات مخصوصة) وقد تقدم ذكر كل واحدة منها فى مواضعها (وللنفس فيها حظ خفى لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك و يقول هذه سنة لا ينبغى ان تتركها و يكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية) الكامنة فى النفس (أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص) الكامل (بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس بخالص) حقيقة (بل من يعتكف فى مسجد) من المساجد (معمور) بالناس (نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه و يكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفى فى سره هو الانس بصورة المسجد واستراحة الطبع اليه و يتبين ذلك فى ميله الى أحد المسجدين أو أحد الوصفين اذا كان أحسن من الآخر) وأخفى من ذلك أن يميل الى مسجد خرب بعيد عن الناس فيلقى فى نفسه انه أجمع لقلبك فى العبادة وفى باطنه الانفراد عن الناس وهو سبب الظهور فيكون عين ما هرب منه (وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمرى الغش الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان) أى مكره (وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل) وقد روى فى المرفوع نحوه روى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم رواه الشيرازى فى الالقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن على رفعه ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله وروى أبو نعيم من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط (وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى) الجلف (الى حمرة الدينار المموه) أى المسقى بماء الذهب (و) حسن (استدارته وهو) مع ذلك (مغشوش زائف فى نفسه) غير رائج (وقيراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر) بالكسر أى الجاهل (الغبى فهكذا يتفاوت أهل العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن

الكثير) فتسرى معرفته اليه لفطانته ويقيسه على القليل (والبليد) الجبلة والطبع (لا يغنيه لتطويل أيضا فلا فائدة فى التفصيل) فى حقه والله الموفق

(بيان حكم العمل المشوب واستحقاقه الثواب به)

وبيان اختلاف أقوال العلماء فيه (اعلم) هداك الله تعالى (ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف فى ان ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيأ أصلا فلا يكون له ولا عليه أما الذى لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب) كما دلت بذلك الاخبار التى تقدم ذكرها فى كتاب العلم ومنها حديث أبى هريرة الذى أوّله أوّل الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة وقد تقدم قريبا ومنها حديث ابن عمر من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله فليتبوّأ مقعده من النار رواه الترمذى والنسائى ومنها حديث أبى هريرة من تعلم علما يبتغى به غير وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها رواه أبو داود والحاكم وصححه ومنها حديث كعب بن مالك من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى وقال غريب ومنها حديث أبى هريرة ان فى جهنم واديا يقال له جب الحزن تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يسكنه القراء المراؤن بأعمالهم رواه الترمذى وقال غريب فهذه الاخبار انما تدل كلها على حبوط العمل وبطلانه لتمحضه للرياء وهذا لا اختلاف فيه بين العلماء وان كل ما كان بهذه المثابة فهو على المرء لا له ولا ينجو منه كفافا بل هو على خطر العقاب الا ان يتوب من ذلك توبة يقبلها الله منه ويعفو عنه بكرمه كرما وفضلا (وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب) كما دلت بذلك أيضا الاخبار التى تقدم ذكرها وهذا أيضا لا اختلاف فيه بين العلماء (وانما النظر فى العمل (المشوب) وهو ان يكون الباعث على طلب عمل من أعمال الطاعات مجموع القصدين قصد وجه الله تعالى والقصد الدنيوى وقد اختلف الائمة فيه فنهم من قال لا يقتضى هذا العمل ثوابا ولا عقابا ومنهم من قال يثاب على ما فيه من الاخلاص (وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له) أو انه مقتض للعقاب وان ما وقع فيه من الرياء أحبط العمل بالكلية وهذا القول اختاره الحرث المحاسبى وكثير من الائمة قالوا ان العمل لا يترتب عليه الثواب حتى يكون جميعه خالصا وحده من غير شوب غرض دنيوى وانه متى خالطه قصد غير التقرب الى الله أبطله وكان حكمه حكم مالو تمحض ذلك القصد الدنيوى وهذا هو الذى اختاره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى قال الصلاح العلائى وهو الذى تقتضيه الاحاديث الصحيحة (وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه) قال العراقى روى أبو داود من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنسائى من حديث أبى امامة باسناد حسن أرأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لا شئ له فأعادها ثلاث مرات يقول له لا شئ له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه وللترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبى هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال له أجران أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء اهـ قلت حديث أبى هريرة رواه أبو داود فقال حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع عن ابن المبارك عن ابن أبى ذئب عن القاسم عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن ابن مكرز رجل من أهل الشام عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أجر له فأعظم الناس ذلك وقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه فقال يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من اعراض الدنيا فقال لا أجر له فقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال لا أجر له واسناده حسن وأخرجه الحاكم وصححه وأما حديث أبى امامة

الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة فى التفصيل *(بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به)* اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس فى ان ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيأ أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذى لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر فى المشوب وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه

فقال النسائى حدثنى عيسى بن هلال الحمصى حدثنا محمد بن حميد حدثنا معاوية بن سلام عن عكرمة بن عمار عن شداد أبى عمار عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشئ له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشئ له ثم قال ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه واسناده صحيح وقد أخرجه الحاكم وصححه أيضا فهذان الخبران يبينان صحة ما ذهب اليه المحاسبى واختاره ابن عبد السلام وهما صريحان فى المدعى وأما ما يعارض ذلك فحديث أبى هريرة الذى تقدم فى ذم الجاه والرياء وأشار اليه العراقى وكذا حديث عبادة بن الصامت من غزا فى سبيل الله ولم ينو الا عقالا فله ما نواه رواه النسائى قال العراقى فى شرح التقريب فاتيانه بصيغة الحصر يقتضى انه اذا نوى مع القتال شيأ آخر كان له ما نواه اه وقال السمعانى فى أماليه قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرئ ما نوى فيه دلالة على ان الاعمال الخارجة عن العبادة قد تفيد الثواب اذا نوى بها فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما القوة على العبادة والطاعة والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة اه واختار المصنف رحمه الله تعالى التفصيل فى ذلك وقد أشار اليه بقوله (والذى ينقدح لنا فيه والعلم عند الله) تعالى (ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الدينى مساويا للباعث النفسى تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب) أى اذا تساوى القصدان وكانا على السواء يكون باطلا كما اذا كان الاخلاص منغمرا بالنسبة الى الآخر (نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجرد للرياء ولم تمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغى ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شئ من عقوبة القصد الفاسد) وحاصله ان الباعث القوى على هذا العمل ان كان ارادة وجه الله وحصل لك فى ضمنه فانه يثاب عليه ولا نظر الى ما عرض فيه من الحظ الدنيوى وان كان الشق الآخر هو الباعث القوى بحيث لو فات لم يعمله فانه يكون باطلا ولا اعتبار بما عرض فيه من الاخلاص المنغمر بالقصد الدنيوى وهذا التفصيل الذى ذكره هو أيضا اختيار الامام أبى العباس القرطبى وحكاه عن الجمهور (وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان فى القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضر) المزاج (ثم تناول من المفردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما) فهذا معنى تقاومهما (وان كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر) لا محالة (فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن تأثير فى انارة القلب أو تسويده وفى تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان

والذى ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الدينى مساويا للباعث النفسى تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب أغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغى ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شئ من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان فى القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن أثر فى الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير فى انارة القلب أو تسويده وفى تقريبه من الله أو ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان

فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلابد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن

يقال انما يثاب على اعمال
الحج عند انتهائه الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه
فهو خالص وانما المشترك
طول المسافة ولا ثواب فيه
مهما قصد التجارة ولكن
الصواب أن يقال مهما
كان الحج هو المحرك الاصلى
وكان غرض التجارة
كالمعين والتابع فلا ينفك
نفس السفر عن ثواب وما
عندى ان الغزاة لا يدركون
فى أنفسهم تفرقة بين غزو
الكفار فى جهة تكثر فيها
الغنائم وبين جهة لا غنيمة
فيها ويبعد أن يقال ادراك
هذه التفرقة يحبط بالكلية
ثواب جهادهم بل العدل
أن يقال اذا كان الباعث
الاصلى والمزعج القوى هو
اعلاء كلمة الله تعالى وانما
الرغبة فى الغنيمة على سبيل
التبعية فلا يحبط به الثواب
نعم لا يساوى ثوابه ثواب من
لا يلتفت قلبه الى الغنيمة
أصلا فان هذا الالتفات
نقصان لا محالة فان قلت
فالآيات والاخبار تدل على
ان شوب الرياء محبط للثواب
وفى معناه شوب طلب
الغنيمة والتجارة وسائر
الحظوظ فقد روى طاوس
وغيره من التابعين ان رجلا

سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى الرياء شرك وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن أشرك فى عمله خذ أجرك ممن عملت له

ابن

فلم يكن له ولا عليه فان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها) تقدم فى رياضة النفس وفى التوبة (فان كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلابد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا) التفصيل (اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس) وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وانها نزلت لما تحرجوا من التجارة فى الحج (نعم يمكن ان يقال انما يثاب) على أعمال الحج (عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلى وكان غرض التجارة كالمعين والسفر التابع فلا تنفك نفس السفر عن ثواب) قال الصلاح العلائى فى مقدمة الاربعين وقد يقال ان الآية محمولة على ما اذا عرضت التجارة فى موسم الحج من غير قصد لها بدليل الاحاديث السابقة ولو كان انشاء السفر للحج والتجارة جميعا فنقول انه لا يثاب على ذلك السفر كما دلت عليه الاحاديث وأما أفعال الحج من الاحرام وما بعده فاذا وقعت خالصة أثيب عليها ولا تنافيها التجارة فيكون هو الذى دلت عليه الآية قال واو يشهد لهذا التفصيل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان من خير معاش الناس الجهاد فجعل الجهاد مما يصح ان يتخذ للمعاش ومن ضرورة ذلك ان يكون مقصودا قال الصلاح لم أره هكذا مسندا وبتقدير صحته فانما سماه معاشا لما يعرض فيه غالبا من المغانم ولا يلزم من ذلك ان يكون مقصودا اهـ (وما عندى ان الغزاة لا يدركون فى أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار فى جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلى والمزعج القوى هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة فى الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوى ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة أصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفى معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ) وتقدم فى جملة افرادها تقديم أحد الجهادين على غيره طلبا للغنيمة (فقد روى طاوس) ابن كيسان اليمانى (وعدة من التابعين) كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن (ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا) رواه عبد الرزاق وابن أبى الدنيا فى الاخلاص وابن أبى حاتم والحاكم نحوه عن طاوس بلفظ قال رجل يا نبى الله انى أقف أبتغى وجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه شيأ حتى نزلت هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه الآية هكذا رواه مرسلا من رواية طاوس وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء ورواه الحاكم أيضا وصححه والبيهقى موصولا عن طاوس عن ابن عباس وروى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد قال قال رجل يا رسول الله أعتق وأتصدق وأحب ان يرى فنزلت وروى هناد فى الزهد بلفظ جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله وأحب ان يقال لى خير فنزلت (وروى معاذ) بن جبل رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى الرياء شرك) رواه الطبرانى والحاكم وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن أشرك فى عمله خذ أجرك ممن عملت له) قال العراقى تقدم فى ذم الجاه والرياء من حديث محمود بن لبيد بنحوه قلت وروى

و روى عن عبادة ان الله عز وجل يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشركة من عمل لى عملا فأشرك معى غيرى ودعت نصيبى لشريكى و روى أبو موسى ان اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وقال عمر رضى الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغى شيأ من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغى شيأ من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فطلق للتساوى وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغى ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة أبدا فى خطر فانه لا يدرى أى الامرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يرجى اللقاء مع الشركة التى أحسن أحوالها التساقط ويجوز ان يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص فى الغزو و بعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله أن يكون الامر كذلك فان هذا حرج فى الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان أمثال هذه

ابن سعد وأحمد والترمذى وابن ماجه والبيهقى من حديث أبى سعد بن فضالة الانصارى وكان من الصحابة اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك (و روى عن عبادة) بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشركة من عمل عملا فأشرك معى غيرى ودعت نصيبى لشريكى) قال العراقى رواه مالك فى الموطأ بلفظ فهو له كله قلت وروى نحوه من حديث الضحاك ابن قيس ان الله تعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معى شيأ فهو لشريكى رواه الدارقطنى وابن عساكر والضياء ورواه الخطيب فى المتفق والمفترق بزيادة يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له و يروى من حديث شداد بن أوس بلفظ ان الله عز وجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بى من أشرك بى شيأ فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به بى أنا عنه غنى رواه الطيالسى وأحمد وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية واسناده ضعيف وروى مسلم وابن خزيمة من حديث أبى هريرة بلفظ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فاشرك فيه غيرى فانا منه برىء وهو للذى أشرك (و روى أبو موسى) الاشعرى رضى الله عنه (ان اعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فى سبيل الله) فايهم فى سبيل الله (فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) رواه أحمد والستة وقد تقدم (وقال عمر رضى الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا) أى من الغنيمة (وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغى شيأ من الدنيا فهو له) رواه سعيد بن منصور وقال حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال من هاجر يبتغى شيأ فانما له ذلك هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس وقد تقدم وهذه الاخبار والآثار التى ساقها المصنف تصلح ان تكون حجة لما ذهب اليه المحاسبى واختاره العز بن عبد السلام وقد أشار المصنف الى الجواب عنها بقوله (فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه) أولا (بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغى شيأ من الدنيا وكان ذلك) أى قصد الرياء (هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشركة حيث ورد فطلق للتساوى) أى يساوى كل منهما الآخر من غير زيادة من أحد الجانبين (وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغى ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة أبدا فى خطر فانه لا يدرى أى الامرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يرجى اللقاء مع الشركة التى أحسن أحوالها التساقط ويجوز ان يقال منصب الشهادة) عزيز (لا ينال الا بالاخلاص فى الغزو و بعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو ولم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية) أصحاب أموال ومواش واثاث (والاخرى فقيرة) لا شئ لهم (فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة) وانه قد حبط عمله بالمرة (ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج فى الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان أمثال هذه

الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثير هذا فى نقصان الثواب فاما ان يكون فى احباطه فلا نعم الانسان فيه
على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله و يكون الاغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء
فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص (٦٤) والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ فى الاحتياط فلذلك ينبغى ان يكون أبدا بعد كمال
الاجتهاد مترددا بين الرد
والقبول خائفا ان تكون
فى عبادته آفة يكون وبالها
أكثر من ثوابها وهكذا
كان الخائفون من ذوى
البصائر وهكذا ينبغى ان
يكون كل ذى بصيرة ولذلك
قال سفيان رحمه الله لا أعتد
بما ظهر من عملى وقال عبد
العزيز بن أبى داود جاورت
هذا البيت ستين سنة وحججت
ستين حجة فادخلت فى شئ
من أعمال الله تعالى الا
وحاسبت نفسى فوجدت
نصيب الشيطان أوفى من
نصيب الله ليته لالى ولا على
ومع هذا فلا ينبغى أن يترك
العمل عند خوف الآفة
والرياء فان ذلك منتهى
بغية الشيطان منه اذ المقصود
أن لا يفوت الاخلاص
ومهما ترك العمل فقد
ضيع العمل والاخلاص
جميعا وقد حكى أن بعض
الفقراء كان يخدم أبا سعيد
الخراز ويخف فى أعماله
فتكلم أبو سعيد فى الاخلاص
يوما يريد اخلاص الحركات
فأخذ الفقير يتفقد قلبه
عند كل حركة ويطالبه
بالاخلاص فتعذر عليه
قضاء الحوائج واستضر
الشيخ بذلك فسأله عن
أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد لا تفعل
اذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل وقد قال
الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الشوائب التابعة قد لا ينفك الانسان عنها الا على الندور) والقلة (فيكون تأثير هذا فى نقصان الثواب فاما ان يكون فى احباطه فلا) هذا آخر ما يتعلق بالتفصيل الذى ذهب اليه وهو أمر بين أمرين فان المحاسبى ومن تبعه اختاروا الاشد والاشق ومن قال انه يثاب مطلقا ولا تأثير فيه للرياء فقد اختار الاخف (نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله تعالى ويكون الاغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ فى الاحتياط فلذلك ينبغى ان يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد) فى كل عمل من أعماله (مترددا بين الرد والقبول خائفا) وجلا (ان تكون فى عبادته آفة) ما شعر بها (يكون وبالها أكثر من ثوابها) ويعتقد بذلك انه متقرب وهو متباعد فعسى ان يكون خوفه واشفاقه كفارة للآفة الداخلة عليه و يرجو من فضل الله وسعة جوده ان لا يؤاخذه بما خرج عن علمه بعد جده واجتهاده (وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغى ان يكون كل ذى بصيرة) كمن أدرج فى رحله ماء ثم صلى بعد جهده وامعانه فى الطلب ثم بان له بعد ذلك انه كان فى رحله ماء فقد قطع الفقهاء بان لا قضاء عليه فى هذه الصورة وهذا القياس لا يصح الا فى رتبة المعاونة والموافقة وأما رتبة المشاركة فلا يصح لان الماء له بدل والاخلاص لا بدل له بل يجب فى رتبة المشاركة فى الرياء المجرد عن الاخلاص التوبة وقضاء ما يجب قضاؤه من صلاة وزكاة وصوم وكذلك لا يفارقك الخوف والرجاء لجبران الآفات المنقصة لكمال الاخلاص الى ان ينتهى الى حالة لا يصح فيها الخوف والرجاء فحينئذ يا سعادة المقربين (ولذلك قال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (لا اعتد بما ظهر من عملى) نقله صاحب القوت (وقال عبد العزيز بن أبى داود) روى له البخارى تعليقا والاربعة مات سنة تسع وخمسين ومائة (جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فادخلت فى شئ من أعمال الله الا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا على) نقله صاحب القوت (ومع هذا فلا ينبغى أن يترك العمل عند خوف الآفة) أى خشية دخولها فيه (فان ذلك منتهى بغية) عدوه (الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا) وترك العمل فى هذه الصورة جهل كما ان ترك العمل عند دخول العلة عليه وهن (وقد حكى ان بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (ويخف) بين يديه (فى أعماله) وحوائجه ويخدم أصحابه ويسارع فى قضاء حوائجهم (فتكلم أبو سعيد يوما فى اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج) مما كان يعمله لابى سعيد وأصحابه من الخفة والمسارعة وتركه (واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره) وقال له يا بنى قد كنت تسعى فى حوائج اخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب (فاخبره الفقير) (بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها فى أكثر أعماله فيتركها) أى خشية أن تكون أعماله مدخولة (فقال) له (أبو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة) ولا ينبغى للعامل ان يترك العمل لاجل الاخلاص فيفوته الاخلاص والعمل (فواظب على العمل واجتهد فى تحصيل الاخلاص فما قلت لك أترك العمل وانما قلت لك أخلص العمل) فان طلبك للاخلاص قد قطعك عمل البر وقد أضر ذلك بنا فارجع الى ما كنت فيه واخلص فيه لله تعالى نقله صاحب القوت (وقد قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك) نقله القشيرى وقد تقدم قريبا بسنده

بسنده ولنختم هذا الباب بذكر ما يتعلق بالاخلاص قال القشيرى فى الرسالة قال سهل لا يعرف الرياء الا مخلص وقال حذيفة المرعشى الاخلاص أن تستوى أفعال العبيد فى الظاهر والباطن وقال السرى من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال أدخل لا يبلغ أحد حقيقة الايمان وعلى وجه الارض شئ يخافه ثم قال هل لك فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدى فما كان الا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل وقال أحمد بن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول اذا اخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والرياء اهـ وقال صاحب القوت سميت سورة قل هو الله أحد سورة الاخلاص لانها خالصة فى ذكر صفات الله تعالى وحده لا يختلط بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولذلك قيل سورة التوحيد اذ لا شريك فيما سواه قال ومن ألهمه الله اخلاص النية وزاده معرفة الاخلاص أخرجه ذلك الى الهرب من الناس ليخلص له معاملته لانه ينظر بعين اليقين واذ ليس ينفعه شئ الا شئ بينه وبين الله عز وجل لا شريك له فيه لسواه وهذا المعنى هو الذى أخرج طائفة من الابدال الى الكهوف تخليا من ابناء الدنيا لخلاص أعمالهم من النظر اليهم فهم وان فارقوا فضائل الاعمال من صلاة الجماعة وغيرها فقد تقرر عندهم ان اجتناب معصية واحدة عندهم أفضل من ذلك والجاهل بالله تعالى يعمل من طلب الفضائل ولا يبالى بيسير الذنوب وفيها بعد عن الله عز وجل وليس ذلك طريق المقربين وقال بعضهم انما بعد القلب من الله تعالى مظاهرة أعمال الجوارح بغير مواطأة من القلب بصحة القصد يعنى بذلك نقص الاخلاص بها الا جل الله تعالى قال وأصح الاعمال وأخلصها ما كان الله تعالى هو الاول فى أولها ومع العامل فى أوسطها وللعبد عنده فيها والله هو الآخر عند آخرها ثم لا يظهرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يطالع عوضا عنها من الكبير الاكبر بل ينساها ويشتغل بذكر مولاه عنها قال ومن المناقص المشبهة للفضائل الملتبسة على الافاضل الشهرة بفضلها وروغة العموم للدخول فيها والصبر عليها وهى منكشفة للعلماء بالله عز وجل ما روى ان رجلين تواخيا فى الله عز وجل بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فترهب أحدهما واسمه سرجس ولزم أخوه الآخر الجماعة والمساجد ومخالطة الناس وكان أعلم منه بالله عز وجل وكان يلقى أخاه سرجس فيقول يا أخى ان هذا الامر الذى دخلت فيه بدعة وان عليك فيه رعاية لا تقوم بحقها وانه ليس لله فيها رضا فلو دخلت معى فى الجماعة والالفة كان ذلك لله عز وجل رضا وأصبت السنة وكان المترهب يعرض عنه ولا يعبأ برأيه و يقول له انك قد ركنت الى الدنيا وأنست بالخلق فلما أعياه قال له فاجعل فطرك عندى الليلة حتى يتبين لك ففعل فقدم اليه فرخين شواهما وقال له تعال حتى نجعل هذين الفرخين قاضيين بيننا فأينا كان على الحق ظهر أمره قال وكيف يقضيان بيننا قال حتى يدعو الله كل واحد منا فمن كانت سيرته وهديه أحب الى الله تعالى يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا حيين قال نعم فادع فدعا الراهب فقال اللهم ان كان هذا الامر الذى دخلت فيه أريد به رضاك أقرب الى الحق مما يدعونى اليه أخى هذا فابعث هذين الفرخين لى قال فلم يجب فقال الآخر اللهم ان كان هذا الامر الذى تمسكت به وخالفت فيه هذا وأصحابه أقرب الى الحق وأرضاه عندك مما يدعونى اليه أخى من الاعتزال والفرقة للجماعة فابعث لى هذين الفرخين قال فصارا حيين وطارا باذن الله تعالى فعلم الآخر أن ذلك ليس فيه لله رضا فرجع الى الجماعة والمساجد قال ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله فى مقامه طلبا للفضيلة ليزداد بها قربة الى الله فيتغلب عليه ويهلك ما أدخل على برصيصا العابد فى تعليم الاسم الاعظم وقصته مشهورة فالعالم عند العلماء فى علم خير من الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلى به وعلم شر الشرين فامعن فى

الهرب منه وهذا من دقائق العلوم وقال منصور المداراة على العمل حتى يخلص أشد من العمل وقال عبد العزيز بن أبي رواد أدركتهم فى العمل الصالح فاذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا وقال مالك بن دينار الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال البناجى للعمل اربع خصال لا يتم الا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والاخلاص به والعمل على السنة فاى عمل كان قبل هذه الاربع لم ينفع وقال عبد الرحمن بن شريح من قام الى شئ من الخير لا يريد به الا الله عز وجل ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالاصل ووضع عنه الفرع ومن قام الى شئ من الخير لا يريد به الا المراياة ثم ذكر وبدا له فجعل آخر ذلك لله عز وجل أعطاه الله الفرع ووضع عنه الاصل كانه حسب له ذلك توبة والتوبة مكفرة لما سلف قال وقد تلتبس الفضائل بالمناقص لدقة معانيها او خفى علومها كصلاة العبد النفل وهو يحسب انه الاوجب ومن ذلك ان رجلا كان يصلى فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدى الله تعالى بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجيبنى حين دعوتك فقال كنت أصلى فقال ألم تسمع الله يقول استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان اجابته النبى صلى الله عليه وسلم أفضل له لان صلاته نافلة له واجابته للرسول فرض عليه وقال بعضهم من كان طلب الفضائل أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به فافضل شئ للعبد معرفته لنفسه ثم وقوفه على حده ثم احكامه لحاله التى أقيم فيها ثم قيامه بعلامه الذى فتح له فيبتدئ بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى عنه مبلغ علمه ووسع وجده ولا يشتغل بطلب فضل حتى يحكم عمل فرض لان الفضل ربح لا يصح الا بعد رأس المال ولكل فضل آفة قاطعة فمن سلم منها حاز فضله ولكل أمر نفيس مؤنة ثقيلة فمن تحملها أدرك نفيسها ومن تعذرت عليه السلامة فهيهات هيهات ان يصل الى أفضل كرامة ومن لم يصبر على تحمل غرامة لم يدرك علو مقامه وقد يلتبس التكلف بالاخلاص واظهار العلم بظهور التزين به قال الثورى زين نفسك بالعلم ولا تزين به أى أدبها الله تعالى لتكون زينا فى أوليائه ولا تتزين به عند الناس ليمدحوك عليه وقد يلتبس الاختبار بالاختيار فالاختيار ما كان عن حاجته وتطرقت به الى الله عز وجل والاختبار ما زاد فى الشهوة وكان سلما لك الى الخلق كالباس ستر العورة من الثياب بالفاخر منها للنعمة والتكثر من الاسباب وقد يتطوع العبد بعمل يضيع به فرضا واحكام الفرض لحوز السلامة هو الفضل وقد روى اذا دعى أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صائما فليقل انى صائم فامره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر فى قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك فى قلب أخيه لتفضيل العمال على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل فانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره فى العمل الواحد فدل ان المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير لك من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا ينافى بقلبه منك وتعرفه شق ذلك عليه ان كان صادقا فى دعائك انتهى سياق القوت قال السيوطى قال القرطبى فى قوله صلى الله عليه وسلم وانما لامرئ ما نوى بعد قوله انما الاعمال بالنيات تحقيق لاشتراط النية والاخلاص فى الاعمال قال العراقى فجعله للتأكيد ولا شك ان التأسيس أولى منه وقال الزركشى قدره العز بن عبد السلام وانما يحصل لكل امرئ ثواب العمل الذى نواه قال وبهذا التقدير تكون الجملة الاولى لبيان ما يترتب عليهما من الثواب فى الدار الآخرة وقال الطيبى فهم من الاولى ان الاعمال لا تكون محسوبة ومسقطة الا اذا كانت مقرونة بالنيات ومن الثانية ان النيات انما تكون مقبولة اذا كانت مقرونة بالاخلاص فالاول قصر المسند اليه والثانى عكسه وقال العماد الاسنوى فى كتابه حياة القلوب الفرق بين النية والاخلاص هو أن النية تتعلق بفعل العبادة وأما اخلاص النية فى العبادة فيتعلق باضافة العبادة الى الله تعالى ويكفيه

فى اخلاص العبادة ان يتقدم عنه انه مهما فعله من العبادة انما يفعله لله خالصا فيجزيه هذا الاخلاص الحكمى من أول العمل الى آخره والاولى ان يأتى فى أول كل فعل بنية الاخلاص فيه كما يأتى بذلك فى نية العبادة مثل الصلاة وتشييع الجنازة والاخلاص الحكمى والحقيقى مشروط فيه عدم طرو ما يناقضه كما فى نية العبادة وأخرج ابن أبى الدنيا فى الاخلاص والدينورى فى المجالسة عن عمر رضى الله عنه قال من خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وأخرج البيهقى فى الشعب عن يونس بن عبد الاعلى قال قال الشافعى يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على ان ترضى الناس كلهم فلا سبيل لك فاذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله تعالى وأخرج عن سهل بن عبد الله قال اطلبوا من السر النية بالاخلاص ومن العلانية الفعل بالاقتداء وغير ذلك مغاليط وقال ابن عطاء الله فى كتابه الحكم لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكوّن وان الى ربك المنتهى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله صلى الله عليه وسلم الى ما هاجر اليه وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم تفهم والسلام قال شارحه ابن عباد العمل على طلب الدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات نقصان فى الحال وشوب فى اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس فى أن تحصل لها رتبة وان تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها أغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحى مبالغة فى تقبيح حال العاملين فى رؤية الاغيار وتلطفه فى دعائهم الى حسن الادب بين يدى الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وان الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أى حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن على مشاهدة التوحيد الخاص قال وفى هذا الحديث النبوى تنبيه على المعنى الذى ذكره وموضع الاعتبار والتأويل والله أعلم قوله فى القسم الثانى من الحديث فهجرته الى ما هاجر اليه أى ولا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر الى الله تعالى ورسوله وهذا من باب حصر المبتدأ فى الخبر كما تقول زيد صديقى أى لا صديق له غيرى وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالقسم الثانى بالدنيا التى يريد أن يصيبها والمرأة التى يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى ما هاجر اليه وهو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذى نهى عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالى الهمة والنيات حتى لا يكون التفاته الى غير المكوّن البتة والله أعلم

(الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته)

و يضاف اليه الانفصال والاتصال والتحقيق والتفريد لانهن من علاماته *(فضيلة الصدق)* من الآيات والاخبار فمن ذلك (قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فأثنى عليهم بالصدق ووصفهم به ولولا أنه من فضائل الاعمال ما وصفهم بذلك وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر) أى يوصل صاحبه اليه والبر بالكسر اسم يجمع الخير كله وقيل هو التوسع فى الخير وقيل اكتساب الحسنات واجتناب السيئات (و) ان (البر يهدى الى الجنة) يعنى ان الصدق الذى هو بر يدعو الى ما يكون برا مثله وذلك يدعو الى دخول الجنة فهو سبب لدخولها ومصداقه قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم (وان الرجل) ذكر الرجل وصف طردى والمراد الانسان المؤمن (ليصدق) أى يلازم الصدق (حتى يكتب عند الله صديقا) أى يتكرر منه الصدق ويدوم

(الباب الثالث فى الصدق وفضيلته وحقيقته)
(فضيلة الصدق)
قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا

عليه قولا وفعلا واعتقادا حتى يستحق اسم المبالغة فيه ويشتهر بذلك عند الملأ الاعلى فالمراد بالكتابة الكتابة فى اللوح أو فى صحف الملائكة (وان الكذب) الذى هو مقابل الصدق (يهدى) أى يوصل (الى الفجور) الذى هو شق ستر الديانة والميل الى الفساد والانبعاث فى المعاصى وهو اسم جامع لكل شر (وان الفجور يهدى الى النار) أى الى ما يكون سببا لدخولها وذلك داع لدخولها (وان الرجل ليكذب) أى يكثر الكذب (حتى يكتب عند الله كذابا) أى يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم فى الاول والكذابين وعقابهم فى الثانى فالمراد اظهاره لخلقه بالكتابة فيما ذكر ليشتهر فى الملأ الاعلى ويلقى فى قلوب أهل الارض ويوضع على ألسنتهم كما يوضع القبول والبغضاء فى الارض ذكره العلائى وغيره وتبعهم الحافظ فى الفتح وقال بعضهم المضارعان وهما يصدق ويكذب للاستمرار ومن ثم كان الكذب أشد الاشياء ضررا والصدق أشدها نفعا ولهذا علت رتبته على رتبة الايمان لانه ايمان وزيادة وقال النووى فيه حث على تحرى الصدق والاعتناء به وتحذير من الكذب والتساهل فيه فانه اذا تساهل فيه أكثر منه وعرف به وقال الراغب الصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا لما صح نظامه وبقاؤه وهو أصل المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى ولولاه لبطلت أحكام الشرائع والاتصاف بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان بالنطق ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه واذا لم يعتمد لم ينتفع واذا لم ينتفع صار هو والبهيمة سواء بل يكون شرا من البهيمة فانها وان لم ينتفع بلسانها لا تضر والكاذب يضر ولا ينفع اهـ والحديث قد تقدم انه اتفق عليه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك فوهم وقال ابن أبى الدنيا فى الصمت حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقد روى ذلك من حديثه بلفظ آخر عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه كذلك أحمد والبخارى فى الادب المفرد ومسلم والترمذى وابن حبان وقال أبو داود والطيالسى فى مسنده حدثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ورواه القشيرى فى الرسالة من طريقه وقد روى نحو ذلك من قول ابن مسعود قال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة أخبرنى عمرو بن مرة سمعت مرة الهمدانى قال كان عبد الله يقول عليكم بالصدق فانه يهدى الى الجنة وما يزال العبد يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ويثبت البر فى قلبه فلا يكون للفجور موضع ابرة يستقر فيه وفى الباب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه رفعه عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وسلوا الله اليقين والمعافاة الحديث هكذا رواه الطيالسى وأحمد والحميدى والبخارى فى الادب المفرد والنسائى وابن ماجه وأبو يعلى والشاشى والدارقطنى فى الافراد وابن حبان والحاكم والبيهقى والضياء وقال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن يزيد بن حميد سمعت سليم بن عامر يحدث عن واسط بن اسمعيل انه سمع أبا بكر يخطب بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أول مقامى هذا ثم بكى أبو بكر ثم قال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة واياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وهكذا رواه مختصرا وقد رواه الطبرانى مثله من حديث معاوية وروى الخطيب وابن النجار من حديث أبى بكر بلفظ فانه باب من أبواب الجنة وباب من أبواب النار والباقى سواء (ويكفى فى فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه) قال القشيرى الصادق الاسم

وان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفى فى فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه

والله تعالى وصف الانبياء به فى معرض المدح والثناء فقال واذ كر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذ كر فى

الكتاب اسمعيل انه كان
صادق الوعد وكان رسولا
نبيا وقال تعالى واذ كر فى
الكتاب ادريس انه كان
صديقا نبيا وقال ابن عباس
أربع من كن فيه فقد
ربح الصدق والحياء
وحسن الخلق والشكر
وقال بشر بن الحرث من
عامل الله بالصدق استوحش
من الناس وقال أبو عبد
الله الرملى رأيت منصورا
الدينورى فى المنام فقلت
له مافعل الله بك قال غفر
لى ورحمنى وأعطانى مالم
أؤمل فقلت له أحسن ما
توجه العبد به الى الله ماذا
قال الصدق وأقبح ماتوجه
به الكذب وقال أبو سليمان
اجعل الصدق مطيتك
والحق سيفك والله تعالى غاية
طلبتك وقال رجل لحكيم ما
رأيت صادقا فقال له لو كنت
صادقا لعرفت الصادقين
وعن محمد بن على الكتانى
قال وجدنا دين الله تعالى
مبنيا على ثلاثة أركان على
الحق والصدق والعدل
فالحق على الجوارح
والعدل على القلوب والصدق
على العقول وقال الثورى
فى قوله تعالى و يوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة قال هم
الذين ادعوا المحبة لله تعالى
ولم يكونوا صادقين

اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو كثير الصدق الذى الصدق غالبه كالسكير والخير و بابه ا ه
أى ان الصادق مشتق من الصدق فهو اسم لمن قام به الصدق والصديق اسم دال على المبالغة مشتق من
الصدق أيضا و باب فعيل للمبالغة (و) من فضائل الصدق ان (الله تعالى) سمى نفسه به بقوله وانا
لصادقون و (وصف) به (الانبياء) عليهم السلام (فى معرض المدح والثناء فقال واذ كر فى الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذ كر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا) وأوجب على عباده
التخلق باوصافه واخلاق أنبيائه بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فلما امتثلوا
قوله وأجابوه جعلهم مع درجة الانبياء بقوله تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
فبالصدق يتحقق جميع المقامات والاحوال لانه زينتها وكمالها حتى الاخلاص مع شرفه وعلو قدره يفتقر
الى الصدق والصدق لا يفتقر الى شئ لانه وجود فى نفسه كما سيأتى بيانه (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما
(أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) وقد روى نحوه مرفوعا من حديثه
بلفظ أربع اذا كن فيك فما عليك مافاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق وعفة
مطعم رواه كذلك ابن عدى وابن عساكر ورواه أحمد والحكيم والطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث
ابن عمر و روى ذلك أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة فى
طعمة رواه كذلك أحمد والطبرانى والخرائطى فى مكارم الاخلاق والبيهقى وفى سنده ابن لهيعة و باقى رجال
أحمد رجال الصحيح (وقال بشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (من عامل الله بالصدق استوحش
من الناس) ليخلص له فى معاملته لانه ينظر بعين اليقين وهذا المعنى هو الذى أخرج طائفة من الصادقين
الى الكهوف والمغار تخليا من أبناء الدنيا لصدق معاملتهم مع الله (وقال أبو عبد الله الرملى) منسوب
الى الرملة من كور فلسطين (قال رأيت منصورا الدينورى فى المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لى
ورحمنى وأعطانى مالم آمل) أى مالم أكن أرجوه (فقلت أحسن ماتوجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال
الصدق وأقبح ماتوجه به الكذب وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (اجعل الصدق مطيتك)
أى لانه يهدى الى اللقاء (والوقت سيفك) تقطع به مايعوقك عن الوصول (والله تعالى غاية طلبتك)
أى فلا تلاحظ فى سائر الاحوال الاوجه الله تعالى (وقال رجل لحكيم مارأيت صادقا فقال له لو كنت
صادقا) أى لو تحققت بهذا الوصف (لعرفت الصادقين وعن) أبى بكر (محمد بن على) بن جعفر (الكتانى)
الصوفى المكى حكى عن أبى سعيد الخراز وتوفى سنة ٣٢٢ (قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة أركان
على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح) بان يكون استعمالها فى الطاعة على صريح الحق مما
يطابق السنة (والعدل على القلوب) بان تستوى فى المعرفة على سبيل الاعتدال (والصدق على العقول)
بان تصدق فى الملاحظ فلا تخالف السريرة العلانية (وقال النورى) هو أبو الحسين البغدادى وهو بضم
النون منسوب الى نور الوعظ وتقدم ذكره مرارا وفى بعض النسخ الثورى بالمثلثة فيكون المراد به سفيان
(فى قوله تعالى و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله
ولم يكونوا صادقين) فى دعواهم (وأوحى الله الى داود عليه السلام يا داود من صدقنى فى سريرته) أى
عاملنى فى باطنه معاملة صدق (صدقته عند المخلوقين) فى علانيته نقله القشيرى وله شاهد فى الخبر من
أسر سريرة ألبسه الله رداءها والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والاخلاص ان تجرى حركاته
وسكناته على حسب ما فى قلبه فيظهر الصدق فى أقواله وأحواله وأفعاله (و) يحكى انه (صاح رجل فى مجلس أبى
بكر الشبلى) رحمه الله تعالى لحال غلب عليه فلم يطقه فصرخ (ورمى نفسه فى دجلة) حيث كان فى محل
مشرف عليه (فقال الشبلى) رحمه الله تعالى (ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه) من الغرق (كما نجى

وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته وصاح رجل فى مجلس الشبلى ورمى
نفسه فى دجلة فقال الشبلى ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما نجى

موسى عليه السـلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت
ففيها النجاة ولا يتم بعضـها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصـدق لله تعالى فى الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه
وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها * لا كنز أنفع
من العـلم ولا مال أربح من
الحلم ولا حسب أوضع من
الغضب ولا قرين أزين من
العمل ولا رفيق أشين من
الجهـل ولا شرف أعز من
التقوى ولا كرم أوفى من
ترك الهوى ولا عمل أفضل
من الفكر ولا حسنة أعلى
من الصبر ولا سيئة أخزى من
الكبر ولا دواء ألين من الرفق
ولا داء أوجـع من الخرق ولا
رسول أعدل من الحق ولا
دليل أنصح من الصدق ولا
فقر أذل من الطمع ولا غنى
أشـقى من الجمع ولا حياة
أطيب من الصحة ولا معيشة
أهنأ من العـفة ولا عبادة
أحسـن من الخشوع ولا
زهد خير من القنوع ولا
حارس احفظ من الصمت
ولا غائب أقرب من الموت
وقال محمد بن سعيد المروزى
اذا طلبت الله بالصدق آتاك
الله تعالى مرآة بيدك حتى
تبصر كل شئ من عجائب
الدنيا والآخرة وقال أبو
بكر الوراق احفظ الصدق
فيما بينك وبين الله تعالى
والرفق فيما بينـك وبين
الخلق وقيـل لذى النون
هل للعبد الى صلاح أموره
سبيل فقال
قد بقينا من الذنوب حيارى
* نطلب الصدق ما ليه سبيل فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما أصل
هـذا الامر الذى نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق

موسى عليه السـلام) حين شق البحر هو ومن معه ولم يبتلوا معجزة له (وان كان كاذبا) فى وجده (فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون) وهذا هو الصدق فى الاحوال (وقال بعضهم اجمع الفقهاء) يعنى أهل الفقه الظاهر (والعلماء) يعنى أهل المعرفة بالله (على ثلاث خصال انها اذا صحت) أى تمت مجموعة فى انسان (ففيها النجاة) من الهلاك (ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام) أى الانقياد لاوامر الله تعالى (الخالص عن) شوب (البدعة والهوى) فى الاعتقاد (والصـدق لله تعالى فى الاعمال) أى الدخول فيها بحسن الاخلاص والاستمرار على ذلك (وطيب المطعم) بان يكون حلالا من وجه لا شبهة فيه (وقال وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى (وجدت على حاشية التوراة) أى غلافها (اثنين وعشرين حرفا) أى كلمة (كان صلحاء بنى اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها) وهى هذه (لا كنز أنفع من العلم) فان العلم يزكو بالانفاق والكنوز الى نفاد (ولا مال أربح من الحلم ولا حسب أوضع من الغضب ولا قرين أزين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفر من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسـنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق) بالضم وهو قلة العقل (ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع) أى من جمع المال (ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خـير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت) أى قلة الكلام (ولا غائب أقرب من الموت) والمقصود من هذا السياق هو قوله لا دليل أنصح من الصدق فان الصدق يتوصل به الى سائر الخيرات وهو مفتاح باب الحسنات وبه تكمل سائر المقامات فهو نعم الدليل الناصح وقد روى ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من مرسل يحيى بن أبى كثير الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى (وقال محمد بن سعيد المروزى) رحمه الله تعالى (اذا طلبت الله بالصدق أفادك الله مرآة بيدك حتى تبصر) بها (كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة) وهو اشارة الى ان الصدق مع الله فى المعاملة يورث تنوير القلب عن الكدورات فتتجلى فيه الاشياء بحقائقها وهو لا يلتفت اليها ومصداقه قول الله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى نورا تفرقون به بين الحق والباطل ولفظ القشيرى أعطاك مرآة تبصر فيها ولم يعزه لمحمد ابن سعيد (وقال أبو بكر الوراق) رحمه الله تعالى له ذكر فى الرسالة فى باب الحياء (احفظ الصـدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق) فكلاهما أصلان أصيلان فى الوصول الى الله تعالى (وقيل لذى النون) المصرى رحمه الله تعالى (هل للعبد الى صلاح أموره سبيل فقال) منشدا

(قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الصدق ماليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل)

يشير الى انه لا سبيل للعبد الى صلاح أموره الا بالصدق مع الله تعالى ولا يتم ذلك الا بمخالفة النفس والهوى ومخالفة الهوى ثقيلة على النفس فلا يحصل الصدق مع وجود الهوى (وقيل لسهل) التسترى رحمه الله تعالى (ما أصل هذا الامر الذى نحن عليه) أى السلوك فى طريق الله (فقال الصدق والسخاء والشجاعة) أى فهـذه الثلاثة أصول الطريق وبينها تلازم فى الغالب (فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء) والمراد به العفة فى الطعم وقد تقـدم فى حديث ابن عباس قريبا (وعن ابن عباس) رضى الله عنهـما (أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال) ماهو (فقال قول الحق والعمل بالصدق) قال العراقى لم

اجده

أجده بهذا اللفظ (وعن الجنيد) قدس سره (فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر) قال القشيرى فى الرسالة الصدق عماد الامر وبه تمامه وفيه نظامه وهو ثانى درجة النبوة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الصادق ينقلب فى اليوم أربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة قلت معناه الصادق يدور مع الدليل حيث دار و يتقلب فى أحواله ومعاملاته على ما يقتضيه الدليل مما هو الافضل فى حقه والمرائى يستحسن حاله و يظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل فى الحقيقة فى ابعاده من الله تعالى ثم قال وقال أبو سليمان الدارانى لو أراد الصادق ان يصف ما فى قلبه ما نطق به لسانه أى لعجزه عن نطقه به لعسر العبارة والصدق فى المعاملة يورث القلوب مواهب تعجز عنها العبارات ثم قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول الصادق لا تراه الا فى فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه وقيل ثلاث لا يخطئن الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شئ الا قطعه وقال سهل أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وقال يوسف بن اسباط لان أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب الى من ان أضرب بسيفى فى سبيل الله وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق وقيل عليك بالصدق حيث تخاف انه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقيل كل شئ شئ ومصادقة الكذاب لا شئ انتهى سياق الرسالة وفى كتاب الصمت لابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن منيع حدثنا مروان بن معاوية عن مجمع بن عيسى عن منصور بن المعتمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا الصدق وان رأيتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاة وأخرج فيه من طريق مكحول عن أبى هريرة رفعه لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يؤثر الصدق وحتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وقال حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران سمعت اسمعيل بن عبيد الله المخزومى قال أمرنى عبد الملك بن مروان ان أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن وأخرج من طريق محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن جده قال زين الحديث الصدق ومن طريق عمارة بن أبى حفصة سمع أبا مجلز يقول قال رجل لقومه عليكم بالصدق فانه نجاة وقال يحيى بن سعيد الآمدى أنشدنى ابن خربوذ للفضل بن عباس المهلبى

* انا أناس من سجيتنا * صدق الحديث ورأى ناحتم

لبسوا الحياء فان نظرت حسبتهم * سقموا ولم يمسهم سقم

شر الاخاء اخاء مزدرد * مزج الاخاء اخاؤه وهم

زعم ابن عمى ان حلمى ضرنى * ما ضر قبلى أهله الحلم

وأخرج من طريق عدى بن ثابت قال قال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا اذا اختبرنا كم أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ومن طريق الشعبى انه كان يتمثل و يقول

أنت الفتى كل الفتى * ان كنت تصدق ما تقول

لا خير فى كذب الجوا * د وحبذا صدق البخيل

ومن طريق جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان لفظ الصدق) قد تسمى به الله تبارك وتعالى بقوله وانا الصادقون وهو وصف ذاتى له تعالى راجع الى معنى كلامه فالصدق ما تضمنه كلامه من شهادته لنفسه بالوحدانية و بجميع

وعن الجنيد فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عندربهم وهذا أمر على خطر *(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه)* اعلم ان لفظ الصدق

وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة فى الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ فى الصدق فى شئ من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه

(الصدق الاول)

صدق اللسان وذلك لا يكون الا فى الاخبار أو فيما يتضمن الاخبار و ينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضى أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هى عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان أحدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل فى المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشئ على خلاف ما هو عليه فى نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة فى بعض الاحوال وفى تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجراهم وفى الحذر عن الظلمة وفى قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطر الى شئ من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به و يقتضيه الدين فاذا نطق

ما أثنى على نفسه و بان لا فاعل حقيقة الا هو فاما حقيقته فى العباد فهو استواء السريرة والعلانية والظاهر والباطن وهو (يستعمل فى ستة معان صدق فى القول وصدق فى النية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك) من أقواله وأفعاله وأحواله (فهو صديق لانه مبالغة من الصدق) كما هو مقتضى باب فعيل (ثم هو أيضا على درجات) ومراتب (ومن كان له حظ فى شئ من الجملة) المذكورة من الاقوال والافعال والاحوال (فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه) والغالب اطلاقه على المتصف به فى الاقوال كما يلوح اليه كلام القشيرى وهذا هو الاصل ومقابله (الصدق الاول صدق اللسان) وصدق القول (وذلك لا يكون) بالقصد الاول منه (الا فى الاخبار) دون غيرها من أصناف الكلام (أو فيما يتضمن الاخبار و ينبه عليه) أى بالعرض لا بالقصد الاول فقد يدخل فى أنواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان قول القائل أزيد فى الدار فى ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا قال واسنى فى ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذنى فى ضمنه انه يؤذيه (والخبر اما ان يتعلق بالماضى أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها) وهو واجب لغيره لا لذاته لان المقصود منه الدلالة على الحق حيث كان ولذلك استثنى الشرع منه المعاريض والاصلاح بين العباد و رضا قلوب الزوجات وارهاب الاعداء فى الجهاد والمعاريض من ذلك مباحة والاصلاح وما ضاهيه مستحب وانكار الودائع ممن يغصبها واجب (فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هى عليه فهو صادق) وهذا الوصف لازمه (ولهذا الصدق كمالان الاحتراز عن) صريح اللفظ وعن (المعاريض) ان وجد الى ذلك سبيلا (فقد قيل فى المعاريض مندوحة عن الكذب) روى ذلك عن عمران بن الحصين رضى الله عنهما مرفوعا وموقوفا والموقوف أصح رواه البخارى فى الادب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال صحبت عمران بن حصين من الكوفة الى البصرة فما أتى عليه يوم الا أنشد فيه شعرا وقال فى معاريض الكلام مندوحة عن الكذب ورواه ابن جرير الطبرى فى التهذيب والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات ورواه ابن السنى من طريق شعبة عن قتادة به مرفوعا وكذا قال البيهقى رواه الزبرقان عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة لكن عن زرارة بن أوفى عن عمران مرفوعا قال والموقوف هو الصحيح ورواه أبو بكر بن كامل فى فوائده وأبو نعيم والديلمى من طريقه من حديث على رضى الله عنه ان فى المعاريض ما يكفى الرجل العاقل عن الكذب وروى نحو ذلك من قول عمر رضى الله عنه أما ان فى المعاريض ما يكفى المسلم عن الكذب رواه البخارى فى الادب المفرد والبيهقى فى الشعب وهو عند العسكرى فى الامثال بلفظ ان فى المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحر عن الكذب وأشار الى حكمة الرفع وقال فى المعاريض ما حوت بعض الكذب والمندوحة السعة (وذلك لانها) أى المعاريض (تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشئ على خلاف ما هو فى نفسه) ولفظ المصنف فى الجواهر والدرر فانه وان كان صادقا فى نفسه فيفهم خلاف الحق والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق وانه يكسب القلب صورة معوجة كاذبة واذا مال القلب فى الصحة الى الاعوجاج لم يحصل الحق له على الصحة حتى لا تصدق رؤياه أيضا والمعاريض لا توقع فى هذا المحذور ولانه صدق فى نفسه ولكن توقع فى المحذور الثانى وهو تجهيل الغير فلا ينبغى ان يفعل ذلك (الا ان ذلك مما تمس الحاجة اليه وتقتضيه المصلحة فى بعض الاحوال وفى تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجراهم والحذر من الظلمة وفى قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك) ففى كل ذلك مصالح قد يضطر اليه الانسان (فمن اضطر الى شئ من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به و يقتضيه الدين فاذا نطق

به

به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ماهو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم فى مثل هذا الموضع ينبغى أن يعدل الى المعاريض ماوجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورّى بغيره) قال العراقى متفق عليه من حديث كعب بن مالك بلفظ كان اذا أراد سفرا قالت ورواه أبو داود بلفظ كان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها (وذلك لكيلا ينتهى الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب فى شئ) لما فيه من المصلحة الراجحة وهو التمكين من الاعداء والهجوم عليهم على غرة منهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا او أنمى خيرا) متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وقد تقدم فى آفات اللسان (ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان فى مصالح الحرب) وقد روى ذلك فى المرفوع من حديث أم كلثوم بنت عقبة لا يصلح الكذب الا فى احدى ثلاث الرجل يصلح بين الرجلين وفى الحرب والرجل يحدث امرأته رواه ابن جرير فى التهذيب ومن حديث أبى الطفيل لا يصلح الكذب الا فى احدى ثلاث رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين ورجل كذب فى خديعة حرب فان الحرب خدعة رواه ابن جرير أيضا ومن حديث أسماء بنت يزيد لا يصلح الكذب الا فى ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب فى الحرب والكذب يصلح بين الناس رواه الترمذى وحسنه وقد روى بهذا اللفظ من حديث عائشة رواه ابن جرير وابن النجار ومن حديث أبى أيوب لا يحل الكذب الا فى ثلاثة الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك والرجل يمشى بين رجلين يصلح بينهما والحرب خدعة رواه أبو عوانة ومن حديث النواس بن سمعان الكذب يكتب على ابن آدم الا فى ثلاث الرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما والرجل يكذب امرأته ليرضيها بذلك والكذب فى الحرب والحرب خدعة رواه ابن النجار ويروى من حديث ثوبان نحوه الكذب مكتوب الا ما نفع به مسلم أو دفع به عنه رواه البزار وصححه وهو عند الرويانى بلفظ الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دين (والصدق ههنا يتحوّل الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى) من التصريح (وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره) وأراد التخلص منه (فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا) كما تقدم فى آفات اللسان (فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم انه ليس فى الدار) فهذا من جملة المعاريض التى يتخلص بها من الكذب (فالكمال الاول فى اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا الا عند الضرورة) وقد روى القشيرى عن ابن سيرين الكلام أوسع من ان يكذب ظريف ويلحق به كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب على الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرّزون من التحدث به كقولهم فى الحث على مداراة العدوّ والتلطف فى خدمة الملوك ان سبعا وذئبا وثعلبا اجتمعوا فقال السبع للذئب اقسم فقال هو مقسوم العنز لك والظبى لى والارنب للثعلب فوثب السبع فادماه ثم قال للثعلب اقسم فقال هو مقسوم العنز لغدائك والظبى لقائلتك والارنب لعشائك فقال السبع من علمك هذه القسمة المليحة فقال علمنى السراويل الارجوانى الذى على الذئب وعلى المثل حمل قوله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة الآية وقوله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل الآية فقال يصح هذا لما كان مثلا وان لم يجر دمغا العادة فى وجود حبة هكذا قال الراغب فى الذريعة ذهب كثير من المتكلمين ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوّفة ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة وذلك أن الاقوال من جملة الافعال وشئ من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما يحسن ما يحسن لما يتعلق به من

به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ماهو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم فى مثل هذا الموضع ينبغى أن يعدل الى المعاريض ماوجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورّى بغيره وذلك كيلا ينتهى الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب فى شئ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو أنمى خيرا ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان فى مصالح الحرب والصدق ههنا يتحوّل الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا وصديقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأفهم الظالم انه ليس فى الدار فالكمال الاول فى اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضا الا عند الضرورة

النفع و يقبح مايقبح لما يتعلق به من الضرر الموفى على ما فيه من النفع الا ترى ان أعظم ما يجرى فى العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح فكذا المقال من الصدق والكذب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يصلح الكذب الا فى ثلاث الحديث وقد روى اذا أتاكم منى حديث يدل على هدى أو يردعن ردى فاقبلوه قلته أولم أقله وان أتاكم منى حديث يدل على ردى أو يردعن هدى فلا تقبلوه فانى لا أقول الاحقا قالوا والكذب يكون قبيحا بثلاث شرائط أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه وان يكون المخبر قد اختلقه قبل الاخبار وان يقصد ايراد مافى نفسه لا لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط أن لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوى فالمنفعة الدنيوية ولو كانت تلك الدنيا بحذافيرها لا توفى على ضرر آذى كذب فاما هذا الذى قلناه يتصور فى نفع أخروى يكون الانسان فيه عاجلا وآجلا معذورا كمن سألك عن مسلم استتر فى دارك وهو يريد قتله فيقول هل فلان فى دارك فتقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور ولا خلاف أن المعاريض حيث يضطر اليها تجوز ولذلك قيل ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ولم تزل الانبياء والاولياء يفزعون اليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لمن سأله من اين أنت فقال من الماء وقول ابراهيم عليه السلام انى سقيم وقوله هذه أختى وقوله بل فعله كبيرهم هذا وأما الصدق فانه يحسن حيث يتعلق به ولا يلحق ضرر باحد فعلوم قبح من يقعد و يقول السماء فوقى والارض تحتى من غير ان يريد ان يجعل ذلك مقدمة دليل أو افادة معنى يعلقه به وكذا تقبح النميمة والغيبة والسعاية وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيه الصدق وأقبح الكذب مع قبحه كله أوجله مالا يتعلق به رجاء نفع عاجل أو آجل و يجاب الى المقول له ضررا كرجل يأتيك من بلد بعيد فيقول بان ملك ذلك البلد يرغب فيك و يتشوق اليك و يسأل ان تأتيه ليفيدك مالا وجاها واذا وردت لم تجد ذلك صدقا بل وجدت ذلك الملك حنقا عليك اه (والكمال الثانى ان يراعى معنى الصدق فى) مدلولات (ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) حنيفا (فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواته فهو كاذب) فى قوله فان الوجه هنا عبارة عن وجه القلب لا وجه البدن (وكقوله اياك نعبد واياك نستعين) فان كان رقيقا لبعض الشهوات كان كاذبا فى دعوى العبودية وان كان معتمدا على سبب من الاسباب كان كاذبا فى دعوى الاستعانة وكذلك فى قوله الله أكبر والحمد لله وشبه هذا كثير فلو وقر أو عظم عبدا من عباد الله على غير امتثال أمر الله أو رأى النعمة من غيره كان كاذبا فى تكبيره وحمدله وكذلك فى قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو ملابس الاسباب التى هى قوة الشيطان وسبب لوسوسته فان الاستعاذة لا تعيذه مالم ينتقل عن ملابسة تلك الاسباب قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم الآية فان هذه الالفاظ تراد فى الشرع لمدلولاتها لا لانفسها (وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية) التى هى غاية الذل لله تعالى وهى للخاصة الذين صححوا النسبة الى الله تعالى بصدق القصد اليه فى سلوك طريقه (وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا) فى نفسه (ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبد النفسه) بان يكون متهالكا فى تحصيل شهواتها (أو عبد الدنيا) بان يكون معتكفا على خدمتها ومراعاتها (أو عبد الشهواته) بان يكون متراميا فى تحصيلها لنفسه (لم يكن صادقا فى قوله) وعليه يصح أن يقال ليس كل انسان عبد الله تعالى وعبد الله عندهم العبد الذى تجلى له الحق بجميع أسمائه فلا يكون فى عباده أرفع مقاما ولا أعلى شأنا منه لتحققه باسمه الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الا له والاقطاب من ورثته بتبعيته وان أطلق

والكمال الثانى أن يراعى معنى الصدق فى ألفاظه التى يناجى بها ربه كقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كذب وكقوله اياك نعبد وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق فى قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه أو عبد الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله

على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الاسماء (وكل ماتعبد العبد به فهو عبده) منسوب اليه (كما قال عيسى عليه السلام) فى بعض محاوراته (ياعبيد الدنيا) سماهم كذلك لاعتكافهم على خدمتها ومراعاتها (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة) رواه البخارى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة ان أعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش الحديث قال البخارى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة الحديث ورواه البيهقى من طريق يوسف بن يعقوب عن عمرو بن مرزوق ورواه العسكرى فى الامثال بلفظ لعن بدل تعس وذكر المصنف هنا تعس عبد الزوجة وهذا لا أصل له (سمى كل من تعبد قلبه بشئ عبدا له) باعتبار ذلك له وانصرافه اليه (وانما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا) من الوثاق (فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله) واليه أشار القائل

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد تجاوز هذا الى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية) وهى عندهم عبارة عن الانطلاق عن رق الاغيار وهى على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء ارادتهم عن ارادة الحق وحرية خاصة الخاصة عن رق المرسوم والآثار لانمحاقهم فى تجلى نور الانوار وقد أشار اليه المصنف بقوله (وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى) وهى حرية الخاصة (فهذا عبد عتق عن غير الله) أى انطلق عن رق الغير (فصار حرا) وهى حرية العامة (ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا) وهى حرية الخاصة ثم عاد وعتق عن رسومه وآثاره فصار حرا (وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه) وانمحقت رسومه فى تجلى نور الانوار وهى حرية خاصة الخاصة فهو (ان حركه) مولاه (تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعراض) قيل للشبلى الا تعلم انه رحمن فقال بلى ولكن منذ عرفت رحمته ماسألته ان يرحمنى (بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل) يصرفه كيف يشاء (وهذا منتهى الصدق فى العبودية) قال القشيرى فى الرسالة اعلم ان حقيقة الحرية فى كمال العبودية فاذا صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الاغيار حريته فامامن توهم ان العبد يسلم له ان يخلع وقتا عذار العبودية ويحيد بلحظة عن حد الامر والنهى وهو مميز فى دار التكليف فذلك انسلاخ من الدين والذى أشار اليه القوم من الحرية هو ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات لا من اعراض الدنيا ولا من اعراض الآخرة فيكون فرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ ومقام الحرية عزيز (فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وماقبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا) قال الحسين بن منصور فيما نقله القشيرى اذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حرا من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الانبياء والصديقين حتى يصير محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وان كان متحليا بها شرعا (فهذا هو معنى الصدق فى القول الصدق الثانى فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان

وكل ماتقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام ياعبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشئ عبدا له وانما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد تجاوز هذا الى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تحقق العبودية لله تعالى وماقبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق فى القول * (الصدق الثانى) * فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان

مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبا كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسئل العالم ماعملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد فى القصد وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم الله لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد مايقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على مافى قلبه فانه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلابد وأن يكون مخلصا (الصدق الثالث) * صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه أو بشطره أو ان لقيت عدوّا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وان قتلت وان أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة فكان الصدق ههنا عبارة عن   بل
التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد

مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى صادقا) يقال هذا صادق الحلاوة وهذا صادق الحموضة أى محضها فيرجع هذا الى نفس الاخلاص (كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث) أبى هريرة فى (الثلاثة حين يسئل العالم ماعملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل أردت ان يقال فلان عالم) فقد قيل ذلك (فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد فى القصد) نقله القشيرى عن الواسطى الا انه قال مع القصد قال صاحب القوت النية عند عبد الرحيم بن يحيى الاسود هى نفس الاخلاص وعند غيره هى الصدق فى الحال باستواء السريرة والعلانية وقد قال الجنيد فى الفرق بين الاخلاص والصدق معنى لطيف لم يفسره ويحتاج الى تفسيره حدثنا بعض الاشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب يعنى ان صدقهم ان لايعملوا عمله ومثل عمله الذى شهدوا به عليه فهذ صدق الحال وهو حقيقة النية واخلاصها عند المحققين وقال فى موضع آخر والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجماعة انها صحة العقد وحسن القصد (وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب) أى فلم يقنع منهم الا بصدق نياتهم وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد مايقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على مافى قلبه فانه كذب فى ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلابد وان يكون مخلصا) وليس كل مخلص صادقا وقال الراغب فى الذريعة حد الصدق هو مطابقة القول والضمير والمخبر عنه ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صادقا تاما بل اما أن لا يوصف بالصدق والكذب أو يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يصح ان يقال فيه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد فى الدار انه فى الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب باعتبار نظرين مختلفين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ وفى خبر فقد كذب على الله والمتوسم لا قصد له فاذا قال زيد فى الدار لا يقال انه صدق ولا انه كذب (الصدق الثالث صدق العزم) أى الصدق فى العزم على الخير (فان الانسان قد يقدم على العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه) على الفقراء والمساكين (أو بشطره) أو ان رزقنى الله علما لاعلمن الناس ولاعملن به (أو ان لقيت عدوّا فى سبيل الله قاتلت ولم أبال وان قتلت وان أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيهم ولم أعص الله تعالى بظلم ولا ميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة) والصدق فيها ان لا يكون فى العزم تردد (وقد يكون فى عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة) ويناقضه قال الله تعالى فهم فى ريبهم يترددون (فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد

بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه) في يوم سقيفة بني ساعدة لما أشير اليه بالخلافة (لان أقدم فتضرب عنقي أحب الى من ان أتأمر على قوم فيهم أبو بكر) رضي الله عنه فهذا هو الصدق في العزم (فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم) القوى (والمحبة الصادقة بان لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان رضي بالقتل فيه ولكن اذا خلى ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو وأبو بكر) رضي الله عنه (كانت حياته أحب اليه من حياة أبي بكر الصديق) رضي الله عنه فدرجات عزم الصديقين تتفاوت في القوة وأقصاها ينتهي الى الرضا بضرب الرقبة دون تحقيقه (الصدق الرابع في الوفاء بالعزم) عند القدرة على المعزوم عليه (فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال) أي أولا ولكن عند الوفاء بما تتوانى عن كمال التحقيق اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة هينة وانما الشدة في التحقيق (فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه) وذلك ان الولاية الصغرى عدم الخواطر المذمومة عند وجود الاسباب المهيجة لها فاذا حققنا انقسم الناس في ذلك أربعة أقسام القسم الاول اذا صحت الاسباب المناسبة لتحلل العزم كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فقد يتحلل العزم ولا يقدر على الوفاء بما عزم عليه القسم الثاني يتزلزل عزمهم ويتردد همهم ثم عدهم الله تعالى بمعونته فيقوى عزمهم قال الله تعالى هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا القسم الثالث يثبت عزمهم على حالته الاولى من غير زيادة ولا نقصان (ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر القسم الرابع يقوى عزمهم ويزداد بمشاهدة تلك الاسباب والاهوال وهذا هو الصديقية العظمى في الولاية الكبرى قال تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهذا هو الصدق في التوكل وأعلى درجاته لانه انصراف القلب الى الله تعالى بالاسباب الموجبة للانصراف عنه وهذه الاقسام تجري في كل معزوم عليه من الواجب والمستحب من ذلك بحسب المعزوم عليه فلو عزم أن لا ينظر الى محرم أبدا فلو فاجأته بعد تحقق عزمه امرأة جميلة شريفة المقدار وجب عليه الوفاء بعزمه وكانت الاربعة جارية في حقه بحسب قوة ايمانه وضعفه ولو عزم صوفي على أن لا ينظر الى زينة الدنيا ولا يستحسن منها شيئا فلو فاجأه ملك من الملوك في زينته وحفدته وانفهقت له أمثلة الجنة مثالا حتى يرى ما أعده الله لعباده منها استحب له الوفاء بعزمه ان كان عارفا بالله وكانت الاقسام الاربعة باعتبار به في حقه بحسب طهارة قلبه وغزارة علمه (فقد روى عن أنس ابن مالك بن النضر بن ضمضم الانصاري رضي الله عنه (ان عمه أنس بن النضر) بن ضمضم الانصاري الخزرجي رضي الله عنه (لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد احدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ) بن النعمان الانصاري سيد الاوس وهو الذي اهتز له العرش (فقال يا أبا عمرو) وهي كنية أنس بن النضر كما هو مقتضى سياق المصنف والصحيح أنه كنية سعد بن معاذ (الى أين فقال واها لريح الجنة اني أجده دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد على جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته) الربيع (بنت النضر) عمة أنس بن

بل تسخو نفسه أبدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان أقدم فتضرب عنقي أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه وأكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى أن يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو وأبو بكر كانت حياته أحب اليه من حياة أبي بكر الصديق *(الصدق الرابع)* في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روى عن أنس ان عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد احدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين فقال واها لريح الجنة اني أجده دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر

مالك (ماعرفت أختى الا ببنانه) كذا فى النسخ وهو تصحيف والصحيح ببنانه أى أصبعه (فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا ان هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر اه قلت رواه البخارى من طريق حميد عن أنس ومن طريق ثمامة عن أنس ان عمه أنس بن النضر غاب عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال أى سعد هذه الجنة ورب أنس انى أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطعت ما صنع يومئذ فقتل يومئذ فذكر الحديث وقد أخرجه ابن منده من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وذكر الحافظ فى ترجمة الربيع من الاصابة مالفظه ولانس عنها رواية فى صحيح مسلم فى قصة قتل أخيها أنس بن النضر لما استشهد باحد قال أنس فقالت أخته الربيع عمتى بنت النضر ماعرفت أختى الا ببنانه قال وهذا صريح فى روايته عن عمته وهو عند البخارى من وجه آخر عن أنس بلفظ ماعرفته الا أخته وقال الحرث بن أبى أسامة فى مسنده ومن طريق أخرجه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله ابن بكر السهمى حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر فلما قدم قال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف الناس قال اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال أى سعد والذى نفسى بيده انى لاجد ريح الجنة دون أحد واها لريح الجنة قال سعد فما استطعت يارسول الله ما صنع قال أنس وجد بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به قال فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه قال أنس فكنا نقول نزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه انها فيه وفى أصحابه (ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على) أبى عبد الله (مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف العبدرى (وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم) يومئذ (فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا اه قلت قال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن عبد الله وأحمد بن محمد بن الحسين قالا حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن اسمعيل عن عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مر على مصعب ابن عمير مقتولا على طريقه فقرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عمر بن حفص السدوسى حدثنا أبو بلال الاشعرى حدثنا يحيى العلاء عن عبد الله بن عبد الاعلى ابن عبد الله بن فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير حين رجع من أحد فوقف عليه وعلى أصحابه فقال أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لايسلم عليهم أحد الاردوا عليه الى يوم القيامة اه وعبيد بن عمير بن قتادة الليثى أبو عاصم المكى ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قاله مسلم وعده غيره من كبار التابعين وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته روى له الجماعة (وقال فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الانصارى الاوسى رضى الله عنه أول ماشهد أحدا ونزل دمشق وولى قضاءها مات سنة ثمان وخمسين وقيل قبلها (سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا) قال الراوى (ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوى) لهذا الحديث (فلا أدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل

ماعرفت أختى الا ببنانه فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوى فلا أدرى قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل

جيد الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح) شجر كثير الشوك (أتاه سهم عائر فقتله) لا يعرف راميه (فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة) قال الحافظ في الفتح هذا الحديث ونحوه يفيدان الشهداء ليسوا في مرتبة واحدة ويدل عليه أيضا ما رواه الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة باسناد حسن من حديث علي كرم الله وجهه كل موتة يموت فيها المسلم فهو شهيد غير ان الشهادة تتفاضل اه قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن اه قلت رواه الطيالسي وأحمد وأبو يعلى وأبو الشيخ والبيهقي والديلمي ولفظ الجميع ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكأنما ضرب بجلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله والباقي سواء ولم يقولوا ورفع رأسه الى آخر الجملة (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (رجلان خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن به فبخلوا به فنزلت) هذه الآية (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) قال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا عباس بن الوليد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل ومنهم من عاهد الله الآية قال ذكر لنا ان رجلا من الانصار أتى على مجلس للانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤتين كل ذي حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون (وقال بعضهم انما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال) تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) روى الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فذكر الحديث بطوله في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له وكثرة ماله ومنعه الصدقة ونزول قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الآية وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر ومات في خلافة عثمان كما مر ذلك بطوله في كتاب ذم الدنيا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق كذلك وقال في آخره وانما لم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم زكاة ماله ولا من بعده لانه كان قد نافق والكتاب الذي نزل في شأنه ناطق بذلك حيث قال فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه الآية وعلموا بهذه بقاءه على نفاقه حتى يموت وان اتيانه بصدقة ماله مخافة أن تؤخذ منه قهرا قال وفي اسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور فيما بين أهل التفسير اه والمسمى بهذا الاسم رجلان أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمير بن عبيد الاوسي الانصاري ذكره موسى بن عقبة وابن اسحق في البدريين وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل باحد والثاني ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق فيمن بنى مسجد الضرار قال الحافظ في الاصابة وفي كون صاحب القصة ان صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدري استشهد باحد قال ويقوي ذلك ان رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتاني الله مالا الآية فذكر القصة بطولها فقال انه ثعلبة بن أبي حاطب والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى عن ربه أنه قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم (فجعل العزم عهدا) اذ كانوا عزموا في أنفسهم ولم يتكلموه فقال ومنهم من عاهد الله (وجعل الخلف فيه كذبا) بقوله وبما كانوا يكذبون (والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث) وأرفع منه مقاما (فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع) أي تتوانى عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب (ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من

جيد الايمان اذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عائر فقتله فهو في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة * وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله تعالى مالا لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من

انى أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيأ لا أجده الآن لانى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها أشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لى صدقت وعرجا الى السماء * (الصدق الخامس) * فى الاعمال وهوان يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ماذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره وخيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة وقال يزيد بن الحرث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فماله * على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى المنى

ان أتأمر على قوم) اى اصير اميرا عليهم (فيهم أبو بكر) رضى الله عنه (اللهم الا أن تسول لى نفسى عند القتل شيأ لا أجده الآن) أى تزين (لانى لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها) وذلك لان النفوس البشرية مجبولة على الانقلاب عن حالة الى حالة (أشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد) أحمد ابن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (رأيت فى المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس فى الاعمال وهوان) لا يكذب أعماله وأحواله وذلك بان (يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به) أى لا يدل على شئ من الظاهر الا والباطن متصف به (لا بان يترك الاعمال) رأسا (وذلك بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ماذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم) أى ان التفت قلبه الى أن يخيل الى الناس أنه ذو وقار فى نظره فذلك الرياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فذلك ليس برياء ولكن يفوت به صدقه كما يشير اليه المصنف بعد (ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا منه) وهذا أرفع مقاما من الاول (ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار) قباء وقلنسوة واستعمال آلات السلاح وركوب الخيل مع هيئاتهم (كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن) وهذا هو مشرب الطائفة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم (فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمى رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق) وان لم يسم رياء (ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة) رواه الترمذى وضعفه من حديث عمر بلفظ قل اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة اللهم انى أسألك من صالح ماتؤتى الناس من المال والاهل والولد غير الضال ولا المضل وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا عبد الله بن محمد العيشى حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبد الرحمن بن اسحق حدثنى رجل من قريش عن ابن حكيم قال قال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى حسنة (وقال يزيد بن الحرث) رحمه الله تعالى (اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف) أى العدل (وان كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا فى ذلك

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فماله * على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا)

(وقال

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا وقال معاوية بن قرة من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى وقال أبو يعقوب النهرجورى الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق

(الصدق السادس) وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هى الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا وسئل أبو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل

(وقال عطية بن عبد الغافر) كذا فى النسخ والصواب عقبة بن عبد الغافر وهو أبو نهار الاودى العوذى البصرى روى له البخارى ومسلم والنسائى مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا وقال معاوية بن قرة) بن اياس بن هلال المزنى أبو اياس البصرى ثقة مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة روى له الجماعة (من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار) رواه المزنى فى تهذيب الكمال وأنشد صاحب القاموس فى البصائر لبعض الشعراء

خلقت بغير ذنب من تراب * فارجع بالذنوب الى التراب
أنا وجميع من فوق التراب * فداء تراب نعل أبى تراب
هو البكاء فى المحراب ليلا * هو البسام فى يوم الضراب

(وقال عبد الواحد) بن زيد البصرى العابد رحمه الله تعالى (كان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه) نقله صاحب القوت (وكان أبو عبد الرحمن) محمد بن الحسين (الزاهد) رحمه الله تعالى (يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى) يشير الى عدم استواء السريرة بالعلانية (وقال ابو يعقوب) اسحق بن محمد (النهرجورى) صاحب الجنيد وغيره ومات بمكة مجاورا سنة ٣٣٠ وأخذ أيضا عن أبى يعقوب السوسى وعنه أبو عبد الله عثمان المكى (الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السر للعلانية أحد أنواع الصدق) وهذا هو الفرق بين الاخلاص والصدق لان حقيقة الاخلاص ارادة الله بالطاعات فقد يكون الرجل يريد بالصلاة وجه الله تعالى ولكنه غافل عن حضور القلب فيها فالصدق هنا هو حضوره مع الله تعالى مع ارادته وجه الله وهذا هو معنى الانفصال والاتصال الذى ذكرهما أبو اسمعيل الهروى رحمه الله تعالى لانه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله لكن الانفصال يشعر أن يكون حضوره واستفراغه ضروريا لا ينفصل عنه بكسب حتى ينفصل عنه بنفسه واياك أن تفهم من الاتصال والانفصال ما يفهم من انفصال أجسام ذوى الاحياز واتصالها فان ذلك محال فى حق خالق السموات والارض (الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها وهو الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق) وكل واحد على انحطاطه وارتفاعه يراد لغيره اذ الاحوال والمقامات لا نهاية لها (والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه) وهذا (كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هى الشهوة الصادقة) فالصدق فى كل واحد ان يقوى الى ان يؤدى الى مقصوده ومن ذلك المقصود الى مقصود أعلى منه فصاعدا كما تصدق المعرفة حتى تؤدى الى المحبة وتصدق المحبة حتى تؤدى الى الرضا والانس والطمانينة والشوق وذلك مالا يتناهى وهذا هو التحقيق فى تمييز المقامات وتخليص بعضها من بعض فاذا حققت أحوالك وخلصتها من الاغيار والشوائب ارتقيت من تحقيقك الى تحقيقك وكنت بلا انت والتفريد وقوفك مع الله بلا علم ولا حال لشغلك انفراده بما هو عليه من الكمال والجلال وشمول القدرة والسلطان فالصادق فى جملة ذلك هو الصادق مطلقا والكاذب فى جملته هو الكاذب مطلقا المخلد فى النار أبدا والصادق فى البعض دون البعض على خطر وهو فى مشيئة الله تعالى (و) لذلك (قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) والملائكة والكتاب والنبيين (الى قوله أولئك الذين صدقوا) وأولئك هم المتقون وهو صريح فى ان الصدق بالاعمال الظاهرة والباطنة وان الصدق هو مقام الاسلام والايمان (وسئل أبو ذر) رضى الله عنه (عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل

له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله
واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه اذا
خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام أحب ان أراك في صورتك التى هى صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل ارنى فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعنى جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق
وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت
اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفور الصغير

له سألناك عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان) كما سألتمونى عنه (فقرأ هذه الآية) قال العراقى رواه محمد بن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة باسانيد منقطعة اهـ فهذه درجات الصدق فمن تحقق فى جميعها فهو صديق ومن لم يصب الا بعضها فرتبته بقدر صدقه وقال صاحب منازل السائرين الصدق اسم لحقيقة الشئ حصولا ووجودا والصدق هو حصول الشئ وتمامه وكمال قوته واجتماع اجزائه كما يقال عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة وكذلك محبة صادقة وارادة صادقة وكذلك صلاة صادقة اذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شئ ومن هذا أيضا صدق الخبر لانه وجود المخبر بتمام حقيقته فى ذهن السامع وهو على ثلاث درجات الاولى صدق القصد وبه يصح الدخول فى هذا الشأن ويتلافى كل تفريط ويتدارك كل فائت ويعمر كل خراب وعلامة هذا الصادق ان لا يحتمل داعية تدعو الى نقض عهد ولا يصبر على صحبة ضد ولا يقعد عن الجد بحال والدرجة الثانية ان لا يتمنى الحياة الا للحق ولا يشهد من نفسه الا أثر النقصان ولا يلتفت الى ترفية الرخص أى لا يحب ان يعيش الا فى طلب رضا محبوبه ويقوم بعبوديته ويستكثر من الاسباب التى تقربه منه ولا يلتفت الى الرفاهية التى فى الرخص بل يأخذها اتباعا وموافقة وشهود النعمة الله على عبده وتعبدا باسمه اللطيف المحسن الرفيق وانه رفيق يحب الرفق الدرجة الثالثة الصدق فى معرفة الصدق يعنى ان الصدق المحقق انما يحصل لمن صدق فى معرفة الصدق أى لا يحصل حال للصادق الا بعد معرفة الصدق ولا يستقيم الصدق فى علم أهل الخصوص الا على حرف واحد وهو ان يتفق رضا الحق بعمل العبد وحاله ووقته وايقانه وقصده وذلك أن العبد اذا صدق الله رضى الله بفعله وبعمله وحاله ويقينه وقصده الا ان رضا الله نفس الصدق وانما يعلم الصدق بموافقة رضاه سبحانه ولكن من أين يعلم رضاه فمن ههنا كان الصادق مضطرا أشد ضرورة الى متابعة الامر والتسليم للرسول صلى الله عليه وسلم فى ظاهره وباطنه والتعبد به فى كل حركة وسكون مع اخلاص القصد لله فان الله سبحانه لا يرضيه من عبده الا ذلك انتهى (ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه اذا خاف سلطانا أو قاطع طريق فى سفره) من انسان أو سبع (كيف يصفر لونه) ويتغير حاله (وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره) وباله (حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار) والمهالك (كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها) تقدم (فالتحقيق فى هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لانهاية لها ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل) عليه السلام (أحب ان أراك فى صورتك التى هى صورتك فقال) جبريل (لا تطيق ذلك قال) صلى الله عليه وسلم (بلى) أطيق ذلك (أرنى قال فواعده البقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد سد الافق يعنى جوانب السماء فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل) عليه السلام (لصورته الاولى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه يتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع) بفتح الصاد المهملة (يعنى كالعصفور الصغير) قال العراقى تقدم فى الخوف والرجاء اخصر من هذا والذى ثبت فى الصحيح انه رأى جبريل فى صورته مرتين اهـ قلت وروى أحمد وابن جرير

وابن

فانظر ماالذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملا الأعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف مامن الناس أحد الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه الا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد ابن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ماصليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ماهي قائلة وما هو مقول لها حين يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه السلام فهذا اصدق

وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأل ان يراه في صورته فأراه صورته فسد الافق وأما الثانية فكان معه حيث صعد وروى أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق وروى الشيخان والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح (فانظر ماالذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم) وهو كماله وثباته (وقال جابر) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى كالحلس البالي) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام واهمال السين (من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير) تحت قتبه شبهه به لرؤيته له لاصقا بما لطأبه من هيبة الله وشدة فرقه منه وتلك الخشية التي تلبس بها هي التي رقته في مدارج التبجيل والتعظيم وعلى قدر خوف العبد من الرب يكون قربه قال العراقي رواه محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في الدلائل من حديث أنس وفيه الحرث بن عبيد الانماري ضعفه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد ابن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل اه قلت حديث جابر رواه الطبراني في الاوسط وعنده في بعض طرقه زيادة فعرفت فضل علمه بالله وبخط الحافظ ابن حجر رواه البزار وابن خزيمة في التوحيد (وكذلك الصحابة) رضوان الله عليهم (كانوا خائفين) من الله تعالى (وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر) رضي الله عنه (لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سند بن أبي سهل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عمر قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعد الناس حمقى في دينه (وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير التابعي البصري رحمه الله تعالى (مامن الناس أحد الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق أهون من بعض) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الفضل حدثنا سليمان بن الحسن حدثنا عبد الواحد ابن غياث حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن مطرف قال لو حلفت لرجوت ان أبر انه ليس أحد من الناس الا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل (وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها أحقر حقير) قال العراقي لم أجد له أصلا في حديث موضوع قلت وفي كلام أبي الدرداء مايشبهه فانه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع الى نفسك فتكون لها أشد مقتا للناس رواه أحمد في الزهد (فالصادق اذا في جميع المقامات عزيز ثم درجات الصدق لانهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض) وهو على خطر وفي مشيئة الله تعالى (فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا) كما ينبئ عنه لفظه (قال سعد بن معاذ) بن النعمان الاوسي رضي الله عنه (ثلاثة أنا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف) الاول (ماصليت صلاة منذ أسلمت) وهو قديم الاسلام (فحدثت نفسي حتى أفرغ منها و) الثاني (ماشيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ماهي قائلة وماهو مقول لها حتى نفرغ من دفنها و) الثالث (ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال) سعيد (بن المسيب) راويه (ماظننت ان هذه الخصال تجتمع بكمالها (الا في النبي صلى الله عليه وسلم) وروى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت كان في بني الاشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر (فهذا اصدق

في هذه الامور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني الستة) نعم قد قال أبو بكر) محمد بن عمر (الوراق) الترمذي ثم البلخي صحب ابن خضرويه وصنف في الرياضات والمعاملات له ذكر في الرسالة في آخر باب الحياء (الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية) الكبرى (الذين هم أوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق) رحمه الله تعالى (الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم) وقال غيره الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة وقيل هو موافقة السر النطق وقال القناد الصدق منع الحرام من الشدق وقال أبو سعيد القرشي الصادق الذي يتهيأ له ان يموت ولا يستحي من سره لو كشف قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال عبد الواحد بن زيد الصدق الوفاء لله بالعمل وقال جعفر الخواص سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق ان تصدق في موطن لا ينجيك منه الا الكذب وسئل فتح الموصلي عن الصدق فادخل يده في كير الحداد فاخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال أبو علي الدقاق الصدق ان يكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما يكون وهذه الاقوال كلها نقلها القشيري في الرسالة (وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا أبالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها) قال القشيري في الرسالة سئل الحرث المحاسبي عن علامات الصدق فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس من أخلاق الصديقين اه قال صاحب القاموس هذا اذا لم يكن له مراد بذلك سوى عمارة حاله عندهم وسكناه في قلوبهم تعظيما له وأما لو كان مراده بذلك تنفيذ الامر الله ونشر الدين ودعوة الى الله فهذا الصادق حقا والله يعلم سرائر القلوب ومقاصدها اه وقال القشيري ثلاث لا يخطئن الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة * ولنختم هذا الباب بما يتعلق بالصدق ثم نتبعه بحكاية الصادقين قال صاحب القاموس في البصائر الصديق الكثير الصدق وقيل من لم يصدر منه الكذب أصلا وقيل من لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله والصديقون قوم دون الانبياء في الفضيلة ولكن درجتهم ثاني درجة النبوة وفي الجملة منزلة الصدق من أعظم منازل القوم الذي نشأ منه جميع منازل السالكين وهو الطريق الاقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الايمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء الا قطعه ولا واجه باطلا الا أزاله وصرعه فهو روح الاعمال والحامل على اقتحام الاهوال والباب الذي دخل منه الواصلون الى حضرة ذي الجلال وقد قسم الله سبحانه الناس الى صادق ومنافق فقال ليجزي الله الصادقين عن صدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم والايمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وايمان الا وأحدهما يحارب الآخر وأخبر سبحانه انه في القيامة لا ينفع العبد ولا ينجيه من عذابه الا صدقه فقال تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم وقال والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي

في هذه الامور وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم أوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا أبالي فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها

كانوا

كانوا يعملون فالذى جاء بالصدق هو من شأنه الصدق فى قوله وعمله وحاله فالصدق فى الاقوال استواء اللسان على الاقوال كاستواء السنبلة على ساقها والصدق فى الاعمال استواء الافعال على الامر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد والصدق فى الاحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الاخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاؤا بالصدق وبحسب كمال هذه الامور فيه وقيامها به تكون صديقية ولذلك كان لابى بكر رضى الله عنه ذروة الصديقية حتى سمى الصديق على الاطلاق وهو أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهى كمال الانقياد للرسول مع كمال الاخلاص للمرسل وقد أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسأله ان يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال وقل ربى ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وأخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام انه سأل ان يجعل له لسان صدق فى الآخرين وبشر عباده ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق فهذه خمسة أشياء مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق ومقعد الصدق وقدم الصدق وحقيقة الصدق فى هذه الاشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل الى الله وهو ما كان به وله من الاعمال والاقوال وجزاء ذلك فى الدنيا والآخرة فمدخل الصدق ومخرج الصدق ان يكون دخوله وخروجه حقا ثابتا بالله تعالى وفى مرضاته متصلا بالظفر ببغيته وحصول المطلوب ضد مدخل الكذب ومخرجه الذى لا غاية له يوصل اليها ولا له ساق ثابتة يقوم عليها كمخرج أعدائه يوم بدر ومخرج الصدق كمخرجه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فى ذلك الغزو وكذلك مدخل المدينة كان مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضاة الله فاتصل به التأكيد والظفر والنصر وادراك ماطلبه فى الدنيا والآخرة بخلاف مدخل الكذب الذى رام أعداؤه ان يدخلوا به المدينة يوم الاحزاب فانه لم يكن بالله ولا لله بل محادة الله ورسوله فلم يتصل به الا الخذلان والبوار وكذلك مدخل من دخل من اليهود المحاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصن بنى قريظة فانه لما كان مدخل كذب أصابهم منه ما أصابهم وكان مدخل ومخرج كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة ودخوله المدينة ولا ريب ان هذا على سبيل التمثيل فان هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه صلى الله عليه وسلم والا فمداخله ومخارجه كلها مداخل صدق ومخارج صدق اذ هى بالله ولله وبامره ولابتغاء مرضاته وما خرج أحد من بيته أو دخل سوقا أو مدخلا آخر الا بصدق أو كذب فمدخل كل أحد ومخرجه لا يعدو الصدق والكذب والله المستعان وأما لسان الصدق فهو الثناء الحسن من سائر الامم بالصدق ولما كان اللسان هو محله عبر عنه به فان اللسان يراد به ثلاث معان هذا واللغة والجارحة نفسها وأما قدم الصدق ففسر بالجنة وفسر بمحمد صلى الله عليه وسلم وفسر بالاعمال الصالحة وحقيقة القدم ما قدموه ويقدمون عليه يوم القيامة وهم قدموا الاعمال والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقدمون على الجنة ومن فسر بالاعمال وبالنبى صلى الله عليه وسلم فلانهم قدموها وقدموا الايمان به بين أيديهم وأما مقعد صدق فهو الجنة عند ربهم ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره وانه حق ودوامه ونفعه وكمال عائدته فانه متصل بالحق سبحانه كان به وله فهو صدق غير كذب وحق غير باطل ودائم غير زائل ونافع غير ضار وما للباطل ومتعلقاته اليه سبيل ولا مدخل ومن علامات الصدق طمأنينة القلب اليه ومن علامات الكذب حصول الريبة كما فى الترمذى مرفوعا الصدق طمأنينة والكذب ريبة وفى الصحيحين ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا الحديث فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدؤها وهى غايته فلا ينال درجتها كاذب البتة لا فى قوله ولا فى عمله ولا فى حاله ولاسيما كاذب على الله فى أسمائه وصفاته بنفى ما أثبته لنفسه أو باثبات ما نفاه عن نفسه فليس فى هؤلاء صديق أبدا وكذلك الكذب عليه فى دينه وشرعه

بتحليل ما حرمه وتحريم ما أحله واسقاط ما أوجبه وايجاب ما أسقطه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصديقية وكذلك الكذب معه في الاعمال بالتحلي بحلية الصالحين الصادقين المخلصين الزاهدين المتوكلين وليس منهم وكانت الصديقية كمال الاخلاص والانقياد والمتابعة في كل الامور حتى ان صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما فكذبهما يمحق بركة بيعهما كما في الصحيحين البائعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما اه وأما حكايات الصادقين فقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول كان أبو علي الثقفي يتكلم يوما فقال له عبد الله ابن المبارك يا أبا علي استعد للموت فلابد منه فقال أبو علي وأنت يا عبد الله استعد للموت فانه لابد منه فتوسد عبد الله ذراعه ووضع رأسه وقال قدمت فانقطع أبو علي لانه لم يمكنه ان يقابله بما فعل لانه كان لابي علي علاقات وكان عبد الله مجرد الاشغل له اه وهذا يدل على ان السالك لا يكون صادقا الا بقطع الاسباب المشغلة عنه وما لم يتجرد لم يصدق في حاله ثم قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان أبو العباس الدينوري يتكلم فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال أبو العباس موتي فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه وقالت قدمت ووقعت ميتة قلت وكانه كان يتكلم في مقام المحبة فلما غلب عليها الوجد وصاحت ظن انها غير صادقة فدعت الله بان لا يفضحها فاجيب لها وعلم من حالها انها كانت مغلوبة وهذا من علامات الصدق ثم قال وقيل نظر عبد الواحد بن زيد الى غلام من أصحابه وقد نحل بدنه فقال يا غلام تديم الصوم فقال لا ولا أديم الافطار فقال تديم القيام بالليل فقال لا ولا أديم النوم فقال فما الذي أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت ما أجرأك فقام الغلام وخطى خطوتين فقال الهي ان كنت صادقا فخذني فخر ميتا قلت وانما أمره عبد الواحد بالسكوت لانه ظن انه يدعي مقام الحب وانه كاذب في دعواه وكان الغلام صادقا فاستجاب دعاءه ومن هنا قال بعضهم اذا لقيت فقيرا فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فانك اذا القيته بالعلم ذاب كما يذوب الثلج ثم قال وحكي عن أبي عمران الزجاجي انه قال ماتت أمي فورثت دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت الى الحج فلما بلغت بابل استقبلني واحد من القناقنة وقال ايش معك فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فاذا هي خمسون فقال لي خذها فلقد أخذني صدقك ثم نزل عن الدابة فقال اركبها فقلت لا أريد فقال لابد وألح علي فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمني حتى مات قلت آبل بالمد اسم موضع والقناقنة جمع قنقن هو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني والذي وقع للرجل هو من بركات الصدق وآثاره في الدنيا قبل الاخرى ثم قال وقيل دخل ابراهيم بن دوحة مع ابراهيم ابن شيبة البادية فقال ابراهيم بن شيبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت كل شئ الا دينارا فقال يا ابراهيم لا تشغل سري اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت الدينار قال يا ابراهيم اطرح ما معك من العلائق فذكرت ان معي شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت في الطريق الى شسع الا وجدته بين يدي فقال ابن شيبة هكذا من عامل الله بالصدق قلت وطرحه للدينار ليس من باب اتلاف المال واضاعته لغير سبب موجب بل هو من باب تأديب النفس وزجرها لتنقطع عنها العلائق وهذا غرض ديني لا يخفى وقال ابن أبي الدنيا في الصمت حدثنا عمر بن بكير النحوي أخبرنا عبد الرحمن الطائي أخبرنا أبو بردة بن عبد الله ابن أبي بردة قال كان يقال ان ربعي بن حراش لم يكذب كذبا قط فاقبل ابناه من خراسان قد تأجلا فجاء العريف الى الحجاج فقال أيها الامير ان الناس يزعمون ان ربعي بن حراش لم يكذب كذبة قط وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان فقال الحجاج علي به فلما جاء قال أيها الشيخ قال ما تشاء قال ما فعل ابناك قال المستعان الله خلفتهما في البيت قال لاجرم والله لأسوءك فيهما هما لك وروي ان رجلا مر بلقمان والناس عنده فقال ألست عبد بني فلان قال بلى قال الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا قال بلى قال ما الذي بلغ بك

ماأرى قال صدق الحديث وطول السكوت عمالا يعنيني رواه ابن أبي الدنيافي الصمت من طريق عمرو بن قيس الملائى *(خاتمة)* من شرط الصديقية ان لا يعوّد لسانه اللعن قال ابن أبي الدنيا حدثنا بشار بن موسى أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده عن عائشة رضى الله عنها قالت سمع النبى صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق لعن بعض رقيقه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر الصديقون ولعانون قال فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لا أعود و بشار بن موسى هو الخفاف عجلى بصرى نزل بغداد قال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به وقد تقدمت الاشارة اليه فى آفات اللسان اللهم اجعلنا من المخلصين الصادقين آمين وبه تم كتاب النية والاخلاص والصدق والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال مؤلفه وكان الفراغ منه فى ضحوة نهار الاثنين لتسع بقين من محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠١ ختمت بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

الحمد لله المطلع على أسرار الغيوب * الرقيب على بواطن القلوب * الكاشف دهماء الكروب * الذى عظم حلمه فعفا وعدل فى كل نفس ماقضى * وعلم مايمضى ومامضى * احمده على نعمه الكرام وآلائه العظام ومواهبه الجسام * وأشهد أن لا اله الا الله مبتدع الخلائق ومنشئهم بلا اقتدا * وتعليم ولا احتذا * لمثال صانع حكيم ولا اصابة خطا * ولا حضرة ملا * وأشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده المصطفى ورسوله المجتبى وأمينه على وحى السما * ارسله بظهور الفلج * واتضاح المنهج * فبلغ الرسالة صادعا بها * وحمل على المحجة دالا عليها * وأقام اعلام الاهتداء ومنار الضيا * وجعل امراس الاسلام متينه * وعرى الايمان به وثيقه * صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى * وأصحابه مفاتيح الهدى * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح (كتاب المراقبة والمحاسبة) وهو الثامن والثلاثون من كتب الاحياء للامام الانام مصباح الظلام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى * أفاض الله على روحه الزكية فيوضات رحمته وبره المتوالى * بنيت على قواعد ايوانه صرح الصفا * وكشفت عن مخدرات معانيه أكنة الخفا بتحرير عبارات رائقه وتحبير اشارات فائقه * يشتاق لها كل عارف بصير و ينتفع كل سالك منير فالمراقبون يقتبسون من أنواره والمحاسبون يلتمسون من أسراره والمحبون يتنسمون من فوائح أزهاره والعاملون يشامون ارياح نضاره والزاهدون يشمون أريج نفحاته والمتوكلون يترشفون بسلاف رشحاته والعارفون يدنون حول حماه والمحققون عاكفون على ماشرعت فيه والقلوب واجفة والخواطر بالمصائب كاسفة والافكار بالاراجيف راجفة * والهموم من سائر الاطراف متكاثفة * والله أسأل خفى الالطاف والاعانة على ماأرجو والنجاة مما أخاف * انه سميع قريب * ولدعاء المناجين مجيب * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) المستعان به على كل أمر عظيم (الحمد لله القائم على كل نفس) أى الرقيب عليه (بما كسبت) من خير أوشر لا يخفى عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم أشار به الى قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقيامه تعالى بذاته مطلقا وقيام كل شئ به (الرقيب) أى العليم والحفيظ (على كل جارحة بما اجترحت) وذلك بمراعاتها على اللزوم والدوام (المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست) أى وقعت وخطرت (الحسيب) أى الحاسب (على خواطر عباده اذا اختلجت) أى تحركت وانبعثت (الذى لا يعزب) أى لا يغيب (عن علمه) المحيط الشامل لسائر معلوماته (مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أوسكنت) أى لا يشذ عن علمه شئ قليلا كان أو كثيرا متحركا كان أوساكنا (المحاسب على النقير) وأصله النكتة فى ظهر النواة (والقطمير) وهو شبه الخيط فى بطن النواة (والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت) ودق ظهورها فى الاعين (المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطوّل بالعفو عن معاصيهم وان كثرت) فالقبول والعفو انما هما من تفضلاته واذا

(كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت أوسكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطوّل بالعفو عن معاصيهم وان كثرت

كان القبول حاصلا والعطو شاملا فلماذا الحساب فقال (وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت) من أعمالها بين يديه تعالى (وتنظر فيما قدمت) من عمل أوصدقة (وأخرت) من سيئة أوتركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع يشير بذلك الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وهو جواب اذا والمذكور في سياقها ثنتاعشرة خصلة ست منها في مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة والى قوله تعالى علمت نفس ماقدمت وأخرت وهو أيضا جواب اذا أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت اذا الشمس كورت قال عمر لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال لهذا أجرى الحديث وأخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله علمت نفس ماقدمت وأخرت قال من سنة صالحة يعمل بها بعده فان له مثل أجر من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيأ أوسنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينتقص من أوزارهم وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال ماقدمت من عمل خيرا أوشر وما أخرت من سيئة يعمل بها من بعده وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة في قوله علمت نفس ماقدمت وأخرت قال ما أدت الى الله مما أمرها الله به وماضيعت وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال ماقدمت من خير وما أخرت من حق الله عليها لم تعمل به وعن سعيد بن جبير قال ماقدمت من خير وما أخرت ماحدثت به نفسه ولم يعمل به وعن مجاهد ماقدمت من خير وما أخرت ما أمرت أن تعمل فتركت وعن عطاء قال ماقدمت بين يديها وما أخرت وراءها من سيئة يعمل بها من بعده (فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة) وهي الارض المستوية التي يحشر الناس عليها (وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة) وهي الخسيسة التي يدفعها كل معروض عليه فلا تنفق (لخابت وخسرت) وخسارتها عدم رواجها (فسبحان من عمت نعمته كافة العباد فشملت) أي جميعهم عامهم وخاصهم وكافة مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة لايثنى ولايجمع (واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت) وهي الرحمة العامة التي تتناول المستحق وغير المستحق والضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها (فبنفحات فضله) جمع نفحة وهي العطية (اتسعت القلوب للايمان وانشرحت) فقبلته واستقر فيها (وبيمن توفيقه) أي هدايته لما يوافقه (تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت) فاستحلتها واستخفت (وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت) أي انزاحت فاهتدت بمعرفته الخاصة واطمأنت (وبتأييده ونصرته انقطعت) عنه (مكايد الشيطان) ومصايده ونفوخه التي على قلوب المؤمنين (واندفعت وبلطف عنايته) السابقة بعباده (ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه) تعالى وحده (العطاء والجزاء) أي فهو المعطي والمجازي (والابعاد والادناء) أي وهو المبعد والمدني (والاسعاد والاشقاء) أي وهو المسعد والمشقي لا اله الا الله جل جلاله (والصلاة على سيدنا محمد سيد الانبياء) أي رئيسهم ومقدمهم (وعلى آله سادة الاصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء) وسلم عليه تسليما كثيرا (أما بعد فقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز (ونضع الموازين القسط) أي العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) أي لجزاء يوم القيامة أولاجله أوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه (وان كان) العمل (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أي أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) أي لامزيد على علمنا وعدلنا أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع العلم من طريق حماد بن زيد عن أبي حنيفة عن حماد عن ابراهيم في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه فيرجح فيقال

وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت وتنظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء (أما بعد) فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتيناها وكفى بنا حاسبين

له أتدرى ماهـذا فيقول لا فيقال هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس أو نحو هذا وحدث به عبد الله بن أحمد فى كتاب العلل عن أبيه حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس حدثنا الحجاج عن حماد قال ان العالم ليغشاه يوم القيامة مثل الغمام فيوضع فى ميزانه فيقول ماهذا فيقال العلم الذى علمته الناس وقال أيضا حدثنى أبى حدثنا عبد القدوس عن رجل قد سماه يعنى أبا حنيفة عن حماد مثله وخرجه ابن مردويه فى كتاب فضل العلم من طريق مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد قال الحافظ بن ناصر الدين فى منهاج السلامة ونصب ميزان الحق يوم القيامة بين الخلق لفوائد عظيمة وحكم بهية اقتضتها الحكمة الالهية مع علم الله العليم الخبير بمقادير الاعمال الصغير والكبير لا يغيب عن نظره غائب ولا يفوته هارب ولا يؤده حفظ ما خلق وهو السميع العليم وانما الحكمة فى وزن أعمال العباد ان ذلك لامتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا وهو أحد الاقوال فى معنى ذلك وقيل لاظهار السعادة والشقاوة يوم القيامة وقيل ليعرف العباد مالهم من خير وشر وقيل لاقامة الحجج عليهم وقيل للاعلام بان الله عز وجل عادل لا يظلم من خلقه أحدا يربى الحسنات لصاحبها ويضاعفها (وقال تعالى ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل أو فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى أهلكوها من بين الهلكات (مالهذا الكتاب) تعجيبا من شأنه (لا يغادر) لا يترك هنة (صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) عددها وأحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا فى الصحف (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله (وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا) فى صعيد أفيح (فينبئهم) اى يخبرهم جميعا (بما عملوا) من خير وشر (أحصاه الله) عدده وأحاط به (ونسوه والله على كل شئ شهيد) اى شاهد لا يغيب (وقال تعالى يومئذ يصدر الناس) من قبورهم الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والذرة النملة الصغيرة أو الهباء (وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى تعطى على سبيل الوفاء جميع ما كسبت من خير وشر (وهم لا يظلمون) وهو كقوله تعالى ولا يظلم ربك أحدا (وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) بين يديه (و) تجد أيضا (ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) اى غاية يقال بلغ أمده اى غايته (ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) الى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة علمه واحاطته بسائر أفعال العباد (فعرف أرباب البصائر) الصادقة (من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد) كما قال تعالى ان ربك لبالمرصاد (وانهم سيناقشون فى الحساب) أى يدقق عليهم فيه (ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات) فى الحركات والسكنات (وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس) الهابطة والصاعدة (والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال) فى القبر (جوابه وحسن منقلبه ومآبه) أى مرجعه (ومن لم يحاسب نفسه) فى دنياه (دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته) أى جرته (الى الخزى) أى الفضيحة (والمقت) أى الغضب (سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه الا طاعة الله) والمصابرة عليها (وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد (وصابروا) أى غالبوا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) أنفسكم على الطاعة واتقوا الله لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مقتضى الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق سبحانه

وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها و بيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة و يتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات و بالله التوفيق *(المقام الاول من المرابطة المشارطة)* اعلم ان مطلب المتعاملين فى التجارات المشتركين فى البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة اذ يستعملها و يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج الى أن يشارطه أولا و يراقبه ثانيا و يحاسبه ثالثا و يعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف و يشرط عليها الشروط و يرشدها الى طرق الفلاح و يجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو أهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغى ان يحاسبها و يطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى و بلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه فى أرباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير فى خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذى لا يدوم اذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذى لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها والمحاسبة

لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة (فرابطوا أنفسهم أوّلا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها) مقاما مقاما (و بيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة و يتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات و بالله التوفيق)

(المقام الاول من المرابطة المشارطة)

وهو فى الاصل اجراء الشرط بين متعاملين (اعلم) نور الله قلبك (ان مطلب المتعاملين) فى التجارات (المشتركين فى البضائع) والنقود (عند المحاسبة) مع بعضهم (سلامة الربح) الحاصل من التصرف (وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وانما مطلبه) الاعلى (وربحه) الاوفر (تزكية النفس) أى تطهيرها من المذام والخبائث (لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل (وقد خاب من دساها) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (وانما فلاحها بالاعمال الصالحة) على وفق المعارف الالهية (والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة اذ يستعملها و يستسخرها فيما يزكيها) وينميها (كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله) فيما ينمى المال (وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج الى أن يشارطه أوّلا و يراقبه ثانيا و يحاسبه ثالثا و يعاتبه أو يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس أوّلا فيوظف عليها الوظائف و يشرط عليها الشروط و يرشدها الى طرق الفلاح و يجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة) واحدة (فانه لو أهملها لم ير منها الا الخيانة) الظاهرة (وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجوّ) وزالت عنه الموانع (وانفرد بالمال) فانه تشتد خيانته و يبدد المال حيث لا ينفع فانه اما لبطنه أو لفرجه (ثم بعد الفراغ ينبغى أن يحاسبها و يطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى و بلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء) وناهيك به ربحا (فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه فى ارباح الدنيا) ومناقشته فيها (مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء) والهلاك والفناء (ولا خير فى خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذى لا يدوم اذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذى لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير) وهذا بالاضافة الى العواقب (ولذلك قيل) قائله المتنبى

(أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا)

وقد مر انشاده للمصنف فى مواضع من كتابه هذا (فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها) أى فى سائر أحوالها فالمحاسبة هى ميزان الاعمال والاحوال لتتميز بها مصالح الاعمال من مفاسدها وحقائق الاحوال من دعاويها

فان كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضائعة أو مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة الا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلنى الله فيه وأنسأ فى أجلى وأنعم على به ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل به صالحا فاحسبى انك قد توفيت ثم قد رددت فاياك ثم اياك أن تضيعى هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لاقيمة لها واعلمى يا نفس ان اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وقد وورد فى الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوأة نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار مالو وزع على أهل النار لادهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهى الساعة التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا

والمحاسبة للاعمال والاحوال كالبراهين لصحة العلوم فمن لا برهان معه خالط علمه الوهم والخيال ومن لا محاسبة له شاب عمله الغرور والخداع وهذه المحاسبة واجبة بالاجماع هكذا هو منقول عن الحرث المحاسبى وسياق المصنف يشير اليه والكتاب والسنة والاثر يدل على ذلك (فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يضاهى نعيمه أبد الآباد) الى آخر الدهر (فانقضاء هذه الانفاس ضائعة أو مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل) فانظر الى حال من لم يملك من الدنيا الا درهما واحدا وهو رأس ماله وخرج يتجر فيه لعائلته ليسعدوا بربحه واذا هو برجلين مثله لكل واحد منهما درهم مثله فاختلفت آراؤهم فى التجارة فوجد احدهم جوهرة بدرهمه وأشار الى صاحبيه ان يفعلا كفعله فلم يفعلا فسعد هو وأهله بالجوهرة وأما أحد الرجلين فقال هذا رأس مال قليل فلا يكفينى ولا يكفى أهلى فانا أرمى به من يدى واتكل على الله تعالى فى أن يكفينى وأهلى بلا تجارة وأما الرجل الآخر فوجد حية عظيمة ينادى عليها بدرهم والمنادى يقول احذروها فانها حية لين مسها قاتل سمها فغلبت عليه شقوته واشترى الحية بدرهمه وحملها الى أهله فقتلته وقتلت عياله فانظر الى هذا المثال فانه يعرفك قيمة عمرك فان الدرهم هو النفس الواحد اذ لا يملك كل واحد من الاحياء غير النفس الراهن وما هو فى ثانى حال مشكوك فيه وقد انقسمت الناس فى أنفاسهم هذا الانقسام فمنهم من عرف قدر نفسه فاشترى به جوهرة أضاءت عليه فى محياه ومماته وهو صرفه فى ذكر الله تعالى والفكر فى معرفته والثانى جهل سنتربه فى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فصرفه فى مباح يتحسر على فواته اذا عاين ربح الرابحين وهو يعلم ان لم يكن معهم الا مثل رأس ماله وأما الثالث فازداد جهلا ثانيا وهو الجهل بالبضائع فاشترى بضاعة شقيت بها نفسه وهو صرف نفسه فى معصية الله تعالى فنعوذ بالله من الجهل (فاذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل) فى تجارته (يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس) فى مشارطتها ويحك يا نفس (مالى بضاعة) اعتمد عليها (الا) هذا (العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأنسأ فى أجلى) أى أخره (وانعم على به ولو توفانى) كما توفى غيرى من أقرانى ولداتى (لكنت أتمنى) على الله (ان يرجعنى الى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا) كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا (فاحسبى) يا نفس (انك قد توفيت ثم قد رددت) الى الدنيا ثانيا (فاياك ثم اياك ان تضيعى هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة) يتيمة (لاقيمة لها واعلمى يا نفس ان اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) من ساعات الزمان (وقد ورد فى الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فتفتح له منها خزانة فيراها مملوأة نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التى هى وسيلة عند الملك الجبار مالو وزع) أى فرق وقسم (على أهل النار لادهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بالم النار وتفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع مالو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها وتفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهى التى نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا

وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به الى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع

ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم اوالى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو لاسيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار التعلم والعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل

وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره) قال العراقي الحديث بطوله لم أجد له أصلا (فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به الى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا أشقياء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها (فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها) أي تلك الاعضاء بمنزلة (رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة أبواب) يدخلونها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية أو لان أهلها سبع فرق كما قال تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أفرز له فاعلاها للموحدى العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء) وهذا وجه آخر لتخصيص العدد (فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم) ولا الى عضو آخر غير الوجه (أو الى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل) يحفظها (عن كل فضول مستغنى عنه فان الله يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام) روى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي موسى الانصاري عن عبادة بن كليب قال قال رجل لداود الطائي لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف قال له أما علمت انه يكره فضول النظر (ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له) أي لاجله (من النظر الى عجائب صنع الله) في الملك (بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله) صلى الله عليه وسلم (ومطالعة كتب الحكمة) الالهية وهي كتب الدقائق (للاتعاظ والاستفادة) لا للتفرج (وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو ولاسيما اللسان والبطن أما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق و) مذمة (الاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان) مفصلا (فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة و) قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) يكتب عليه ما لفظ به (وأما البطن فيكلفه ترك الشره) أي الحرص

وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه انها ان خالفت شيأ من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشرط عليها فى جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصى الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها فى وظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم والليلة ثم فى النوافل التى يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها فى كل يوم ولكن اذا تعوّد الانسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه فى الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان أطاع فى بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقى ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فى ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشئ من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة أو تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى أن يقضى حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق فى مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهى محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر فى كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدى العبد فى نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل فتبينوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه فى المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة فى القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على

(وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة) مما يقيم به صلبه فى الطاعات (ويشترط على نفسه انها ان خالفت شيأ من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها فى جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصى الاعضاء وطاعتها ثم يستأنف وصيتها فى وظائف الطاعات التى تتكرر عليه فى اليوم والليلة ثم فى النوافل التى يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعوّد الانسان شرط ذلك لنفسه أياما وطاوعته نفسه فى الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان أطاع فى بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقى ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فى ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشئ من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضى حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق فى مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال) أى عاقبته (ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد) على سيده (فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية) والذل والقهر (ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها) قال الله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) بتنبههم لقبول ذلك (فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهى محاسبته قبل العمل) أى قبل الشروع فيه (والمحاسبة تارة تكون بعد العمل) وهذا هو الاكثر (وتارة) تكون (قبله) وهى (للتحذير) عن الوقوع فيما يفسد العمل (قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر فى كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدى العبد فى نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك) كله (تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه فى المستقبل وروى عبادة ابن الصامت) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه) رواه ابن المبارك فى الزهد عن أبى جعفر عبد الله بن المسور الهاشمى مرسلا بلفظ فان كان خيرا ابدل رشدا وان كان شرا ابدل غيا وابن المسور تكلموا فيه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (وقال بعض الحكماء اذا أردت ان يكون العقل غالبا على الهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة فى القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان) رحمه الله تعالى (ان المؤمن اذا أبصر العاقبة أمن الندامة وروى شداد بن أوس) رضى الله عنه (عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على

الله) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وغيرهم وقد تقدم (دان نفسه أى حاسبها) وقيل استعبدها وقهرها يعنى جعل نفسه مطيعة منقادة لاوامر ربها أى الكيس من أبصر العاقبة وحاسب نفسه والاحمق من عمى عنها وحجبته الشهوات والغفلات (ويوم الدين يوم الحساب) وقيل يوم الجزاء (وقوله) تعالى (أئنا لمدينون أى لمحاسبون) وقيل لمجزيون فالدين يطلق على معان كثيرة منها الحساب (وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت ابن الحجاج قال قال عمر زنوا أنفسكم قبل ان توزنوا وحاسبوها قبل ان تحاسبوا فانه أهون عليكم فى الحساب غدا ان تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية (وكتب) رضى الله عنه (الى أبى موسى الاشعرى) رضى الله عنه وهو أمير بالبصرة (حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة) رواه اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن أبى بردة (وقال) رضى الله عنه (لكعب) الاحبار يوما (كيف تجدها فى كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الامن حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين انها) أى هذه الكلمة (الى جنبها فى التوراة مابينهن حرف الامن حاسب نفسه) والديان الحاكم والقاضى والحاسب والمجازى (وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذقال) صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق الكيس (من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) أى من حاسب نفسه وقهرها اشتغل بعمل ينفعه بعد موته (ومعناه وزن الامور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها)

(المرابطة الثانية المراقبة)

وفيها مقام الحياء ولواحقه الرعاية والحرمة والادب اعلم انه (اذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ماذكرناه فلا يبقى) بعد ذلك (الا المراقبة لها عند الخوض فى الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة) أى الحافظة (فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام) النبى صلى الله عليه وسلم (عن الاحسان فقال) صلى الله عليه وسلم (ان تعبد الله كأنك تراه) ولما كانت المراقبة والاحسان لفظين متداخلين على معنى واحد استدل بما ورد فى الاحسان على فضيلتها قال القشيرى فى الرسالة أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق حدثنا أبو عوانة يعقوب بن اسحق حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن يزيد حدثنا اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل فقال يامحمد ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه للنبى صلى الله عليه وسلم قال فاخبرنى ما الاسلام فقال أن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فاخبرنى ما الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت الحديث هذا الذى قاله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة له وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل الى هذه المرتبة الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف واصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله مراعاة القلب وحفظ مع الله الانفاس راقب الله فى عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع قوله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة اه قال العراقى الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه مسلم من حديث عمر انتهى قلت قال البخارى فى الصحيح حدثنا مسدد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال ما الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه

الله دان نفسه أى حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله أئنا لمدينون أى لمحاسبون وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر وكتب الى أبى موسى الاشعرى حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها فى كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الامن حاسب نفسه فقال كعب ياأمير المؤمنين انها الى جنبها فى التوراة مابينهما حرف الامن حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذقال من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها (المرابطة الثانية المراقبة) اذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ماذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض فى الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها (اما الفضيلة) فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه

وقال عليه السلام اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى ألم يعلم بان الله يرى وقال الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الاسلام قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وذكر تتمة الحديث وقد رواه مسلم أيضا من طرق وأما حديث عمر فقال أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر قال حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال يا محمد اخبرنى عن الاسلام ما الاسلام قال أن تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال عمر رضى الله عنه فعجبنا له يسأله ويصدقه فقال يا محمد اخبرنى عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره قال صدقت وذكر باقى الحديث بتمامه أخرجه مسلم بطوله عن زهير بن حرب عن وكيع عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه كلاهما عن كهمس بن الحسن به ورواه سليمان التيمى عن يحيى بن يعمر بزيادة فيه قال أبو بكر محمد بن خزيمة فى الصحيح حدثنا يوسف بن واضح حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر قال حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أناس اذ جاء رجل عليه سحناء سفر وليس من أهل البلد يتخطى حتى ورك فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما الاسلام قال الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وان تتم الوضوء وتصوم رمضان قال فاذا فعلت ذلك فانا مسلم قال نعم قال صدقت ثم ذكر الحديث بطوله وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن ابن خزيمة ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن يونس بن محمد عن المعتمر بن سليمان به لكنه لم يذكر متنه بل أحاله بنحو ما قبله ورواه أيضا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم رواه ابن السماك فى جزئه من طريق سيار بن الحكم عن شهر بن حوشب عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى الناس اذ جاءه رجل يتخطى الناس حتى وضع يديه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما الاسلام فساقه وفى آخره فانطلق الرجل حتى توارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بالرجل قال فطلب فلم يوجد فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ما أتانى فى صورة الا عرفته فيها غير مرتى هذه وشهر بن حوشب مختلف فيه والراجح قبوله وقد استوفيت هذا الحديث فى كتابى عقود الجواهر المنيفة وذكرت اختلاف ألفاظه فراجعه (وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث زيد بن أرقم بزيادة واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فانها مستجابة وروى الطبرانى والبيهقى من حديث معاذ بن جبل اعبد الله ولا تشرك به شيأ واعمل لله كانك تراه واعدد نفسك فى الموتى الحديث وأما لفظ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقد رواه أيضا أحمد وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه النسائى عنه وعن أبى ذر معا ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث عمر ويروى الاحسان ان تعمل لله كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك فاذا فعلت ذلك فقد أحسنت رواه أحمد والبزار من حديث ابن عباس ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ورواه أحمد أيضا من حديث أبى عامر أو أبى مالك ورواه البزار أيضا من حديث أنس وابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم (وقد قال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى رقيب والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وقال تعالى ألم يعلم بان الله يرى) أى يطلع على أحوال عبده من هداه وضلاله (وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا) أى مراقبا لاعمالكم (وقال تعالى) فى وصف المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق (راعون) قائمون بحفظها

والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل
وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالى بغيره وقال أبو عثمان المغربى أفضل ما يلزم الانسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريرى أمرنا هذا مبنى على أصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال أبو عثمان قال لى أبو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك * وحكى انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حى فى يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد اذ الله مطلع على فى كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم وحكى ان زليخا لما خلت بيوسف عليه
صنم
السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار

واصلاحها وقال تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى محافظون (وقال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره) أى ما معنى هذا القول (فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل) أى فاذا تحققت ذلك فقد راقبته (وقال عبد الواحد بن زيد) البصرى رحمه الله تعالى (اذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالى بغيره) يشير الى قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا (وقال ابو عثمان) سعيد بن سلام المغربى رحمه الله تعالى (أفضل ما يلزم الانسان به نفسه فى هذه الطريقة) العلية (المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم) بان يزن ما هو فيه بالعلم الشرعى هذا القول نقله القشيرى سماعا عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا عثمان المغربى يقول فذكره (وقال ابن عطاء) هو أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى شيخ الشام فى وقته مات بصور سنة ٣٦٩ ولفظ القشيرى وسئل ابن عطاء ما (أفضل الطاعات) فقال (مراقبة الحق) تعالى (على دوام الاوقات) كما أشار اليه فى الخبر السابق فى الاحسان فافضل العبادات رؤية المعبود فى وقت العبادة فانه أبعد من الزلل (وقال) أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد وأقعد بعده مكانه مات سنة ٣١١ (أمرنا هذا مبنى على أصلين) وفى نسخ الرسالة فصلين أحدهما (ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل) فى حركاتك وسكناتك (و) الثانى ان (يكون العلم على ظاهرك قائما) بان تكون حركاتك وسكناتك موزونة بالشرع نقله القشيرى سماعا من محمد بن الحسين قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول فذكره (وقال أبو عثمان) الحيرى النيسابورى (قال لى أبو حفص) عمرو بن مسلمة الحداد شيخ الجنيد (اذا جلست للناس) أى لوعظهم (فكن واعظا لنفسك وقلبك) لينتفعوا بوعظك فانه اذا صلحت نيتك فى وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك وله وقع فى قلب السامع (ولا يغرنك اجتماعهم عليك) اى حولك (فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك) نقله القشيرى سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص فذكره الا انه قال والله رقيب على باطنك وفى نسخة والله يراقب باطنك (وحكى انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب) وكان يخصه و (يكرمه ويقدمه) على جماعته و يقبل عليه أكثر مما يقبل على غيره (فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ) فى السبب فيه فقال أبين لكم ذلك (فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا) الاولى طيرا (وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد ودفع الى) هذا (الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا) لانه لم ير بمكان الذبح أحدا من بنى آدم (ورجع الشاب والطائر حى فى يده فقال) له (مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال) أمرتنى أن أذبحه حيث لا يراه أحد وأنا (لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد اذ الله مطلع على فى كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة) وقال الشيخ لهذا أخصه باقبالى عليه (وقالوا له حق لك أن تكرم) ويقبل عليك حكاه القشيرى فى الرسالة بمعناه وفيه دلالة على ان المراقبة لله تعالى أفضل المقامات وان ارتفعت مقامات العابدين وقوى اجتهادهم فانهم مشغولون بصلاح قلوبهم وأحوالهم والمراقب لله قد غلب على قلبه نظره اليه فى سائر تصرفاته وكان الشيخ يعرف فضيلة هذا الشاب ورفعة مقامه عن بقية تلامذته فكان يقربه لذلك ويخصه باسراره دونهم فلما بلغه تغيرهم لذلك عرفهم بما أكد رفعة مقامه عليهم ثم علمه بعدم امكان ما أمره به شيخه يحتمل ان يكون خطر له وقت الامر به لكنه اتبع أمر شيخه لاقامة الحجة على بقية التلامذة وان يكون انما خطر له ذلك بعد مضيه وتفتيشه (وحكى ان زليخا) امرأة العزيز (لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم لها) كانت تعبده (فقال لها (يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم فى الحلية عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين قال لما دخل يوسف عليه السلام عليها البيت وفى البيت

وحكى عن بعض الاحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحيي فقال ممن أستحيي وما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى والذين انثنت أصلابهم من خشيتى وعزتى وجلالى انى لأهم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبى عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى أن الله تعالى قال للملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فقال معناه

صنم من ذهب قالت كما أنت حتى أغطى الصنم فانا استحيى منه فقال يوسف هذه تستحيى من الصنم فانا أحق ان استحيى من الله فكف عنها وتركها وروى أبو نعيم فى الحلية عن على رضى الله عنه فى قوله ولقد همت به وهم بها قال طمعت فيه وطمع وكان فيها من الطمع اذ هم ان يحل التكة فقامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت فى ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه فقال أى شئ تصنعين فقالت استحيى من الهى ان يرانى على هذه السوأة فقال يوسف تستحيى من صنم لا يأكل ولا يشرب وأنا لا استحيى من الهى الذى هو قائم على كل نفس بما كسبت ثم قال لا تنالينها منى أبدا وهو البرهان الذى رأى (وحكى عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت له الا تستحيى فقال ممن استحيى وما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها) أى رب الكواكب رواه البيهقى فى الشعب عن الاصمعى قال حدثنى رجل من الاعراب قال خرجت ليلة فاذا أنا بجارية تستقى ماء فراودتها عن نفسها فقالت ويلك ان لم يكن لك زاجر من دين اما لك زاجر من كرم فقلت لها مالك لا يرانا الا الكواكب قالت ويلك واين مكوكبها (وقال رجل للجنيد) رحمه الله تعالى (بم استعين به على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد) أيضا (انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من الله عز وجل) ولفظ الرسالة من تحقق فى المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غير اه وذلك لان المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرتفع عنه الحجاب وقد يراقبها ليكون من الاحباب فاذا وصل الى هذا الحال الشريف راقب ربه وأدام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التى يفوت بسببها حظه من مولاه فمراقبته له بهذا القصد خوفا من فوات حظه من أفضل المراقبات (وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصرى رحمه الله تعالى (جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى فراقبونى) فتركوها (والذين انثنت أصلابهم من خشيتى وعزتى وجلالى انى لاهم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت الى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب) روى البيهقى من حديث أنس يقول الله تعالى انى لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتى المتحابين فى والى المستغفرين بالاسحار صرفت عنهم (وسئل) أبو عبد الله الحرث بن أسد (المحاسبى) البصرى رحمه الله تعالى (عن المراقبة فقال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى) أى فاذا تم له ذلك خلص سره لله تعالى (وقال) أبو محمد عبد الله بن محمد (المرتعش) النيسابورى من أصحاب الجنيد مات ببغداد سنة ٣٢٨ (المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب) فيما يرد عليك منه (مع كل لحظة ولفظة) حكاه القشيرى عن محمد بن الحسين سماعا قال سمعت أبا القاسم البغدادى يقول سمعت المرتعش يقول فذكره (ويروى) فى بعض الاخبار (ان الله تعالى قال للملائكته أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب بالباطن) أى العليم بسره من غير غفلة ومن ذلك قول أبى حفص لابى عثمان فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وتقدم قريبا (وقال) أبو عبد الله (محمد بن على) بن الحسن بن بشر الحكيم (الترمذى) رحمه الله تعالى من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم صحب أبا تراب النخشبى وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم وهو صاحب نوادر الاصول (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه) هكذا ذكره فى النوادر (وقال) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (لم يتزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان) وهذا لانه أصل كل خير فاذا استدام ذلك صارت مراقبة (وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فقال معناه

ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى فى السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل

اذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ماتخفيه عنه يغيب
ألم ترأن اليوم أسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان ابن على عظنى فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخى ان المنافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بعنى شاة من هذه الغنم فقال انى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة

ذلك) أى الرضوان (لمن راقب ربه عز وجل) فى أحواله (وحاسب نفسه وتزود لمعاده) ففسر الخشية بالمراقبة والمحاسبة ولذلك جاء فى الخبر كفى بالخشية علما (وسئل ذو النون المصرى) رحمه الله تعالى (بم ينال العبد الجنة فقال بخمس) خصال (استقامة) فى الطاعات (ليس فيها روغان واجتهاد) فى المعاملة السرية (ليس معه سهو) ولا غفلة (ومراقبة الله فى السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له) بالاعمال الصالحة فكأن قد (ومحاسبة نفسك) بما عملته من خير أو شر (قبل ان تحاسب وقد قيل) فى معنى ذلك

(اذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا ان ماتخفيه عنه يغيب
ألم تر ان اليوم أسرع ذاهب * وان غدا للناظرين قريب)

وكان الامام الشافعى ينشد هذه الابيات كثيرا فقيل انها له وقيل لغيره (وقال حميد) بن أبى حميد تيرويه (الطويل) أبو عبيدة البصرى التابعى اختلف فى اسم أبيه على عشرة أقوال أشهرها ماذكرت ثقة روى له الجماعة وفى التهذيب قال البخارى قال الاصمعى رأيت حميدا ولم يكن طويلا وقال غيره انما كان طوله فى يديه مات سنة ثلاث وأربعين ومائة وهو قائم يصلى وله خمس وسبعون سنة (لسليمان بن على) بن عبد الله ابن عباس أحد الاشراف وعم الخليفتين السفاح والمنصور روى له النسائى وابن ماجه مات سنة اثنتين وأربعين ومائة وله تسع وخمسون سنة (عظنى فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا) عن الناس (ظننت انه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم) فانك بارزته بالمعصية مع علمك باطلاعه عليك (ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت) اذ قد أنكرت احاطة علمه (وقال سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر) أى الخوف (ممن يملك العقوبة) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال فرقد) بن يعقوب (السبخى) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبو يعقوب البصرى صدوق عابد لين الحديث روى له الترمذى وابن ماجه مات سنة احدى وثلاثين ومائة (ان المنافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال) أبو عبد الرحمن (عبد الله ابن دينار) العدوى مولى ابن عمر مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة (خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل) معه غنمه (فقال له ياراعى بعنى شاة من هذه) الثلة يحتمل انه ظن ملكه لبعض الغنم او انه لما رأى حسن رعايته لها فى الظاهر فأراد ان يختبر باطنه هل ذلك عن دين أو عادة (فقال انى مملوك) وهذه الغنم ليست ملكالى انما أنا أرعاها (فقال قل لسيدك) اذا سألك عنها (أكلها الذئب) وهذا يؤكد الاحتمال الثانى انه اختبار (قال فأين الله) فانه يعلم ذلك و يؤاخذنى به (قال) الراوى (فبكى عمر رضى الله عنه) من سماع هذا الكلام (ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة) والذى فى الرسالة للقشيرى وقيل كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لى فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد فأين الله فكان ابن عمر يقول بعد ذلك الى مدة قال ذلك العبد فأين الله اه قال الشارح لانه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا قال وروى انه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم وأعتقه ووهبها له قلت والنفس تميل الى ان هذه القصة وقعت لابن عمر وشاهده رواية ابن دينار عنه وهو مولاه وملازمه فى اسفاره وقد روى أيضا عن نافع وفيه التصريح بان الواقعة لابن عمر قال ابن شاذان أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر الاودى أخبرنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوى حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عبد العزيز قال قال نافع خرجت مع ابن عمر فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة لهم فربهم راع فقال له عبد الله هلم ياراعى فأصب من هذه السفرة فقال انى صائم فقال له عبد الله فى مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت فى هذه الشعاب

فى

فى مثار هذه الغنم و بين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم فقال الراعى أبادر لاياى الخالية فعجب ابن عمر وقال هل لك ان تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها قال انها ليست لى انها لمولاى قال فما عسيت أن يقول لك مولاك ان قلت أكلها الذئب فمضى الراعى وهو رافع أصبعيه الى السماء وهو يقول فاين الله فما عدا ان قدم المدينة فبعث الى سيده فاشترى منه الراعى والغنم فاعتق الراعى ووهب له الغنم ومما ذكر القشيرى فى هذا الباب من الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم بينه و بين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة سمعت أبا على الدقاق يقول كان لبعض الامراء وزير فكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة أو صوت أحس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا الوزير فى تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الامير أنه نظر اليهم لريبة فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على الامير أبدا وهو ينظر الى جانبه حتى توهم الامير ان ذلك خلقه وحول فيه فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده سمعت بعض الفقراء يقول كان لأمير له غلام يقبل عليه أكثر من اقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له فى ذلك فاراد الامير أن يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فيوما من الايام كان راكبا ومعه الحشم و بالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك الثلج وأطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ومعه شئ من الثلج فقال الامير ما أدراك انى أردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت اليه ونظر السلطان الى شئ لا يكون عن غير قصد فقال الامير انما أخصه باكرامى واقبالى عليه لان لكل أحد شغلا وشغله مراعاة لحظاتى ومراقبة أحوالى وقال بعضهم من راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه وسئل أبو الحسين بن هند متى يهش الراعى غنمه بعصا الرعاية من مواقع الهلكة فقال اذا علم أن عليه رقيبا وقال ذو النون علامة المراقبة ايثار ما آثر الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله وقال النصراباذى الرجاء يحركك الى الطاعات والخوف يبعدك عن المعاصى والمراقبة تؤديك الى صرف الحقائق سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الغيب فى كل خطرة وقال ابراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة خلوص السر والعلانية لله سمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لى بعض مشايخى عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال بينا أنا أسير فى البادية اذا أنا بخشخشة خلفى فهالنى ذلك وأردت أن ألتفت فلم ألتفت فرأيت شيئا واقفا على كتفى فانصرف وأنا مراع لسرى ثم التفت فاذا أنا بسبع عظيم وقال الواسطى أفضل الطاعات حفظ الاوقات وهو ان لا يطالع العبد غير حده ولا يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته والله أعلم

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان) المراقبة مفاعلة فلا بد من التراقب من الجانبين فعلى هذا لا بد للمراقب أن يكون مراقبا لاطلاعه على اطلاع الحق سبحانه على حاله و يداوم على ذلك أو يكون مراقبا لاطلاعه على موجده بلا فتور وتشتت الخاطر وهى أفضل من الحياء لان الحياء يتولد عن معرفة عيوب النفس والمراقبة لا تفتقر الى ذلك وعلى هذا (حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من أمر من الامور بسبب غيره) حتى لا يغفل عنه و يلاحظه ملاحظة تامة لازمة دائمة لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما قدم عليه (يقال انه يراقب فلانا و يراعى جانبه) فكانه يرجع الى العلم والحفظ (و يعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب) فى كل خطرة (واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه) واليه يشير كلام جعفر بن نصير فى المراقبة الذى تقدم قريبا اذ قال هى مراعاة السر لملاحظة الغيب فى كل

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها) اعلم ان حقيقة المراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من أمر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا و يراعى جانبه و يعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة تثمر تلك الحالة أعمالا فى الجوارح وفى القلب أما الحالة فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه

وأما المعرفة التي تثمرهذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا أعني انها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له

مع

خطرة وكلام الخواص المراعاة تورث المراقبة وكان هذا أول درجات المراقبة ثم ان المراقبة كغيرها من المقامات تنتظم من علم وحال وعمل وقد أشار المصنف الى العلم بقوله (وأما المعرفة التي تثمر هذه الحال فهو العلم) بصفات الالوهية المحدقة بالوجود كله بكل جزء منه على انفراده كعلمه وبصره وسمعه والايمان بها و (بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك) وأقوى واليه يشير كلام أبي الحسين بن هند الذي تقدم والايمان بهذه الصفات واجب وهو من الايمان بالله (فهذه المعرفة اذا تقوت) (صارت يقينا أعني انها خلت عن) ان يمازجه (الشك) والريب (ثم استولت بعد ذلك على القلب) الصنوبري (وقهرته) أي ملكته ملكا تاما لم تبق فيه منازعة الخاطر وحصول هذا المعنى بعد اليقين شرط (فرب علم لا يشك فيه لا يغلب على القلب) ولا يستوليه (كالعلم بالموت) فانه يقيني الا أنه لا يقهر بعض القلوب (فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه) بالكلية وتحقق بمقام الاحسان المشار اليه في الخبر (والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون) في الحضرة الالهية (وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب اليمين فمراقبتهم) أي المقربين (على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي) لها بداية ونهاية فثمرة بدايتها رعاية الخواطر وكشف ما التبس منها والادب مع الله بحرمة مراقبة الله ونهاية هذه الدرجة (مراقبة التعظيم والاجلال) والهيبة (وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة) بدخول الاعضاء بعضها في بعض (فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا) وهذه الحالة مرادة لذاتها لانها حالة لا تسع العمل فان الخواطر والجوارح بنية تابعة الروح المأخوذة بالمشاهدة والاحوال لها والادب عند سكون هذه الحالة رؤية العالم على أتم أنواع الاتقان والاعلام والرضا بمجاري الاقدار وسلب الاختيار لما عاين من جلال الله ورؤية الشريعة بعين الوقار وكمال النظام لانه رأى ثمرتها وبركتها وقيل السكون أن لا يكون للعقل فراغ لشئ من هذه الآداب وأقل ادراك العقل في هذه أن يرى الحق حقا والباطل باطلا بعلم ضروري لا يفتقر فيه الى اقامة برهان (وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب) فمن جملتها المراقبة المنسوبة الى الطائفة النقشبندية قدس الله أسرارهم قالوا هي ملاحظة المعنى المقدس من الجلالة وفهمه وحفظه في الخيال ثم التوجه به الى القلب بجميع القوى والمدارك والمداومة عليه حتى تذهب الكلفة من البين ويصير ملكة فان عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله في مقابلة البصيرة ثم يتوجه به الى القلب بالوجه المذكور الى ان تقوى البصيرة وتذهب الصورة ويترتب عليه ظهور المعنى المقصود قالوا وهي أعلى من طريق النفي والاثبات وأقرب للجذبة الالهية عن غيرها كما سيأتي بيانه (أما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات فاذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي) كما ورد في تأويل الخبر اللهم أصلح الراعي والرعية أي القلب والجوارح كما تقدم (فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي) صار همه هما واحدا (فكفاه الله سائر الهموم) كما روى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه الحديث وتقدم وروى هناد في الزهد عن سليمان بن حبيب المحاربي مرسلا من كان همه هما واحدا كفاه الله همه الحديث (ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق) رأسا (حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له

مع انه لا صمم به وقد عمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بى فحركنى ولا تستبعد هذا فانك تجد نظيرهذا فى القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه ويمشى فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا يسيرا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد ابن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال ما رأيت أحدا ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيد منهم فتقدمت اليه فأردت ان أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت أنت وحدك فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانه لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلى على أبى الحسين النورى وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على

مع أنه لا صمم به وقد عمر على ابنه مثلا فلا يكلمه) ولا يحس به (حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك) فيعاتبه بعضهم (فقال لمن عاتبه اذا مررت بى فحركنى) حتى أحس بك ومنهم من كان اذا دخل عليه أصحابه يسألهم عن أسمائهم كلما دخلوا عليه قال القشيرى سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور قال كنت مختصا بمجلس الاستاذ أبى على الدقاق أقرأ فيه القرآن فاتفق خروجه الى الحج وخرجت معه فلما كنا بالبيضاء طلب قمقمة فاحضرتها له فقال جزاك الله خيرا ثم نظر الى طويلا كأنه لم يرنى قط وقال رأيتك مرة من أنت فقلت المستعان بالله صحبتك مدة وخرجت من مسكنى ومالى نسيتنى الساعة تقول رأيتك مرة (ولا تستبعد هذا فانك تجد نظيرهذا فى القلوب المعظمة لملوك الارض حتى أن خدم الملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم فى مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم) وانصراف هممهم اليهم (بل قد يشتغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل فى الفكر فيه ويمشى) ولم يزل فى ذلك الفكر (فربما يجاوز الموضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهض له) فيتعجب من حاله ويرجع (وقيل لعبد الواحد بن زيد البصرى العابد) رحمه الله تعالى (هل تعرف فى زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف) بهذا الوصف (الا رجلا سيدخل) عليكم (الساعة فما كان الا يسيرا حتى دخل عتبة) بن أبان بن تغلب (الغلام) رحمه الله تعالى (فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت فى الطريق فقال ما رأيت أحدا) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن حدثنى مضر قال قال رجل لعبد الواحد بن زيد يا أبا عبيدة تعلم أحدا يمشى فى الطريق مشتغلا بنفسه لا يعرف أحدا يقول من اشتغاله قال ما أعرف أحدا الا رجلا واحدا الساعة يدخل عليكم فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عتبة قال وطريقه على السوق قال فقال له يا عتبة من رأيت ومن تلقاك فى الطريق قال ما رأيت أحدا (ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا) وهذا لشدة استغراقه بالله لم يميز بين المرأة والجدار لا لكونه حصورا (وحكى عن بعضهم قال مررت بجماعة يترامون) بالسهام ويتسابقون فيها (وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى فقلت أنت وحدك) هنا (فقال معى ربى وملكاى فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر خلقك لاه شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانه لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل) أبو بكر (الشبلى) قدس سره (على أبى الحسين) أحمد بن محمد (النورى) الواعظ رحمه الله تعالى (وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ) وهذا هو هيئة المراقب (فقال له) الشبلى (من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور) وهى الهرة (كانت لنا اذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر) وراقبت عليه (لا تتحرك لها شعرة) فهذه الحكاية هى كيفية الاستعدادات بعلم القرب بقرب الرب ويجلس مطرقا ساكن الظاهر والباطن مع الرياضات والتهذيب تولد منه تعظيم واجلال وكلما زادت المعرفة زاد الاجلال والتعظيم (وقال أبو عبد الله) محمد (بن خفيف) الشيرازى شيخ الشيوخ وواحد وقته صحب رويم والجريرى وابن عطاء وغيرهم مات سنة ٣٧١ (خرجت من مصر أريد الرملة) قاعدة فلسطين (للقاء أبى على) أحمد بن محمد

الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهد ان فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الارددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل ومابقى من القليل الا القليل خذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان فبقيت (١٠٢) عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عظنى فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيأ ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعظانى لعلى أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه الى وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فهما فانهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله

(الروذبارى) رحمه الله تعالى أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء وغيرهم وكان من أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة (فقال لى عيسى بن يونس المصرى المعروف بالزاهد ان فى صور) ثغر من ثغور الشام (شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما) فسافرت فى البحر (فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كتفى شئ فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلى القبلة فسلمت عليهما فما أجابانى فقلت لعلهما لم يسمعانى فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الارددتما على السلام فرفع الشاب رأسه من رقعته فنظر الى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل) أى فى نفسها بالاضافة الى الآخرة (ومابقى من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ بكليتى) أى بمجامعى (ثم طأطأ رأسه فى المكان) أى عاد للمراقبة من حينه (فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعى وعطشى وعنائى فلما كان وقت العصر قلت عظنى فرفع رأسه الى وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيأ ولا شربا ولما كان فى اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعظانى لعلى أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا) وفيه كرامة لهما حيث انهما عرفاه وناداه باسمه اعلاما من الله لهما وفيه ان المشغول بالله أهم ما يكون اليه شغل حاله واستغراقه يمنعه من الالتفات الى الوعظ والنصحة وانما يستدل بحاله و يتعظ به (فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم) والهيبة (فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم لكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال) بالكلية (بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون) على عمل (ولا يحجمون الا بعد التثبت) فيه (ويمتنعون من كل ما يفتضحون به فى القيامة فانهم يرون الله فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة) ليسمعوا نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا (وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبى أو امرأة فتعلم انه مطلع عليك فتستحى منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله

فيهما نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى أمضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر أنه ينشر (١٠٣) للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون أجرك على الله أو لمرآة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة الا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن كان أحدهم اذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله أمضاه وقال الحسن رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان

(فيهما نظران نظر قبل العمل) اى قبل الشروع فيه (ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق) ويعلم الواجب من الاوجب والفاضل من الافضل والمقدم من المؤخر وما يفوت على ما لا يفوت (فان كان لله تعالى أمضاه وان كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه) فقد قبل العمل على الحياء أفضل من العمل على الرجاء والخوف (ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف) والتثبت (في بداية الامور الى حد البيان) والانكشاف (واجب محتوم لا محيص عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لم) بكسر اللام ونصب الميم وأصله لما وهو للاستفهام (والثاني كيف والثالث لمن) قال العراقي لم أقف له على أصل قلت لكن تقدم حديث الدواوين يوم القيامة ثلاثة من حديث عائشة رواه أحمد والحاكم (ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقوظ أم بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت ألوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون أجرك على الله أو لمراياة خلق مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملت بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات) ان خلص من الاول لا يخلص من الثاني والثالث وان خلص من الاول والثاني لا يخلص من الثالث فان الاخلاص عزيز (طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدئ ولا يعيد الا بعد التثبت) والتوقف (ولا يحرك جفنا ولا أنملة الا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ) بن جبل رضي الله عنه يا معاذ (ان الرجل ليسئل عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه) تقدم ان العراقي قال لم أجد له أصلا مع انه رواه أبو نعيم في الحلية في حديث طويل أوله يا معاذ ان المؤمن لدى الحق أسير يعلم ان عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه الحديث وفيه يا معاذ ان المؤمن ليسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه يا معاذ اني أحب لك ما أحب لنفسي الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كان أحدهم اذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله أمضاه) نقله صاحب القوت (وقال الحسن) أيضا (رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تأخر) نقله صاحب القوت (وقال في حديث سعد) بن أبي وقاص (حين أوصاه سلمان) رضي الله عنهما

اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الاعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه و بين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى (١٠٤) وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا تظنن أن الجاهل بعذر على التعلم فيه بعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد وعشق والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بهم من استدبرها وأقبل على عدوها

(اتق الله عند همك اذا هممت) قال العراقي رواه أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله حديث مرفوع كما تقدم (وقال محمد بن علي) يحتمل أن يكون هو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ويحتمل أن يكون هو أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم السابق ذكره قريبا (ان المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل) وهو الذي يحتطب في ظلمة الليل فلا يميز بين ما يسره مما يضر (فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الاعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه ابليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه و بين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة) فوصف المراقبة للعبد انما يحمد اذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك أن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل شيء ويعلم ان نفسه عدوة له والشيطان عدو له وأنهما ينتهزان منه الفرصة حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منهما حذره و يلاحظ مكامنهما وتلبيسهما ومواضع ابتغائهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذه مراقبته وهذا كما ذكر يستدعي علما متينا (بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم) كما في الخبر وتقدم في كتاب العلم (ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم) كما ورد في الخبر وتقدم قريبا (لانه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه) ومن لا يعرفه (فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل) أي قبل الشروع فيه (و) عند (سعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه و يزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع أورثت الرغبة) فيها (والرغبة تورث الهم) بها (والهم يورث جزم القصد) بها (والقصد يورث) حدوث (الفعل) في الحال (والفعل يورث البوار) أي الهلاك (والمقت) والبعد عن الله تعالى (فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر) الذي خطر أولا (فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى) وخواصه وتلبيسه فان انكشف له ذلك فهو المراد (فان عجز عن الاجتهاد والفكر) بطريق العلم (بنفسه) اما لقصوره في درجة العلم أو لمانع آخر (فيستضيء بنور علماء الدين) بالسؤال عنهم والتأدب بآدابهم (وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا) بعلومهم ومعارفهم (فراره من الشيطان بل أشد فقد) ذكر المحاسبي في بعض كتبه أنه (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام) يا داود (لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا) أي غلب على قلبه واستولى عليه حتى صار شبيه السكران المغلوب (فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى) لا تستقر فيها المعرفة أبدا (فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بهم من استدبرها وأقبل على عدوها

وعشق بغيضها ومقيتها وهى شهوات الدنيا) والمقبل على حضرة الربوبية لا يلتفت الى الشهوات ولا تخطر له على بال والمقبل على الشهوات لا يشم رائحة الحضرة ولا يكون له نصيب منها (فلتكن همة المريد أولا فى احكام العلم) ومراعاته وليجعله بمنزلة ادامه ليقاتل به عدوه (أوفى طلب عالم) بصير متين العلم (معرض عن الدنيا) وشهواتها بان لا يكون متلفتا اليها (أوضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها) فان وجدان ذلك فى غالب الازمنة عزيز (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد) بالقاف أو هو بالفاء والذال (عند وروذ الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر العدنى ضعفه الجمهور اه قلت ورواه كذلك البيهقى فى الزهد وأبو مطيع فى أماليه والحافظ أبو مسعود سليمان بن ابراهيم الاصبهانى فى كتاب الاربعين بلفظ عند مجىء الشبهات وعند نزول الشهوات وبزيادة ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية (جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا) قال العراقى لم أجده وتقدم (فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب) ومباشرتها (ومعرفة آفات الاعمال) ودقائقها (وقد اندرست فى هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم وتركوها واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه) المشار اليه (وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين) ولباب العلوم كلها (من جملة العلوم وتجرد والفقه الدنيا الذى ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر انتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت) قال العراقى لم أجده (ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام) أى عسكر معاوية (لما أشكل عليهم الامر كسعد بن أبى وقاص) أحد العشرة (وعبد الله بن عمر) بن الخطاب (وأسامة) بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومحمد بن مسلمة) الانصارى (وغيرهم) رضوان الله عليهم أما سعد فقد ثبت أنه اعتزل الفتن بعد موت عثمان ونزل قصره بالعقيق وقال لا أحد يدخل على بخبر حتى مات وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق أيوب السختيانى قال اجتمع سعد وابن مسعود وابن عمر وعمار بن ياسر فذكروا الفتنة فقال سعد أما أنا فاجلس فى بيتى ولا أدخل فيها ومن طريق عمر بن سعد عن أبيه أنه قال له يابنى أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأسا لا والله حتى أعطى سيفا ان ضربت به مؤمنا نبا عنه وان ضربت به كافرا قتله ومن طريق ابن سيرين قال قيل لسعد ألا تقاتل فانك من اهل الشورى وأنت أحق بهذا الامر من غيرك فقال لا أقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد وأما ابن عمر فانه كذلك اعتزل فى الفتن بعد موت عثمان فقد روى أبو نعيم أيضا من طريق نافع قال قيل لابن عمر زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية اتصلى مع هؤلاء وهؤلاء وبعضهم يقتل بعضا فقال من قال حى على الصلاة أجبته ومن قال حى على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت لا ومن طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عمر قال انما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ما أبالى ان لا يكون لى ما يقتل بعضهم بعضا بنعلى هاتين الجرداوين وأما اسامة فقال الحافظ فى الاصابة اعتزل الفتن بعد قتل عثمان الى أن مات فى آخر ولاية معاوية وكان قد سكن المزة من دمشق ثم رجع فسكن وادى القرى ثم رجع الى المدينة فمات بها بالجرف سنة أربع وخمسين وأما محمد بن مسلمة ففى الاستيعاب لابن عبد البر أنه كان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين وقال حذيفة فى حقه انى لاعرف رجلا لا تضره الفتنة فذكره وصرح بسماع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم أخرجه البغوى وغيره وأخرج ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن ان محمد بن مسلمة

وعشق بغيضها ومقيتها وهى شهوات الدنيا فلتكن همة المريد أولا فى احكام العلم أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أوضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند وروذ الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد فى الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا فما قدر العقل الضعيف الذى سعد الآدمى به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست فى هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق فى الخصومات الثائرة فى اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذى ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الامر كسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم

فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا الهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض فى شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله متشابها على فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى الدين بغير علم فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفى الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت

قال اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال قاتل المشركين ما قوتلوا فاذا رأيت أمتى يضرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية ففعل قال الحافظ رجال هذا السند ثقات الا أن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة (فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا الهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك) تقدم فى ذم العجب (وكل من خاض فى شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة بزيادة ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث وقد تقدم (وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء) أبى بكر (الصديق رضى الله عنه اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى اتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعله متشابها على فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف (وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى الدين بغير علم) قال العراقى لم أجده (فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما وأراد به العلم وقال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى) أى دلالة الخير (وقال ثم ان علينا بيانه) أى كشفه (وقال وعلى الله قصد السبيل) أى السبيل المعتدل (وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة) أى التثبت عند اشتباه الامور من جملة التوفيق (ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفى الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرى التقوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه) أى تتعنى فى تحصيله (ورزق يطلبك) فيجىء لك من غير تعب (فان لم تأته أتاك) وهو قدر القوت (وان كنت جازعا على ما أصيب مما فى يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت) أورده الشريف الموسوى فى نهج البلاغة مفرقا فى مواضع وفيه بعد قوله فان لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك فان الله يأتيك فى كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك

وغرضنا من نقل هـذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة * فاذا النظر الاول للمراقب نظره فى الهم والحركة أهى لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لايخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والا آخر للا آخرة آثر الا آخرة على الدنيا وا كثر ماينكشف له فى حركاته أن يكون مباحا ولكن لايعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه النظر الثانى للمراقبة عند الشروع فى العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى اتمامه ويتكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهـذا ملازم له فى جميع أحواله فانه لايخلو فى جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى فى جميع ذلك قـدر عـلى عبادة الله تعالى فيها بالنيـة وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صـلى الله عليه وسـلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس مـتربعا اذلا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم ابن أدهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا وان كان ينام فينام عـلى اليد اليمنى مستقبل القبلة مـع سائر الا آداب الـتى ذكرناها فى مواضـعها فـكل ذلك داخل فى المراقبة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لا آدابها وفاء بالمراقبة فاذا لايخلو العبـد اما ان يكون فى طاعة أو فى معصـية أو فى مباح فمراقبته فى الطاعة بالاخـلاص والا كمال ومراعاة الادب وحراستها عن الا آفات وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والنـدم والاقلاع والحياء والاشـتغال بالتفكر وان كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم فى النعمة و بالشكر عليها ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لابدله من الصبر عليها ونعـمة لابدله من الشـكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل

عنك ماقدر لك (وغرضنا من نقل هذه الـكلمات) مع اختلافها فى بعضها وكون كل كلمة منها باسناد مستقل (قوله ومن التوفيق التوقف عنـد الحيرة) وقد مضى معناه (فاذا النظر الاول للمراقب نظره فى الهـم والحركة أهى لله أم للهوى) وذلك قبل العمل (وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه اسـتكمل ايمانه) رجل (لايخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والا آخر للا آخرة آثر الا آخرة على الدنيا) رواه الديلمى وابن عساكر من حـديث أبى هريرة وفيـه سالم بن عبد الواحد المرادى مختلف فيه وقد تقـدم (وأ كثر ماينكشف له فى حركاته أن يكون مباحا ولكن لايعنيه) أى لايهتم به (فيتركه لقوله صلى الله عليه وسـلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) رواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والبيهقى من حديث أبى هريرة ورواه الشيرازى فى الالقاب من حديث أبى ذر ورواه الحاكم فى الكنى من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه ورواه أحمـد والعسكرى فى الامثال والطبرانى وأبو نعيم وابن عبد البر فى التمهيد عن على بن الحسـين عن أبيه رفعه ورواه مالك والترمذى والبيهقى عن على بن الحسين مرسلا ورواه ابن عساكر عن على بن الحسين عن الحارث بن هشام ورواه العسكرى عن على بن الحسين عن أبيه عن جده وقد تقدم (النظر الثانى للمراقبة عند الشروع فى العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه و يحسن النية فى اتمامه و يكمل صورته و يتعاطاه على أكمل ما يمكنه) سادا المظان الا آفات الداخلة عليه ولا يمكن هذا الا بعـد التثبت والتمييز فاذا اعتبر ذلك ورجح عنده أحد العلمين بصحة المعرفة أقبل عليه بكنه الهمة بسببه وآدابه وهيا آته (وهذا ملازم له فى جميع أحواله فانه لايخلو فى جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى فى جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنيـة وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغى أن يقعد مسـتقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما اسـتقبل به القبلة) رواه الحاكم فى حديث طويل وابن جرير من حديث ابن عباس ورواه أبو نعيم وفى طريقه الديلمى من حـديث ابن عمرو ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق الا أنه قال أكرم المجالس ما استقبل بها القبلة وقد تقدم فى كتاب الصـلاة (ولا يجلس متربعا) بل كهيئة التشهد (اذلا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك) جل جلاله (مطلع عليه قال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا) رواه أبو نعيم فى الحلية (وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مسـتقبل القبلة مع) مراعاة (سائر الا آداب التى ذكرناها فى مواضعها) من هـذا الكتاب (فكل ذلك داخل فى المراقبـة بل لو كان فى قضاء الحاجة فمراعاته لا آدابها وفاء بالمراقبـة) وهكذا جميع الاعمـال (فاذا لايخلو العبـد اما أن يكون فى طاعة أو فى معصية أو فى مباح فمراقبته فى الطاعة بالاخلاص والا كمال) بان يخلص فيها ولا ينقصها (ومراعاة الا آداب) والاحترام (وحراستها) أى الطاعة (عن) مظان (الا آفات) العارضة عليها (وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء) واستشعار الهيبة والانكسار (والاشـتغال بالتكفير) باتباع السيئة الحسنة (وان كان فى مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم فى النعمة و بالشكر عليها ولا يخلو العبد فى جملة أحواله عن بلية لابدله من الصـبر عليها ونعمة لابد) له (من الشـكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل

لا ينفك العبد فى كل حال من فرض لله تعالى عليه امافعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغى أن يلتمس أفضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت فى مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدرى العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راهنة ينبغى أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه فى آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى واذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على مارواه أبوذر رضى الله تعالى عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن طامعا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم ومار وى عنه أيضا فى معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على بقية الساعات

لا ينفك العبد فى كل حال من فرض لله عليه امافعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه يسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود) معلومة (لابد من مراعاتها بدوام المراقبة) قال الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغى أن يتفقد العبد نفسه فى جميع أوقاته فى هذه الاقسام الثلاثة فان كان فارغا عن الفرائض) بان كان قد اداها (وقدر على الفضائل) وهى الزائد على الفرائض (فينبغى ان يلتمس أفضل الاعمال ليشتغل بها) ويعمر بها أوقاته (فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون) فى تجارته (والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه) ما يكون ذخيرة (لآخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى فالدنيا مزرعة للآخرة منها يتزود للمعاد (وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاثة) لا غير منها (ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت فى مشقة أو فى رفاهية و) منها (ساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدرى العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها) فهو غيب (و) منها (ساعة راهنة) وهى الموجودة فى الحال (ينبغى أن يجاهد نفسه فيها ويراقب فيها ربه) ولله در القائل

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

(فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من) الساعة (الاولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته) قال القشيرى فى الرسالة وقد يعنون بالوقت ماهو فيه من الزمان فان قوما قالوا الوقت ما بين الزمانين يعنى الماضى والمستقبل ويقولون الصوفى ابن وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به فى الحال قائم بما هو مطالب به فى الحين وقيل الفقير لا يهمه ماضى وقته وآتيه بل يهمه وقته الذى هو فيه وقيل الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت يأتى اه (كأنه فى آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى واذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغى أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال وتكون جميع أحواله مقصورة على مارواه أبوذر) الغفارى (رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم لا يكون المؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة) أى اصلاح (لمعاش أو لذة فى غير محرم) قال العراقى رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال انه فى صحف موسى وقد تقدم اه قلت ورواه الفريابى والحسن بن سفيان والطبرانى ومن طرقهم أبو نعيم فى الحلية قال الطبرانى حدثنا أحمد بن أنس بن مالك قال هو وابن سفيان والفريابى أخبرنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى حدثنى أبى عن جده عن أبى ادريس الخولانى عن أبى ذر قال دخلت المسجد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست اليه فقال يا أباذر ان للمسجد تحية وان تحيته ركعتان ثم ساقوا الحديث بطوله فى مسائلة أبى ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها فذكر فيها وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث فذكروا باقى الحديث (ومار وى عنه أيضا فى معناه وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على بقية الساعات) قال العراقى هو بقية الحديث الذى قبله قلت هذه الجملة ذكرت فى الحديث السابق قبل الجملة المذكورة آنفا ولفظهم وكان فيها أمثال على العاقل

ثم هذه الساعة التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله فى النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيأ من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الاصول

ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات وذكروه كسياق المصنف الا أنه الى قوله للمطعم والمشرب وقال أبو نعيم بعد ان ساق الحديث بطوله السياق للحسن بن سفيان ورواه المختار بن غسان عن اسمعيل بن مسلم عن أبى ادريس ورواه على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة عن أبى ذر ورواه عبيد بن الخشخاش عن أبى ذر ورواه معاوية بن صالح عن محمد بن أيوب عن ابن عائذ عن أبى ذر ورواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر بطوله تفرد به يحيى بن سعيد العبشمى وقد تقدم ذلك (ثم هذه الساعة التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله مثلا فيه من العجائب مالو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام) منهم (قسم ينظرون اليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون فى عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه فى كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الالباب و) منهم (قسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودهم) انهم (لو استغنوا عنه) لكان أجمع لهممهم (ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه) مضطرين اليه (مسخرين لشهواته) فيتناولونه ناظرين لذلك (وهذا مقام الزاهدين و) منهم (قسم يرون فى الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكرة تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله تعالى فله فى النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا) ودوامه أعز منه (و) منهم (قسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى) وحده لا شريك له فى فعله (وان من ذم شيأ من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اه قلت ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والرويانى والضياء من حديث أبى قتادة ورواه ابن عساكر من حديث جابر (فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الاصول) وحيث انتهى الكلام على هذه المرابطة بمراقبة الاعمال على الدوام فلنذكر تفصيل ما أورده مشايخ السادة النقشبندية قدس الله أرواحهم الزكية فى هذا الباب فانهم أحظى الناس بهذه المرابطة دون سائر أرباب السلوك * اعلم انهم قالوا ان المراقبة نسبة زكية وعبودة خفية فمن تحقق بها نوّر الله قلبه بنور المعرفة وشرح صدره بكشف الحقيقة فلم تخطئ فراسته ولم تبطئ مكاشفته وصح له التصريف فى عالمى الملك والملكوت والتقريب فى حضرة الجبروت وحسنت معاملته مع الله تعالى فى جميع الحالات وتمت له عمارة الاوقات ولكونها أعظم العبادات كانت خواص الصحابة يشتغلون بدوامها فى سائر الحالات وهى من الطرق الموصلة الى المشاهدات وهى على ثلاثة أنواع الاول استدامة العلم باطلاع الحق عليه فى جميع الاحوال مع مراعاة الاتباع بجميع الاحكام الثانى مطالعة أنوار الاسماء والصفات والمسارعة الى الله بالوصول بجميع العبادات الثالث مكاشفة أسرار حقائق

الاسماء والصفات ومشاهدة أنوار تجليات الذات وهذا النوع درجة الولاية الصغرى وهو غاية ما يبلغه السالكون بالمراقبة وفي هذه المراقبة يحصل له مقام الفناء في الفناء وتنتفي الحالات وتثبت المقامات وأما كيفية المراقبة فان يكون السالك طاهر الظاهر والباطن والمكان حاضر القلب مع الله مرفوعا عن الوساوس والخيالات محفوظا عن سائر المشوشات يجلس مستقبل القبلة على ركبتيه غامض العينين متبرئا عن حوله وقوته ناسيا جميع علمه ومعرفته معطلا حواس ظاهره وقوى باطنه ثم يتوجه بالقلب المطلق مع الجذبة الالهية الى جناب ذات الحق على طريق الاستهلاك فيه حتى يزول عنه تزاحم الخواطر بالكلية وتغلب روحانيته على جسمانيته ولا ينفك عن هذه الحالة فاذا استقرت وكانت له كالصفة اللازمة أمكن له الاستقامة والتقرب بسائر الاعمال وفي مقام المراقبة حالة أخرى تسمى عندهم بالوقوف القلبي وهو عبارة عن التوجه الى حقيقة الروح الانساني من جهة القلب لان الروح الانساني محيطة بجميع ما في الحضرة الربوبية احاطة انطباعية مطابقة للوجود في نفس الامر فمن توجه الى روحه من قلبه فقد ينكشف له ما في حضرة الربوبية من الاسرار فيصل بذلك الى معرفة ربه بالمعرفة الشهودية لان حقيقة الروح الانساني كالمرآة لتلك الحضرة لما فيه من القوة العقلية التي هي جوهر الهي فمن كشف ذلك الجوهر رأى فيه جميع صفات الله وأسمائه وذاته تعالى بالانطباع الظلي ورأى فيه أيضا جميع الموجودات العقلية والحسية وكيفية الاشتغال بالوقوف القلبي أن يجرد السالك أولا عقله من جميع الادراكات ثم يعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها ثم يسلخ نفسه عن الهيكل الجسماني وبعد ذلك يتوجه بالبصيرة الى حقيقة القلب على طريق الاستغراق والاستهلاك ويداوم على ذلك فكلما تزداد توجهه الى حقيقة القلب تزداد معرفته لنفسه وكلما تزداد معرفته لنفسه تزداد معرفته لربه سبحانه والحاصل أنه لابد في هذه الصورة من التجرد عن الذوات الجسمانية ولواحقها ونحو العلوم الرسمية وملازمة التوجه الى حقيقة القلب على الدوام ليتم له الانجلاء الروحاني الغير المقيد بشيء من عوارض الاجسام فيرى حقيقة قلبه في تلك الحالة نورا بسيطا محتويا بجميع ما كان وما يكون وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك الى دائرة قلبه بعد تجريده عن الشواغل ثم يلاحظ بدنه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويخيل روحه نافذا من أقطار السموات والارض ويستغرق في تلك الملاحظة على الدوام ويرجع اليها كلما ذهل عنها الى أن يفنى عن ملاحظة تلك الكرة المفروضة ويتعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها فعند حصول هذه الحالة يظهر له ان روحه نوراني محض ويستهلك جميع ما في ضمن السموات والارض في تلك النورانية حتى لا يبقى في الوجود في نظره غير روحه الذي هو الامر الالهي وبعد ذلك تستهلك نورانية الروح أيضا في نور الحق سبحانه لان دائرة نور الروح متصلة بافق نور الحق سبحانه ونور الحق غالب على جميع الانوار وجميع الانوار متلاش عند ظهور نور الحق كتلاشي سائر الاضواء عند ظهور ضوء الشمس فحينئذ لا يبقى في الظهور الا نور الحق الذي هو الوجود المطلق جلت عظمته وهذا هو حقيقة الحقائق وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك الى قلبه ثم يتصور روحه في قلبه نورا محضا بلا نهاية ويتصور في حق روحه النور الى صورة بدنه وصور العالم كالطير في الهواء ويتصور روحه محيطا بتلك الصورة وتلك الصور محاطة بذلك الروح وهو ينظر الى تلك الصور في جو الروح ويستغرق في النظر الهاحتي يتحد بتلك الصور في التصور ويزداد في الاتحاد بتلك الصور بالتشوق اليها حتى يتخيل أنه تلك الصور ويداوم على ذلك التصور بالتكرار فيه حتى يكون كأنه هو الحقيقة النوعية الكلية لجميع العالم التي لا نهاية ولا انقسام لها بل يكون وحدة صرفة بمجموع تلك الصور فمن جعل روحه متكيفا بهذه الكيفية عرف حقيقة روحه لان حقائق العالم كلها منطوية في الروح الانساني والروح الانساني حاو عليها فمن عرف روحه بتلك الجمعية للحقائق كلها فقد عرف روحه وبه يتصل الى معرفة ربه جل وعز وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه الى قلبه بعد تجريد نفسه ويتصور فيه نورا بسيطا وحدانيا مجردا

عن الكيفيات كلها غير متعلق بشئ ظاهر أعلى العالم الجسمانى كظهور الشمس على الجسمانيات بالنسبة الى ذلك النور البسيط كالذرة فى شعاع الشمس ثم يعلق نظره بذلك النور البسيط و يداوم على ذلك النظر لذلك النور البسيط حتى يستغرق فى ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك النظر فعند ذلك يتجلى له نور الحق سبحانه لان جميع الانوار المجردة ينتهى الى نور الحق سبحانه وصورة أخرى من الوقوف القلبى أن يتوجه الى قلبه و يلاحظ فيه ان نظر الله محيط به من جميع الجهات و يجعل ذاته محاطة بنظر الله تعالى و يستمر على تلك الملاحظة وبهذا الاستمرار تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود فيفنى عن وجوده الامكانى ولا يشاهد فيه ولا فى الاشياء كلها الا وجود الحق سبحانه وقد وصل

(فصل) فى شروط المراقبة وآدابها التى من داوم عليها يترقى منها الى مقام المشاهدة فشروطها أن تكون المراقبة باذن الشيخ وتعليمه وتربيته وتلقينه وأن تكون مع الجذبة القوية و بعد قطع العلائق الحسية والمعنوية و بعد ترك النسب والاضافات و بعد الوقوف عند الواردات وأما آدابها فهى دوام السكوت وملازمة البيوت وكف الحواس عن الاحساس وتعطيل القوى عن الادراك وترك الاشتغال بالكتابة ومطالعة الكتب والاعراض عن اتباع النفس فى طلب العلوم والمعرفة ومخالفة الهوى وترك الآمال والاطماع والخروج عن كل داعية تدعو الى السوى والسعى فى طريق الوصول الى الله تعالى ودوام التوجه الى لقائه وترك الطمع عن المقامات والاجتناب عن الكرامات والتأدب مع الله فى الظاهر والباطن ومراقبته فى جميع المظاهر فمن داوم على المراقبة بهذه الشروط والآداب يتقرب الى ذلك الجناب و يبلغ مبلغ الرجال و يشاهد الجلال والجمال وتصح له التربية والتلقين والارشاد الى رب العالمين

(فصل) قالوا المراقبة من أقرب الطرق الى الله تعالى من حيث التقرب اليه وهذه الاقربية ليست على اطلاقها بالنسبة الى أهل الجذبة فانها أقرب الطرق فى حقهم وأما بالنسبة الى السالك فتكون أبعد الطرق لان السلوك يقتضى الرياضات والمجاهدات فى أوائله فلا تنفعه المراقبة ابتداء وهذا موكول الى فراسة الشيخ البصير العارف فان رأى فى مريده الجذبة الالهية غالبة عليه شغله بمراقبة اسم الذات وان رآه عاريا عنها أمره بالنفى والاثبات وملازمة الرياضات حتى يتمكن الذكر من قلبه فينجذب الى الله تعالى بقلبه فحينئذ يشغله بالمراقبة وذلك على الترتيب والتدريج وقد قالوا ان اسم الذات ذكر المجردين عن قيد السوى والنفى والاثبات ذكر المقيدين بقيد السوى لان مقام صاحب اسم الذات فرق مجرد كما أشار اليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم الخ ومقام صاحب النفى والاثبات فرق مقيد كما أشار اليه الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فلكون اسم الذات من الاسماء الجبروتية والنفى والاثبات من الاسماء الملكية كان الوصول بذكر اسم الذات الى عالم الجبروت لاهل الجذبة أقرب من الوصول اليه بذكر النفى والاثبات وحيث قد فرغنا من ذكر المراقبة ومتعلقاتها فلنعد الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل) ولواحقها الاعتصام والاستقامة (ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه أولان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك (وهذه اشارة الى ان المحاسبة على ما مضى من الاعمال) أى انها تدل على النظر بعد الفراغ من العمل (ولذلك قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق ثابت بن الحجاج وقد تقدم قريبا (وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال استوص أنت) أى اقبل وصيتى (فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه) تقدم

(المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها)

*(أما الفضيلة) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفى الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصنى فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان غيا فانته عنه

وفى الخبرو ينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل و يقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفى حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك من حاجتى ولكن هيهات حيل بينى و بينك وهذا حساب ما قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول و بينى و بينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوّامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى

للمصنف ذلك قريبا من حديث عبادة بن الصامت وهو فى كتاب الزهد لابن المبارك من مرسل أبى جعفر الهاشمى وتقدم الكلام عليه (وفى الخبرو ينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه) تقدم قريبا من حديث أبى ذر (وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) تقدم الكلام عليه فى كتاب التوبة (والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه) بالندم عليه (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم) انه ليغان على قلبى و (انى لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة) تقدم غير مرة (وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) وذكر الكمال الصوفى ان هذه الآية تدل على النظر فى بداية العمل (و) يروى (عن عمر رضى الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل و يقول لنفسه ماذا عملت اليوم) وهذا يدل على المحاسبة بعد العمل (و) يروى (عن ميمون بن مهران) الجزرى العابد (أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان) انما (يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الىّ من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال ما أحد أعز على من عمر) فابدل أحب باعز (فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها) و بين الكلمتين فرق كبير (وحديث أبى طلحة) زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه (حين شغله الطائر فى صلاته) بان اتبع نظره اليه حتى لم يدر كم صلى (فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض عما فاته) وهذا عقوبة للتقصير وهى سنة الاولياء وقد تقدم فى كتاب الصلاة (وفى حديث عبد الله (بن سلام) رضى الله عنه (انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره) فهذه محاسبة بعد العمل وكان له من الاولاد يوسف وعبد الله وفى الصحيح عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال الطبرى وغيره مات بالمدينة سنة ٤٣ (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (المؤمن قوّام على نفسه) أى كثير القيام عليها والمراعاة لها (يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ) أى يرد عليه بغتة (يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى و بينك) أى فيتركه (وهذا حساب قبل العمل ثم قال و يفرط منه الشئ) أى يصدر منه بدارا (فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا) أى لا يقبل عذرى (والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله) تعالى فهذا حساب بعد العمل (وقال أنس بن مالك) رضى الله عنه (سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما وقد خرج) لحاجته (وخرجت معه فدخل حائطا) من الحيطان (فسمعته يقول و بينى و بينه جدار وهو فى الحائط) اذ تخلفت عنه (عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك) فهذا منه محاسبة للنفس (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى

ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحاً قلت فأنت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج (١١٣) يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقوله حتى أبكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا أياماً قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه

ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه) رواه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس وروي عن مجاهد أنه قال بالنفس اللوامة تندم على ما فات وتلوم عليه رواه عبد بن حميد وابن جرير وروي مثله عن ابن عباس رواه ابن المنذر (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري العابد رحمه الله تعالى (رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها) أي حبسها وكفها كما تحبس الناقة بالزمام (ثم خطمها) كما تخطم الناقة ثم (ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس) كما سيأتي في موضعه (وقال ميمون بن مهران) الجزري العابد (التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم) أي ظالم يجور في حسابه مع رعيته (ومن شريك شحيح) محب للدنيا (وقال ابراهيم) بن يزيد بن الحارث (التيمي) رحمه الله تعالى (مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفسي أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحاً قلت فأنت في الامنية فاعملي) رواه ابن أبي الدنيا (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (سمعت الحجاج) بن يوسف الثقفي وهو أمير البصرة (يخطب) على المنبر (وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرأ نظر في مكياله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول امرأ امرأ حتى أبكاني) رواه ابن أبي الدنيا (وحكى صاحب للاحنف بن قيس) التميمي رضي الله عنه له صحبة (قال كنت أصحبه فقال كان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف) وهو تصغير أحنف باسقاط الزائد (ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا) يعاتب نفسه بذلك رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان العبد كما يكون له وقت) معلوم (في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن تكون له في آخر النهار) كذلك (ساعة) معلومة (يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها) لم تحركت ولم سكنت وفي أي شيء تحركت وفي أي شيء سكنت وهذا (كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم) كيفما اتفق (حرصاً منهم على) حوز متاع (الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى) ما حصل (الا أياماً قلائل) ثم يفنى (فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك) فلو ساعده التوفيق كان يقدم محاسبة نفسه على كل الاعمال والاحوال اذ هي مبدؤها كما تقدم (ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه

الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولا فان أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وان أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة

فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان و بعضها برد عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى ألقى الملك باحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه

الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولا) فانها رأس ماله (فان أداها على وجهها) بآدابها وشروطها (شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من أصلها طالبها بالقضاء) فانه يحكي الاداء (وان أداها ناقصة) الشروط والآداب (كلفها الجبران بالنوافل) لجبر الفرائض واجب (وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط) فعقوبتها على التقصير سنة الاولياء والصالحين كما سيأتي (كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه) أي التاجر (يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره) وهمومه (وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب) التاجر (الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفى منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان و بعضها برد عينه و بعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء) قال الشيخ الاكبر قدس سره كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه و يقيدونه في دفتر فاذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم واحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر عنهم من قول وعمل وقابلوا كلا بما يستحق ثم ينامون فزدنا عليهم في هذا الامر كنا نقيد ما نحدث به نفوسنا ونهم به اهـ (ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة) العابد (وكان بالرقة) بلد بالجزيرة (وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما عمره فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم) من ضرب أيام السنة في الستين (فصرخ وقال يا ويلتى ألقى الملك باحد وعشرين ألف ذنب) وخمسمائة ذنب (فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت) وهذا قد غلبه الخوف فشق شغاف قلبه (فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى) رواه البيهقي في الشعب عن رجل من قريش ولم يقل وكان بالرقة (فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس) صاعدة وهابطة (وعلى كل معصية بالقلب) اذا هم بها (والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره) بالحجارة (في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك) كما قال تعالى (أحصاه الله ونسوه) ثم ان الحامل على هذه المحاسبة الايمان بمحاسبة الله تعالى يوم القيامة على الجليل والحقير وهو

واجب

(المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها) مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير فى حق الله تعالى فلا ينبغى أن يهملها فانه ان أهملها سهل عليه مقارفة المعاصى وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغى ان يعاقبها فاذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغى أن يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغى ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست وروى انه كان فى بنى اسرائيل رجل يتعبد فى صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ماهذا الذى أريد أن أصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود معى فى صومعتى لايكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة فى الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل فى بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريبى يقول أصابتنى ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت

واجب وهو من الايمان لله فان صفا قلبه حتى يحس بوقع الدين فى قلبه أثر المخالفة فهذا من الذين كاشفهم الله بسرعة حسابهم فى الدنيا قبل حساب الآخرة فتابوا وأنابوا وأثنى عليهم بقوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقد نبهنا على مافى الذنب من العقاب العاجل والآجل بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون فنفس كتب السيئة هو عين العقوبة لانها تنكت فى القلب نكتة سوداء وتتزايد الى ان يصير رينا وكذلك الحسنة هى نفس الثواب العاجل لانها تنكت فى القلب نكتة بيضاء وتتزايد الى ان تصير كالمرآة الصقيلة فلذلك قال تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين ولكن لايشعرون بماران على قلوبهم من رين الذنوب وهذه المحاسبة توجب الاعتصام وهو المعنى الجامع لكل مايخبر عنه العلماء من العلوم والاحوال والاعمال لان حقيقته التمسك بكتاب الله والحفظ لحدود الله ولذلك نقول ان الصلاح المؤدى الى معرفة الله وولائه بغير علم ممنوع وهو ثمرة المحاسبة لان المحاسبة تلزم العبد الرعاية والحفظ للحدود والفرق بينه وبين الاستقامة ان الاعتصام هو الحفظ للحدود واجبها ومندوبها والاستقامة هى الثبات والاعتدال عن الميل الى طرفى الامر المعتصم به قال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم فمن حاسب نفسه المحاسبة الوافية حتى اعتدلت أحواله وأعماله وأخلاقه فهو المستقيم على طاعة الله تعالى لان حقيقة الاستقامة سلوك الطريق بغير اعوجاج وهى علامة صحة المحاسبة والاستقامة تراد لذاتها ولغيرها أما كونها مرادة لذاتها فان الاعتدال تزكية للنفس وكمال لها وأما كونها مرادة لغيرها فهى وسيلة الى الدخول فى مقام الجمع من وادى التفرقة وهى مطمح انظار الاولياء والمقربين ثم ان العبد اذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور أحدها ان يتدارك بالتوبة والجبر وقد تقدم فان لم يستطع لغلبة الشهوة عالج نفسه بالمعاقبة واليه أشار المصنف فقال (المرابطة الرابعة فى معاقبة النفس على تقصيرها) اعلم انه (مهما حاسب) العبد (نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية) أى ملابستها (وارتكاب تقصير فى حق الله تعالى فلا ينبغى ان يهملها) أى يتركها هملا (فانه ان أهملها سهل عليه مقارفة المعاصى وأنست بها نفسه) وألفتها (وعسر عليه) حينئذ (فطامها) فان الانس بالشئ يوجب الجمود عليه (وكان ذلك سبب هلاكه بل ينبغى ان يعاقبها) بما يلائم جنس الذنب ويقابله فان لكل مرض علاجا (فاذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس) فانه (ينبغى ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم فينبغى ان يعاقب العين بمنع النظر) بان لايفتحها (وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن ابراهيم) رحمه الله تعالى (ان رجلا من العباد كلم امرأة) أجنبية (فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم) على ماصنع (فوضع يده على النار حتى فشت) أى يبست (وروى) فى بعض الاخبار (انه كان فى بنى اسرائيل رجل يتعبد فى صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم) من طاقة فى تلك الصومعة (فاذا هو بامرأة فافتتن بها) لبراعتها فى الجمال (وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله بسابقة) من عنايته فتذكر (فقال ماهذا الذى أريد ان أصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصى الله تعود معى فى صومعتى لايكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى) يبست و(تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل فى بعض كتبه ذكره ويحكى عن) أبى القاسم (الجنيد) قدس سره انه (قال سمعت ابن الكرتنى) هو شيخه وقد تقدم ذكره وانه منسوب الى كرتنا ناحية بخراسان ترجمه الخطيب فى تاريخه (يقول أصابتنى ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت

ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخرا وتقصيرا فحدثتنى نفسى بالتأخير حتى أصبح واسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعنى على نفسى فقلت واعجباه أنا
أعامل الله فى طول عمرى فيجب له على حق (١١٦) فلا أجد فى المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت ان لا اغتسل الا فى مرقعتى هذه وآليت ان
لا أنزعها ولا أعصرها ولا
اجففها فى الشمس ويحكى
ان غزوان وأبا موسى كانا
فى بعض مغازيهما
فتكشفت جارية فنظر
اليها غزوان فرفع يده
فلطم عينه حتى بقرت وقال
انك للحاظة الى ما يضرك
ونظر بعضهم نظرة واحدة
الى امرأة فجعل على نفسه
ان لا يشرب الماء البارد
طول حياته فكان يشرب
الماء الحار لينغص على
نفسه العيش ويحكى ان
حسان بن أبى سنان مر
بغرفة فقال متى بنيت هذه
ثم أقبل على نفسه فقال
تسألين عما لا يعنيك
لاعاقبنك بصوم سنة فصامها
وقال مالك بن ضيغم جاء
رباح القيسى يسأل عن
أبى بعد العصر فقلنا انه
نائم فقال أنوم هذه الساعة
هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا
فأتبعناه رسولا وقلنا
ألا نوقظه لك فجاء الرسول
وقال هو أشغل من ان يفهم
عنى شيأ أدركته وهو
يدخل المقابر وهو يعاتب
نفسه ويقول أقلت وقت
نوم هذه الساعة أفكان
هذا عليك ينام الرجل متى
شاء وما يدريك ان هذا
ليس وقت نوم تتكلمين
بما لا تعلمين أما ان لله على
عهد الا أنقضه أبدا الا أوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك أما تستحين كم توبخين وعن يدخل
غيك لا تنتهين قال وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته

ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخرا وتقصيرا فحدثتنى نفسى بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعين على نفسى) بالهلاك (فقلت واعجباه أنا أعامل الله فى طول عمرى فيجب على حق) من حقوقه (فلا أجد فى المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت ان لا أغتسل الا فى مرقعتى هذه وآليت ان لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها فى الشمس) وهذه معاقبة تامة على النفس (ويحكى ان غزوان وأبا موسى) ان كان أبو موسى هو الاشعرى الصحابى فاسمه عبد الله بن قيس ولا أعرف فى الصحابة من اسمه غزوان وفى التابعين غزوان بن عتبة بن غزوان المازنى روى عن أبيه حديثا عند الطبرانى وأبوه صحابى مشهور فيحتمل ان يكون هو المراد هنا والله أعلم (كانا فى) بعض (مغازيهم فتكشفت) لهما (جارية) جميلة الصورة (فنظر اليها غزوان) نظر شهوة ثم رجع فندم (فرفع يده فلطم عينه) لطمة (حتى نفرت) من موضعها (وقال انك للحاظة الى ما يضرك) ثم ظهر لى ان صاحب القصة مع أبى موسى هو عتبة بن غزوان فقد قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمود بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى حدثنى هرون بن رياب عن عتبة بن غزوان الرقاشى قال قال لى أبو موسى مالى أرى عينك نافرة فقلت انى التفت التفاتة فرأيت جارية لبعض الجيش فلحظتها لحظة فصككتها صكة فنفرت فصارت الى ما ترى فقال استغفر ربك ظلمت عينك ان لها أول نظرة وعليك ما بعدها (و) قد تكون المعاقبة على خلاف جنس المعصية وانما هى على حسب ما اقتضاه رأى المعاقب كما حكى انه (نظر بعضهم نظرة واحدة الى امرأة) أجنبية وكأنه قصدها تلذذ النفس فندم (فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن أبى سنان) البصرى العابد روى له البخارى تعليقا فى البيوع فقال وقال حسان بن أبى سنان ما رأيت شيأ أهون من الورع دع ما يريبك الى ما لا يريبك (مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق عبد الجبار بن النضر السلمى قال مر حسان بغرفة فقال مذ كم بنيت ثم رجع الى نفسه فقال وما عليك مذ كم بنيت تسألين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة وروى أيضا من طريق أبى حكيم ان حسانا خرج يوم العيد فلما رجع قالت له امرأته كم من امرأة حسنة قد نظرت اليها اليوم فلما أكثرت قال ويحك ما نظرت الا فى ابهامى منذ خرجت من عندك حتى رجعت اليك (وقال مالك بن ضيغم) الجلاب البصرى (جاء رياح القيسى) هو أبو المهاصر رياح بن عمرو روى عن حسان بن أبى سنان وأيوب السختيانى وصالح المرى ومالك بن دينار وغيرهم وعنه أحمد ابن يونس وعبد الله بن عمر ترجمه أبو نعيم فى الحلية (يسأل عن أبى) وهو ضيغم الجلاب له ذكر فى الشعب للبيهقى فى باب المحبة (بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من ان يفهم عنى شيأ أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاقب نفسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين اما ان لله على عهد الا أنقضه أبدا الا أوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك أما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكى وهو لا يشعر بمكانى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن الحسين البرجلانى حدثنا مالك بن ضيغم قال جاءنا رياح القيسى يسأل عن أبى بعد العصر فقلنا هو نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى فاتبعناه فقلنا الحقه فقل نوقظه لك قال فجاءنا بعد المغرب فقلنا أبلغته قال هو كان أشغل من ان يفهم عنى أدركته وهو

يدخل المقابر وهو يوبخ نفسه و يقول أقات أى نوم هذا اليم الرجل متى شاء تسألين عملا لا يعنيك أما ان لله عز وجل على عهد الا أنقضه فيما بينى و بينه أبدا الا أوسدك لنوم حولا قال فلما سمعت هذا منه تركته وانصرفت (ويحكى ان) أبا رقية (تميم) بن أوس بن خارجة (الدارى) رضى الله عنه كان بالمدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان ونزل بيت المقدس ومات بالشام روى له البخارى تعليقا والجماعة (نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس ورواه البيهقى فى الشعب من طريق المنكدر عن أبيه ان تميما الدارى نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع ورواه ابن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنى يونس بن يحيى الاموى عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه ان تميما الدارى نام ليلة لم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة فلم ينم فيها عقوبة للذى صنع وفى خبر ابن حيوة من طريق ابن سيرين كان تميم يقرأ القرآن فى ركعة وفى طبقات ابن سعد عن أبى قلابة كان تميم يختم القرآن فى سبع ليال وقد تقدم (وعن طلحة) اختلف فيه فقيل هو الصحابى أحد العشرة وقيل هو طلحة بن مصرف كما سيأتى فى بيان الاختلاف فيه عقيب الحديث (قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء) أى الرمل الحار (فكان يقول لنفسه ذوقى نار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك اذ ابصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال غلبتنى نفسى) أى فقهرتها بهذا العمل وكأنه يعتذر للنبى صلى الله عليه وسلم (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذى صنعت اما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزوّدوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل مآبهم الجنة) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من رواية ليث بن أبى سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدرى من طلحة هذا الا ان يكون طلحة بن مصرف والا فهو مجهول وقد أخرجه الطبرانى من حديث بريدة متصلا نحوه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له اذ أتى على رجل يتقلب فى الرمضاء ظهر البطن و يقول نوم بالليل و باطل بالنهار وترجين الجنة الحديث اه قلت وقوله وهذا منقطع أو مرسل يعنى به ان كان طلحة صحابيا فليث لم يدركه فهو منقطع بينهما وان كان هو طلحة بن مصرف فروايته عن الصحابة وعن كبار التابعين فهو مرسل وقد روى أبو داود فى سننه حديثا عن طلحة عن أبيه عن جده فقيل هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامى وقيل والا فهو مجهول وذكر الذهبى ان مصرف بن عمرو عن أبيه مجهول وعمرو بن كعب وقيل كعب بن عمرو وصحابى مختلف فيه (وقال حذيفة بن قتادة) المرعشى رحمه الله تعالى (قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهوتها فقال ما على وجه الارض نفس أبغض الى منها فكيف أعطيها شهوتها) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنى سلمة حدثنا سهل بن عاصم عن أبى يزيد الرقى قال قال حذيفة بن قتادة قيل لرجل فذكره (ودخل) أبو العباس (ابن السماك) الواعظ هو محمد بن صبيح البغدادى روى عن التابعين (على داود) بن نصير (الطائى) رحمهما الله تعالى (حين مات وهو فى بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد قال سمعت أبا جعفر الكندى فى جنازة بشر بن الحرث يقول دخل ابن السماك على داود الطائى حين مات فذكره وقال أيضا حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنى أبو بكر بن خلف حدثنا اسحق بن منصور ببغداد سنة خمس ومائتين قال لما مات داود الطائى شيع الناس جنازته فلما دفن قام ابن السماك فقال يا داود كنت تسهر ليلك اذا الناس نائمون فقال القوم جميعا صدقت وكنت تربح اذا الناس يخسرون وكنت تسلم اذا الناس يخوضون فقال الناس جميعا صدقت حتى عدد فضائله كلها فلما فرغ قام أبو بكر النهشلى فحمد الله ثم

ويحكى عن تميم الدارى انه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذى صنع وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوقى ونار جهنم أشد حرا أجيفة بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك اذ أبصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة فأتاه فقال غلبتنى نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لى يا فلان ادع لى فقال النبى صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة ابن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك فى شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس أبغض الى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات وهو فى بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له

وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان (١١٨) فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فصيح فى الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل امامى وهو يخاطب نفسه ويقول أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث أبى طلحة لما اشتغل قلبه فى الصلاة بطائر فى حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء مادام فى الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ماحملك على أن صنعت يوم كذا وكذا وأنكر وهيب بن الورد شيأ على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى

قال يارب ان الناس قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله الى عمله حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس حدثنا محمد بن يحيى الواسطى حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر الجعفى قال اشتكى داود الطائى أياما وكان سبب علته انه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مرارا فى ليلته فاصبح مريضا فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة ففتحوا باب الدار ودخل ناس من اخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك فلما نظر الى رأسه قال يا داود فضحت القراء فلما حملوه الى قبره خرج فى جنازته خلق كثير حتى خرج ذوات الخدور فقال ابن السماك يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وحاسبت نفسك قبل ان تحاسب فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو وله كنت تنصب وتعمل فقال أبو بكر بن عياش وهو على شفير القبر اللهم لا تكل داود الى عمله قال فاعجب الناس ما قال أبو بكر حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد ابن راشد حدثنا محمد بن حسان الازرق حدثنا ابن مهدى قال بلغنى ان داود الطائى يوم مات وهو فى بيت على التراب وتحت رأسه لبنة فبكيت لما رأيت من حاله ثم ذكرت ما أعد الله تعالى لاوليائه فقلت داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل (و) روى (عن وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى قال (ان رجلا تعبد زمانا) طويلا (ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت أحد عشر تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك أتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وقال عبد الله بن قيس) هو أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه وكان عمر ولاه غزاة فارس وهو الذى فتح تستر ونزل الهرمزان من الحصن على حكم عمر فارسله مع أنس الى المدينة فامنه عمر واسلم الهرمزان (كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فصيح فى الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل امامى وهو يخاطب نفسه ويقول أى نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لى أهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان فى أوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا) على الارض (فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وقد ذكرنا حديث أبى طلحة) الانصارى (لما اشتغل قلبه فى الصلاة فى حائطه) بطائر حسن الصوت فادار نظره اليه واتبعه فلم يدركم صلى (فتصدق بالحائط كفارة لذلك) وكذا تأخير ابن عمر صلاة المغرب حتى طلعت نجمة فاعتق رقبة وقد ذكر كل من ذلك فى كتاب الصلاة وهذا مستحب فعقوبة النفس على التقصير سنة الاولياء ولا يجب الاجبر الفرائض (و) ذكرنا أيضا (ان عمر) رضى الله عنه (كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم) يحاسبها ويعاقبها (وعن مجمع) بن صمعان التيمى رحمه الله تعالى وكان من الورعين حكى عنه الاعمش وسفيان وأبو حيان التيمى ترجمه صاحب الحلية (انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء مادام فى الدنيا) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وكان الاحنف ابن قيس) التميمى (لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا) ثم يقول قل نار جهنم أشد حرا رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (وأنكر وهيب بن الورد) المكى أبو أمية اسمه عبد الوهاب ولكنه اشتهر بوهيب (شيأ على نفسه فنتف شعرات) كانت (على صدره حتى

عظم

عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه و يحك انما أريد بك الخير) رواه ابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (ورأى) أبو عبد الله (محمد بن بشر) بن الفرافصة بن المختار بن رويح العبدى الكوفى ثقة حافظ مات سنة ثلاث ومائتين روى له الجماعة (داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال) ان (نفسى لتدعونى الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام فى الدنيا) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل ابن عاصم حدثنا شهاب بن عباد حدثنا محمد بن بشر قال دخلت و داود الطائى المسجد فصليت معه المغرب ثم أخذ بيدى فدخلت معه البيت فقام الى دن له كبير فأخذ منه رغيفا يابسا فغمسه فى الماء ثم قال ادن فكل قلت بارك الله لك فافطر فقلت له يا أبا سليمان لو أخذت شيأ من ملح قال فسكت ساعة ثم قال ان نفسى نازعتنى ملحا ولا ذاق داود ملحا مادام فى الدنيا قال فما ذاقه حتى مات وقال أيضا حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا اسمعيل بن أبى الحرث حدثنا أحمد بن عمران الأخنس حدثنا الوليد بن عقبة قال كان يخبز لداود الطائى ستون رغيفا فيعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء فأخذ ليلة فطاره فجعل ينظر اليه قال ومولاة له سوداء تنظر اليه فقامت فجاءته بشئ من تمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائما فلما ان جاء وقت الافطار أخذ رغيفيه وملحا وماء قال الوليد بن عقبة فحدثنى جاره قال جعلت أسمعه يعاتب نفسه يقول اشتهيت البارحة تمرا فأطعمتك واشتهيت الليلة تمرا لا ذاق داود الطائى تمرة مادام فى دار الدنيا قال محمد بن اسحق فى حديثه فما ذاقها حتى مات وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن على بن الجارود حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنى عبد الله بن عبد الكريم عن حماد بن أبى حنيفة قال جئت داود الطائى والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فأطعمتك ثم اشتهيت جزرا وتمرا آليت أن لا تأكليه أبدا فاستأذنت وسلمت ودخلت فاذا هو يعاتب نفسه حدثنا ابراهيم بن أحمد بن أبى الحصين حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن حسان سمعت اسمعيل بن حسان يقول جئت الى باب داود الطائى أريد أن أدخل عليه فسمعته يخاطب نفسه فظننت ان عنده انسانا يكلمه فأطلت الوقوف بالباب ثم استأذنت فقال ادخل فدخلت فقال ما بدا لك من الاستئذان على قال قلت سمعتك تتكلم فظننت أن عندك انسانا تخاصمه قال لا ولكن كنت اخاصم نفسى اشتهت البارحة تمرا فخرجت فاشتريته فلما جئت بالتمر اشتهت الجزر فأعطيت الله عهدا أن لا آكل التمر والجزر حتى ألقاه (فهكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم) اذا خانت نفوسهم وضيعت الحدود (والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار و بغوا عليك ثم تهمل نفسك وهى أعظم عدوّك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة) ومعيشة الدنيا زائلة عن قريب (وان فيه) أى فى عيش الآخرة (النعيم المقيم الذى لا آخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها) والعناية بأحوالها أوكد من غيرها والله الموفق (المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية ينبغى أن) يجبرها بالتوبة والاستغفار ثم يرجع اليها (يعاقبها بالعقوبات التى مضت) حتى انها تتأدب (وان رآها تتوانى) أى تتساهل (بحكم الكسل فى شئ من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها و يلزمها فنونا) أى أنواعا (من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد) روى انه (عاقب عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بان تصدق) على الفقراء (بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر) رضى الله عنهما (اذا فاتته صلاة فى جماعة أحيا تلك الليلة) قائما يصلى (و) يروى انه (أخر ليلة صلاة المغرب) لشغل عرضه (حتى

عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه و يحك انما أريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائى وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال ان نفسى لتدعونى الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام فى الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولى الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهى أعظم عدوّك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم ان يشوّشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذى لا آخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها

(المرابطة الخامسة المجاهدة)

وهو أنه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى ان يعاقبها بالعقوبات التى مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل فى شئ من الفضائل أو ورد من الاوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها و يلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة فى جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى

طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة

على الاوراد فما سبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن أنفع أسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى أحوال محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا الا أن هذا العلاج قد تعذر اذ فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شئ أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله

طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات) الحرث بن عبد الله (بن أبي ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي المكي أمير الكوفة المعروف بالقباع روى له أبو داود في المراسيل والنسائي مات قبل السبعين (ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا) على رجليه (أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها) من الهلاك الأبدي (فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة) والرياضات الشاقة (والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين) هكذا في سائر نسخ الكتاب وقد وقع للحافظ العراقي تصحيف في هذه الكلمة فقال من فضل المتهجدين بتقديم الفوقية ثم أورد من حديث عبد الله بن عمرو من قام بعشرة آيات لم يكتب من الغافلين الحديث رواه أبو داود ومن حديث أبي هريرة رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته رواه النسائي وابن ماجه ومن حديث بلال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم رواه الترمذي ثم قال وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الاخبار في ذلك اهـ وأنت خبير بانه يخالف السياق والسباق وانما مراد المصنف أخبار فضل المجتهدين في العبادة لا المتهجدين والمراد من أخبارهم حكاياتهم وسيرهم فتأمل ذلك (ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله كامل) الظاهر معمور الباطن (مجتهد في العبادة) غير متساهل فيها (فتلاحظ أقواله) وتلاحظ أحواله (وتقتدي به) فيهما وهذا المعنى هو الأصل الأصيل في سلوك طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم وهم يعتمدون عليه كثيرا ويأمرون المريد بذلك (وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى أحوال) أبي عبد الله (محمد بن واسع) البصري العابد (والى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن محمد بن سنان حدثنا محمد بن اسحق حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال كنت اذا وجدت من قلبي قسوة فنظرت الى وجه محمد بن واسع نظرة وكنت اذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى اهـ وقد ذكر أبو نعيم من اجتهاد محمد بن واسع في العبادة شيأ كثيرا راجعه في ترجمته (الا أن هذا العلاج قد تعذر) الآن (اذ قد فقد في هذا الزمان) وهو رأس الخمسمائة من الهجرة (من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين) لنقص الهمم وتأخر الزمان (فينبغي أن يعدل من المشاهدة) والمصاحبة (الى السماع) بالتيقظ والتذكر (فلا شئ أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم) أي سيرهم وحكاياتهم (وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى) قال العراقي لم أجد له أصلا في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفا على علي في كلام له قال فيه ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض اهـ قلت بل أخرجه ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا الا انه قال قوما بدل أقواما وكلام علي المذكور أورده الشريف في نهج البلاغة (قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى بعد ان روى الحديث المذكور ما معناه (أجهدتهم العبادة) حتى كأنهم أصابهم المرض فنحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم (وقال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن) في تفسير هذا القول يعني (يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله) رواه ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله) قال

العراقي

و روى ان الله تعالى يقول للملائكته ما بال عبادى مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيأ فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآنى عبادى لكانوا أشد اجتهادا وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطؤنه بأرجلكم ان كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يتقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له يافتى ما الذى بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله الا صدقتنى فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى أنظر الى عرش ربى والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى وقليل حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه

العراقى رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن بسر وفيه بقية وقد رواه بصيغة عن وهو مدلس وللترمذى من حديث أبى بكرة خير الناس من طال عمره وحسن عمله اهـ قلت حديث عبد الله بن بسر رواه أبو نعيم فى الحلية وحديث أبى بكرة رواه أيضا أحمد وابن زنجويه والطبرانى والحاكم والبيهقى بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله وقال الترمذى حسن صحيح وقد روى الجملة الاولى فقط أحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن غريب والطبرانى والبيهقى والضياء من حديث عبد الله بن بسر وفى الباب عن ابن عمر رواه القضاعى فى مسند الشهاب والديلمى فى مسند الفردوس وعن جابر رواه الحاكم وعن أبى هريرة رواه أحمد والبزار والفاظهم مختلفة وقد تقدم (و يروى) فى بعض الاخبار (ان الله تعالى يقول للملائكته ما بال عبادى مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيأ فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآنى عبادى لكانوا أشد اجتهادا) نقله صاحب القوت (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم) يعنى بهم الصحابة وكبار التابعين (ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شئ منها أدبر ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب الذى تطؤنه بأرجلكم ان كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب) أى لاقتصاره على الثوب الواحد (ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط) أى حائلا من فرش غير ثوبه الذى على بدنه (وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم) صلى الله عليه وسلم (اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم) يصلون (يفترشون وجوههم) اشارة الى كثرة السجود (تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم) أى يتضرعون (فى فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها) حيث وفقهم الله تعالى لها (ودأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك) أى مداومين (وعلى ذلك) أى مستقيمين (ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة) نقله صاحب القوت هكذا مجموعا وقد روى ذلك عن الحسن بأسانيد متفرقة قال أحمد فى الزهد حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا هشام بن حسان سمعت الحسن يقول والله لقد أدركت أقواما ما طوى لاحدهم فى بيته ثوب قط وما أمر فى أهله بصنعة طعام قط وما جعل بينه وبين الارض شيأ قط وان كان أحدهم يقول لوددت انى أكلت أكلة تصير فى جوفى مثل الآجرة قال و يقول بلغنا أن الآجرة تبقى فى الماء ثلثمائة سنة وروى أبو نعيم من طريق الفضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد أدركت أقواما ما كانوا يفرحون بما أقبل عليهم من الدنيا ولا يأسون بما أدبر منها (ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (يعودونه فى مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم) أى متغيره (فقال له عمر يافتى ما الذى بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله الا ما صدقتنى) وكأنه تفرس فيه ان هذا النحول ليس عن مرض طبيعى (قال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها) أى زينتها (وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى أنظر الى عرش ربى والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهارى) بالصيام (وأسهرت ليلى) بالقيام (وقليل حقير كل ما أنا فيه) من الاجتهاد (فى جنب ثواب الله وعقابه) وقد روى أبو نعيم فى ترجمة عمر بن عبد العزيز ما يشبه هذا السياق ويدل على شدة اجتهاده قال أخبرنا محمد بن ابراهيم فى كتابه حدثنا أحمد بن محمد حدثنا السرى بن عاصم حدثنا ابراهيم بن هراسة عن الثورى عن أبى الزناد عن أبى حازم الاسدى الخناصرى قال قدمت على عمر بن عبد العزيز بخناصرة وهو يومئذ أمير المؤمنين فلما نظر الى عرفنى ولم أعرفه فقال لى ادن يا أبا حازم فلما دنوت منه عرفته فقلت أنت أمير المؤمنين قال نعم قلت ألم تكن عندنا بالامس أميرا لسليمان بن عبد الملك وكان

مركبك وطيا وثوبك نقيا ووجهك بهيا وطعامك هنيا وقصرك مشيدا وحديثك كثيرا فما الذى غير مابك وأنت أمير المؤمنين فقال أعد على الحديث الذى حدثتنيه بالمدينة فقلت نعم يا أمير المؤمنين سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين أيديكم عقبة كؤدا مضرسة لا يجوزها الا كل ضامر مهزول قال فبكى أمير المؤمنين بكاء عاليا حتى علا نحيبه ثم قال يا أبا حازم أفتلومنى ان أضمر نفسى لتلك العقبة لعلى ان أنجو منها وما أظننى منها بناج (وقال أبو نعيم) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الأصبهانى رحمه الله تعالى صاحب الحلية (كان داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له فى ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن عبد الله بن مصعب حدثنا على بن حرب حدثنا اسمعيل بن الريان قال قالت داية داود الطائى يا أبا سليمان اماتشتهى الخبز قال يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عباس بن حمدان الحنفى حدثنا الحضرمى بالبصرة حدثنا نصر بن عبد الرحمن حدثنا عامر بن اسمعيل الاحمسى قال قلت لداود الطائى بلغنى انك تأكل هذا الخبز اليابس تطلب به الخشونة فقال سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللبن فاذا هو قراءة مائتى آية ولكن ليس لى من يخبز فربما يبس على (ودخل رجل عليه يوما فقال ان فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخى ان لى فى البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون من فضول النظر كما يكرهون من فضول الكلام) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطى حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر الجعفى قال دخل رجل على داود الطائى فقال يا أبا سليمان بعت كل شئ فى الدار حتى التراب وبقيت تحت نصف سقف فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والمطر والبرد فقال داود اللهم غفرا كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام يا عبد الله اخرج عنى فقد شغلت على قلبى انى أبادر جفوف القلم وطى الصحيفة حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبو موسى الانصارى حدثنا عبادة بن كليب قال قال رجل لداود الطائى لو أمرت بما فى سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف قال له أما علمت انه كان يكره فضول النظر حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا محمد بن يحيى بن منده حدثنا الحسن بن منصور بن مقاتل حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا عبد الرحمن بن مصعب قال رؤى على داود الطائى جبة متخرقة فقال له رجل لو خيطتها قال اما علمت انه نهى عن فضول النظر حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد حدثنا عبد الله بن أحمد بن سوادة حدثنا عباس الترقفى سمعت معاوية بن عمرو يقول كنا عند داود الطائى يوما فدخلت الشمس من الكوة فقال له بعض من حضر لو أذنت لى سددت هذه الكوة فقال كانوا يكرهون فضول النظر وكنا عنده يوما آخر فاذا فروه قد تخرق وخرج خمله فقال له بعض من حضر لو أذنت لى خيطته فقال كانوا يكرهون فضول الكلام (وقال) أبو روح (محمد بن عبد العزيز) الجرمى ويقال الراسبى البصرى ثقة روى له البخارى ومسلم والترمذى (جلسنا الى أحمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة) وذلك لكمال مراقبته لجلال الله وعظمته (فقيل له فى ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى) وجلاله وهذا شكرهما (فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه) نظرته (خطيئة وقالت امرأة مسروق) بن الاجدع الهمدانى الوادعى أبى عائشة الكوفى تابعى جليل روى له الاربعة وامرأته هى قمير كاميرابنة عمرو الكوفية روى لها أبو داود والنسائى (ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة) بالليل (وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فأبكى رحمة له) رواه المزى فى التهذيب من طريق أنس بن سيرين عنها قالت كان مسروق يصلى حتى تورم قدماه فربما جلست خلفه أبكى مما أراه يصنع بنفسه وقال الشعبى غشى على مسروق فى يوم صائف وهو صائم وكانت

وقال أبو نعيم كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له فى ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال ان فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخى ان لى فى البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى أحمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له فى ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فأبكى رحمة له

عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنته فسمى ابنته عائشة وكان لا يعصى ابنته شيأ فنزلت اليه فقالت يا أبتاه افطر واشرب قال ما أردت بي يا بنية قالت الرفق قال يا بنية انما طلبت الرفق لنفسى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب التمر) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن الوليد عن عباس بن خليد الحجرى عن أبي الدرداء انه قال لولا ثلاث خصال لاحببت أن لا أبقى فى الدنيا فقلت وما هن قال لولا وضوع وجهى للسجود لخالقى واختلاف الليل والنهار يكون تقدمة لحياتى وظمأ الهواجر ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة وتمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه فى مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية أن يكون حراما يكون حاجزا بينه و بين الحرام ان الله قد بين لعباده الذى هو يصيرهم اليه قال الله تعالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا تحقرن شيأ من الشر ان تتقيه ولا شيأ من الخير ان تفعله (وكان الاسود بن يزيد) بن قيس النخعى أبو عمرو ويقال أبو عبد الرحمن الكوفى أبو عبد الرحمن بن يزيد وابن أخى علقمة بن قيس وكان أسن من علقمة و والد عبد الرحمن وقال ابراهيم توفى بالكوفة سنة خمس وأربعين روى له الجماعة (يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس) بن عبد الله بن مالك النخعى أبو شبل عم الاسود وعبد الرحمن بن يزيد وقال ابراهيم (يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو حميد الحمصى حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن أبى عطاء عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد الى ثمانية من التابعين منهم الاسود بن يزيد كان يجتهد فى العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد قال راحة هذا الجسد أريد ورواه أحمد فى الزهد فقال حدثنا حجاج حدثنا محمد ابن طلحة عن عبد الرحمن بن ثروان الاودى قال كان الاسود بن يزيد يجهد نفسه فى الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة يقول له ويحك كم تعذب هذا الجسد فيقول ان الامر جد ان الامر جد قال وحدثنا معمر بن سليمان الرقى حدثنا عبد الله بن بشر ان علقمة والاسود حجا وكان الاسود صاحب عبادة وصام يوما فراح الناس بالهجير وقد تربد وجهه فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال ألا تتقى الله يا أبا عمرو فى هذا الجسد علام تعذب هذا الجسد فقال الاسود يا أبا شبل الجد الجد وروى أبو نعيم من طريق على بن مدرك قال قال علقمة للاسود لم تعذب هذا الجسد وهو يصوم قال الراحة أريد له وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الفضل بن دكين حدثنا الحنش بن الحرث قال رأيت الاسود بن يزيد قد ذهبت احدى عينيه من الصوم (وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط) مغشيا عليه (فدخل عليه أنس بن مالك) رضى الله عنه (والحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فقالا له ان الله تعالى لم يأمرك بكل هذا فيقول انما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيأ الا جئت به) قال ميمون أبو حمزة سافر الاسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره كان عبد الرحمن بن الاسود يصلى كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون انه أقل أهل بيته اجتهادا قال وكانوا يسمون آل الاسود من أهل الجنة وسئل الشعبى عن علقمة والاسود فقال كان الاسود صوّاما قوّاما كثير الحج وكان علقمة مع البطء و يدرك السريع وقال ابراهيم كان علقمة يقرأ القرآن فى خمس والاسود فى ست وعبد الرحمن بن يزيد فى سبع وقال الشعبى ان كان أهل بيت خلقوا للجنة فهم أهل هذا البيت علقمة والاسود وعبد الرحمن (وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان) أبو

وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له ان الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا فقال انما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيأ الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان

محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) البصري رحمه الله تعالى وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب قال ابن عدي هو من تابعي البصرة وزهادهم ومحدثيهم (قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت أذنت لاحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أحمد بن الفضيل المكي حدثنا حمزة بن ربيعة حدثني ابن شوذب قال سمعت ثابتا البناني يقول اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك أن يصلي لك في قبره فاعطني حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا عمر بن شبة حدثنا يوسف بن عطية سمعت ثابتا يقول لحميد الطويل هل بلغك يا أبا عبيدة ان أحدا يصلي في قبره الا الانبياء قال لا قال ثابت اللهم ان أذنت لاحد ان يصلي في قبره فاذن لثابت أن يصلي في قبره قال وكان ثابت يصلي قائما حتى يعيا فاذا عيي جلس فصلى وهو جالس ويحتبي في قعوده ويقرأ فاذا أراد أن يسجد وهو جالس حل حبوته حدثنا عثمان بن محمد العثماني حدثنا اسمعيل بن علي الكرابيسي حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا سيار بن حبيش عن أبيه قال أنا والله الذي لا اله الا هو ادخلت ثابتا البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره شك محمد قال فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا أنا به يصلي في قبره فقلت للذي معي ألا ترى قال اسكت فلما سوينا عليه التراب وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها ما كان عمل ثابت قالت وما رأيتم فخبرناها فقالت كان يقوم الليل خمسين سنة فاذا كان السحر قال في دعائه اللهم ان كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فاعطنيها فما كان الله تعالى ليرد ذلك الدعاء (وقال الجنيد) قدس سره (ما رأيت أعبد لله) عز وجل (من السري) بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى (أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت) رواه القشيري عن أبي عبد الرحمن السلمي سماعا قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول ما رأيت أعبد من السري فذكره ورواه الخطيب من طريق ابن باكويه حدثنا أبو بكر أحمد بن اسمعيل الصوري قال سمعت فاطمة بنت أحمد أخت ابي علي الروذباري قالت سمعت أخي ومن طريق علي بن الحسن الصيقلي قال سمعت الفرغاني قال سمعنا الجنيد يقول فذكره وهو تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الاقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح (وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم) يشير الى أن هذا الذي رأيتموه من الاجتهاد في العبادة يسير بالاضافة الى ما أعد من الاهوال في يوم القيامة (وعن أبي محمد المغازلي) كذا في النسخ ولعله أبو جعفر محمد ابن منصور المغازلي عبد صالح بغدادي روى عن بشر الحافي وعنه محمد بن مخلد العطار (قال جاور أبو محمد) أحمد بن محمد بن الحسين الجريري بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد (بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر) محمد بن علي (الكتاني) البغدادي من أصحاب الجنيد جاور بمكة الى ان مات بها سنة ٣٢٢ (فسلم عليه وقال يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا) يشير الى أن الاجتهاد لا يتم ولا يعان عليه الا بصدق الباطن وزاد ابن الملقن انه أنشد عقيب جوابه

شكرتك لا اني أجازيك منعما * بشكر ولا كيما يقال له الشكر
وأذكر أيامي لديك وحسنها * وآخر ما يبقى على الناكر الذكر

(وعن بعضهم) وهو أبو اسمعيل من أصحاب فتح وكان نصرانيا من أهل الموصل أسلم على يدي فتح وصحبه (قال دخلت على فتح) بن سعيد (الموصلي) من أقران بشر والسري وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات توفي سنة ٢٢٠ وهو غير فتح بن شخرف الكشي فوفاته ببغداد سنة ٢٧٣ وكثيرا ما يشتبه هذا بذلك

ثابت البناني قد حببت اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت أذنت لاحد أن يصلي لك في قبر فائذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي

فاحفظ

فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه قد نوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك قال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يارب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها

خطيئة قط وقيل ان قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه الى السماء فعلم القوم ما أراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد ابن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما أنا راهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه

فاحفظ ذلك (فرأيته وقد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه قد نوت منه) لانظر اليه (فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال) بكيت الدموع (على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون) أي خوفا أن يكون (ما صحت لي الدموع قال) أبو اسمعيل (فرأيته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك فقال غفر لي فقلت له فماذا صنع في دموعك فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يارب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد) الى (حافظاك) منذ (أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة) واحدة هكذا ساقه السراج ابن الملقن في طبقات الخواص في ترجمة فتح المذكور وساقه ابن السراج في مصارع العشاق مختصرا فقال حدثنا جعفر الخلدي قال حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد ابن الحسين حدثنا محمد بن الفرج العابد قال قلت لابي اسمعيل ذات يوم وكان قد بكى حتى ذهبت احدى عينيه وغشي من الاخرى حدثني ببعض أمر فتح قال فبكى ثم قال أخبرك عنه كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك ليست له راحة في الدنيا ثم ساق القصة باختصار وقد تقدم شيء من أحواله في كتاب المحبة فراجعه (وقيل ان قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق) أي مالوا (فانتهوا الى راهب) في دير (منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق قال فأومأ) أي أشار (برأسه الى السماء) أي الى الله ولا بد لكل سالك من هذا الطريق ولا خطأ فيه (فعلم القوم ما أراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل أنت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث) أي مسرع في الطلب (فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية) أي المقصد (ثم ارشدهم الى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد) البصري العابد (مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما أنا راهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد اذ عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه) قلت هذه الحكاية ما رأيتها في الحلية في ترجمة عبد الواحد بن زيد وانما فيها من طريق أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني يقول قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب في صومعته فقلت لاصحابي قفوا قال فكلمته فقلت يا راهب

فكشف ستراعلى باب صومعته فقال يا عبد الواحد بن زيد ان أحببت ان تعلم علم النفس فاجعل بينك و بين الشهوات حائطا من حديد قال وأرخى الستر ولكن أخرج في ترجمة ابراهيم بن أدهم مايشبه سياقه بسياق هذه الحكاية قال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن عبد الكريم الشامي سمعت بقية بن الوليد يقول قال ابراهيم بن أدهم مررت بصومعة والصومعة على عمود والعمود على قلة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته قلت يا راهب فلم يجبني ثم ناديته فلم يجبني فقلت في الثالثة بالذي حبسك في صومعتك الا أجبتني فأخرج رأسه من صومعته فقال كم تنوح سميتني باسم لم أكن له بأهل قلت يا راهب ولست براهب انما الراهب من رهب من ربه قلت فما أنت قال سجان سجنت سبعا من السباع قلت ما هو قال لساني سبع ضار ان أرسلته مزق الناس يا حنيفي ان لله عبادا صموا سمعا و بكموا نطقا وعموا بصرا سلكوا خلال دار الظالمين واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين وشابوا ثمرة العلم بنور الاخلاص وفزعوا بريح اليقين حتى ارسوا بشط نور الاخلاص هم والله عباد كحلوا أبصارهم بسهر الليل فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطرافهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم يا حنيفي عليك بطريقهم قلت فعلى الاسلام أنت قال ما أعرف غير الاسلام دينا ولكن عهد الينا المسيح عليه السلام و وصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا وان دينك جديد فلو قد خلق قال بقية فما أتى على ابراهيم شهر حتى هرب من الناس (وقيل لداود الطائي) رحمه الله تعالى (لو سرحت لحيتك فقال انى اذا لفارغ) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى بن عيسى قال سمعت محمد بن ابراهيم التيمي يقول سمعت عبد الله بن داود الحربي يقول قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك فقال انى اذا لفارغ حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا أحمد بن عمران الاخنسي حدثنا الوليد بن عقبة قال سمعت رجلا قال لداود الطائي يا أبا سليمان ألا تسرح لحيتك قال اني عنها لمشغول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي حدثنا محمد بن بشير حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال قيل لداود الطائي يا أبا سليمان لم لا تسرح لحيتك قال الدنيا دار مأتم (وكان أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى (يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عبد الله بن عبد الكريم حدثنا سعيد ابن أسد بن موسى حدثنا حمزة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال كان أويس يقول هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان اذا أمسى يقول هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح واذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به ومن مات عريانا فلا تؤاخذني به (وقيل لما تاب عتبة) بن ابان (الغلام) رحمه الله تعالى (كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا وأتنعم طويلا) رواه أبو نعيم في الحلية وروى أيضا بسنده الى عبد الواحد بن زيد قال ربما سهرت متفكرا في طول حزن عتبة ولقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال انما أبكي على تقصيري (وحج مسروق) بن الاجدع الهمداني الكوفي التابعي (فما نام قط الا ساجدا) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن أبي اسحق قال حج مسروق فما بات الا ساجدا حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا أبو همام حدثنا ضمرة عن العلاء بن هرون سمعته يقول حج مسروق فما افترش الا جبهته حتى انصرف ورواه المزي في التهذيب من طريق أبي اسحق قال حج مسروق فلم ينم الا ساجدا على وجهه حتى رجع وروى البيهقي في الشعب من طريق عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر قال بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي ماء قال فلما أصبحت وجدني لم أستعمله فقال صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل قال قلت

وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال انى اذا لفارغ وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قال الرفق أطلب دعيني أتعب قليلا وأتنعم طويلا وحج مسروق فما نام قط الا ساجدا

وقال سفيان الثورى عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبدالله بن داود كان احدهم
اذا بلغ أربعين سنة طوى
فراشه أى كان لاينام طول
الليل وكان كهمس بن
الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة
ثم يقول لنفسه قومى
يامأوى كل شر فلما ضعف
اقتصر على خمسمائة ثم
كان يبكى ويقول ذهب
نصف عملى وكانت ابنة
الربيع بن خيثم تقول له
ياأبت مالى أرى الناس
ينامون وأنت لاتنام فيقول
ياابنتاه ان أباك يخاف البيات
ولما رأت أم الربيع مايلقى
الربيع من البكاء والسهر نادته
يابنى لعلك قتلت قتيلا قال
نعم ياأماه قالت فمن هو حتى
نطلب أهله فيعفوا عنك
فوالله لو يعلمون ما أنت فيه
لرحموك وعفوا عنك فيقول
ياأماه هى نفسى وعن عمر بن
أخت بشر بن الحرث قال
سمعت خالى بشر بن الحرث
يقول لامى ياأختى جوفى
وخواصرى تضرب على فقالت
له أمى ياأخى تأذن لى حتى أصلح
لك قليل حساء بكف دقيق
عندى تحساه يرم جوفك
فقال لها ويحك أخاف أن
يقول من أين لك هذا الدقيق
فلا أدرى ايش أقول له
فبكت أمى وبكى معها
وبكيت معهم قال عمر ورأت
أمى مابيشر من شدة الجوع
وجعل يتنفس نفسا ضعيفا
فقالت له أمى ياأخى ليت
أمك لم تلدنى فقد والله
تقطعت كبدى مما أرى بك فسمعته يقول لها وأنا فليت أمى لم تلدنى واذ ولدتنى لم يدر ثديها على قال عمر وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار

أنا مسافر قال وان كنت مسافرا ج مسر وقفا نام الاساجد اور واه الخطيب مختصرا من طريق ابراهيم ابن محمد بن سفيان سمعت أباعصمة بن عصام البيهقى يقول بت ليلة عند أحمد بن حنبل فذكره (وقال سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى) رواه البيهقى فى الشعب وأبونعيم فى الحلية (وقال) أبوعبدالرحمن (عبدالله بن داود) بن عامر بن الربيع الهمدانى الكوفى المعروف بالخربى سكن الخريبة وهى محلة بالبصرة ثقة عابد ناسك مات سنة ثلاث عشرة ومائتين روى له الجماعة سوى مسلم (كان أحدهم اذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه اى كان لاينام الليل) فطى الفراش كناية عن ذلك (وكان أبوالحسن كهمس بن الحسن) التميمى البصرى العابد مات سنة تسع وأربعين ومائة روى له الجماعة (يصلى كل يوم ألف ركعة ويقول لنفسه قومى يامأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة) ركعة (ثم كان يبكى ويقول ذهب نصف عملى) رواه أبونعيم فى الحلية فقال حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى حدثنى الهيثم ابن معاوية عن شيخ من أصحابه قال كان كهمس يصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة فاذا مل قال لنفسه قومى يامأوى كل سوء فوالله مارضيتك لله ساعة قط (وكانت ابنة الربيع بن خثيم) كزبير بن عائذ بن عبدالله الثورى الكوفى (تقول له ياأبت مالى أرى الناس ينامون وأنت لاتنام فيقول ياابنتاه ان أباك يخاف البيات) أى ان يفجأه العدو ليلا رواه البيهقى فى الشعب من طريق سعيد بن عبدالله بن الربيع بن خثيم عن عمته قالت كنت أقول لابى ياأبتاه لاتنام فيقول يابنية كيف ينام من يخاف البيات ورواه أبونعيم فى الحلية فقال حدثنا أبومحمد بن حيان حدثنا محمد بن عبدالله حدثنى رستة حدثنا أبوأيوب حدثنا جعفر ابن سليمان سمعت مالك بن دينار يقول قالت ابنة الربيع بن خثيم للربيع ياأبت مالك لاتنام والناس ينامون فقال ان النار لاتدع أباك أن ينام (ولما رأت أم الربيع) بن خثيم (مايلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يابنى لعلك قتلت قتيلا قال نعم ياأماه قالت من هو حتى نطلب الى أهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول ياأماه هى نفسى) رواه أبونعيم فى الحلية فقال حدثنا أبوبكر بن مالك حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن سفيان قال بلغنا ان أم الربيع كانت تنادى ابنها فتقول يابنى ياربيع ألا تنام فيقول ياأمه من جن عليه الليل وهو يخاف النار حق له ان لاينام فلما بلغ ورأت مايلقى من البكاء والسهر نادته فقالت يابنى لعلك قد قتلت قتيلا فقال نعم ياوالدتاه قد قتلت قتيلا فقالت ومن هذا القتيل يابنى حتى نتحمل الى أهله فيعفوك والله لو يعلمون ماتلقى من البكاء والسهر بعد لقد رحموك فقال ياوالدتاه هى نفسى (و) يحكى (عن) أبى حفص (عمر ابن أخت بشر بن الحارث) الحافى حكى عنه أبوبكر المروزى والفتح بن شخرف (قال سمعت خالى بشر بن الحرث يقول لامى) واسمها زبدة بنت الحرث وكانت من الزاهدات حكى عنها علان العصابرى وماتت قبل بشر فقد روى على بن محمد بن بشران من طريق محمد بن يوسف الجوهرى به قال سمعت بشر بن الحرث يقول يوم ماتت أخته ان العبد اذا قصر فى الطاعة سلبه من يؤنسه وحكايتها مع أحمد بن حنبل معروفة (ياأختى جوفى) وجع (وخواصرى تضرب على فقالت له أمى ياأخى تأذن لى حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندى تحساه يرم) أى يصلح (جدبك فقال لها ويحك أخاف أن يقول) لى (من أين لك هذا الدقيق فلا أدرى ايش أقول له فبكت أمى وبكى معها وبكيت معهم) وفى نسخة معهما (قال عمر ورأت أمى مابيشر) كذا فى النسخ والصواب مابه (من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له أمى ياأخى ليت أمك لم تلدنى فقد والله تقطعت كبدى مما أرى بك) قال (فسمعته يقول لها وأنا فليت أمى لم تلدنى واذ) قد (ولدتنى لم يدر) لها (ثديها على قال عمر وكانت أمى تبكى عليه الليل والنهار) أى لما ترى من شدة اجتهاده ورياضته لنفسه رواه أبوالحسن بن جهضم فقال حدثنا محمد بن عبدالله الزيات حدثنا

وقال الربيع أتيت أويسافوجدته جالساقد صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لاأشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى
الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه
فقال اللهم انى أعوذبك من عين نوامة ومن بطن لاتشبع فقلت حسبى هذامنه ثم رجعت ونظر رجل الى أويس فقال

ياأباعبدالله مالى أراك
كانك مريض فقال وما
لاويس أن لايكون مريضا
يطعم المريض وأويس غير
طاعم وينام المريض
وأويس غيرنائم وقال أحمد
ابن حرب ياعجبالمن يعرف ان
الجنة تزين فوقه وان النار
تسعر تحته كيف ينام بينهما
وقال رجل من النساك أتيت
ابراهيم بن أدهم فوجدته
قدصلى العشاء فقعدت
أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم
رمى بنفسه فلم ينقلب من
جنب الى جنب الليل كله
حتى طلع الفجر واذن
المؤذن فوثب الى الصلاة
ولم يحدث وضوأ فحاك
ذلك فى صدرى فقلت له
رحمك الله قدنمت الليل كله
مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء
فقال كنت الليل كله
جائلا فى رياض الجنة
أحيانا وفى أودية النار
أحيانا فهل فى ذلك نوم
وقال ثابت البنانى أدركت
رجالا كان أحدهم يصلى
فيعجزعن ان يأتى فراشه
الاحبوا وقيل مكث أبو بكر
ابن عياش أربعين سنة
لايضع جنبه على فراش
ونزل الماء فى احدى عينيه
فمكث عشرين سنة لايعلم
به أهله وقيل كان وردسمنون فى كل يوم خمسمائة ركعة وعن أبى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة   باربع
اقرأ فيه قل هو أحد احدى وثلاثين ألف مرة أوأربعين ألف مرة شك الراوى وكان منصور بن المعتمر اذارأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر
الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه

محمد بن مخلد حدثنى الفتح بن شخرف قال قال عمر ابن أخت بشر سمعت خالى بشرا فذكره (قال الربيع) قيل هو ابن زياد الحارثى البصرى الذى روى له أبوداود والنسائى (أتيت أويسا) بن عامر القرنى (فوجدته جالسا) فى مسجده بالكوفة (قد صلى الفجر ثم جلس فجلست) معه (وقلت لاأشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى أعوذبك من عين نوامة ومن بطن لايشبع فقلت حسبى هذامنه ثم رجعت ونظر رجل الى أويس) بن عامر رحمه الله تعالى (فقال ياأباعبدالله مالى أراك كانك مريض) وذلك لمارأى من تغيرحاله ولونه (فقال ومالاويس أن لايكون مريضا يطعم المريض وأويس غيرطاعم وينام المريض وأويس غيرنائم) والصحة انماتكون من قبل الطعام والنوم (وقال أحمد بن حرب) النيسابورى الزاهد روى عن ابن عيينة (ياعجبالمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك أتيت ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فوجدته قدصلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه) على الارض (فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب) قائما (الى الصلاة ولم يحدث وضوأ فحاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قدنمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلافى رياض الجنة أحياناوفى أودية النار أحيانافهل فى ذلك نوم) وهذاهو التفكر وهو سيد العبادات (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البنانى) رحمه الله تعالى (أدركت رجالا كان أحدهم يصلى فيعجزعن ان يأتى فراشه الاحبوا) وروى البيهقى فى الشعب عن على بن غنام قال كان فى بنى عدى ثلاثون شيخا لايأتون فرشهم الا زحفاأوحبوا (وقيل مكث أبو بكر بن عياش) بن سالم الاسدى الكوفى الحناط المقرى قيل اسمه كنيته وقيل اسمه محمد وقيل غيرذلك الى ثلاثة عشر قولا وقد تقدم (أربعين سنة لايضع جنبه على فراش ونزل الماء فى احدى عينيه فمكث عشرين سنة لايعلم به أهله) قال أبو السكين الطائى سمعت أبا بكر يقول لابنه وأراه غرفة يابنى اياك ان تعصى الله عز وجل فيهافانى قد ختمت فيهااثنى عشر ألف ختمة وقال غيره لماحضرت أبا بكر الوفاة بكت ابنته فقال يابنية لاتبكى أتخافين ان يعذبنى الله عز وجل وقد ختمت فى هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة وقال ابراهيم بن شماس السمرقندى سمعت ابراهيم بن أبى بكر قال لمانزل بأبى الموت قلت ياأبت مااسمك قال يابنى ان أباك لم يكن له اسم وان أباك أكبر من سفيان باربع سنين وانه لم يأت فاحشة قط وانه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة (وقيل كان ورد) أبى الحسن (سمنون) ابن حمزة رحمه الله تعالى (كل يوم خمسمائة ركعة) وروى القشيرى بسنده الى جعفر الخلدى قال قال أبو أحمد المغازلى كان ببغدادرجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لى سمنون ياأباأحمد أماترى قد أنفق وماقدعمله ونحن مانجد شيأ فامض بنا الى موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة فضينا الى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة (وعن أبى بكر) بن عيسى الابهرى (المطوعى) قال صاحب الحلية كان من المفوضين وتعلو أحواله على السالكين والسائحين حكى عنه أبو بكر بن طاهر الابهرى (قال كان وردى فى شبيبتى فى كل يوم وليلة اقرأفيه قل هو الله أحد احدى وثلاثين ألف مرة أوأربعين ألف مرة شك الراوى وكان) أبو عتاب (منصور بن المعتمر) بن عبدالله بن ربيعة السلمى الكوفى قال ابن مهدى لم يكن بالكوفة أحفظ منه وهو من أصحاب ابراهيم النخعى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له الجماعة (اذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه

بار بـع ولقـد قالت له أمه) قال أبو بكر بن عياش وكانت فظة غليظة وكان يبرها ويسكت لها (ماهذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول ياأمه أناأعلم بماصنعت بنفسى) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا العباس ابن محمد حدثنا خلف بن تميم حدثنا زائدة بن قدامة ان منصور بن المعتمر صام سنة قام ليلها وصام نهارها وكان يبكى فتقول له أمه يابنى قتلت قتيلا فقال أنا أعلم بما صنعت بنفسى اذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج الى الناس وروى من طريق سفيان بن عيينة ان منصور بن المعتمر قد كان عمش من البكاء ومن طريق محمد بن عمرو سمعت جريرا يقول كانت أم منصور تقول له يابنى ان لعينيك عليك حقا ولجسمك عليك حقا فكان يقول لها دعى عنك منصورا فان بين النفختين يوما طويلا ومن طريق أبى الاحوص قال قالت ابنة لجار منصور لابيها ياأبت أين الخشبة التى كانت فى سطح منصور قائمة قال يابنية ذاك منصور كان يقوم الليل ومن طريق العلاء بن سالم العبدى قال كان منصور يصلى على سطحه فلما مات قال غلام لابيه الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه قال يابنى ليس ذاك بجذع ذاك منصور قد مات (وقيل لعامر بن عبدالله) بن عبد قيس العنبرى البصرى التابعى العابد وهو المعروف بعامر بن عبد قيس وقد تقدم ذكره فى هذا الكتاب فى موضعين ولم أكن ظفرت بترجمته فلما وصلت الى هنا رأيته فى الحلية قال وهو أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة فقدمناه على غيره من الكوفيين لتقدم البصرة على الكوفة بنيت قبل الكوفة بأربع سنين وكذلك أهل البصرة بالنسك والعبادة أشهر وأقدم من الكوفيين وكان عامر بن عبد قيس قد تخرج على أبى موسى الاشعرى فى النسك والتعبد ومنه تلقى القرآن وعنه أخذ هذه الطريقة (كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول مارأيت مثل الجنة نام طالبها ولامثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فماينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فماينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى) قوله مارأيت مثل الجنة الخ هو حديث مرفوع من رواية أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد والترمذى وضعفه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بلفظ مارأيت مثل النار نام هاربها ولامثل الجنة نام طالبها وقوله من خاف أدلج هو أيضا حديث مرفوع من رواية أبى هريرة وأبى ابن كعب بزيادة ومن ادلج بلغ المنزل فحديث أبى هريرة رواه الترمذى وقال حسن غريب والرامهرمزى فى الامثال والحاكم والبيهقى وحديث أبى بن كعب رواه أبو نعيم فى الحلية والحاكم وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى من الامثال المشهورة وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا خالد بن يزيد العمرى حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد الى ثمانية عامر بن عبدالله بن عبد قيس وأويس القرنى وهرم بن حيان والربيع بن خثيم ومسروق بن الاجدع والاسود بن يزيد وأبى مسلم الخولانى والحسن بن أبى الحسن فاما عامر بن عبد الله فكان يقول فى الدنيا الهموم والاحزان وفى الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح ثم ساقه وفيه وكان يبيت قائما ويظل صائما ولقد كان ابليس يلتوى فى موضع سجوده فاذا ماوجد ريحه نحاه بيده ثم يقول لولا نتنك لم أزل عليك ساجدا وهو يتمثل كهيئة الحية ورأيته وهو يصلى فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من كمه وثيابه فلا يحيد فقيل له لم لاتنحى الحية فيقول والله انى لاستحى من الله ان أخاف شيأ غيره والله ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج وقيل له ان الجنة تدرك بدون ماتصنع وان النار تتقى بدون ماتصنع فيقول لا حتى لا ألوم نفسى وكان يقول ما أبكى على دنياكم رغبة فيها ولكن أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء (وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس) هو عامر بن عبد الله الذى تقدم ذكره يعرف بجده (أربعة أشهر فما

باربع ولقد قالت له أمه ماهذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لاتسكت لعلك يابنى أصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول ياامه أناأعلم بماصنعت بنفسى وقيل لعامر بن عبدالله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا أنى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير أمر وكان يقول مارأيت مثل الجنة نام طالبها ولامثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فماينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فماينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف أدلج عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما

رأيته نام بليل ولانهار و يروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال صليت خلف على رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيأ يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا فى مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لامنى فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه و يقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان ابن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام و بلغ من الاجتهاد مالوقيل له القيامة غدا ماوجد متزايدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام

رأيته نام بليل ولانهار) روى ابن أبى الدنيا فى محاسبته عن محمد بن يحيى الازدى حدثنا جعفر بن أبى جعفر الرازى عن أبى جعفر السائح أخبرنا ابن وهب وغيره يزيد بعضهم على بعض فى الحديث ان عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما الى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول يانفس انما خلقت للعبادة ياأمارة بالسوء فوالله لاعملن بك عملا لاياخذ الفراش منك نصيبا (و يروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال صليت خلف على رضى الله عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيأ يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلى بن أحمد قالا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام حدثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفى عن السدى عن أبى اراكة قال صلى على رضى الله عنه الغداة ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله ان كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم اذا ذكر الله مادوا كما يميد الشجرة فى يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين (وكان أبو مسلم) عبد الله بن ثوبان (الخولانى) اليمانى من زهاد التابعين نزل الشام وسكن داريا روى له الجماعة الا البخارى (قد علق سوطا فى مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لامنى فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه و يقول أنت أولى بالضرب من دابتى) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو العباس السراج حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبى العاتكة قال كان من أمر أبى مسلم الخولانى انه علق سوطا فى مسجده و يقول أنا أولى بالسوط من الدواب فاذا دخلته فترة شق ساقه سوطا أو سوطين (وكان يقول أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا) وقال له قائل حين كبر ورق لو قصرت من بعض ماتصنع فقال أرأيتم لو أرسلتم الخيل فى الحلبة ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها حتى اذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيأ قالوا بلى قال فانى أبصرت الغاية وان لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق (وكان صفوان بن سليم) المدنى أبو عبد الله وقيل أبو الحرث القرشى الزهرى الفقيه العابد وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال أحمد هو يستسقى بحديثه و ينزل القطر من السماء بذكره وقال مرة هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين قال الواقدى وغيره مات سنة ١٣٢ عن اثنتين وسبعين سنة روى له الجماعة (قد تعقدت ساقاه من طول القيام) فى الصلاة (و بلغ من الاجتهاد مالوقيل له القيامة غدا ماوجد متزايدا) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا الحسن بن على الوراق حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا محمد بن يزيد الادمى حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غدا القيامة ما كان عنده مزيد على ماهو عليه من العبادة (وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا جعفر الفريابى حدثنا أمية حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا سليمان بن سالم قال كان صفوان بن سليم فى الصيف يصلى بالليل فى البيت فاذا كان فى الشتاء صلى فى السطح لئلا ينام حدثنا أبو محمد ابن حيان حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن ادريس حدثنا على بن الحسن السنجانى حدثنا اسحق بن محمد

الفردى حدثنا مالك بن أنس قال كان صفوان بن سليم يصلى فى الشتاء فى السطح وفى الصيف فى بطن البيت يستيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم به وانه لترم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل وتظهر فيها عروق خضر (وانه مات وهو ساجد) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب المقرى حدثنا أبو بكر بن صدقة حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى حدثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول وأعانه على بعض الحديث أخوه محمد قال أبى صفوان بن سليم أن لا يضع جنبه على الارض حتى يلقى الله عز وجل فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته يا أبت فى هذه الحالة لو ألقيت نفسك قال اذا يا بنية ما وفيت له بالقول وزاد المزى فى التهذيب من طريق سفيان انه مكث على ذلك أكثر من ثلاثين سنة ومن طريق غيره أربعين سنة قال فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع والعجز قالت ابنته يا أبت لو وضعت جنبك فقال يا بنية اذا ما وفيت لله عز وجل بالنذر والحلف فمات وانه لجالس قال سفيان فاخبرنى الحفار الذى يحفر قبور أهل المدينة قال حفرت قبر رجل فاذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة فاذا السجود قد أثر فى عظام الجمجمة فقلت لانسان قبر من هذا فقال أو ما تدرى هذا قبر صفوان بن سليم (وكان يقول) فى دعائه (اللهم انى أحب لقاءك فاحب لقائى) ينزع بذلك الى ما ورد فى الخبر من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (وقال القاسم بن محمد) بن أبى بكر الصديق القرشى التيمى أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن المدنى الفقيه الامام الورع الثقة قال البخارى قتل أبوه قريبا من سنة ست وثلاثين بعد عثمان وبقى القاسم يتيما فى حجر عائشة وكان أشبه الناس بجده وكان أعلم الناس بحديث عائشة مات سنة ست ومائة روى له الجماعة (غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها) وهى عمته وهى التى ربته فى حجرها بعد موت أبيه (أسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ) قوله تعالى (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت) أنتظر فراغها (حتى مللت وهى تبكى وتدعو كما هى) على حالها (فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى) على حالها الاولى (تردد الآية وتبكى وتدعو) رواه طالب بن محمد بن على العشارى فى جزئه فقال أخبرنا أبو بكر البرقانى أخبرنا ابراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن اسحق السراج حدثنا محمد بن عمر والباهلى حدثنا أنس بن عياض حدثنا شيبة بن نصاح عن القاسم بن محمد قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هى قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكى ترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتى ثم رجعت فاذا هى قائمة تصلى وتبكى رضى الله عنها (وقال محمد بن اسحق) بن يسار المدنى أبو بكر ويقال أبو عبد الله القرشى المطلبى مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف جده يسار من بنى عين التمر قال ابن معين ثقة حسن الحديث نزل بغداد فى سنة خمسين ومائة وقيل بعدها استشهد به البخارى وروى له مسلم فى المتابعات واحتج به الباقون (لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود) بن يزيد ابن قيس النخعى أبو حفص ويقال أبو بكر الكوفى ابن أخى عبد الرحمن بن يزيد أدرك عمر بن الخطاب وروى عن أبيه الاسود المتقدم ذكره روى عنه مالك بن مغول ومحمد بن اسحق بن يسار وأبو اسحق السبيعى وأبو اسحق الشيبانى وأبو بكر النهشلى مات سنة ١٩٨ روى له الجماعة (حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء) رواه أبو نعيم فى الحلية وروى من طريق ميمون أبى حمزة قال سافر عبد الرحمن بن الاسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما ومن طريق الحكم بن عتيبة قال لما احتضر عبد الرحمن بكى فقيل له ما يبكيك فقال أسفا على الصوم والصلاة قال ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات قال فروى انه من أهل الجنة قال الحكم وما يبعد فى ذلك لقد كان يعمل نفسه مجتهدا لهذا حذرا من مصرعه الذى صار اليه (وقال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى و بين قيام

وانه مات وهو ساجد وانه كان يقول اللهم انى أحب لقاءك فاحب لقائى وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الآية وتبكى وتدعو وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى و بين قيام

الليل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم
عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره

وكان عامر بن عبد القيس
يقول الهى خلقتني ولم
تؤامرني وتميتني ولا تعلمني
وخلقت معي عدوا وجعلته
يجري مني مجرى الدم
وجعلته يراني ولا أراه ثم
قلت لى استمسك الهى
كيف استمسك ان لم تمسكني
الهى فى الدنيا الهموم
والاحزان وفى الآخرة
العقاب والحساب فأين
الراحة والفرح وقال جعفر
ابن محمد كان عتبة الغلام
يقطع الليل بثلاث صيحات
كان اذا صلى العتمة وضع
رأسه بين ركبتيه يتفكر
فاذا مضى ثلث الليل صاح
صيحة ثم وضع رأسه بين
ركبتيه يتفكر فاذا مضى
الثلث الثانى صاح صيحة ثم
وضع رأسه بين ركبتيه
يتفكر فاذا كان السحر
صاح صيحة قال جعفر بن
محمد فحدثت به بعض
البصريين فقال لا تنظر الى
صياحه ولكن انظر الى ما
كان فيه بين الصيحتين حتى
صاح وعن القاسم بن راشد
الشيبانى قال كان زمعة نازلا
عندنا بالمحصب وكان له أهل
وبنات وكان يقوم فيصلى
ليلا طويلا فاذا كان السحر
نادى باعلى صوته أيها
الركب المعرسون أ كل هذا

الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتوا ثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ
فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم
فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن

الليل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين) وروى الشريف الموسوى فى نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين شيعتنا الحلماء العلماء الذبل الشفاه الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من العبادة وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من قول مجاهد قال شيعة على رضى الله عنه فساقه (وقيل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره) رواه أبو نعيم فى الحلية (وكان عامر بن) عبد الله بن (عبد قيس) العنبرى البصرى رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (يقول الهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولا تعلمنى وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا أراه ثم قلت لى استمسك الهى كيف استمسك ان لم تمسكنى الهى فى الدنيا الهموم والاحزان وفى الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا خالد بن يزيد العمرى حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن علقمة بن مرثد قال كان عامر بن عبد قيس يقول فى الدنيا الغموم والاحزان وفى الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح الهى خلقتنى ولم تؤامرنى فى خلقى وابتليتنى ببلايا الدنيا ثم قلت لى استمسك فكيف أستمسك ان لم تمسكنى الهى انك لتعلم لو كانت لى الدنيا بحذافيرها ثم سألتنيها لجعلتها لك فهب لى نفسى (وقال جعفر بن محمد) الواسطى الوراق المفلوج نزيل بغداد صدوق مات سنة خمس وستين ومائة (كان عتبة) بن ابان (يقطع الليل بثلاث صيحات وكان اذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد) الراوى لهذه الحكاية (فحدثت به بعض البصريين) وفى بعض النسخ المصريين بالميم وهو غلط من النساخ (فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا اسحق ابن أبى حسان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا جعفر بن محمد قال كان عتبة يقطع الليل بثلاث صيحات يصلى العتمة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر فاذا مضى من الليل ثلثه صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر فاذا مضى ثلثا الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه يفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال أحمد فحدثت به عبد العزيز فقال حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صيحته ولكن انظر الى الامر الذى كان منه بين الصيحتين (وعن القاسم بن راشد الشيبانى قال كان زمعة) بن صالح الجندى اليمانى سكن مكة روى عن الزهرى وسلمة بن دهرام وابن طاوس وعنه وكيع روى له مسلم مقرونا بمحمد بن أبى حفصة والترمذى والنسائى وابن ماجه (نازلا عندنا بالمحصب) موضع قرب مكة (وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أ كل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى) وهو السير آخر الليل وهو مثل مشهور رواه ابن أبى الدنيا فقال حدثنى المفضل بن غسان عن مؤمل بن اسمعيل حدثنا القاسم بن راشد الشيبانى قال كان زمعة نازلا عندنا فذكره (وقال بعض الحكماء) من المراقبين المجتهدين (ان لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه) انه المنعم عليهم لا غيره (وشرح صدورهم فاطاعوه) أى انقادت جوارحهم لطاعته (وتوكلوا عليه) حق التوكل (فسلموا الخلق والامر اليه) بمقتضى قوله تعالى ألا له الخلق والأمر (فصارت قلوبهم معادن)

لاستقرار

لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف الفوائد ومالا يمكن واصفا أن يصفه فهم فى باطن امورهم كالديباج حسنا وهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك فاذا أنا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فاذا أنا بروضة عليها شجر ملتف واذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر معها مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائى ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يادنيا بابناء جنسك وألاف نعمك الى محبيك فاذهبى واياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة

لاستقرار الاسرار (بصفاء اليقين وبيوتا للحكمة) تسكن فيها (وتوابيت للعظمة) والاجلال والهيبة والتعظيم والتابوت الوعاء الذى تحفظ فيه نفائس الامتعة (وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون) بظواهرهم (وقلوبهم تجول فى الملكوت) فتشاهد مافيه من العجائب (وتلوذ بمحجوب الغيوب) عن النواظر (ثم ترجع) الى عالم الملك (ومعها طرائف) أى نوادر (من لطائف الفوائد) ونفائس العوائد (مالا يمكن واصفا أن يصفه) لبعده عن دائرة المعقول (فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا) وبهجة وعزة (وهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا) أى بمنزلة المناديل التى يتباذلها الناس ويتمسحون بها (وهذه طريقة لا يبلغ اليها الا بالتكلف) والاجتهاد (وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء) أى مواهب من العناية الازلية لا تدرك بالتصنع والتكلف ولكن من يسر له طريقه فهو على نور من ربه أولئك مصابيح الدجاه* وينابيع الرشد والجاه *خصوا بخفى الاختصاص ونقوا من التصنع بالاخلاص كما قال ذو النون المصرى يوما ان لله لصفوة من خلقه وان لله لخيرة فقيل له من هؤلاء فقال هم قوم جعلوا الركب لجباههم وسادا والتراب لجنوبهم مهادا خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الازدواج وحركهم بالادلاج فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت وضموه الى صدورهم فانشرحت وتصدعت هممهم به فكدحت فجعلوا لظلمتهم سراجا ولنومهم مهادا ولسبيلهم منهاجا ولحجتهم أفلاجا يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن الناس ويخافون فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية ونظروا الى ثواب الآخرة بعين رابية واشتروا الباقية بالفانية فنعم ما اتجروا وربحوا الدارين وجمعوا الخيرين واستكملوا الفضلين فهم خرس فصحاء عمى بصراء فعنهم تقصر الصفات وبهم تدفع النقمات وعليهم تنزل البركات فهم أحلى الناس منطقا ومذاقا وأوفى الناس عهدا وميثاقا سراج العباد ونهار البلاد ومصابيح الدجا ومعادن الرحمة وينابيع الحكمة وقوام الامة وأقبل الناس للمعذرة وأصفحهم بالمغفرة وأسمحهم بالعطية وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق مكحول عن عياض بن غنم مرفوعا فى وصف هؤلاء القوم مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون فى الارض حفاة على أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا بذخ ولا صلة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يلبسون الخلقان ويتبعون البرهان ويتلون الفرقان ويقربون القربان يتوسمون العباد ويتفكرون فى البلاد أجسادهم فى الارض وأعينهم فى السماء أقدامهم فى الارض وقلوبهم فى السماء وأنفسهم فى الارض وأفئدتهم عند العرش أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة (وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك فاذا أنا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت) ومشيت (فاذا بروضة عليها شجر ملتف فاذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه) وتمامها تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (قال فجلست خلفه أسمع كلامه) ولا يرانى (وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر معها مغشيا عليه فقلت وا أسفاه هذا لشقائى ثم انتظرت افاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين) قال ذلك لما أحس بمن اطلع على ظاهر حاله فخاف على نفسه التصنع فى عمله فاستعاذ بالله مما ذكر والكذاب من يخالف ظاهره باطنه والبطال من صرف عمره فى لهو وبطالة ولم يذق معرفة الله تعالى والغافل من غفل عن شهود أسرار معانى كلام الله تعالى (ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده وقال مالى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يادنيا بأبناء جنسك وألاف نعمك) أى الذين يألفون نعمك (الى محبيك فاذهبى واياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية) جمع قرن خمس وسبعون سنة وقيل مائة سنة (وأهل الدهور السالفة

في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى اساءتى من فضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه انى لفى هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فاليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت الى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى لله أخاف ان أشغله فاعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير فى مسير لى اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى (لنحمل

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقنة أو بطن وادى
ينوح على معاص فاضحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت * فدعوته أغثنى يا عمادى
فانت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى * اذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال * يسيح الى مكان من مكان

في التراب يبلون وعلى) ش (الزمان يفنون فناديته يا عبد الله) ناداه بالاسم الاعم لانه لم يعرف اسمه الخاص (أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم رجع) الى ربه مستغيثا (وقال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها) أى أنت المعين لى فيها (ثم لها عنى ساعة وقرأ) قوله تعالى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى مالم يكن فى بالهم من شدة الحساب والعتاب والحجاب (ثم صاح صيحة أخرى أشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت) فى نفسى هو (قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى اساءتى بفضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه) (أى أسرته وأهلكته) (انى لفى هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه) من التخلى والانفراد (غيرك فاليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى) أى شغلته عن ذكر ربى ومناجاته (وميلت الى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال) الراوى (فقلت هذا ولى لله) تعالى (أخاف أن أشغله عن الله (فاعاقب فى موضعى هذا) فان من شغل المشغول بالله قطعه الله (فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين) من أهل المراقبة (بينما أنا أسير فى مسير لى اذ ملت الى شجرة لأستريح تحتها) وأستظل بظلها (فاذا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر) أى جد واجتهد فيما خلق له (ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم) رجع الى مراقبته ومناجاته و(قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر اليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى وقد أنشدوا فى هذا المعنى) أى فى وصف المجتهدين

(نحيل الجسم مكتئب الفؤاد * تراه بقنة أو بطن واد)
(ينوح على معاص فادحات * يكدر ثقلها صفو الرقاد)
(فان هاجت مخاوفه وزادت * فدعوته أغثنى يا عمادى
فانت بما ألاقيه عليم * كثير الصفح عن زلل العباد)

(وقيل) فى هذا المعنى (أيضا)

(ألذ من التلذذ بالغوانى * اذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال * يسيح الى مكان من مكان)

القنة بالضم واد من الجبل
فادحات أى ثقيلات
المنيب هو التائب الراجع الى ربه

(ليخمل ذكره و يعيش فردا * و يظفر فى العبادة بالامانى)

أى ليخفى ذكره بين الناس ولايشار اليه و يعيش منفردا بربه و يجد حلاوة فى طاعته

(تلذذه التلاوة أين ولى * وذكر بالفؤاد و باللسان

وعند الموت يأتيه بشير * يبشر بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى * من الراحات فى غرف الجنان)

وهؤلاء الذين وصفهم ذوالنون بما سبق ذكره نظروا الى ثواب الله بانفس تائقة وعيون رائقة وأعمال موافقة فخلوا عن الدنيا مطى رحالهم وقطعوا منها حبال آمالهم لم يدع لهم خوف ربهم من أموالهم تليدا ولا عتيدا أفتراهم لم يشتهوا من الاموال كنوزها ولا من الاوبار خزوزها ولا من المطاعم نزهها ولا من القصور مشيدها بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله والهامه لهم فحركهم ماعرفوا بصبر أيام قلائل فضموا أبدانهم عن المحارم وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم وهربوا بأنفسهم عن المآثم فسلكوا من السبيل رشاده ومهدوا للرشاد مهاده فشاركوا أهل الدنيا فى آخرتهم هابوا الموت وسكراته وكرباته وغمراته ومن القبر وضيقه ومنكرا ونكيرا ومن ابتدادهما وانتهارهما وسؤالهما ومن المقام بين يدى الله عز وجل (وكان كرز بن وبرة) الحرثى قال صاحب الحلية كوفى الاصل سكن جرجان و يعد فى اتباع تابعى أهل الكوفة له الصيت البليغ والمكان الرفيع فى النسك والتعبد كان تغلب عليه المؤانسة والمشاهدة فيشهده شهى الملاطفات وتؤنسه خفى المخاطبات روى عن طاوس وعطاء والربيع بن خثيم ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم (يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات) قال أبونعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنى سعيد أبو عثمان سمعت ابن عيينة يقول قال ابن شبرمة سأل كرز بن وبرة ربه أن يعطيه اسمه الاعظم على أن لايسأل به شيأ من الدنيا فأعطاه الله ذلك فسأله أن يقوى حتى يختم القرآن فى اليوم والليلة ثلاث مرات وقال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنا شريح بن يونس حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه قال دخلت على كرز بن وبرة بيته فاذا عند مصلاه حصيرة قد ملاها تبنا وبسط عليها كساء من طول القيام فكان يقرأ فى اليوم والليلة ثلاث ختمات (و يجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة) قال عبد الله بن أحمد بسنده السابق الى فضيل بن غزوان قال كان لكرز عند المحراب ما يعتمد عليه اذا نعس وروى أبو نعيم من طريق خلف بن تميم عن ابيه قال مارأيت فى هذه الامة أعبد من كرز كان لا يفتر يصلى فى المحمل فاذا نزل من المحمل افتتح الصلاة ومن طريق فضيل بن غزوان قال لم يرفع كرز رأسه الى السماء أربعين سنة ومن طريق سفيان بن عيينة قال سمعت ابن شبرمة يقول قلت لابن هبيرة

لو شئت كنت ككرز فى تعبده * أو كابن طارق حول البيت فى الحرم

قد حال دون لذيذ العيش خوفهما * وسارعا فى طلاب الفوز والكرم

فقال لى ابن هبيرة من كرز وابن طارق قال قلت أما كرز فكان اذا كان فى سفر واتخذ الناس منزلا اتخذ هو منزلا للصلاة وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب لكفاه كف من تراب وقد تقدم له ذكر فى كتاب الحج وقال صاحب القوت بعدان أورد شيأ من مجاهداته (فقيل له قد أجهدت نفسك) فى العبادة (فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال فكم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم) ولفظ القوت ما يرضى عبدان يعمل سبعة آلاف سنة و ينجو من يوم مقداره خمسون ألف سنة زاد المصنف (يعنى انك لوعشت عمر الدنيا واجتهدت) فى العبادة (سبعة آلاف سنة وتخلصت من) هول (يوم واحد مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها) ومن ذلك ما أورده البيهقى فى الشعب من

ليخمل ذكره و يعيش فردا
و يظفر فى العبادة بالامانى
تلذذه التلاوة أين ولى
وذكر بالفؤاد و باللسان
وعند الموت يأتيه بشير
يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى
من الراحات فى غرف الجنان
وكان كرز بن وبرة يختم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات و يجاهد نفسه فى العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى انك لوعشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لاغاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين

حديث أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه رواه أبو زيد الهروي عن شعبة عن الاعمش عن أبي صالح عنه قال وقال أبو زيد رأيت شعبة يصلي حتى ورم قدماه وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ماشاء الله ان يصلي حتى اذا كان في آخر الليل أيقظ أهله للصلاة وعن نافع قال كان ابن عمر يصلي عامة الليل وعن حميد بن هلال قال كان مسلم بن يسار اذا قام يصلي كانه ثوب ملقى وعن عبد الله بن مسلم قال كان سعيد بن جبير اذا قام الى الصلاة كانه وتد وعن عبد الله بن يعقوب الحافظ قال ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله محمد بن نصر كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كانه خشبة منصوبة وعن الاوزاعي قال كان علي بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة وعن مرة الهمداني حين سئل وقد كبر ما بقي من صلاتك قال الشطر خمسون ومائتا ركعة وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا موسى بن هلال حدثنا رجل كان جليسا لنا وكانت امرأة حسان مولاة له قال فحدثتني امرأة حسان بن أبي سنان قالت كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها فاذا علم اني قد نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي قال فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك ارفق بنفسك قال اسكتي ويحك فيوشك ان أرقد رقدة لا أقوم منها زمانا وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول بينا انا ساجد اذ ذهب بي النوم فاذا بها يعني بالحوراء قد ركضتني برجلها فقالت حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر الى المتهجدين في تهجدهم بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني أترقد عيناك وأنا أربى لك في الخدور منذ كذا وكذا فوثبت فزعا وقد عرقت استحياء من توبيخها اياي وان حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي وعن طلق بن معاوية قال قدم رجل يقال له هند بن عوف من سفر فمهدت له امرأته فراشا وكانت له ساعة من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح فحلف لا ينام على فراش أبدا وعن أبي الحسن علي بن المزين قال دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدي وكنت أزورها بعد موته فرأيت سوادا في القبلة قالت هذا موضع عبد الرحمن كان يصلي بالليل فاذا غلبه النوم وضع جبهته على هذا الموضع وعن رابعة العدوية قالت ما كان صلة يجيء في مسجد بيته الى فراشه الا حبوا يقوم حتى يفتر عن الصلاة وعن جعفر بن زيد العبدي ان أباه أخبره قال خرجنا في غزوة الى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم قال فنزل الناس عند العتمة فقلت لارمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى اذا قلت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبا منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح قال وجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة قال أفتراه التفت حتى سجد فقلت الآن يفترسه فلا شيء فجلس ثم سلم فقال أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر فولى وان له زئيرا أقول تصدع الجبال منه فما زال كذلك يصلي حتى اذا كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها الا ما شاء الله ثم قال اللهم اسألك ان تجيرني من النار أومثلي يجترئ ان يسألك الجنة ثم رجع فاصبح كانه بات على الحشايا واصبحت وبي من الفترة شيء الله به اعلم قال فلما دنونا من أرض العدو قال الامير ولا يشذن أحد من العسكر قال فذهبت بغلته يعني بغلة صلة بثقلها فاخذ يصلي فقالوا له ان الناس قد ذهبوا فقال انما هما خفيفتان قال فدعا ثم قال اللهم اني أقسم عليك ان ترد علي بغلتي وثقلها قال فجاءت حتى قامت بين يديه فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنا وضربا وقتلا قال فكسر ذلك العدو وقالوا ان رجلين من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا فاعطوا المسلمين حاجتهم فقيل لابي هريرة ان هشام بن عامر وكان يجالسه ألقى بيده الى التهلكة فاخبره خبره قال كلا ولكنه التمس هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن الاعمش عن عبد الرحمن بن أبي ليلى انه كان يصلي فاذا دخل الداخل أتى فراشه فاتكأ عليه وعن منصور بن أبي أمية خادم عمر بن عبد العزيز

قال رأيت عمر بن عبد العزيز وله سفط في كوة ومفتاحه في ازاره فكان يستغفلني فاذا نظر اني قد نمت فتح السفط فاخرج منه جبة شعر ورداء شعر فصلى فيهما الليل كله فاذا نودي بالصبح نزعهما وعن السري ابن يحيى قال كان سليمان التيمي في طريق مكة يتوضأ لصلاة العشاء ثم يصلي بالليل كأنه في محمله حتى الصبح ثم يصلي الصبح بوضوئه ذلك وعن محمد بن عبد الاعلى قال قال لي المعتمر بن سليمان لولا انك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي مكث أبي أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء وعن سعيد بن عامر قال كان سليمان التيمي يسبح في كل سجدة وركعة سبعين تسبيحة وعن هشيم قال لو قيل لمنصور بن زاذان ان ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل قال وذلك انه كان يخرج ويصلي بالغداة في جماعة ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس ثم يصلي الى الزوال ثم يصلي الظهر ثم يصلي الى العصر ثم يصلي العصر ثم يجلس فيسبح الى المغرب ثم يصلي العشاء الآخرة ثم ينصرف الى بيته فيكتب عنه في ذلك الوقت وعن الحسين بن منصور قال كان سليمان بن المغيرة اذا قام الى الصلاة لو أكلت الذبابة وجهه لم يطيرها قال وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبي يقول سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقول كانوا نحوا اللعب والضحك والحديث الى ان يدخل أبو عثمان ورده في الصلاة فانه كان اذا دخل بيت الخلوة لا يحس بشيء من الحديث وغيره وعن الربيع بن سليمان قال كان الشافعي جزأ الليل ثلاثة أجزاء الجزء الاول يكتب والثلث الثاني يصلي والثلث الثالث ينام وعن أبي خالد الاحمر قال أكل سفيان ليلة فشبع فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام حتى أصبح وعن حمزة بن ربيعة قال حججنا مع الاوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعا على المحمل في ليل ولا نهار قط كان يصلي فاذا غلبه النوم استند الى القتب وعن أحمد بن سلمة قال سمعت هناد بن السري غير مرة اذا ذكر قبيصة بن عقبة قال الرجل الصالح وتدمع عيناه وكان هناد كثير البكاء وكنت عنده ذات يوم في مسجده فلما فرغ من القراءة عاد الى منزله فتوضأ وانصرف الى المسجد وقام على رجليه يصلي الى الزوال وأنا معه في المسجد ثم رجع الى منزله فتوضأ وانصرف الى المسجد فصلى بنا الظهر ثم قام على رجليه الى العصر ويرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيرا ويصلي الى العصر ثم صلى بنا العصر وجاء الى صحن المسجد فجعل يقرأ القرآن في المصحف الى الليل فصليت معه صلاة المغرب وقلت لبعض جيرانه ما أصبره على العبادة فقال هذه عبادته منذ سبعين سنة فكيف لو رأيت عبادته بالليل وما تزوج قط ولا تسرى قط وكان يقال له راهب الكوفة وعن الاوزاعي قال خرجت حاجا فدخلت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا شاب بين القبر والمنبر يتهجد فلما طلع الفجر استلقى على ظهره ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقلت له يا ابن أخي لك ولاصحابك لا للجمالين وعن داود بن رشيد قال قام أخ لي في ليلة ظلماء يصلي مع نفسه فضربه البرد وكان رث الثياب ثم سجد فذهب به النوم في سجوده فهتف بي هاتف أنمناه وأقمناك وتبكي علينا وعن أبي محمد الجريري قال كنت واقفا على رأس الجنيد في وقت وفاته وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت يا أبا القاسم ارفق بنفسك فقال يا أبا محمد رأيت أحوج مني في هذا الوقت وهو ذا تطوى صحيفتي وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد وهو في النزع فلم يرد عليه ثم رد عليه بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم حول وجهه الى القبلة ومات (فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم) بل ومن يداني من يشابههم (ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم) في أحوالهم (فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة) كما ورد في الخبر وتقدم (واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى) وهو مثل مشهور (وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم) أي جماعتهم وكثرتهم (وهم العقلاء والحكماء وذووا البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها ان تنخرط في

في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذووا البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تنخرط في

سلك الحق وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد أدبر

وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أم رددتها علي فأعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك وروى عن عجرة أنها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها اذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيأ فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد ابن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أمة سوداء من أهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختي والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء

فلما

سلك الحق) وزمرة الاغبياء (وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس ألا تستنكفين أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن) درجة (امرأة في أمر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية) وكانت امرأة عابدة من البصرة (انها كانت اذا صلت قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها) فتصلي ما شاء الله أن تصلي (فاذا طلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد أدبر) أي ولى منصرفا (وهذا النهار قد أسفر) أي ظهر نوره (فليت شعري أقبلت مني ليلتي فاهنأ أم رددتها علي فاعزى وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك) رواه أبو نعيم في الحلية (وروى عن عجرة) بضم العين وكانت من متعبدات البصرة (انها كانت تحيي الليل) بالصلاة والتسبيح (وكانت مكفوفة البصر فاذا كان السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجا الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فانت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة) وكانت من العارفات المتعبدات المعاصرات للفضيل بن عياض (فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها اذا خلت) بنفسها (فامرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيأ فكان لك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن يحيى بن بسطام فذكره وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا ابراهيم بن علي الرازي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا زهدم بن الحارث عن فضيل بن عياض قال قدمت شعوانة فاتيتها فشكوت اليها وسألتها أن تدعو الله بدعاء فقالت شعوانة يا فضيل أما بينك وبين الله ما ان دعوته استجاب قال فشهق الفضيل شهقة فخر مغشيا عليه (وقال محمد بن معاذ) بن عباد بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري صدوق عارف مات سنة ٢٢٣ روى عنه مسلم وأبو داود (حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقيل أمة سوداء من أهل الابلة) بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام موضع على أربع فراسخ من البصرة (يقال لها شعوانة قال فقلت أختي والله) تعني الاخوة في الله (قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء

فلما رأيتها ناديت يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك قال فتبسمت الى وقالت لم يان لقدومك احفظى عنى اثنتين الزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فالتمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فاذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى الا ماغفرت لى ذنوبى فقلت لها لا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت يا مولاى بحبه لى أخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من خلقه نيام وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمى أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شئ قدير * وقال ذو النون المصرى خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل على وهو يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكى فلما قرب منى السواد اذا هى امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لى من أنت غير فزعة منى فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لى ما الذى أبكاك فقلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع فى نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها

فلما رأيتها ناديت يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك قالت فتبسمت الى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى) خصلتين (اثنتين) احداهما (الزمى الحزن قلبك) أى لا يفارقك الحزن أبدا (و) الثانية (قدمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت) رواه ابن أبى الدنيا (وقال عبد الله بن الحسن) بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى المدنى أبو محمد ثقة جليل القدر روى له أصحاب السنن مات سنة خمس وأربعين ومائة عن خمس وسبعين سنة (كانت لى جارية رومية) أى من سبى الروم (وكنت بها معجبا وكانت فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فلمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فاذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى الا ماغفرت لى ذنوبى فقلت لها لا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت لا يا مولاى بحبه لى أخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى أيقظ عينى وكثير من خلقه نيام) رواه ابن أبى الدنيا (وقال أبو هاشم القرشى) كذا فى النسخ والصواب أبو هشام (قدمت علينا) مكة (امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض ديارنا قال فكنت أسمع لها من الليل أنينا وشهيقا فقلت يوما لخادمى أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة وتقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة تراها تظن أنك لا ترى من فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شئ قدير) رواه أبو بكر بن أبى الدنيا مع بعض مخالفة وزيادة فى الآخر فقال حدثنا محمد بن الحسين حدثنى عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا أبو هشام رجل من قريش من بنى عامر قال قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض رباعنا فكنت أسمع لها من الليل نحيبا وشهيقا فقلت للخادم اشرفى على هذه المرأة فانظرى ما تصنع فاشرفت فاذا هى قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها الى السماء فقلت ما تصنع قالت ما أراها تصنع شيأ غير انها لا ترد طرفها عن السماء فقلت اسمعى ما تقول قالت ما أفهم كثيرا من قولها غير أنى أسمعها تقول أراك خلقت سرية من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تعدوها من حال الى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة فى أثر فلتة أترى انها تظن أنك لا ترى سوء فعالها بلى وأنت على كل شئ قدير قال فصرخت وسقطت ونزلت الجارية فاخبرتنى بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فاذا هى قد ماتت (وقال ذو النون المصرى) رحمه الله تعالى (خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل على وهو يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكى فلما قرب منى السواد اذا هى امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لى من أنت غير فزعة منى قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لى ما الذى أبكاك فقلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع فى نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها) أى والصادق فى المحبة لا يرتاح الا بمولاه والبكاء انما يعترى فى مبادى الحب قبل تمامه بالصدق ويشبه هذه القصة ما ذكره ابن السراج فى مصارع العشاق أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن على حدثنا على بن عبد الله بن الحسن الهمدانى بمكة حدثنا محمد بن عبد الله بن الشكلى حدثنى محمد بن جعفر القنطرى قال قال ذو النون بينما أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية

عليها أطمار شعر واذا هى ناحلة ذابلة فدنوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان بالاشجان وعصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت نحبت ثم قالت سيدى بك تقرب المتقربون فى الخلوات ولعظمتك سبحت النينان فى البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوّار والبحر الزخار والقمر النوّار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى القهار

يا مؤنس الاسراء فى خلواتهم * يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما * فرح الفؤاد متيما بلبال
من ذاق حبك لا يرى متبسما * فى طول حزن فى الحشاشة عالى

فقلت لها زيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فاذا هى قد فارقت الدنيا فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عينى فغسلنها ثم أقبلن بها فى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فتقدمت فصليت عليها وهن خلفى ثم احتملنها ومضين وقد تقدم ذكر هذه القصة مع الابيات فى كتاب المحبة وهذه الابيات الاربعة نسبت الى رابعة العدوية وتقدم الكلام عليها (وقال أحمد بن على استأذنا على غفيرة) بضم الغين المعجمة وفى بعض النسخ بالعين المهملة وكانت من المتعبدات من أهل البصرة (فحجبتنا) أى منعتنا من الدخول عليها (فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم انى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا يا أمة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق فى بطنه فياليت غفيرة اذ رفعت رأسها لم تعص و ياليتها اذا عصت لم تعد) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنى أبو عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقا فى بطنه حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى حدثتنى غفيرة العابدة وكانت قد ذهب بصرها من العبادة قالت كان عطاء اذا بكى بكى ثلاثة أيام وثلاث ليال فقالت غفيرة وحدثنى ابراهيم المحلمى قال أتيت عطاء السلمى فلم أجده فى بيته قال فنظرت فاذا هو فى ناحية الحجرة جالس واذا حوله بلل قال فظننت أنه أثر وضوء توضاه فقالت لى عجوز معه فى الدار هذا أثر دموعه (وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعى جارية حبشية) أى سوداء من سبى الحبش (فاحتبستها فى موضع بناحية السوق) أى أمرتها ان تمكث فيه (فانصرفت فلم أجدها فانصرفت الى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت يا مولاى لا تعجل على انك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت أنت حرة) لوجه الله تعالى (فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما) و يقرب من ذلك ما رواه البيهقى فى الشعب عن أبى يوسف يعقوب بن سفيان قال أخبرنى بعض شيوخ أهل الكوفة قال كان لآل الحسن بن صالح بن حى خادمة تخدمهم فاحتاجوا الى بيعها فباعوها فلما كان فى الليل ذهبت فالحت على مولاها تقيمه وتقول ذهب الليل مرة بعد مرة حتى أضجرته فصاح بها فلما أصبحت ذهبت الى عند الحسن

* وقال أحمد بن على استأذنا على غفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم انى أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى أربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق فى بطنه فياليت غفيرة اذا رفعت رأسها لم تعص و ياليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى أنصرف اليك قال فانصرفت فلم أجدها فى الموضع فانصرفت الى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت يا مولاى لا تعجل على انك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لى أجران وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما

فقالت ياسبحان الله ما كان يجب عليكم فيما اخذ منكم ان تبيعونى من مسلم قال فقال الحسن سبحان الله وماله قالت انتظرته أن يقوم ليتهجد فلم يفعل وألحت عليه فربونى قال فصاح يعلى وقال أما تعجب من هذه اذهب فتسساف ثمنهما من بعض اخواننا واعتقها (وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها برة تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها) أى ننصحها (فى كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فلا يضرهما ماذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت) عنا (قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شئ غير مانحن فيه) رواه ابن أبى الدنيا (وكانت معاذة) بنت عبد الله (العدوية) أم الصهباء البصرية امرأة صلة بن أشيم من العابدات قال ابن معين ثقة حجة وذكرها ابن حبان فى كتاب الثقات روى لها الجماعة وروى أبو نعيم بسنده الى سلمة بن حيان العدوى قال حدثنا الحى ان معاذة العدوية لم توسد فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت (اذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح) قال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنا يحيى بن بسطام حدثنا عمران بن خالد حدثتنى أم الاسود بنت يزيد العدوية وكانت معاذة قد أرضعتها قالت قالت لى معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها والله يا بنية ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم ولكنى والله أحب البقاء لاتقرب الى ربى بالوسائل لعله يجمع بينى وبين ابى الصهباء وولده فى الجنة قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى روح بن سلمة الوراق قال سمعت عفيرة العابدة تقول بلغنى ان معاذة العدوية لما احتضرت للموت بكت ثم ضحكت فقيل لها بكيت ثم ضحكت فمم البكاء ومم الضحك رحمك الله قالت أما البكاء الذى رأيتم فانى والله ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فانى نظرت الى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها فضحكت اليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا قال فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة وروى أبو نعيم من طريق أبى خلدة قال سمعت أبا السوار العدوى يقول لمعاذة العدوية فى مسجد فى بنى عدى تجىء احداكن المسجد فتضع رأسها وترفع استها فقالت ولم تنظر اجعل فى عينيك ترابا ولا تنظر قال وانى والله ما أستطيع الآن أنظر ثم اعتذرت فقالت يا أبا سوار اذا كنت فى البيت شغلنى الصبيان واذا كنت فى المسجد كان أنشط لى قال النشاط أخاف عليك وأبو السوار تابعى ثقة عابد روى له الشيخان وقال أحمد فى الزهد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى ان صلة بن أشيم كان فى مغزى له ومعه ابن له فقال أى بنى تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت مرحبا ان كنتن جئتن لتهنئتى فمرحبا بكن وان كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن قال أبو نعيم ورواه سيار عن جعفر عن حميد بن دينار عن صلة بنحوه (وقال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (بت ليلة عند رابعة) العدوية قدس الله سرها (فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة) تصلى وتبكى وتدعو (الى السحر فلما كان السحر قلت ماجزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن نصوم له غدا) رواه البيهقى فى الشعب الا أنه عزاه لجعفر بن سليمان قال ضفت رابعة ذات ليلة فبدرت الى محرابها وبدرت الى آخر فلم تزل قائمة حتى أصبحت فقلت لها ماجزاء من قوانا على قيام هذا الليل قالت جزاؤه أن نصوم له النهار (و) روى انه (كانت شعوانة) رحمها الله تعالى (تقول فى دعائها الهى ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد

وقال ابن العلاء السعدى كانت لى ابنة عم يقال لها برة تعبدت وكانت كثيرة القراءة فى المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكى حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى نعذلها فى كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف أصبحت قالت أصبحنا أضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعينى عند الله خير فلا يضرهما ماذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا ثم أعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهى والله فى شئ غير مانحن فيه * وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومى الذى أموت فيه فما تطعم حتى تمسى فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى أموت فيها فتصلى حتى تصبح وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت أنا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ماجزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول فى دعائها الهى ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد

جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهى انك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت من تولانى فى حياتى باحسانه أن يشفعه عند مماتى بغفرانه الهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى الا الجميل فى حياتى الهى ان كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتى لك قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو أردت اهانتى لما هديتنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى الهى ما أظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمرى الهى لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك) وهذه مناجاة من شغف حب المولى عز وجل فى باطن قلبه واستغرقته مراقبة نعمه واحسانه وقد روى ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن محمد قال حدثنا ابراهيم بن عبد الملك قال قدمت شعوانة وزوجها مكة ثم ساق القصة وفيها قال وسمعتها تقول بالفارسية أنبت لكل داء دواء فى الجبال ودواء المحبين فى الجبال لم ينبت (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكيت حتى عميت وصلت حتى أقعدت وكانت تصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيأ من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت ان الله لم يخلقنى ولم أك شيأ مذكورا) ويقرب من هذه القصة ما رواه ابن أبى الدنيا عن محمد بن الحسين قال حدثنى أبو جعفر المؤدب حدثنا حفص بن عمر الجعفى قال كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسناء جمالا يقال لها الخنساء بنت جذام ولبست بالصحابية فصامت أربعين عاما حتى لصق جلدها بعظمها وبكت حتى ذهبت عيناها وقامت حتى أقعدت من رجليها وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها وكانت اذا جاءها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادى بصوت لها حزين يا حبيب المطيعين الى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب ابعثهم حتى ينتجز واموعودك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها قال فيسمع البكاء من الدور حولها ومما يليق ذكره من أحوال المجتهدات ما أورده البيهقى فى الشعب عن سلامة العابدة قالت بكت عبدة بنت أبى كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها فقيل لها ما تشتهين قالت الموت قيل ولم ذاك قالت انى أخشى الله فى كل يوم حين أصبح ان أجنى على نفسى جناية يكون فيها عطبى أيام الآخرة وعن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت رابعة تقول ما رأيت ثلجا قط الا ذكرت تطاير الصحف ولا رأيت جرادا قط الا ذكرت الحشر ولا سمعت أذانا قط الا ذكرت منادى القيامة قالت وقلت لنفسى كونى فى الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاؤه وعن أبى عثمان الخياط قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال بينا أنا ذات يوم جالس بالشام فى قبة ليس عليها باب الا كساء مسبل اذ أتتنى امرأة فدقت على الحائط فقلت من هذا فقالت امرأة ضالة دلنى على الطريق رحمك الله فقلت أى الطريق تسألين فبكت ثم قالت عن طريق النجاة فقلت هيهات هيهات لا يقطع ذلك الطريق الا بالسير الحثيث من الجد وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة فبكت ثم قالت اما علائق الدنيا ففهمتها فما علائق الآخرة فقلت لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لم يكن لك الا ما كتب لك فى اللوح المحفوظ وان لجهنم زفرة يوم القيامة لو كان لك عمل سبعين نبيا ما كان لك بد أن ترديها قال فصرخت صرخة ثم قالت سبحان من صان عليك جوارحك فلم تقطع وسبحان من أمسك عليك فلم تتصدع ثم سقطت مغشيا عليها قال ابن أبى الحوارى وكانت عندنا جارية من المتعبدات فقلت لها اخرجى فانظرى ما قصة هذه المرأة قال فخرجت اليها فاذا هى قد فارقت الدنيا واذا فى جيبها رقعة مكتوب فيها كفنونى فى أثوابى فان يكن لى عند ربى خير فسيبدلنى ما هو خير لى منها وان يكن غير ذلك فبعدا لنفسى وسحقا قال ابن أبى الحوارى فاذا خدم قد أحاطوا بالجارية فقلت لبعضهم ما قصة هذه المرأة فقالوا يا أبا

جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فان عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها وبقى لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهى انك لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ولقد رجوت من تولانى فى حياتى باحسانه أن يسعفنى عند مماتى بغفرانه الهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتى ولم تولنى الا الجميل فى حياتى الهى ان كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتى لك قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهى لو أردت اهانتى لما هديتنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى الهى ما أظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمرى الهى لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيأ من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيأ مذكورا

الحسن هذه جارية كان يظهر بها شئ نظن انها مصابة بعقلها وكان الذى يمنعها من المطعم والمشرب وكانت تشكو البنا وجعا بجوفها وكا نعرض عليها الأطباء فكانت تقول أريد متطببا أشكو اليه بعض ما أجد من دائى عسى أن يكون عنده شفائى اهـ سياق البيهقى وقال أبو بكر التيمى حدثنا محمد بن سليمان القرشى قال بينا أنا أسير فى طريق اليمن اذا بغلام واقف فى الطريق فى أذنيه قرطان فى كل قرط جوهرة يضىء وجهه من ضوء تلك الجوهرة وهو يمجد ربه بابيات من الشعر فسمعته يقول

مليك فى السماء به افتخارى * عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال ما أنا براد عليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب عليك قلت وما حقك قال أنا غلام على مذهب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف فاجبته الى ذلك فترحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر فلما قربنا من الخيمة صاح يا اختاه فاجابته جارية من الخيمة قال قومى الى ضيفنا فقالت الجارية حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف فقامت فصلت ركعتين شكرا فادخلنى الخيمة وأجلسنى وأخذ الغلام أغناما اليه فذبحها فلما جلست فى الخيمة نظرت الى أحسن الناس وجها فكنت اسارقها ففطنت لبعض لحظاتى اليها فقالت لى مه اما علمت انه نقل الينا عن صاحب يثرب ان زنا العينين النظر اما انى ما أردت بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أعدبك لكيلا تعود لمثل هذا فلما كان النوم بت أنا والغلام خارجا وباتت الجارية فى الخيمة فكنت أسمع دوى القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه فلما ان أصبحت قلت للغلام صوت من كان ذلك فقال تلك أختى تحيى الليل كله الى الصباح فقلت يا غلام أنت أحق بهذا العمل من اختك أنت رجل وهى امرأة قال فتبسم ثم قال لى ويحك يا فتى أما علمت انه موفق ومخذول وروى ابن باكويه من طريق موسى بن عبد الملك المروزى قال قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بامرأة فى الحجر وهى تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فانلنى معروفا من معروفك تغنينى به عن معروف من سواك يا معروفا بالمعروف فعرفت أيوب السختيانى فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب قولى خيرا يرحمك الله قالت وما أقول أشكو الى الله قلبى وهواى فقد أضرابى وشغلانى عن عبادة ربى قوما فانى ابادر على صحيفتى قال أيوب فما حدثت نفسى بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختيانى ما أردته فقلت أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختيانى فقالت أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا هذه مليكة بنت المنكدر وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن ادريس حدثنى محمد بن على بن حسان الهاشمى حدثنا أبو خالد البراد قال كلمنا ابنة المنكدر فى تخفيف بعض العبادة فقالت دعونى أبادر طى صحيفتى وقال ابراهيم بن مسلم القرشى كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فاذا جنها الليل تنادى بصوت حزين هدأ الليل واختلط الظلام واوى كل حبيب الى حبيبه وخلوتى بك أيها المحبوب أن تعتقنى من النار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى حدثنا خاقان بن عبد الله بن المبارك أن امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها اكشفى لى عن قبر النبى صلى الله عليه وسلم فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت قال ابن أبى الدنيا وحدثنى محمد بن الحسين حدثنى ابراهيم بن عبد الله المدينى قال حدثنى بعض أصحابنا ان امرأة كانت بالمدينة ترهق فدخلت المقابر ذات يوم فاذا هى بجمجمة قد بدت قال فصرخت ثم رجعت منيبة فدخل عليها نساؤها فقالت بكى قلبى لذكر الموت لما رأيت جماجم فوق القبور ثم قالت اخرجن عنى ولا يأتين منكن امرأة الا امرأة ترغب فى خدمة الله عز وجل ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك قال وحدثنى محمد بن الحسين حدثنى عبد الله بن نافع الزبيدى حدثنى أبو أيوب رجل من قريش ان امرأة من أهله كانت تجتهد فى العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فاتاها

الملعون فقال الى كم تعذبين هذا الجسد وهذه الروح لو أفطرت وقصرت عن القيام كان أدوم لك وأقوى قالت فلم يزل يوسوس لى حتى هممت والله بالتقصير قالت ثم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم معتصمة بقبره وذلك بين المغرب والعشاء فذكرت الله وصليت على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت مانزل بى من وساوس الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عنى كيده ووساوسه قالت فسمعت صوتا من ناحية القبر يقول ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير قالت فرجعت مذعورة وجلة القلب فوالله ماعاودتنى تلك الوسوسة بعد تلك الليلة وقال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنى عبد الله بن الزبير الحميرى حدثنى فضلة بن خالد المخزومى وكان من خيار بنى مخزوم قال كانت ههنا امرأة من بنى مخزوم مجاورة يقال لها حكيمة وكانت اذا نظرت الى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها وكانت لاتكاد تفارق المسجد الا لأمر الذى لابد منه قال ففتحت الكعبة يوما وهى فى بعض حاجتها فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها ياحكيمة اليوم فتح بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون به والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرت عينك قال فصرخت حكيمة صرخة لم تزل تضطرب حتى ماتت قال ابن أبى الدنيا وحدثنى محمد بن صالح بن يحيي التيمى حدثنى أبو الوراق أخبرنى من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهى تقول ياسيد الانام زجلت بى الشقة وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك وبرحمتك من غضبك ياحبيب الاوابين يامن لايكديه الاعطاء ياذا المن والآلاء ادلى بالثقة منك وصلة فراى منك عتق رقبتى قال ورأيتها بالموقف وهى تقول بمطتنى الآثام كحلت عينى بمكحول الخزى فوعزتك لا أضحك أبدا حتى أعلم أين محل قرارى والى أين تصير ديارى فلما رأت أيدى الناس مبسوطة للدعاء قالت يارب أقامهم هذا المقام خوف النار ياقرة عينى وعيون الابرار يلتمسون نائلك ويرجون فضلك انصرف الناس ولم أشعر قلبى منك اليأس وقال أبو عبد الرحمن السلمى ذكر جعفر بن محمد عن بعض مشايخه عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل فقالت لى ياعبد الله يقال انك عالم اقبل منى كلمة لاتجالسه الا بأدب والا فيمحو اسمك من ديوان القرب وقال أبو القاسم على بن الحسن التنوخى أخبرنى أبى قال حدثنى عبد الله بن أحمد بن بكر قال كان لأبى الحسن المكى ابنة مقيمة بمكة أشد ورعا منه وكانت لاتقتات الا ثلاثين درهما ينفذها اليها أبوها فى كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذى يسفه ويبيعه فاخبرنى ابن الرواس التمار وكان جاره قال جئت أودعه للحج واستعرض حاجته وأساله أن يدعو لى فسلم الى قرطاسا وقال تسأل بمكة الموضع الفلانى عن فلانة وتسلم هذا اليها فعلمت انها ابنته فاخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهارا من أن تخفى فتبعت نفسى ان يصل اليها من مالى شئ يكون لى ثوابه وعلمت انى ان دفعت اليها ذلك لم تاخذه ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهما ورددته كما كان وسلمته اليها فقالت أى شئ خبر أبى فقلت سلامة فقالت قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع الى الله تعالى فقلت كما قالت فاسألك بالله وبمن حججت اليه عن شئ فتصدقنى فقلت نعم فقالت خلطت بهذه الدراهم شيأ من عندك فقلت نعم انى علمت بذلك فقالت ان أبى ما كان يزيدنى على الثلاثين شيأ لان حاله لاتحتمل أكثر منها الا أن يكون ترك العبادة فلو أخبرتنى بذلك ما أخذت منه أيضا شيأ ثم قالت لى خذ الجميع فقد عققتنى من حيث قدرت انك تبرنى فقلت ولم قالت لا آكل شيأ ليس من كسبى ولا كسب أبى ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيأ فقلت خذى منها ثلاثين كما أنفذ اليك أبوك وردى الباقى فقالت لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لاخذتها ولكن اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيأ وأنا الآن أقتات الى الموسم الآخر من المزابل لان هذه كانت قوتى طول السنة وقد أجعتنى ولولا انك ماقصدت أذاى لدعوت عليك قال فاغتممت وعدت

الى البصرة وجئت الى أبي الحسن فاخبرته واعتذرت اليه فقال لا آخذها وقد اختلطت بغير مالى وقد عققتنى واياها قال فقلت فما أعمل بالدراهم فقال لا أدرى فمازلت مدة أعتذر اليه وأسأله ما أعمل بالدراهم فقال لى بعد مدة تصدق بها ففعلت وقال أبو الفتح بن أبي الفوارس أخبرنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا مسدد حدثنا الدورقى حدثنا عبد الله بن عبيد الله البكرى عن جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال رأيت بمكة امرأة من أحسن الناس عينين قال فكان النساء يجئن فينظرن اليها فأخذت فى البكاء فقيل لها تذهب عيناك فقالت ان كنت من أهل الجنة فسيبدلنى عينين أحسن من هاتين وان كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا قال فبكت حتى ذهبت احدى عينيها وقال مهدى بن حفص حدثنى أبو عبد الرحمن المغازلى قال كانت امرأة مجاورة بمكة تسمى حكيمة فدخلنا عليها ذات يوم فقالت لها امرأة كانت تخدمها اخوانك جاؤك يحبون أن يسمعوا كلامك قال فبكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت اخوانى وقرة عينى مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم فما ظننتم أنه قد يجوز فى ذلك اليوم فارغبوا الى السيد فى قبوله وتمام النعمة فيه وما خفتم أن يرد فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى اصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البدل ولا يقدر على الفداء قال ثم بكت طويلا ثم أقبلت علينا فقالت اخوانى وقرة عينى انما صلاح الأبدان وفسادها حسن النية وسوءها اخوانى وقرة عينى انما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم اليه ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبوا الله ورسوله فاحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله اخوانى وقرة عينى كلم الخوف قلوب أهله فاقتطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات اخوانى وقرة عينى بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله انه واسع كريم وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن رباب الطائى حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن سفيان عن ابن أبي رواد قال كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدى الرجال قال وحدثنا أبو على المدينى حدثنا أبو الحسن اكدام وكان من خيار الناس قال كانت امرأة بمكة يأتيها العباد فيتحدثون عندها ويتواعظون فقالت لهم يوما جبت قلوبكم الدنيا عن الله فلو خليتموها لجالت فى ملكوت السماء ولا تتكم بطرف الفوائد قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى صالح بن عبد الكريم قال دللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد فاتيتها وهى تكلم قال فاحسنت حتى سكتت قال فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت لقد تكلمت فأحسنت ولقد خشيت عليك العجب فقالت انما العجب من شئ هو منك فاما ان كان من غيرك ففيم العجب ثم قالت

وله خصائص مصطفون لحبه ❋ اختارهم من سالف الازمان
اختارهم من قبل فطرة خلقهم ❋ بودائع وبحكمة وقيان

ثم قالت انهض اذا شئت قال وحدثنى محمد بن عباد بن موسى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الرحمن بن الحكم قال كانت عجوز من قريش بمكة تأوى فى سرب ليس لها بيت غيره فقيل لها أترضين بهذا فقالت أوليس هذا لمن يموت كثير وقال ابن شاذان أخبرنا عثمان بن أحمد حدثنا العباس بن يوسف حدثنى محمد بن عبد الله القارى حدثنى محمد بن بكار قال كانت عندنا بمكة امرأة عابدة لا تمر بها ساعة الا وهى صارخة فقيل لها يوما انا نراك على حال ما نرى غيرك عليها فان كان لك داء عالجناك قال فسكتت وقالت من لى بعلاج هذا الداء وهل أقرح قلبى الا التفكر فى مثل معالجته أوليس عجبا أن أكون حية بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق الى ربى مثل شعل النار التى لا تطفأ حتى أصير الى الطبيب الذى عنده برء دائى وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان فى هذه الدار التى لا أجد فيها على البكاء مسعدا قال وحدثنا محمد بن الحسين حدثنى عصام بن عثمان الحلبى حدثنى مسمع بن عاصم قال قالت لى رابعة العدوية اعتللت علة قطعتنى عن التهجد وقيام الليل فمكثت أياما أقرأ جزئى اذا ارتفع النهار لما يذكر فيه انه يعدل لقيام الليل قالت ثم رزقنى الله العافية فاعتادتنى فترة فى عقب العلة فكنت قد سكنت الى قراءة جزئى

بالنهار وانقطع عن قيام الليل قالت فبينا أنا ذات ليلة راقدة رأيت فى منامى كأنى دفعت الى روضة خضراء ذات قصور ونبت حسن فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها اذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه قالت فشغلنى حسنها عن حسنه فقلت ما تريدين منه دعيه فوالله ما رأيت طائرا قط أحسن منه قالت أفلا أريك أحسن منه قلت بلى قالت فأخذت بيدى فادارت بى فى تلك الروضة حتى انتهت بى الى باب قصر فاستفتحت ففتح لها ثم قالت افتحوا لى بيت المقة قالت ففتح لها باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدى وما خلفى قالت فدخلت وقالت لى ادخلى قالت فدخلت الى بيت يحار فيه البصر تلألؤا وحسنا ما أعرف له فى الدنيا شبها قالت فبينا نحن نجول فيه اذ رفع لنا باب يخرق الى بستان قالت فأهوت نحوه وأنا معها فتلقانا منه وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم المجامر فقالت لهم أين تريدون قالوا نريد فلانا قتل فى البحر شهيدا قالت أفلا تجمروا هذه المرأة قالوا قد كان لها فى ذلك حظ فتركته قالت فأرسلت يدها من يدى ثم أقبلت على فقالت

صلاتك نور والعباد رقود * ونومك ضد للصلاة عنيد
وعمرك غنم ان غفلت ومهلة * يسير ويفنى دائما ويبيد

قالت ثم غابت من بين يدى عن عينى واستيقظت حين تبدى الفجر قالت فوالله ما ذكرتها فتوهمتها الا طاش عقلى وأنكرت نفسى قال ثم سقطت رابعة مغشيا عليها (فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين) والمجتهدات فى الطاعات (لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه) من النبذة اليسيرة (كفاية للمعتبر وان أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء) وطبقة الاصفياء تصنيف الشيخ الامام الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الاصفهانى رحمه الله تعالى (فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم) قال فى أول كتابه أما بعد أحسن الله توفيقك فقد استعنت بالله وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامى جماعة من الصحابة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم من بعدهم ممن عرف الادلة والحقائق وباشر الاحوال والطرائق وساكن الرياض والحدائق وفارق العوارض والعلائق الى آخر ما قال الى ان قال اذ لاسلافنا فى التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور وقد كان جدى محمد بن يوسف البنا رحمه الله تعالى أحد من نشر الله به ذكر بعض المنقطعين اليه وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه ولنذكر هنا نبذة من ترجمته وعدة تصانيفه وكيفية الاتصال به هو الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن مهران سبط الشيخ العارف محمد بن يوسف البنا رحمهم الله تعالى ولد فى رجب سنة ٣٣٦ وتوفى بكرة يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ٤٣٠ غسله الحافظ أبو مسعود ابراهيم بن سليمان وصلى عليه محمد بن عبد الواحد وله أربع وتسعون سنة ودفن الى جنب الشوذجانى وقبره يستجاب عنده الدعاء قال الحافظ أبو موسى المدينى أسلم جده مهران وهو مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب وجده من قبل أمه محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد الثقفى الصوفى الشهير بالبنا كان رأسا فى التصوف وصنف كتبا حسانا وقال الحافظ أبو طاهر السلفى كان أبو نعيم فى وقته مرحولا اليه ولم يكن فى أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده الى قريب من الظهر فاذا قام الى داره ربما كان يقرأ عليه فى الطريق جزأ وكان لا يضجر ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو القراءة عليه قال سمعت مرة يذكران أبا نعيم سئل ممن تعلمت العربية فقال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى انه تخرج بقراءة الحديث وسماعه وكتبه والنظر فيه

ثم أقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك أن تنظر الى أهل عصرك فانك ان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة * وفيما ذكرناها كفاية للمعتبر وان أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم

وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك و بعد أهل عصرك من أهل الدين فان حدثتك نفسك (١٤٧) بالنظر الى أهل زمانك وقالت انما تيسر

قال وسمعت السيد حمزة بن العباس العلوى الاصبهانى بهمدان يقول كان أصحاب الحديث فى مجلس أحمد ابن الفضل الباطرقانى يقولون وأنا أسمع بقى أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير ولا يوجد شرقا وغربا أعلى اسنادا ولا أحفظ منه وكانوا يقولون لما صنف كتاب الحلية حمل الى نيسابور حال حياته فاشترى هناك بار بعمائة دينار وبلغت عدة تصانيفه أربعمائة مجلد قال الامام منتخب الدين أبو الفتوح العجلى كان أبو نعيم صاحب التصانيف الكثيرة ولعلها تبلغ أربعمائة ومناقبه تصانيفه وكتابه حلية الاولياء عشر مجلدات ومعرفة الصحابة فى ثلاث مجلدات ودلائل النبوة فى ثلاث مجلدات وقد حصلت بحمد الله تعالى كتابه حلية الاولياء أجزاء متفرقة من مواضع شتى وكمل عندى غالبه الا ماقل منه وناهيك به شرفا ماذكره بعضهم انه لايدخل الشيطان بيتا فيه هذا الكتاب وقد جمع رجاله فى ارجوزة محمد بن جابر الاندلسى فى كراسين أحسن فيها للغاية وروينا هذا الكتاب عن جماعة من الشيوخ مابين اجازة خاصة وعامة منهم المسند أبو حفص عمر بن أحمد بن عقيل بن الحسين المكى عن كل من المشايخ الثلاثة خاله حافظ الحجاز عبدالله بن سالم البصرى والشهاب أحمد بن على بن محمد النخلى وأبى الاسرار الحسن بن على بن يحيى الحنفى قالوا أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء أخبرنا على بن يحيى أخبرنا يوسف بن زكريا أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى أخبرنا الحافظان أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى ومستمليه زين الدين رضوان بن يوسف العقبى ومسند القاهرة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات قال الاولان أخبرنا الشرف محمد بن عبد اللطيف بن الكويك والزين عبد الرحمن بن أحمد الغزى قال ابن الكويك أخبرنا ابراهيم بن على القطبى وقال الغزى أخبرنا على بن اسمعيل المخزومى قالا أخبرنا النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على الحرانى وقال ابن الفرات أخبرنا عمر بن الحسين المراغى أخبرنا الفخر محمد بن النحاسى قال هو والحرانى أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان وأبو الحسن مسعود بن محمد بن منصور الجمال قال أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد أخبرنا الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى (وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك و بعد أهل عصرك من أهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى أهل زمانك وقالت انما تيسر الخير فى ذلك الزمان لكثرة الاعوان) عليه (و) أما (الآن فان خالفت أهل زمانك) فى زيهم وطريقتهم (رأوك مجنونا) قليل العقل (وسخروا بك) واستقلوا مقامك (فوافقتهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك الا مايجرى عليهم والمصيبة اذا عمت) أى شملت الناس جميعا (طابت) وهانت (فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتخدع بتزويرها وقل لها أرأيت) أيتها النفس (لوهجم سيل جارف) يجرف الارض وماعليها (يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم) ماكثين (ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على ان تفارقيهم وتركبى فى سفينة تتخلصى بها من الغرق فهل يختلج فى نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت أم تتركى موافقتهم وتستجهليهم فى صنيعهم وتأخذى حذرك ممادهاك) وهجم عليك (فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق) والهلاك (وعذاب الغرق لايتمادى الاساعة) وربما تزهق الروح (فكيف لاتهربى من عذاب الابد وأنت متعرضة له فى كل حال ومن أين تطيب المصيبة) وتهون (اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا) كما أخبر الله تعالى عنهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك أو تحملها على الاجتهاد فاستعصت) ولجت فى طغيانها وابت فى طاعتك فيما تحملها (ان لاتترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها) بعصا المواعظ والزواجر (وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها لتنزجر عن طغيانها) ومن أراد الزيادة على هذا فلا يشفيه الا ماذكره المصنف فى المرابطة السادسة قال رحمه الله تعالى

الخير فى ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك الا مايجرى عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتخدع بتزويرها وقل لها أرأيت لوهجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبى فى سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج فى نفسك أن المصيبة اذا عمت طابت أم تتركين موافقتهم وتستجهليهم فى صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لايتمادى الاساعة فكيف لاتهربين من عذاب الابد وأنت متعرضة له فى كل حال ومن أين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن

لاتترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

(المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها) اعلم ان أعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هى النفس اللوامة التى أقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى أن تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وانها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وبشتد انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غدا فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت أما تعلمين ان الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لا يأتى فى شئ دون شئ ولا فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضى الى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب أما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم

الله

(المرابطة السادسة فى توبيخ النفس ومعاتبتها)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان أعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك) كما ورد فى مرسل سعيد بن أبى هلال ليس عدوّك الذى يقتلك فيدخلك الله به الجنة وان قتلته كان لك نورا ولكن أعدى الاعداء لك نفسك التى بين جنبيك رواه أبو محمد العسكرى فى الامثال (وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها) وتعديلها (وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان أهملتها جمحت) وعصت (وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك) واحتجت الى معالجة شديدة (وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هى النفس اللوّامة التى أقسم الله بها) فقال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة وهى النفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصير وادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم (ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوّة الى ان تدخل فى زمرة عباد الله راضية مرضية) كما قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك مالم تشتغل أوّلا بوعظ نفسك) فقد ورد انه (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى) رواه أحمد فى الزهد عن مالك بن دينار وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا الحسين بن محمد بن على حدثنا أحمد بن محمد ابن معاوية حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول أوحى الله الى عيسى عليه السلام يا عيسى عظ نفسك فذكره (وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها) وحمقها (وانها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق) والغباوة (فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو) واللعب (وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين) من بين أهلك وأحبابك (أو غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين ان كل ما هو آت قريب) وكأن قد (وان البعيد ماليس بآت أما تعلمين ان الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول) منه ينبهك على اتيانه (ومن غير مواعدة ومواطأة) لمجيئه (وانه لا يأتى فى شتاء دون صيف ولا فى صيف دون شتاء ولا فى نهار دون ليل ولا فى ليل دون نهار ولا يأتى فى الصبا دون الشباب ولا فى الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضى الى الموت) وقد ورد فى السنة ما يدل على ذلك فقد روى هناد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات وأبو نعيم فى الطب والبيهقى فى الشعب والقضاعى فى المسند عن الحسن مرسلا الحمى رائد الموت وهى سجن الله فى الارض للمؤمن يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء (فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم) أى بالاضافة الى ما مضى أو عند

وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم و يحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما أعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين انك تطيقين عقابه هيهات هيهات جربى نفسك ان الهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسى (١٤٩) ساعة فى الشمس أو فى بيت الحمام أو قربى أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل فى دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى الا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب أفتحسبين ان الله كريم فى الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقال فى أمر الآخرة وأن ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بافعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل أمر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين انك تتركين سدى ألم تكونى نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله يستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون أولان كل ما هو آت قريب قال الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

وانما البعيد ما انقرض واللام صلة لاقترب أو تأكيد الاضافة وأصله اقترب حساب الناس (وهم فى غفلة معرضون) عن التفكر فيه (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم محدث) تنزيله كى يتعظوا (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب (لاهية قلوبهم) أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه (و يحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما أعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك و يحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأى جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين انك تطيقين عذابه هيهات جربى نفسك ان ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسى ساعة فى الشمس) فى نهار الصيف (أو فى بيت الحمام أو قربى أصبعك من النار) أو من شعلة السراج (ليتبين لك قدر طاقتك) ما أظن انك تطيقين ذلك (أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى فى مهمات دنياك فاذا قصدك عدو) أو خفت منه (فلم تستنبطين الحيل فى دفعه) بكل ممكن (ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضى الا بالدينار والدرهم فمالك قد تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك) أى يطلعك (على كنز) تنفقى منه (أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب أفتحسبين ان الله كريم فى الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى) وان سعيه سوف يرى (و يحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك) جل شأنه (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقال فى أمر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين) أى تتحارصين (على طلبها تكالب المدهوش المستهتر) كالذى لا يعقل (ووكل أمر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار) مع انهم قد آمنوا بلسانهم (و يحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين انك تتركين سدى ألم تكونى نطفة من منى يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) نزع بذلك الى قوله تعالى أيحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى والى هذا المعنى أشار القائل

فان كان هذا من اضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك أفتكذبينه فى قوله ثم اذا شاء أنشرك فان لم تكونى مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك ولوان يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو أخبرك طفل بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبته بدليل وبرهان أفكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء أقل عندك من قول صبى من جملة الاغبياء أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شى

(فان كان هذا من اضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فاقبرك فتكذبينه فى قوله اذا شاء أنشرك فان لم تكونى مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك ولوان يهوديا أخبرك فى ألذ أطعمتك بانه يضرك فى مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودى يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم) مع ماله من العداوة الدينية معك بحيث لو خلا بك لقتلك (والعجب انه لو أخبرك طفل بان فى ثوبك عقربا لرميت ثوبك فى الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء أقل عندك من قول صبى من جملة الاغبياء أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أقصر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما أو أقل منه ماهذا أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعلك يختطفك من غير مهل فمماذا أمنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة) وهو غاية الامانى (أفتظنين ان من يطعم الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة) من وطنه (فاقام فيها سنين) مدة (متعطلا بطالا) لم يشغل نفسه بالتعلم (يعد نفسه بالتفقه فى السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره) كما فى الخبر حفت الجنة بالمكاره (ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت ان الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه أعجز وأعجز) أى أكثر عجزا (لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها) واستئصالها (فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فاخرها الى سنة أخرى مع العلم بان طول

يوما أو أقل منه ماهذه افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا أمنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة فى حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه فى الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه فى السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد فى آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان أوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذى جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه أعجز وأعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التى تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوى فاخرها الى سنة أخرى مع العلم بان طول

المدة

المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا وهنا فما لا يقدر عليه فى الشباب لا يقدر عليه قط فى المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعنى عن الاستقامة الا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقة فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ان كنت صادقة فى ذلك فاطلبى التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع فى ذلك الا فى الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما قولك فى عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويتهنأ بشربه طول عمره وأخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل فى قضاء حق الشهوة أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضى شهوته فى الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذى هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك الا الكفر خفى أو الحق جلى اما الكفر الخفى فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحق الجلى فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه فى لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فى ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى ويحك يا نفس لا ينبغى ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظرى لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعى أوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمى الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت

المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا وهنا فما لا يقدر عليه فى الشباب لا يقدر عليه قط فى المشيب بل من العناء رياضة الهرم) فان الهرم يزداد كل آن ضعفا فرياضته من جملة العناء (ومن التعذيب تهذيب الذيب) فانه جبل على الخبث فلا ينفع فيه التهذيب ومنه قول الشاعر

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع فيه الاديب

(والقضيب الرطب ينفع فيه الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك) أبدا (فاذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الامور) الواضحة (الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة) والاصابة (وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعنى عن الاستقامة الا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك ان كنت صادقة فى ذلك فاطلبى التنعم بالشهوات الصافية من الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع فى ذلك الا فى الجنة) فان لذاتها هى الموصوفة بذلك (فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها فى مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات) وهو مثل مشهور أورده الحريرى فى المقامات (وما قولك فى عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح) مزاجه (ويتهنأ بشربه طول العمر وأخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا) لا يفارقه (وامتنع عليه شربه طول العمر ٧ يقضى شهوته فى الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذى هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعرى ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار فى دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تتوانين) أى تتساهلين (عن النظر الى نفسك اما الكفر خفى أو الحق جلى أما الكفر الخفى فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحق الجلى فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرم الله فى لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فى ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه الطيالسى وأحمد والترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس من حديث شداد بن أوس وفى رواية لهم والعاجز بدل الاحمق وقد تقدم مرارا (ويحك يا نفس لا ينبغى ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور) كما قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (فانظرى لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعى أوقاتك) فانها عزيزة (فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمى الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت) فقد روى الحاكم والبيهقى من حديث ابن عباس اغتنم خمسا

واستعدى للآخرة على قدر بقائك فيها يانفس اماتستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولاتتكلين فى ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك أفتظنين أيتها النفس ان زمهرير جهنم أخف برداواقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا كذلك وان يكون بينهما مناسبة فى الشدة والبرودة أفتظنين أن العبد ينجومنها بغير سعى هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى فى أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لافى ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى فى دفع برد

الشتاء أن خلق النار وهدالك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعى بها برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغنى عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وانما هى طريقك الى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غنى عن العالمين ويحك يانفس انزعى عن جهلك وقيسى آخرتك بدنياك فماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أوّل خلق نعيده وكما بدأكم تعودون وسنة الله تعالى لاتجدين لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يانفس مااراك الا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها فاحسبى أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لامحالة الى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى أما تعلمين ان الدنيا دار لملك الملوك ومالك فيها الامجاز وكل مافيها لايصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به وعش ماشئت فانك ميت ويحك يانفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر

قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وقد رواه ابن المبارك وأحمد معافى كتاب الزهد وأبونعيم فى الحلية والبيهقى أيضا عن عمرو بن ميمون الاودى مرسلا (واستعدى للآخرة على قدر بقائك فيها يانفس اماتستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب) الموافقة للزمان (ولاتتكلين فى ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك أفتظنين أيتها النفس ان زمهرير جهنم أخف برداوأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان ذلك دون هذا كلا ان يكون هذا كذلك وان يكون بينهما مناسبة فى الشدة والبرودة أفتظنين ان العبد ينجومنها بغير سعى وهيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات) فقد روى من طريق أهل البيت لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى (وانما كرم الله تعالى فى ان عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لافى ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى فى دفع برد الشتاء ان خلق النار وهدالك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفع بها برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغنى عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلق سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وانما هى طريقك الى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غنى عن العالمين ويحك يانفس انزعى عن جهلك) وغيك وارعوى عن طغيانك (وقيسى آخرتك بدنياك فماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده وكما بدأكم تعودون وسنة الله) فى خلقه (لاتجدين لها تبديلا ولا تحويلا) فتأملى فى ذلك (ويحك يانفس ما أراك الا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين فى نفسك مودتها فاحسبى انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها) وشدائدها (فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك) وأحبابك (أفترين ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر) متفرجا (فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لامحالة الى مفارقته أهو معدود من العقلاء أومن الحمقى اما تعلمين أن الدنيا دار ملك من الملوك ومالك فيها الامجاز) يشير بذلك الى قول عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها (وكل مافيها لايصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به وعش ماشئت فانك ميت) رواه الشيرازى فى الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبرانى فى الأصغر والاوسط من حديث على وكلاهما ضعيف وقد تقدم فى كتاب العلم (ويحك يانفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع أن الموت من ورائه) وبالمرصاد منه (فانما يستكثر

من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدرى أوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم اما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون يبنى كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا أما تستحيين يانفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبى أنك لست ذات بصيرة تهتدى الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يانفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك عجبا لك

من الحسرة عند المفارقة وانما يتزوّد من السم المهلك وهو لا يدرى أوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا) ما بنوا (ثم ذهبوا وخلوا) أى تركوا ومنه قولهم يامن بنى وعلى ثم راح وخلى (وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أماتراهم كيف يجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويؤملون مالا يدركون) وقد روى الطبرانى فى الكبير من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب يا أيها الناس أما تستحيون تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون ألا تستحيون من ذلك (يبنى كل واحد منهم قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل فى الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يانفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبى انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا) الحريصين على تحصيلها (واقتدى من الفريقين بمن هو أعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يانفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يانفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها أوما تتفكرين ان الجاه لامعنى له الاميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد لك وأطاعك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة) أو أقل من ذلك (لاتبقى أنت ولا أحد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولاذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد اوتسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا (فكيف تبيعى يانفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقى هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويابى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يانفس لاتتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لاتتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها) أى تعبها (وتوقيا من سرعة فنائها أم مالك لاتزهدين فى قليلها بعدان زهد فيك كثيرها ومالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك اذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين) والصالحين (فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فياحسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادرى ويحك يانفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت) وجاء الاجل (وورد النذير)

كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يانفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها أوما تتفكرين ان الجاه لامعنى له الاميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد لك وأطاعك أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لاتبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولاذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يانفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ان بقى هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويأبى ادبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يانفس لاتتركين الدنيا رغبة فى الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فمالك لاتتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها أم مالك لاتزهدين فى قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ومالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك اذ رغبت عن أن تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكونى فى صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياما قلائل فياحسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادرى ويحك يانفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير

فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ويحك يانفس مالك الا أيام معدودة هى بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ماضيعت منها لكنت المقصرة فى حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك أما تعلمين يانفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الاكبر بين يديك أما علمت يانفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم اماتعلمين يانفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك مافرط منهم أنت فى أمنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك فى الغفلة والبطالة ويحك يانفس أماتستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله فى السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية اما تعلمين يانفس ان المذنب أنتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين فى تطهير غيرك وأنت غير طيبة فى نفسك ويحك يانفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس مايصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك يانفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات مالو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح فى يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتى ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يانفس ما أغدرك ويحك يانفس ما أوقحك ويحك يانفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصى ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يانفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها أما تنظرين الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فاصبح

وهو الشيب (فمن ذا يصلى عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ويحك يانفس مالك الا أياما معدودة هى بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ماضيعت منها لكنت مقصرة فى حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك اما تعلمين يانفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الاكبر بين يديك أما علمت يانفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك) روى أبو نعيم فى الحلية أن رجلا جاء للفضيل فقال عظنى فقال له ان عسكر الموتى ينتظرونك (وقد آلوا كلهم على أنفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم) فلا بد وان يأخذوك معهم (اما تعلمين يانفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما يشتغلون بتدارك مافرط منهم وأنت فى أمنيتهم) كما قال تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها) أى بتمامها (لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك فى الغفلة والبطالة ويحك يانفس أماتستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله فى السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين) غيرك (الى الله) تعالى (وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية اما تعلمين يانفس ان الذنب أنتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين فى تطهير غيرك وأنت غير طيبة فى نفسك ويحك يانفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا بشؤمك) وسوء فعلك (ويحك يانفس قد جعلت نفسك حمار الابليس يقودك الى حيث يريد) من الشهوات (ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات مالو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح فى يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس) وطرده من جواره (بخطيئة واحدة) وهى مخالفة أمر الله تعالى فى السجود لآدم عليه السلام (بعد ان عبده مائتى ألف سنة) قبل خلق آدم عليه السلام كما فى خبر ابن عباس رواه الحاكم وروى ابن جرير وابن الانبارى عن ابن عباس قال كان ابليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فذلك دعاه الى الكبر وعند وكيع وابن المنذر عنه قال كان من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال كان رئيس ملائكة سماء الدنيا (وأخرج آدم) عليه السلام من الجنة (بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه) وتلك قربانه الشجرة المنهى عنها روى ابن عساكر عن عطاء ان آدم لما أهبط من الجنة خر فى موضع البيت ساجدا فمكث أربعين يوما لا يرفع رأسه وروى ابن سعد عن الحسن قال بكى آدم على الجنة ثلثمائة سنة (ويحك يانفس ما أغدرك ويحك يانفس ما أوقحك ويحك يانفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصى ويحك كم تعقدين) بينك وبين الله عقدا (فتنقضين ويحك كم تعهدين مع الله عهدا فتغدرين ويحك يانفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فاصبح

جمعهم

جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يانفس امالك بهم عبرة امالك اليهم نظرة أتظنين انهم دعوا الى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ماتتوهمين ماأنت الافى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك اماتخافين اذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يانفس انك مع (١٥٥) هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولاتحزنين بنقصان عمرك ومانفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يانفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لايستكمله وكم من مؤمل لغدلا يبلغه فانت تشاهدين ذلك فى اخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالتك فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لايترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يانفس باى بدن تقفين بين يدى الله وباى لسان تجيبين وأعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لايام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملى قبل ان لاتعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجى منها على الاضطرار ولاتفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لايشعر فويل لمن له الويل ثم لايشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يانفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولاتكونى ممن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى وينهى الناس ولاينتهى واعلمى يانفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر

جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا) روى ذلك من كلام على رضى الله عنه قاله فى بعض خطبه (ويحك يانفس أمالك بهم عبرة) تعتبرين بها (أمالك اليهم نظرة) تتعظين بها (أتظنين انهم دعوا الى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ماتتوهمين ماأنت الافى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابنى على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك) روى ابن عساكر عن مجاهد قال ان الله لما أهبط آدم وحواء الى الارض قال اهبطوا الى الارض فلدوا للموت وابنوا للخراب ورواه ابن المبارك فى الزهد نحوه وفى حديث الزبير مامن صباح يصبح على العباد الاوصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب رواه البيهقى فى الشعب وقال أبوذر رضى الله عنه تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون مايفنى وتتركون مايبقى رواه أبونعيم فى الحلية وقال عيسى عليه السلام يابنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم رواه أحمد فى الزهد وقد نظم الحافظ ابن حجر هذا المعنى فقال

بنى الدنيا أقلوا الهم فيها * فمافيها يؤل الى الفوات
بناء للخراب وجمع مال * ليفنى والتوالد للممات

(اماتخافين اذا بلغت النفس منك التراقى ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم) وقد فات وقته (أو يقبل منك الحزن) حيث لاينفع (أو يرحم منك البكاء) والدموع (والعجب كل العجب منك يانفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولاتحزنين بنقصان عمرك ومانفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يانفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لايستكمله وكم من مؤمل لغدلا يبلغه فانت تشاهدين فى اخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالتك فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله) تعالى (فيه على نفسه أن لايترك عبدا أمره فى الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته) كما وردت بذلك الاخبار (فانظرى يانفس بأى بدن تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين واعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملى بقية عمرك فى أيام قصار لايام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملى قبل أن لاتعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطرار ولاتفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون) فى سروره (ورب مغبون لايشعر) بغبنه (فويل لمن له الويل) دركة من دركات جهنم (ثم لايشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يانفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا) فالمفر المفر قبل أن تسحب وتجر واسمعى النصيحة قبل حلول الفضيحة (ولاتكونى ممن يعجز عن شكر ماأوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى) وانى له الزيادة ولم يشكر وقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (وينهى الناس ولاينتهى) قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (واعلمى يانفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر) روى ابن عدى والديلمى وابن عساكر من حديث ابن

فاتعظى يانفس بهذه الموعظة واقبلى هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان
كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام
فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمى ان الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره
وباطنه فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق
فيك مجال للوعظ فاقنطى
من نفسك والقنوط كبيرة
من الكبائر نعوذ بالله من
ذلك فلا سبيل لك الى القنوط
ولا سبيل لك الى الرجاء مع
انسداد طرق الخير عليك
فان ذلك اعتذار وليس
برجاء فانظرى الآن هل
يأخذك حزن على هذه
المصيبة التى ابتليت بها وهل
تسمح عينك بدمعة رحمة
منك على نفسك فان سمحت
فستقى الدمع من بحر الرحمة
فقد بقى فيك موضع للرجاء
فواظبى على النياحة والبكاء
واستغيثى بارحم الراحمين
واشتكى الى أكرم
الاكرمين وادمنى الاستغاثة
ولا تملى طول الشكاية لعله
ان يرحم ضعفك يغيثك
فان مصيبتك قد عظمت
وبليتك قد تفاقمت وتماديك
قد طال وقد انقطعت منك
الحيل وراحت عنك العلل
فلا مذهب ولا مطلب ولا
مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ
ولا منجا الا الى مولاك فافزعى
اليه بالتضرع واخشعى
فى تضرعك على قدر عظم
جهلك وكثرة ذنوبك لانه
يرحم المتضرع الذليل
ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد أصبحت اليه اليوم مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك
السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث
به رؤف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولى يا أرحم الراحمين يارحمن يارحيم ياحليم ياعظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا
الجرىء الذى لا أقلع أنا المتمادى الذى لا أستحى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك

عباس الليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغا الى الآخرة (فاتعظى يانفس بهذه الموعظة واقبلى هذه
النصيحة فان من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية وان
كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام) بالليل والناس نيام
فعسى أن تزول بذلك قساوة قلبك (فان لم تزل فالمواظبة على الصيام فان الجوع يسد مجارى الشيطان فى
العروق فان لم تزل فبقلة المخالطة) مع الناس (والكلام فان لم تزل) بذلك (فبصلة الارحام واللطف
بالايتام) فان ذلك يورث الرقة بالقلب (فان لم تزل) بذلك (فاعلمى ان الله) تعالى (قد طبع على قلبك
واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة
وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له) روى الطبرانى فى الصغير والاوسط
بسند ضعيف والخطيب من حديث أبى هريرة ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا بعشائرهم
وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وخلق النار وخلق لها أهلا بعشائرهم
وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد تقدم وروى مسلم من حديث عائشة
ان الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا (فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطى من
نفسك والقنوط من رحمة الله تعالى كبيرة من الكبائر نعوذ بالله تعالى من ذلك) كما تقدم فى كتاب التوبة
(فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير فان ذلك اغترار وليس برجاء) وقد
سبق الكلام على ذلك فى كتاب الرجاء (فانظرى الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها
وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع
للرجاء فواظبى على النياحة والبكاء واستغيثى بارحم الراحمين واشتكى الى أكرم الاكرمين وادمنى
الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك) على حالك (فان مصيبتك قد عظمت
وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وانزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا
مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعى اليه بالتضرع واخشعى فى تضرعك على قدر عظم
جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر) قال الله
تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (وقد أصبحت اليوم مضطرة الى رحمته محتاجة وقد
ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك
التوبيخ) والحاصل أن العبد اذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور أحدها ان يتدارك بالتوبة
والجبر فان لم يستطع لغلبة الشهوة عالج تلك الشهوة بالدواء المعروف لها فان لم تنكسر تلك الشهوة بالعلاج
عاتبها وبخها وقرر عندها جهلها وحماقتها وان تماديها واصرارها يؤدى الى هلاكها فان ارتدعت بذلك
والا فالدعاء والاعتراف والالتجاء الى الله تعالى (فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به رؤف
والرحمة واسعة) والفضل جزيل (والكرم فائض والعفو شامل وقولى يا أرحم الراحمين يارحمن يارحيم
ياحليم ياعظيم يا كريم أنا المذنب المصر) على ذنبى (أنا الجرىء) على معصيتك (الذى لا أقلع) عنها
(أنا المتمادى الذى لا يستحى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك

الغريق) في بحر العصيان (فعجل اغاثتي) وارحم مسكنتي وفاقتي (و) عجل (فرجي) وفرجي (وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين) كل ذلك مع مراعاة الآداب التي ذكرت في كتاب الادعية (اقتداء بابيك آدم عليه السلام) اذ قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهي الكلمات التي تلقاها في قول الاكثرين (فقد قال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة مكث لا ترقأ له دمعة) أي لا تسكن عن الجريان (فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع) من هبوطه (وهو محزون كئيب كظيم) ملآن من الحزن (منكس رأسه) حياء من ربه (فاوحى الله اليه يا آدم ماهذا الجهد الذي أرى بك قال يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك ثلثمائة عام) وروى ابن سعد عن ابن عباس قال لما أهبط الله آدم من الجنة أنشأ يقول ربي كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فاهبطتني هذا الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بالعرش وأجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتني الى الارض وحطاطتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهب عني ريح الجنة فاجابه الله تعالى ان مصيبتك يا آدم فعلت ذلك بك قال فبكيا على ما فاتهما مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب حواء مائة سنة وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال بكى آدم حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه أحد فلو ان بكاء آدم وزن مع بكاء داود على خطيئته ماعدل بكاء آدم حين أخرج من الجنة ومكث أربعين سنة لا يرفع رأسه الى السماء وروى البيهقي في الشعب عن بريدة لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده لرجح دموعه على دموع جميع ولده وروى ابن سعد عن الحسن قال بكى آدم على الجنة ثلثمائة سنة وروى الطبراني في الاوسط وابن عساكر بسند ضعيف من حديث عائشة لما أهبط الله آدم الى الارض قام وجاه الكعبة فصلى ركعتين فالهمه الله هذا الدعاء اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي فاوحى الله اليه يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت ذنبك ولن يدعوني أحد بهذا الدعاء الا غفرت ذنبه وكفيته المهم من أمره ورواه الجندي في فضائل مكة نحوه ورواه الازرقي في تاريخ مكة والطبراني في الاوسط والبيهقي في الدعوات وابن عساكر من حديث بريدة نحوه وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن زيد في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات قال لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت خير الغافرين لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني فانك أنت أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم ذكر انه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن شك فيه وروى هناد في الزهد عن سعيد ابن جبير قال لما أصاب آدم الخطيئة فزع الى كلمة الاخلاص لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجملة الثانية والاخيرة وروى ابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان آدم عليه السلام طلب التوبة مائتي سنة حتى آتاه الله الكلمات ولقنه اياها قال بينا آدم جالس يبكي واضع راحته على جبينه اذ أتاه جبريل فسلم عليه فبكى آدم وبكى جبريل لبكائه فقال له يا آدم ماهذه البلية التي أجحف

الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وأرني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بابيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة الى الارض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ماهذا الجهد الذي أرى بك قال يارب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام

وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله الهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة فلم تبل وصاحبها في طالب أخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تهيأ واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لاتقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولاعصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى على فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى أتوب والى متى اعود اما آن لي ان استحيي من ربي

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء

بك بلاؤها وشقاؤها وماهذا البكاء قال يا جبريل وكيف لا أبكي وقد حولني ربي من ملكوت السموات الى هوان الارض ومن دار المقامة الى دار الظعن والزوال ومن دار النعمة الى دار البؤس والشقاء ومن دار الخلد الى دار الفناء كيف أحصي يا جبريل هذه المصيبة فانطلق جبريل الى ربه فاخبره بمقالة آدم فقال الله عز وجل انطلق يا جبريل الى آدم فقل يا آدم ألم أخلقك بيدي قال بلى يارب قال ألم أنفخ فيك من روحي قال بلى يارب قال ألم أسجد لك ملائكتي قال بلى يارب قال ألم أسكنك جنتي قال بلى يارب قال ألم آمرك فعصيتني قال بلى يارب قال وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو ان ملء الارض رجالا مثلك ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين غير انه يا آدم سبقت رحمتي غضبي قد سمعت بصوتك وتضرعك ورحمت بك وأقلت عثرتك فقل لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجمل الثلاثة المتقدمة قال فذلك قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية (وكان عبيد الله البجلي) هكذا في النسخ بالباء الموحدة المفتوحة وجيم نسبة الى بجلة وهي نسبة معروفة وفي بعضها النحلي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة نسبة الى نحل العسل والله أعلم أيهما هو (كثير البكاء) فكان (يقول في بكائه طول ليله الهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لرأسك تهيأ واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لاتقضى وقال) أبو السري (منصور بن عمار) الواعظ الخراساني نزيل بغداد ترجمه القشيري في الرسالة توفي سنة ٢٢٥ (سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولاعصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل) أي باطلاعك علي (ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فالى متى أتوب والى متى أعود اما آن لي أن استحيي من ربي) ومن معاتبة النفس مارواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا الفضل بن محمد حدثنا اسحق بن ابراهيم قال قال رجل للفضيل بن عياض كيف أصبحت يا أبا علي وكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت فقال في عافية فقال كيف حالك فقال عن أي حال تسال عن حال الدنيا أو حال الآخرة ان كنت تسال عن حال الدنيا فان الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب وان كنت تسال عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتاهب للموت ولم يتصنع للموت ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا هيه وقد يحدث يعني نفسه واجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ فقد تفرغت للحديث ثم قال هاه وتنفس طويلا ويحك وانت تحسن تحدث أو أنت أهل أن يحمل عنك استحي يا أحمق بين الجعين لولا قلة حيائك وصفاقة جهلك ماجلست تحدث وأنت أنت أما تعرف نفسك أما تذكر ما كنت وكيف كنت اما لو عرفوك ماجلسوا اليك ولا كتبوا عنك ولا تسمعوا منك شيأ أبدا فياخذ في مثل هذا ثم يقول ويحك أما تذكر الموت أما للموت في قلبك موضع ما تدري متى تؤخذ فيرمى بك في الآخرة فتصير في القبر وضيقه ووحشته أما رأيت قبرا قط أما رأيت حين دفنوه أما رأيت كيف سلوه في حفرته وهالوا عليه التراب والحجارة ثم قال ماينبغي لك أن تتكلم بفمك كله يعني نفسه تدري من يكلم بفمه كله عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم اعطى رجلا عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له ألا تزيد ابنك كما زدت هذا قال ان أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا (فهذه طريق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء) أي طلب الرضا من

ربهم (ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام) وبه تم شرح كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لله الذى به تتم الصالحات وبذكره تتنزل البركات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام الهداة قال المؤلف رحمه الله تعالى نجز ذلك فى الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء سادس صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١ على يد مؤلفه الفقير الى مولاه محمد مرتضى الحسينى أبى الفيض غفرت ذنوبه وسترت عيوبه بمنه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم آمين آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذى لا يضره المنع ولا يكديه الاعطاء * اذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ماخلاه * هو المنان بفوائد النعم * وعوائد المزيد والقسم * وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل * الاول الذى لم يكن له قبل فيكون شئ قبله * والآخر الذى ليس له بعد فيكون شئ بعده * والرادع أناسى الابصار من أن تناله أو تدركه * ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال * ولا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال * وهو القادر الذى اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته * وحاول الفكر المبرأ من خطر الوساوس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته * وتولهت القلوب اليه لتجرى فى كيفية صفاته * وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته * ردعها وهى تجوب * مهاوى سدف الغيوب * متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته * ولا تخطر ببال أولى الروايات خاطرة من تقدير جلال عزته * الذى ابتدع الخلق على غير مثال امتثله * ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وأرانا من ملكوت قدرته * وعجائب ما نطقت به آثار حكمته * واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمساك قوته * مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته * فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه * وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة * ودلالته على المبدع قائمة * قدر ما خلق فاحكم تقديره * ودبره فالطف تدبيره * ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته * ولم يستصعب اذ أمر بالمضى على ارادته وكيف وانما صدرت الامور من مشيئته * المنشئ أصناف الاشياء بلا روية فكر آل اليها * ولا قريحة غريزة أضمر عليها * ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور * ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الامور * فاقام منها أودها * ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها * ووصل أسباب قرائنها * وفرقها أجناسا مختلفات * فى الحدود والاقدار والغرائز والهيئات * بدايا خلائق أحكم صنعها * وفطرها على ما أراد وابتدعها * عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين * وخواطر رجم الظنون وعقد عزمات اليقين * ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكناف القلوب * وغيابات الغيوب * وما أهبطت لاستراقه مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتى الهوام * ورجع الحنين من الوالهات وهمس الاقدام * ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها * ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار وألحيتها * ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها * ودرور قطر السحاب وتراكمها وما تسفى الاعاصير بذيولها * وتعفو الامطار بسيولها * وعوم نبات الارض فى كثبان الرمال * ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال * وتغريد ذوات المنطق فى دياجير الاوكار * وما أودعته الاصداف وحضنت عليه أمواج البحار * وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار * وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة * وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة * ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة * وهماهم كل نفس هامة * وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة * أو نقاعة دم ومضغة * أو ناشئة خلق وسلالة * لم تلحقه فى ذلك كلفة * ولا اعترضته فى حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة

ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة والمراقبة يتلوه كتاب التفكر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

(كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقى أقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها أجيلى فى ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى واياديه كيف توالت عليك تترى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى فى بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر فى الافعال الى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة

ولا اعترته فى تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة * بل نفذ فيهم علمه * وأحصاهم عدده * ووسعهم عدله وغمرهم فضله * مع تقصيرهم عن كنه ماهو أهله * فتبارك الله الذى لا يبلغه بعد الهمم * ولا يناله حسن الفطن أحمده حمد موحد أفرده بالتوحيد ولم ير مستحقا لهذه المحامد غيره وأشهد أن لا اله الا الله الذى لا خير الا خيره وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله * الذى أخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الارومات مغرسا * من الشجرة التى صدع منها انبياءه وانتجب منها أمناءه * عترته خير العتر واسرته خير الاسر * وشجرته خير الشجر * نبتت فى حرم وبسقت فى كرم * لها فروع طوال * وثمر لا ينال * فهو امام من اتقى * وبصيرة من اهتدى * سراج لمع ضوءه * وشهاب سطع نوره * وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد * وكلامه الفصل * وحكمه العدل صلى الله عليه وعلى آله الاتقياء الابرار وأصحابه الاماثل الاخيار * وعلى التابعين لهم باحسان الى مابعد يوم القرار * وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذا شرح (كتاب التفكر) وهو التاسع والثلاثون من كتب احياء علوم الدين لامام أئمة المسلمين وصدر صدور القادة المتقين حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى سقى الله جدثه بعهاد صوب الغفران المتوالى * يوضح منه ما أشكل ويفصح منه ما أبهم * ويفصل منه ما أجمل * ويبين المعنى المراد من سياقاته على الوجه الاكمل ولم آل جهدا فى تتبع مواقع اشاراته على سبيل الاختصار * وتهذيب معالم عباراته فى مثارات الاعتبار شرعت فيه والافكار بتواتر الانكاد مفرقة * والخواطر هذه مغربة وهذه مشرقة * كيف وقامت نواعق الفتن على ساق * وادلهمت الخطوب وعز الارفاق * والله أرجو كفاية كل مهم * ودفاع الخطب الملم وازاحة الطارق المدلهم * انه على مايشاء قدير * وبالاجابة جدير * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا) أى لم يجعل لغلبته الآتية على كل الظاهر والباطن جهة ولا ناحية يقال نحا نحو كذا أى قصد جهته قال الشاعر

نحونا نحو دارك ياحبيبى * وجدنا نحو ألف من رقيب

والقطر بالضم الناحية والجمع الاقطار يقال بلغ أنحاه وأقطاره (ولم يجعل لمرقى أقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى عظمته مجرى) أى عظمته تعالى جلت عن أن ترقى اليها الاوهام باقدامها أو ترمى اليها الافهام بسهامها فليس فى مسارح ميادينها لها مجرى لقصورها عن ادراك كنه العظمة (بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء) أى صحراء (كبريائه والهة حيرى) أى متحيرة جمع حيران كسكرى وسكران والوله محركة ذهاب العقل من شدة الحزن (كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال) أى نوره وبهاؤه (قسرا) أى قهرا يشير الى الحديث المتقدم ذكره ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (واذا همت بالانصراف آيسة) من نيل المطلوب (نوديت من سرادقات الجمال صبرا) أيها الطالب (صبرا) أى عليك بالصبر فى سلوكك ولا تيأس واثبت فيما أنت عليه (وقيل لها) أى للقلوب (اجيلى فى ذل العبودية منك فكرا) واجالة الفكر ادارته (لانك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى له قدرا) لقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك أمرا فانظرى فى نعم الله تعالى) الشاملة (وأياديه) الكاملة (كيف توالت عليك) أى تتابعت (تترى) بعضها وراء بعض (وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا) بان تذكريها ثم تشكرى عليها لقوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون (وتأملى فى بحار المقادير) جمع المقدور وهو ماقدره الله تعالى على الخلق قبل أن يخلق العرش والكرسى واللوح والقلم (كيف فاضت على العالمين) وشملتهم (خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا) فهذه كلها من مقدورات الله سبحانه يجب الايمان بها والتأمل فى أسرارها (فان جاوزت) النظر منك (فى الافعال) الالهية (الى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا امرا) أى صعبا (وخاطرت بنفسك مجاوزة حد الطاقة

البشرية ظلماء وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادى اشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وان كان
لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا فى عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين

البشرية ظلماء وجورا فقد انبهرت العقول) أى تحيرت (دون مبادى اشراقه) فضلا عن مناهيه (وانتكصت) أى كرت راجعة على أعقابها (اضطرارا وقهرا والصلاة على) سيدنا محمد (سيد ولد آدم الاولين منهم والآخرين (وان كان) هو (لم يعد سيادته فخرا) أى لم يفتخر بها يشير الى ما ورد انا سيد ولد آدم ولا فخر (صلاة تبقى لنا) أى مثبتة فى صحائف أعمالنا (فى عرصات القيامة) عند وزن الاعمال (عدة وذخرا) أى وسيلة للنجاة من الهلاك (وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا) يستضاء به ويهتدى بنوره (ولطوائف المسلمين) أى لجماعتهم (صدرا) أى مقدما يقتدى به (وسلم) تسليما (كثيرا) (أما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة) قال العراقى رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بلفظ ستين سنة باسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة واسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة اه قلت لكن لفظ أبى الشيخ فكرة ساعة هكذا رواه عن أبى هريرة ولفظ الديلمى تفكر ساعة فى اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة وللديلمى من وجه آخر من حديث أنس نحو قول ابن عباس ورواه أحمد بن صالح فى كتاب التبصرة عن أنس مرفوعا بلفظ خير من قيام ليلة ورواه أبو الشيخ أيضا فى كتاب العظمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس رفعه التفكر فى عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وخير الناس المتفكرون فى ذات الله وشرهم من لا يتفكر فى ذات الله (وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار) هو افتعال من الفكر بمعنى التفكر (ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم) أى به تستفاد العلوم وبه تحصل المعارف والفهوم (وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته) لما يتلى على اسماعهم من تكراره ذكره فى كتاب الله تعالى والاخبار النبوية (لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الاحوال) المستفادة من العلوم (أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى)

(فضيلة التفكر)

اعلم أنه (قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال) ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى يذكرونه دائما على الحالات قائمين وقاعدين ومضطجعين (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه أو الخلق على انه أريد به المخلوق من السموات والارض والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبتدأ الوجود الانسانى وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك (وقد قال ابن عباس) رضى الله عنه (ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدر واقدره) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبرانى فى

بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة أهى من العلوم أو من الاحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

(فضيلة التفكر)

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدر واقدره

الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسنادفيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك
انتهى قلت حديث ابن عمر لفظه تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدى وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني
وأبو نصر في الابانة وقال غريب ورواه ابو الشيخ من حديث ابن عباس تفكروا في الخلق ولا تفكروا في
الخالق فانكم لا تقدرون قدره ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة تفكروا في خلق الله ولا
تفكروا في الله وقال عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش له حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد بن عبد الله عن
عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في الله فان بين السماء السابعة الى
كرسيه ألف نور وهو فوق ذلك ورواه كذلك أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نصر السجزى والبيهقي في
الاسماء والصفات وروى أبو الشيخ من حديث أبي ذر تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا
(وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا
نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا
بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله
عز وجل طرفة عين قالوا يارسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد
آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا) قال العراقي رويناه في جزء ثم ترك البياض ولم يعين الجزء ولا من رواه وقد
ذكره المصنف في كتاب الجواهر والدرر من حديث ابن عباس ان لله ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون
وهي مثل الدنيا ثلاثون مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله تعالى يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله تعالى
خلق آدم وابليس انتهى قلت رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة ان لله تعالى أرضا من وراء
أرضكم هذه بيضاء نورها او بياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما فيها عباد الله لم يعصوه طرفة عين ما يعلمون
ان الله خلق الملائكة ولا آدم ولا ابليس هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله من ضوء نوره وروى أبو
نعيم في الحلية من طريق اسمعيل بن عياش عن الاحوص بن حكيم عن شهر عن ابن عباس أنه صلى الله عليه
وسلم خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته فقال تفكروا في خلق
الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره الحديث وفيه ذكر اسرافيل وهو الذي أشار اليه العراقي
في الذى قبله وان اسناده ضعيف وروى أحمد ومن طريقه الطبراني ثم صاحب الحلية من طريق عبد الجليل
ابن عطية عن شهر عن عبد الله بن سلام قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه وهم
يتفكرون في خلق الله فقال لهم فيم كنتم تتفكرون قالوا نتفكر في خلق الله فقال لا تتفكروا في الله
وتفكروا في خلق الله فان ربنا خلق ملكا قدماه في الارض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا
من بين قدميه الى كعبيه مسيرة ستمائة عام ومابين كعبيه الى اخمص قدميه مسيرة ستمائة عام الخالق
أعظم من الخلق وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال مالكم لا تتكلمون قالوا نتفكر في خلق الله قال كذلك
فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه قال الحافظ السخاوى في المقاصد وهذه الاخبار أسانيدها ضعيفة
لكن اجتماعها يكسب قوة والمعنى صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة لا يزال الناس يتساءلون حتى
يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيأ فليقل آمنت بالله (وعن عطاء) بن أبي رباح
المكى الفقيه الثقة روى له الجماعة (قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير) بن قتادة الليثى قاص أهل مكة ثقة روى
له الجماعة (الى عائشة رضى الله عنها وبينها وبيننا حجاب فقالت ياعبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب شئ رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدى ثم قال ذريني أتعبد لربي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه خرج على قوم ذات يوم
وهم يتفكرون فقال مالكم
لا تتكلمون فقالوا نتفكر
في خلق الله عز وجل قال
فكذلك فافعلوا تفكروا في
خلقه ولا تتفكروا فيه فان
بهذا المغرب أرضا بيضاء
نورها بياضها وبياضها
نورها مسيرة الشمس
أربعين يوما بها خلق من
خلق الله عز وجل لم يعصوا
الله طرفة عين قالوا يارسول
الله فاين الشيطان منهم
قال ما يدرون خلق الشيطان
أم لا قالوا من ولد آدم قال
لا يدرون خلق آدم أم لا
وعن عطاء قال انطلقت يوما
أنا وعبيد بن عمير الى عائشة
رضى الله عنها فكلمتنا
وبيننا وبينها حجاب فقالت
ياعبيد ما يمنعك من زيارتنا
قال قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم زر غبا تزدد حبا
قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب
شئ رأيته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فبكت
وقالت كل أمره كان عجبا
أتاني في ليلتي حتى مس
جلده جلدى ثم قال ذريني
أتعبد لربي

عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يابلال ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) قال العراقي تقدم في كتاب الصبر والشكر وانه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء انتهى قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكر وابن عساكر كلهم عن عطاء نحوه وفيه ثم قام فصلى فبكى حتى سال دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة وأما حديث زر غبا تزدد حبا فرواه البزار والحرث بن أبي أسامة في مسنديهما ومن طريق ثانيهما أبو نعيم في الحلية من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابي هريرة به مرفوعا وكذا أخرجه العسكري في الامثال والبيهقي في الشعب وقال ان طلحة غير قوي وقد روى هذا الحديث باسانيد هذا أمثلها وقال العقيلي هذا الحديث انما يعرف بطلحة وقد تابعه قوم نحوه في الضعف وانما يروى هذا عن عطاء عن عبيد بن عمير قوله انتهى قال الحافظ السخاوي يشير الى مارواه ابن حبان في صحيحه عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد قد آن لك أن تزورنا فقال أقول لك يا أمه كما قال الاول زر غبا تزدد حبا فقالت دعونا من بطالتكم هذه وذكر حديثا (فقيل للاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الفقيه رحمه الله تعالى (ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يعقلهن) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (وعن محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى (ان رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر) وهي امرأة أبي ذر قال الحافظ وقفت على حديث فيه التصريح بانها أسلمت مع أبي ذر في أول الاسلام أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة (بعد موت أبي ذر) رضي الله عنه (فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الله بن محمد بن عمران حدثنا حسين المروزي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا صالح المري عن محمد بن واسع ان رجلا من البصرة ركب الى أم ذر بعد وفاة أبي ذر يسألها عن عبادة أبي ذر فاتاها فقال جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر قالت كان النهار أجمع خاليا يتفكر (وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة) رواه ابو نعيم في الحلية قال حدثنا أبي حدثنا احمد ابن محمد حدثنا عبد الله بن سفيان حدثنا داود بن عمر الضبي حدثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن فذكره وهذا قد رواه أيضا أبو الشيخ في العظمة من قول ابن عباس ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة من حديث أنس وقد تقدم قريبا (وعن الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم) بن أدهم (انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل) هذان القولان أوردهما أبو نعيم في الحلية بسند واحد فقال حدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن علي قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا عبد الصمد بن يزيد قال سمعت الفضيل بن عياض يقول قيل لابراهيم انك لتطيل الفكرة قال الفكرة مخ العمل قال وسمعت الفضيل يقول قال الحسن الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيآتك (وكان سفيان بن عيينة) رحمه الله تعالى (كثيرا مايتمثل ويقول

اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة)

رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنا اسحق بن ابراهيم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول الفكرة نور تدخله قلبك قال عبد الله وحدثنا أبو حفص القرشي قال كان سفيان بن عيينة ربما يتمثل

اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة

قال وبلغني عن سفيان بن عيينة قال التفكر مفتاح الرحمة ألاترى أنه يتفكر فيتوب (وعن طاوس) بن

عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يابلال ومايمنعني ان أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شئ له عبرة

وعن طاوس

قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير

الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ماقد ادخرلها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقرلهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عزوجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ماعصوا الله عزوجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له مايبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم

كيسان اليمانى رحمه الله تعالى (قال قال الحواريون) أصحاب عيسى (لعيسى عليه السلام ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق ابراهيم بن الاشعث قال سمعت فضيلا يقول كلام المؤمن حكم وصمته تفكر ونظره عبرة واذا كنت كذا لم تزل فى عبادة (وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف) أى قراءة القرآن نظرا فى المصحف فانه أفضل من قراءته عن حفظه وبه أخذ السلف قال النووى وهكذا قاله أصحابنا وليس على اطلاقه انما هو تابع للتدبر وجمع القلب والبصر (والتفكر فيه) أى التأمل فى معانيه (والاعتبار عند عجائبه) من أوامره وزواجره ومواعظه وأحكامه وقصصه ووجوه بلاغته وبديع رموزه واشاراته قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر ومن طريقه أبو الشيخ فى كتاب العظمة باسناد ضعيف انتهى قلت ورواه أيضا الحكيم فى النوادر والبيهقى فى الشعب وضعفه (و) يحكى (عن امرأة) صالحة (كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ماقد ادخرلها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى على المدينى عن أبى الحسن اكرام وكان من خيار الناس (وكان لقمان) الحكيم رحمه الله تعالى (يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (الفكرة فى نعم الله عزوجل من أفضل العبادة) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوما لسهل بن على ورآه ساكتا مفكرا أين بلغت قال الصراط) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال بشر) بن الحرث رحمه الله تعالى (لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ماعصوا الله تعالى) رواه أبو نعيم فى الحلية (وعن ابن عباس) رضى الله عنه قال (ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب) وروى أبو الشيخ فى العظمة من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس التفكر فى عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وقد تقدم قريبا (وبينا أبو شريح) عبد الرحمن بن شريح المعافرى كانت له عبادة وفضل توفى بالاسكندرية سنة ١٦٧ روى له الجماعة (يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقلنا له مايبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر (وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال أبو سليمان) أيضا (الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال حاتم الاصم) رحمه الله تعالى (من العبرة يزيد

العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس

العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال ابن عباس) رضي الله عنه (التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (ويروى) في الاخبار (قال) الله (عز وجل في بعض كتبه) التي أنزلها من السماء (اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (وقال اسحق بن خلف كان داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا ابراهيم عن نائلة حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا اسحق بن خلف قال كان داود الطائي في ليلة مقمرة فتفكر فقام فمشى على السطح وهو شاخص حتى وقع في دار جاره قال فوثب صاحب الدار عريانا من الفراش فأخذ السيف ظن أنه لص فلما رأى داود رجع فلبس ثيابه فوضع السيف وأخذ بيد داود حتى رده الى داره فقيل لداود فقال ما دريت أو ما شعرت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة) رواه البيهقي في مناقبه (وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم) رواه البيهقي كذلك في مناقبه (وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة) وهي أعلاها (وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة) أي في تركها (والثالثة القوة وقوامها في الغضب) أي في تركه (والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس) رواه البيهقي كذلك في مناقبه وهذه هي الفضائل النفسية فاصولها أربعة العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدل وكماله الانصاف وهي المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أيضا المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك باربعة أيضا هدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة أنواع وهي عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو نفسي فقط وقد تقدم تفصيل ذلك في كتاب تهذيب الاخلاق ومما ذكر في فضيلة التفكر ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر عن عامر بن عبد قيس قال سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون ان ضياء الايمان أو نور الايمان التفكر وروى ابن المنذر وأبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبد الله قال سألت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء قالت التفكر والاعتبار وروى أبو الشيخ والديلمي من حديث أبي هريرة بينما رجل مستلق ينظر الى السماء والى النجوم فقال والله اني لاعلم ان لك خالقا وربا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وروى ابن أبي حاتم وابن

المنذر وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال أتت قريش اليهود فقالوا ما جاءكم به موسى من الآيات قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت ان في خلق السموات والارض الآية فليتفكروا فيها ورواه الديلمي من حديث أنس أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة وقال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال بعض الحكماء املأ عينك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وروى في بعض الاخبار انه كان الرجل من بني اسرائيل اذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابة ففعله رجل فلم تظله فشكا الى أمه فقالت لعلك أذنبت فقال لا قالت فهل نظرت الى السماء فرددت طرفك غير متفكر فيها قال نعم قالت من ههنا أتيت (فهذه أقاويل العلماء في الفكرة) وفضلها (وماشرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها) ثم اعلم ان التفكر له مقدمات ولواحق فمن مقدماته السماع والتيقظ والتذكر ومن لواحقه العلم لان من سمع تيقظ ومن تيقظ تذكر ومن تذكر تفكر ومن تفكر علم ومن علم عمل ان كان علما يراد للعمل وان كان علما يراد لذاته سعد والسعادة غاية المطالب اما السماع والعلم فقد تقدم ذكر كل منهما في كتاب مستقل واحتاج الامر الى بيان اليقظة والتذكر وحقيقة اليقظة الانتباه من النوم وهي في هذا الباب انتباه القلب للخير لا غير قال الامام أبو اسمعيل الهروي هي القومة لله تعالى من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة قال الكمال الصوفي والقومة والنهوض هما غمرة الانتباه والنهوض هو قيام بسرعة فعلى هذا تكون القومة لله واجبة على الفور في الاوامر والنواهي الفورية وهي متعلقة بكل مقام لان العبد مأمور بالترقي من حضيض الى ارتفاع ومن ارتفاع الى أفق وهكذا فصاعدا فكلما كان القلب في حالة وتنبه من نفسه أو من غيره بحالة تسمو على حالته الاولى استحب له الارتقاء اليها ليكون له حالا وما كان قبله مقاما وهكذا الى مالا يتناهى وتشرف اليقظة بشرف العلم المستيقظ به وكل ما جاء في كتاب الله عز وجل من ذكر المسارعة الى المغفرة والمسارعة الى الخيرات فهو دليل على فضلها

(فصل) في التذكر اعلم ان القلب اذا انتبه من غفلته وتيقظ من رقدته تذكر ما كان نسيه وانظر الى قوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب فجعل الانابة شرطا للانتفاع بالتذكر وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فجعل للتذكر ثلاثة أسباب القاء السمع وحضور القلب وشهوده للفهم فعلى هذا يكون حقيقة التذكر استدعاء ما كان موجودا عنده ثم نسيه وتكراره على القلب حتى يثبت ويرسخ وسبب ذلك ان العلوم كلها مركوزة في النفوس بالفطرة وهي كامنة فيها ككمون النار في الحجر والنخلة في النواة وذلك انها قابلة لادراك العلوم كلها فالمعلم لا يحدث لها شيأ من خارج وانما يخرج بالتعليم ما هو كامن فيها وانما طرأ عليه النسيان بسبب اغترابها في عالم الشهادة عالم الخيال والظلمة فمتى سكت عنها حركة الخيال وظلمة الشهوات تجلى لها عالمها الذي هو من أمر الله تعالى المنزه عن الخيالات والاوهام وعن الجهات والمقدار فحينئذ تذكر ما أودعه عندها سيدها ومالكها وهاديها من الاعتراف بوجوده ووحدانيته وكل صفة تليق بعظمته وكبريائه فمن حرم مثل هذا الاستبصار فقد خاب من الرحمة بطريق النظر والاعتبار فانه تعالى أمرنا على لسان أنبيائه عليهم السلام بالتذكار ثم لم يكلنا الى أنفسنا حتى نبهنا فقال سبحانه هو الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار والتذكر يتعلق بالعقد والقول والفعل والترك وهو واجب فيما يجب من ذلك ويحرم تذكر المعاصي ان أدى الى استحلائها بل يجب التغافل عنها ويكره تذكر ما يستقبل من الاحوال لانه يفوت زمنا صالحا من العمر بوهم لا يدري أيحصل أم لا ولا يفعل ذلك الا غافل جاهل لا يعرف قدر عمره وما دام المريد مفتقرا الى التفكر فلا بد من التذكر لان

فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وماشرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

(بيان حقيقة الفكر وثمرته) اعلم أن معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالايثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى أن يعرف أن الابقى أولى بالايثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة أولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا أما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهى مختلفة المعانى وان كان أصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة وان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على

التفكر هو استمداد الانوار من الاذكار وبشرف التذكر بشرف متعلقه وعلامة صحة التذكر موافقة الشرع فى جميع مراتبه فمتى وقع له غير ذلك فليعلم خطأه

(فصل) واما التفكر ففضله عظيم وقدمر فى سياق المصنف مايدل عليه وصاحبه على بصيرة من أمره ومايستوى الاعمى والبصير وهو مخصوص بنوع الانسان لانه مركب من ظرف عقلى وظرف حسى والذات المركبة المدركة لاتدرك الاشياء الابنوع تركيب ولايعرف التفاضل الابالاضافة كاضافة الدرهم الى الدينار وكاضافة الدنيا الى الآخرة فيظهر شرف الشريف بالنظر الى خسة الخسيس فانظر الى حالك فى النوم كيف يريك الملك الموكل بالرؤيا أرواح المعانى فى قوالب الخيال لضرورة مادة يقظتك وتركيبها ومن له فهم قنع من هذا العلم بالتلويح وبهذا السبب تعرف حقيقة التفكر فانما مهدنا سببه ليسهل مدركه والله الموفق

(بيان حقيقة الفكر وثمرته)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة) وبيان ذلك انك اذا أردت اقتناص علم أوحال جمعت بين علمين متناسبين لذلك العلم المطلوب بشرط عدم الشكوك فيهما وفراغ القلب من غيرهما وحدقت النظر فيهما تحديقا بالغا فلم تشعر الا وقد وجدت علما ثالثا وهو مطلوبك وبغيتك (ومثاله أن من مال) قلبه (الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد ان) يميل الى الآخرة و(يعرف ان الآخرة أولى بالايثار من العاجلة فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالايثار فيقلده) فى ذلك (ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى أن يعرف ان الابقى أولى بالايثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى) لنفاستها وخساسة العاجلة والعلم بكل منهما يكون على الشرط المتقدم (فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار) أى ينتقل القلب من الميل الى الخسيس الى الميل الى النفيس لامحالة وربما لا يشعر به (ولايمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا) وهذا السياق فيه أوفى غموض والاولى أن يقال ان احضار المعرفتين يسمى تذكرا وحصول المعرفة الثالثة يسمى تفكرا وتدبرا ونظرا واعتبارا (اما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة) فالتدبر هو النظر فى دبر الامور ورأى عواقبها والتأمل هو اعادة النظر فى الشئ مرة بعد أخرى ليتحققه والتفكر هو تصرف القلب بالنظر فى الدليل وقيل تصرف القلب فى معانى الاشياء لدرك المطلوب وقال الراغب الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم وهو تخيل عقلى موجود فى الانسان والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وبه تعلم الفرق بين الالفاظ الثلاثة (واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهى مختلفة المعانى وان كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع) وكذلك الصمصام والرسوب (والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى الموضع) وهو الهند ومنه قول كعب * مهند من سيوف الهند مسلول * وكذلك القلعى (والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة) افتعال من العبر وهو التجاوز من حال الى حال والاسم العبرة بالكسر وهى عبارة عن الحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد (فان لم يقع العبور) الاولى العبر فان العبور يختص بتجاوز الماء اما بسباحة أوفى سفينة أوعلى بعير أوقنطرة (ولم يكن الا الوقوف على

المعرفتين فينطلق عليها اسم التذكر لا اسم الاعتبار وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر (١٦٨) فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحى عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت فى القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى الى طريق التفكر وأما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التى بها تستثمر العلوم كالذى لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيأ فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهى فى القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة أولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم

المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار) اذ فى الاعتبار يراعى معنى العبر وليس فى التذكر الا محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان (واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة) ولذلك يطلق النظر على المعرفة الحاصلة بعد الفحص وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يدرك ادراك المحسوس بالعين وقد يطلق على تقليب البصر أو البصيرة لادراك الشئ ورؤيته (فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا) الاعلى وجه التجوز (فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب) واسترجاع ما فات منها بالنسيان (لترسخ وتثبت ولا تنمحى عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة) من قبل (فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر) وقال الراغب التفكر جريان القوة العلمية بحسب نظر العقل ولا يقال الا فيما يمكن أن تحصل له صورة فى العقل ولهذا ورد ولا تفكر وا فى الله اذ كان منزها أن يوصف بصورة قال تعالى أولم يتفكروا فى أنفسهم أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض (والمعارف اذا اجتمعت فى القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية) واذا عرفت هذا فقد نجحت لك سبيل السعادة فى استنتاج العلوم واقتناصها وهو واجب عند الشك وعند ورود الشبه وعند علاج الامراض الواجب ازالتها من القلوب كما يجب طلب الخبز للجائع والماء للعطشان فمن ترك ذلك وانتظر خلق الشبع من غير أكل وخلق الرى من غير شرب ومات كان عاصيا وكذلك من ترك تكسب العلوم الواجبة واتكل على فضل الله تعالى أن يجعله عالما بالالهام كان عاصيا وان كان ممكنا قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فمن عطل هذه الادلة عن استعمالها فقد فعل ما حرم عليه وكفر نعمة الله به فى تعطيل هذه النعم (وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت) فهو معذور ان لم يترك جهده فى مدة حياته (أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى الى طريق التفكر واما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التى بها يستثمر العلوم) والحاصل ان المانع من زيادة المعارف سببان أحدهما أن يكون المتفكر قليل المعارف فيقل نتاجه (كالذى لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح) لا محالة والثانى أن يكون كثير المعارف ولكن لا يحسن ازدواجها وائتلافها واليه أشار المصنف بقوله (وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيأ فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج فيها) ولا ينجيه من هذه الورطة الا الشيخ المفيد لهذه السعادة (ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهى فى القلب يحصل بالفكرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة) ومصاحبة المشايخ الكمل ومداومة النظر الى أحوالهم (وهو الاكثر) فان لمجالستهم تأثيرا عظيما (ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها) لان ذلك الحصول عبارة عن انتقال القلب بسرعة من معرفة الى معرفة فربما لا يحس به صاحبه ويظن انه واقف عند المعرفة الاولى (و) ربما (لا يقدر على التعبير عنها) أى الثمرة (لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الايراد) ومعرفة هذه الصناعة أيضا من الامور المهمة لما يتعدى به النفع (فكم من انسان يعلم ان الآخرة أولى بالايثار علما حقيقيا) لا شبهة فيه (ولو سئل عن سبب معرفته

يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى أولى بالايثار وان الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها

وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذا كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على أعمال الآخرة فههنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة

لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى أولى بالايثار وان الآخرة أبقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة أولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة) هذا ما يتعلق بحقيقة الفكر (وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال) الحاصلة من العلوم (ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير) والحال والعمل ينشآن من العلم (نعم اذا حصل العلم في القلب) واستقر فيه ولم يعرضه شك وغفلة (تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها) لان العلوم والاحوال هما البضاعة التي يقع بها الاتجار وهذا هو السر في تقديم بعض العارفين كتاب التفكر على سائر كتب المنجيات (وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في التفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر) وقد سبق للمصنف تحقيق ان المحبة الناشئة عن التفكر أفضل من المحبة الناشئة عن التذكر والعلة ان التفكر رؤية والذكر سماع هذا معنى كلامه رضي الله عنه في كتاب ترتيب الاوراد وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن أحد المشايخ أن الذكر أفضل من الفكر لان الله يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وهذا فيه نظر لان من عرف حقيقة التفكر علم انه ذكر وزيادة معرفة مقتضية وعلى الجملة ولا يزال الفكر أفضل من الذكر لانه مقصود الى أن ينتهي الى حد ينقطع فيه الفكر ويبقى الذكر مجردا عن الادلة فهذا الذكر أفضل من الفكر بلا خلاف والله أعلم (فاذا التفكر أفضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة) تقدم الكلام عليه قريبا واختلف فيه (فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا وان أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة أولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا) بان لا يعتريها شك مع الفراغ عن غيرها (تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا) من غير أن تشعر بذلك التغير (وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته) وانما سمي الحال حالا لتغيره من شان الى شان (ثم اثمر تغير الارادة أعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة) وبه ظهر ان العمل تابع الحال والحال تابع المعرفة والمعرفة تتبع الفكر (فههنا خمس درجات أولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب) بالشرط المتقدم (وثانيتهما التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما) أي من المعرفتين (والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان عليه (بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال) وقد مثل له المصنف بمثال فقال (فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة

بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما
تأليفا مخصوصا كما تضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور
حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز
عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال
التى تتصور أن تتقلب على
القلب لا يمكن حصرها ولهذا
لو أراد مريد أن يحصر فنون
الفكر ومجاريه وأنه فيماذا
يتفكر لم يقدر عليه لان
مجارى الفكر غير محصورة
وثمراته غير متناهية نعم نحن
نجتهد فى ضبط مجاريه
بالاضافة الى مهمات
العلوم الدينية وبالاضافة
الى الاحوال التى هى مقامات
السالكين ويكون ذلك
ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك
يستدعى شرح العلوم كلها
وجملة هذه الكتب كالشرح
لبعضها فانها مشتملة على
علوم تلك العلوم تستفاد
من افكار مخصوصة فلنشر
الى ضبط الجامع فيها ليحصل
الوقوف على مجارى الفكر

(بيان مجارى الفكر)

اعلم ان الفكر قد يجرى فى
أمر يتعلق بالدين وقد يجرى
فيما يتعلق بغير الدين وانما
غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك
القسم الآخر ونعنى بالدين
المعاملة التى بين العبد وبين
الرب تعالى فجميع أفكار
العبد اما أن تتعلق بالعبد
وصفاته وأحواله واما أن
تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما أن يكون
نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر فى غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما أن يكون نظرا فى
ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى واما أن يكون فى أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار
الفكر فى هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهى حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا
فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر فى معشوقه فاما ان يتفكر

بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة وهو الفكر فيجمع بين المعرفتين)
هما بمنزلة الحديد والحجر (كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على
الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى
يميل الى ما لم يكن يميل اليه من قبل كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل
بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يتصوره
فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال و) تلك (العلوم) التى يثمرها الفكر (لانهاية لها و) تلك (الاحوال
التى تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها) الا أن الفكر لا يتعلق الا بالعلوم الكسبية ولا مدخل له
فى العلوم الالهامية لانه مجرد عن وسائط الكسب (ولهذا لو اراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه
وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد فى ضبط
مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافات الى الاحوال التى هى مقامات السالكين) وفيه
اشعار الى أن الحال قد يكون مقاما كما مرت الاشارة اليه فى أول كتاب التوبة (ويكون ذلك ضبطا جمليا) أى
اجماليا (فان تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على)
ذكر (علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة) كالتوبة والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد
والمحاسبة والحياء والمراقبة والشكر والتوكل والنية والاخلاص والصدق والتوحيد والمحبة فهذه ستة
عشر مقاما ويضاف اليها مقامات أخر حتى تكمل مائة مقام ما من مقام منها الا وهو مستفاد من حسن
الفكر (فلنشر الى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر) ومسارحه والله الموفق

(بيان مجارى الفكر)

(اعلم) هداك الله تعالى ان الوجود كله من ذروة العرش الى قاعدة الثرى معارج للملائكة ومراقى
للافكار المشتغلة بالنظر والاعتبار حتى تصل الى معرفة الجبار فهناك لا معرج ولا مرقى اذ ليس وراء الله
مرمى وهذا لا يحصى ولا يستقصى ولكن المقصود جملة حال المريد فى سفره الى مولاه فاعلم (ان الفكر قد
يجرى فى أمر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا) هنا (ما يتعلق بالدين فلنترك
القسم الآخر) ونذكر ما يتعلق بالدين (ونعنى بالدين المعاملة التى بين العبد وبين الرب تعالى فجميع
أفكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله واما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن
يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما أن يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى أو فيما هو
مكروه ولا حاجة الى الفكر فى غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما أن يكون نظرا فى ذاته وصفاته
وأسمائه الحسنى واما أن يكون فى أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض وما بينهما
وينكشف لك انحصار الفكر فى هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله و) الطائرين (المشتاقين
الى لقائه يضاهى حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر) بحب معشوقه (مثالا فنقول العاشق المستغرق
الهم بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه فان تفكر فى معشوقه فاما أن يتفكر

فى

في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً للذته ومقوياً لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها أو في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً (١٧١) فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات

نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور الاول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في أنه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه

هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه * (النوع الاول المعاصي) * ينبغي أن يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض

في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً للذته ومقوياً لمحبته) فهذا طريق الفكر فيما يتعلق بالمحبوب (وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها) أي يتباعد (أو في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها) فهذا طريق الفكر فيما يتعلق بالمحب (فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق و يستوفي القلب) بكليته (حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة وهو مقصود هذا الكتاب وأما القسم الآخر) الذي هو التفكر في ذات الله ومعاني أسمائه وصفاته وكيف يتخلق بها العبد (فيتعلق بالمكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات) وهو هذا الربع (والطاعات والمعاصي تنقسم) تارة (الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة) اليدان والرجلان والبصر والسمع واللسان (و) تارة (الى ما ينسب الى جميع البدن) وهذا (كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام) وغير ذلك (ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله أم لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها) في بادي النظر (بل يدرك بدقيق النظر) وكثرة التأمل (والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث) التفكر في ان (هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو فارقه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه) لما فرط منه (وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر) واتسعت مسارحها (في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول) ومسئلة الحصر فيه تعول (ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي أن يفتش الانسان صبيحة كل يوم في جميع أعضائه السبعة تفصيلا) كل عضو على حدة (ثم بدنه) من حيث المجموع (على الجملة هل هو في الحال) الراهنة (ملابس لمعصية بها فيتركها) في تلك الحال (أو لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم) والعزم على أن لا يعود لمثلها (أو) هو (متعرض لها في نهاره) فيما يستقبله (فليستعد للاحتراز) عنها (والتباعد منها فينظر في اللسان و يقول انه متعرض

للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منه ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد أو بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراله فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغى به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وأن ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر فهما كان ذلك فيتفكر في بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوّ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها *(وأما النوع الثاني وهو الطاعات)* فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على ان أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فما لي أعطله وقد أنعم الله علي به وأودعنيه لاشكره فما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك

للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر أولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها) وكثرة التوبيخ والعتاب على مرتكبيها (ثم يتفكر في أحواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد عن الناس أو بان لا يجالس الا صالحا تقيا) ورعا (ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراله) كما كان الصديق رضي الله عنه يفعله (فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغى به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه ينبغي أن يحترز منهم بالاعتزال) عنهم وعدم مجالستهم (وبالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال) الصرف (فان ذلك مكروه عند الله تعالى ومقوّ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام وان أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به) رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم (فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها وأما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير) فيها (أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل) اذ قد ورد ان جبران الفرائض يكون بالنوافل (ثم يرجع الى) الحواس الخمس فينظر ما عليها من فعل واجب وترك حرام مستحب ومكروه واقتصاد في مباح وكذا كل (عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على ان أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله وأنا قادر على ان أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه) فيزيد في طاعته (و) ان (أنظر الى فلان الفاسق بعين الازراء) أي الاحتقار (فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف) مضطر (أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فما لي أعطله وقد أنعم الله علي به وأودعنيه لاشكره فما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك

يتفكر في اللسان و يقول اني قادر على أن أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب أهل الصلاح و بالسؤال عن أحوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الآن فأنا الى ثواب الايثار أحوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلمانه وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه و يقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها و يتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات و يتفكر في اخلاص النية فيها و يطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات *(وأما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب)* فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك و يتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به أنفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر و يقول انما عملي ببدني و جارحتي و بقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وارادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة و يقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت

يتفكر في اللسان و يقول اني قادر على ان أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب الصلاح) أي الصالحين (بالسؤال عن أحوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة) فقد روى ابن المبارك في الزهد وأحمد وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة الكلمة الطيبة صدقة (وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على ان أتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا) اليه (الآن فانا الى ثواب الايثار) على الغير (أحوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه) بل (و) عن (أمواله) التي يملكها (بل عن دوابه) المعدة للركوب أو لخدمة البيت أو الذبح (وغلمانه) من مشترى أو مستأجر من الذكور والاناث (وأولاده) وزوجته (فان كل ذلك أدواته وأسبابه) وتحت أمره ونهيه (و يقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها و يتفكر فيما يرغبه) و ينشطه (في البدار) أي المسارعة (الى تلك الطاعات و يتفكر في اخلاص النية) واخماضها (فيها و يطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله) فبالنيات الخالصة تزكو الاعمال (وقس على هذا سائر الطاعات) البدنية من الواجبات من زكاة وصيام وحج وجهاد (واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب) لغير الله تعالى (والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك) مما ذكر في ربع المهلكات فانها وأمثالها مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة فهل يسمع بهذه عاقل و يستريب ان يكون الفكر فيها أولى وأكثرها واجبا فرض عين هذا على سبيل الاجمال (و) أما التفصيل فانه (يتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه) واختباره (والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس أبدا) من طبعها انها (تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق) و يمشي به الى بيته (كما كان الاولون يجربون به أنفسهم) وقد نقل ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه حين كان مستخلفا بالمدينة وهو عند أبي نعيم في الحلية (واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ) فانظر هل تثبت أم لا (وكذلك في سائر الصفات هذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا ولذلك علامات ذكرناها) في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة أي الباطن (كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر و يقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وارادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي فاذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة) وهي فساد جوهر العقل (و يقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك) انما (ينكشف بعد الموت

وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرفت ان الكبر مهلك وان أصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلابد له من تحصيل ما في هذه الكتب * (وأما النوع الرابع وهو المنجيات) * فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شئ منها فليعلم انها أحوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا أفكار فاذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا أراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه وأياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك واذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك من بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا أراد حال الخوف فلينظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وانهم اذا رأوها

وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة) عياذا بالله منه (فاذا عرفت ان الكبر مهلك وان أصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى أفعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه) اى الحرص عليه (تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب) في ربع المهلكات (فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلابد له من تحصيل ما في هذه الكتب وأما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له) وهذه كلها من مقامات اليقين بعضها أصول وبعضها ثمرات (وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع) في كتب مستقلة (وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شئ منها فليعلم انها أحوال لا تثمرها الا علوم وان العلوم لا تثمرها الا أفكار فاذا أراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها) على الخصوص (وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله) وغضبه (به حتى ينبعث له حال الندم واذا أراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه وأياديه) المتواترة (عليه وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك) ليتسع فكره (واذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر فاذا أراد حال الخوف فلينظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير وفي الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه) هل (يصرف الى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وانهم اذا رأوها

من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد فى القرآن من شرحها واذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذى يطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا فى كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما ذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى أن يقرأه العبد ويردد

من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد فى القرآن من شرحها) فيتفكر فيها ويتامل فى معانيها (واذا أراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا فى كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما ذكر مجامعه فلا يوجد فيه) أجمع ولا (أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال) وهو الترياق الاكبر (وفيه شفاء للعالمين) ورحمة للمؤمنين (وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال) المذكورة (وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة) حتى يعثر على مقصوده منها ومتى دام العبد على ذلك طهر قلبه وغزر علمه (فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة) كاملة (بغير تدبر وفهم) فقد روى الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عمر بسند ضعيف لا قراءة الا بتدبر ولا عبادة الا بفقه ومجلس فقه خير من عبادة ستين سنة (وليتوقف فى التأمل فيها ولو ليلة واحدة) كما نقل ذلك عن جماعة من السلف (فان تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة) بينه وبين الله تعالى وعجائب القرآن لا تحصى وقد مرت الاشارة الى طرف من ذلك فى كتاب ترتيب الاوراد (وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتى جوامع الكلم) كما ورد به الخبر (وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأملها العالم) البصير (حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به) تقدم قريبا وفى كتاب الفقر والزهد وفى كتاب العلم (فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهى كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين) مع فراغها من شغل آخر (لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر فى علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هى محبوبة عند الله أو مكروهة والمبتدى) فى السلوك (ينبغى ان يكون مستغرق الوقت فى هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة) والاحوال المنيفة (وينزه باطنه وظاهره عن المكاره) والاخلاق السيئة (وليعلم ان هذا مع انه أفضل من سائر العبادات) اذا عريت عنه (فليس هو غاية المطلب) للسالكين ولا هو الحد الذى يقفون عليه (بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر فى جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب) فيه (بحيث يفنى عن نفسه أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر فى أحوال نفسه وأوصافها

الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم فليتوقف فى التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها أسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أوتى جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهى كافية للمتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر فى علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هى محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة والمبتدئ ينبغى أن يكون مستغرق الوقت فى هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر فى جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أى ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر فى أحوال نفسه وأوصافها

بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ماذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم أنت قال أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من أهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لايتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات و يعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات الا
النظر في عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة وعشر محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته و يدع الفكر فيها و يشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها و يعلم أنه ذلك لم يتم

بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه) لايحس بنفسه أصلا (وهو منتهى لذة العشاق) الصادقين (فاما ماذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في البوادي) المنقطعة على قدم التوكل و يقاسي فيها أهوالا من نفسه ومن الجن (فلقيه) أبو المغيث (الحسين بن منصور) الحلاج رحمه الله تعالى (وقال) له (فيم أنت) وكيف سلوكك (قال أدور في البوادي اصلح حالي في التوكل فقال أفنيت عمرك في عمران باطنك فاين) أنت عن (الفناء في التوحيد) رواه القشيري في الرسالة وتقدم في كتاب التوكل وقال وكان الحلاج طالبه بالمقام الثالث من التوكل (فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين) ومابعده مرقى للسالكين (وأما التنزه عن الصفات المهلكات) فانه (يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات) فانه (يجري مجرى تهيئة المرأة جهازها) أي أسبابها من لبس وفرش وغير ذلك (وتنظيفها وجهها) بالتخفيف (ومشطها شعرها) واستعمالها الطيب (لتصلح بذلك للقاء زوجها) وتقع من قلبه موقع المحبة والاعجاب (فان استغرقت) هي (جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه) واحضار الملابس (كان) ذلك (حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من أهل المجالسة) والمؤانسة (وان كنت كالعبد السوء) والاجير السوء (لايتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة) فان لم يخف أو لم يطمع في الاجرة لم يتحرك (فدونك واتعاب البدن) وارتكاب المشقة (بالاعمال الظاهرة) من قيام وصلاة وقراءة وصيام وجهاد وغير ذلك (فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون) اصطفاهم الله لذلك (واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد و بين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد) لطريق السلوك (فينبغي ان تكون له جريدة) وهي الدفتر المتخذ للحساب (يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات و يعرض نفسه عليها كل يوم) و يحاسبها بها و يدقق عليها وهكذا كانت أحوال السلف من الاولياء الكرام كما نقل ذلك الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره عن مشايخه وقد تقدم نقله في كتاب المحاسبة (و يكفيه من المهلكات النظر في عشر) صفات (فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب) لغير الله تعالى (وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه) فان هذه العشرة أصول وماعدا ذلك يتفرع منها (ومن المنجيات عشر) صفات (الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له) فهذه العشرة كذلك أصول وماعدا ذلك يتفرع منها (فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته و يدع الفكر فيها و يشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها و يعلم ان ذلك لم يتم

الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر واما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه ومالم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت أما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من رده وهو أكثر من غيظه على من رد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وأنكره فان وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله فان كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وانما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر بأهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك

لا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا لاحظ عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر وأما أكثر الناس من المعدودين في زمرة الصالحين) والمتسمين بظاهر الفضل (فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والتنافس والاستكبار عن الحق وحب كثرة الكلام والخوض فيما لا يعني وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم فهذه وأمثالها معاص ظاهرة وهي مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة (فان أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه ومالم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية) خاص (فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة) بين الناس (وانتشار الصيت اما بالتدريس أو بالوعظ) والتذكير (ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات) كما تقدم بيان ذلك في مواضعه (وان رد كلامه لم يخل عن غيظ) وحنق (وأنفة وحقد على من رده هو أكثر من غيظه على من رد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وأنكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله) وجمع الناس على كلمة الحق (فان كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراما ويكون بلقائه أشد فرحا واستبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر بأهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء) أو تغاير التيوس في الزريبة كما ورد بذلك الخبر (فيشق على أحدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا

وشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له فى سلامة العوام فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان

المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغى أن يتقى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم أركان الاسلام فان الدين مستغن عنى وأنا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبى وأما أداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم

وشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب) أى باطنه (التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك) والهلاك أكثر (ولا مطمع له فى سلامة العوام) فان العوام قد يعذرون بخلاف العالم (فمن أحس فى نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة) عن الناس (والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد) النبوى (يحوى فى زمن الصحابة رضى الله عنهم) جمعا (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا) مع ذلك (يتدافعون الفتوى) يدفعه أحدهم الى صاحبه (وكل من كان يفتى كان يود ان يكفيه غيره) هذا المهم نقله صاحب القوت وتقدم فى كتاب العلم (وعند هذا ينبغى ان يتقى شياطين الانس) فضررهم أشد من ضرر شياطين الجن وليحذر منهم (اذا قالوا) لك (لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم أركان الاسلام فان الدين مستغن عنى وأنا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبى وأما أداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار عن طلب العلم) لما امتنعوا من ذلك و(لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم) لا محالة (فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة) ويزينها لهم (والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم فى الآخرة) ولا خلاق (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله) عز وجل (يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) أى يقويه وينصره والمراد بالدين دين الاسلام والمراد بالأقوام اما الكفار واما المنافقون واما الفجار وهذا يحتمل انه أراد به رجالا فى زمنه كانوا كذلك ويحتمل أنه أخبر بما سيكون فيكون من المعجزات والاقرب الثانى لان العبرة بعموم اللفظ والحديث رواه النسائى وابن حبان والطبرانى فى الاوسط والضياء من حديث أنس ورواه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى بكرة ورواه البزار من حديث كعب بن مالك ورواه ابن النجار من حديث كعب بن مالك بلفظ ان الله ليؤيد الدين بقوم لا خلاق لهم وقد تقدم وروى الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ ان الله عز وجل ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله (و) قال صلى الله عليه وسلم (ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن بلفظ ليؤيد الدين ورواه البخارى فى القدر وفى غزوة خيبر من حديث أبى هريرة ان الله يؤيد هذا الدين ورواه الترمذى فى العلل من حديث أنس واللام للعهد أو للجنس وقد تقدم (فلا ينبغى أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب المال والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل) رواه أبو نعيم والديلمى من حديث أبى هريرة بلفظ حب الغنى ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب السماع وفى كتاب ذم الجاه وذم المال وروى الديلمى من حديث ابن عباس حب الثناء من الناس يعمى ويصم (وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم) رواه الطبرانى فى الصغير والضياء من حديث أسامة بن زيد بلفظ ما ذئبان ضاريان باتا فى حظيرة فيها غنم يفترسان

ويا كلان

ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه فى قلوبهم فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقى فاما أمثالنا فينبغى أن يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون فى الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا أنه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام واذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجارى أفكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها الى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شئ منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له فى كمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوشات وفى القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى

ويأكلان بأسرع فسادا من طلب المال والشرف فى دين المسلم وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب ذم الجاه (ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه فى قلوبهم فليكن فكر العالم فى التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طريق الخلاص منها) فان هذا هو الاهم (فاما أمثالنا) من ضعفاء الايمان فينبغى (أن نكون) دائما (تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب) وهو يوم القيامة الذى تجازى فيه كل نفس بما عملت (اذ لو) فرض ان (رآنا السلف الصالحون) ورأوا أحوالنا وما نحن عليه من الغفلة والتكالب (لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب) كما روى ذلك عن بعض السلف (فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيأ هرب منه ومن رجا شيأ طلبه) روى ذلك من قول أبى سليمان الدارانى ومعناه فى الحديث المرفوع عن أنس من خاف شيأ حذره ومن رجا شيأ عمل له ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية رواه الديلمى وروى الترمذى من حديث أبى هريرة من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل (وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصى) الظاهرة والباطنة (ونحن منهمكون فيها) فكيف يتصوّر الهرب (وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات) الزائدة عن الفرائض (ونحن مقصرون فى الفرائض منها) وقد روى من حديث على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقى وقد تقدم فهذه علامات الخائف والراجى والمترقب والزاهد (فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا فى الحرص على الدنيا والتكالب عليها) فى جمعها من حيث لا يحل وانفاقها فى غير مواضعها (ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا) وقد نقل صاحب القوت عن بعض السلف طوبى لمن مات وماتت ذنوبه معه (فما أعظم الفتنة التى تعرضنا لها لو تفكرنا) حق التفكر (فنسأل الله تعالى أن يصلحنا) فى أنفسنا (و) أن (يصلح بنا) غيرنا ممن اقتدى بنا (و) أن (يوفقنا) أجمعين (للتوبة) الناصحة والانابة الواضحة (قبل أن يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا) والمجيب لدعائنا (فهذه مجارى أفكار العلماء) الورعين و(الصالحين) من عباده (فى علم المعاملة) من معرفة النفس ومعرفة العبادات (فان فرغوا منها) وما أعز ذلك وما أبعده (انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها الى التفكر فى جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات) وهى التخلية (والاتصاف بجميع المنجيات) وهى التحلية (وان ظهر شئ منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذى خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة) وتكدرها عليه (ولا طريق له فى اكمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة) التى أمرنا بالتخلى عنها (عقارب وحيات وهى مؤذيات ومشوّشات) فلا يمكن مع وجودها اكمال التنعم بالمشاهدات (وفى القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب) والحيات (فهذا القدر كاف فى التنبيه على مجارى فكر العبد فى صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى) والله الموفق ولما فرغ من بيان الفكر فى معرفة نفس

العبد شرع فى بيان الفكر فى معرفة المعبود فقال* (القسم الثانى الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاول وهو الاعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعانى أسمائه) وهذه المعرفة تشتمل على علم ما يجب ويستحيل وما يجوز فعله وجملة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فلا فكر فى الوجود وفى كيفية التخلق بكل واحد منها على حسب الامكان مجال رحب (وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله) رواه ابن النجار والرافعى من حديث أبى هريرة بلفظ ولا تتفكروا فى الله وقد تقدم قريبا (وذلك لان العقول تتحير فيه) وهذا يؤخذ منه قول من ذهب الى أن اسم الله مشتق وانه من اله ياله اذا تحير اشارة الى حيرة عقول أولى الالباب فى مبادى سبحات جلاله وسطوات اشراق أنوار كبريائه وان كان هذا خلاف ما عليه المصنف فانه يقول بعلميته لاغير (فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون) وليس لهم من الذات الا الدهشة فهم يترددون بين اليأس والطمع ان نظروا الى هيبة جلاله أيسوا وان نظروا الى أنس جماله طمعوا ولولا أنس الجمال لتقطعت أوصال العارفين دهشة ولولا طمع الوصال لذابت قلوب المحبين حسرة (ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفى نهاره) لئلا يقابله نور الشمس فيسقط مغشيا عليه قال صاحب كشف الاسرار فى اشارة الخفاش وقد قيل أراك اذا طلعت الشمس وقعت فى العشا ولا تزال كذلك الى العشا فتعمى بما يستضىء به الناس وهذا ضد القياس وقال ابن الوردى فى اشارته أنا من أهل الخلوات والليل أنا على ضعفى كجلمود صخر حطه السيل أنا بالنهار أحتجب ورائى العزلة مما نحب وبالليل أكشف الغطا ان ناشئة الليل هى أشد وطأ واذا طلعت الشمس حكمت على عينى بالطمس وأخذتنى الغيرة أن أشاهد غيره فاطبق من عين الشمس عينى وأفنى عن أينها أينى (وانما يتردد ليلا لينظر فى بقية نور الشمس اذا وقع على الارض) وهو الوقت الذى لا يكون فيه ضوء ولا ظلمة وهو قريب غروب الشمس وهو وقت هيجان البعوض والبعوض يخرج فى ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق (وأحوال الصديقين كحال الانسان فى النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش ويفرق البصر كما هو مشاهد ولقد حكى لى من أثق به أنه نظر مرة الى قرص الشمس وحدق فيه بصره ليحيط بقدر المكسوف منه فما زال يشتكى ضعف بصره (وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل) وقال الشيخ الاكبر قدس سره فى حقائق الاسماء بعد ان نقل وجوه الاشتقاق فى اسم الجلالة الى أن قال وقيل هو مشتق من الالهة وهى العبادة وقيل من لاه يليه اذا ارتفع وقيل من اله ياله اذا تحير ثم قال وهذا الوجه هو مركز دائرة الوجوه كلها لما اختص هذا الاسم من الاحوال بالحيرة والعبادة والرفعة وهى التنزيه وهو رفعته عن التشبيه بخلقه والتنزيه يؤدى الى الحيرة لان غاية التنزيه اثبات النسب وهى الصفات الكمالية التى يتوقف عليها وجود اعيان المظاهر فان قال القائل ان النسب أمور وجودية زائدة على ذاته تعالى فقد صرح أنه لا كمال بالذات الا بها وان ذاته تعالى كان ناقصا قبل ظهورها كاملا بالزائد الوجودى وان قال ما هى هو ولا وجود لها وانما هى نسب والنسب أمور عدمية فقد جعل للمعدوم أثرا فى الوجود وان قال ما هى هو ولا غيره كان قولا بلا روح وكلاما لا معنى له يدل على نقص عقل القائل وان سكت الناظر ولم يقل شيأ فقد عطل القوة النظرية فاذا عجز العقل عن الوصول الى العلم بشىء من هذه الاسرار لم يبق الطريق الا الرجوع الى الشرع ولا تقبل أحكام الشرع الا بالعقل لانه الاصل وقد عجز والناظر عن معرفة الفرع وثبوته أعجز فان تعامى عن النظر وقبل قول الشارع ايمانا لامر ضرورى لا يقدر على دفعه لابد له أن يسمع الشارع أن ينسب الى الحق أمورا تقدح فيها الادلة النظرية وتحتاج الى تأويل فان تأوله ليرده الى النظر العقلى فهو عائد الى عقله وجاعل وجود الحق سبحانه على وجوده وثبت ان الله تعالى لا يدرك بالقياس فهذا غاية تنزيه المنزه وقد أداه

الى

* القسم الثانى الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان * المقام الاعلى الفكر فى ذاته وصفاته ومعانى أسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا فى خلق الله تعالى ولا تتفكروا فى ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفى نهارا وانما يتردد ليلا ينظر فى بقية نور الشمس اذا وقع على الارض وأحوال الصديقين كحال الانسان فى النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل

الى الحيرة وصارت الحيرة مركزا ينتهى اليها النظر العقلى والشرعى وكذلك العبادة وهى التى كلف بها والتكليف لا يكون الاعلى من له الاقتدار على ما كلف به وأمر من الافعال وامساك النفس عن ارتكاب ما نهى عنه والافعال منفية عن المخلوق بقوله والله خلقكم وما تعملون والشئ لا يكلف نفسه ثم لا يخفى ان الحق تعالى كبرياؤه خاطب عباده فامرهم ونهاهم ولابد من محل يقبل الخطاب فاثبت الافعال للمخلوق من هذا الوجه بما تقتضى قابليته فنفى من وجه وأثبت من وجه والنفى والاثبات متقابلان فرماه أيضا فى الحيرة فدرجات علوم العلماء بالله تدور على مركز الحيرة ولهذا كان بعض العارفين يقول يا حيرة يا دهشة يا حرف لا يقرأ انتهى (فالصواب اذا أن لا يتعرض لمجارى الفكر فى ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حيرت عقول أقوام حتى أنكروه) واستشكلوه (اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعاظم و يتعالى عن أن يكون له رأس ورجل و يد وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح فى عظمة الله و جلاله) وهم طائفة من الحشوية الكرامية (حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندى لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة فى هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه) وهذا فاسد (نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره و بين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك فى حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة) قياس الشاهد على الغائب والرب تعالى لا يعرف بالقياس (بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقى أنقص منى أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو تكون لى آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقى ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تخبر عبادى بصفاتى فينكرونى) أى لان عقولهم لا تحتمل ذلك (ولكن اخبرهم عنى بما يفهمون) أى بقدر ما يطيقون فهمه وقد ورد مثل ذلك فى الاخبار المحمدية خاطبوا الناس بما يفهمون اتحبون ان يكذب الله و رسوله قال الفخر الرازى فى تأسيس التقديس ان المتشابهات صارت شبهة عظيمة للخلق فى الالهيات والنبوات والشرائع وليس فى القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثله شئ ودلالته عليه ضعيفة وقد ذكروا أنواعا من الفوائد فى انزال المتشابهات أقواها أنه لما كان القرآن مشتملا على دعوة الخواص والعوام لا تقوى لادراك الحقائق العقلية المحضة فهم اذا سمعوا باثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا بمشار اليه ظنوا انه عدم محض فوقعوا فى التعطيل فكان الاصلح للعوام أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتخيلونه وتكون مخلوطة بما يدل على الحق الصريح انتهى وقد أشار الى ذلك أيضا المصنف فى الجام العوام (ولما كان النظر فى ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثانى) وهو الادنى بالنسبة الى المقام الاول (وهو النظر الى أفعاله وعجائب صنعه و بدائع أمره فى خلقه فانها تدل على جلاله

فالصواب اذا أن لا يتعرض لمجارى الفكر فى ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعاظم و يتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح فى عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندى لا وصف الاله لظن المسكين أن الجلالة والعظمة فى هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره و بين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك فى حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقى أنقص منى أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون لى آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقى ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك أوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه لا تخبر عبادى بصفاتى فينكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يفهمون ولما كان النظر فى ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجارى الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثانى وهو النظر فى أفعاله ومجارى قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره فى خلقه فانها تدل على جلاله

وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما أنا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر فى الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر فى نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته) قال المصنف فى المقصد الاسنى الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى انه وصف ثمرته وأثره وجود الاشياء وينطلق عليه اسم القدرة لانه يناسب قدرتنا وهو بمعزل عن حقيقة تلك القدرة نعم كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع كان حظه من صفة القدرة أوفر لان الثمرة تدل على المثمر والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين تفاوتا لا يتناهى وبه تعرف أن من قال لا أعرف الا الله فقد صدق ومن قال لا أعرف الله فقد صدق فانه ليس فى الوجود الا الله تعالى وأفعاله فاذا نظر الى أفعاله من حيث هى أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث انها سماء وأرض وشجر بل من حيث انها صنعه فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه أن يقول ما أعرف الا الله وما أرى الا الله ولو تصور شخص لا يرى الا الشمس ونورها المنتشر فى الآفاق يصح أن يقول ما أرى الا الشمس فان النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجا منها وكل ما فى الوجود نور من أنوار القدرة الازلية وأثر من آثارها وكما أن الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير فكذلك المعنى الذى قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس فى الوجود الا الله تعالى (بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود) قال المصنف فى مشكاة الانوار مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم ويسمى مظلما لانه ليس للابصار اذ ليس بصير موجودا للبصر مع أنه موجود فى نفسه فالذى ليس موجودا لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية فى الظلمة وفى مقابلته الوجود فهو النور فان الشئ ما لم يظهر فى ذاته لا يظهر لغيره (ووجود الاشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها) قال المصنف فى مشكاة الانوار والوجود بنفسه أيضا ينقسم الى ما الوجود له من ذاته والى ما الوجود من غيره بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو جوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقى فالموجود الحق هو الله تعالى كما أن النور الحق هو الله تعالى (ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله) وقال الفخر الرازى أشار بهذا الحديث الى أن من أراد الوصول الى كنه العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عمى فان نور جلال الالهية يعمى احداق العقول البشرية وترك النظر بالكلية فى المعرفة يوقع فى الضلال والطرفان مذمومان والطريق القويم أن يخوض الانسان البحر المعتدل ويترك التعمق ومن ثم سميت كلمة الشهادة كلمة العدل انتهى وقال الراغب نبه بهذا الخبر على أن غاية معرفة الانسان ربه أن يعرف أجناس الموجودات جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف أثر الصنعة فيها فانها محدثة وان محدثها ليس اياها ولا مثلا لها بل هو الذى يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه ولما كان معرفة العالم كله تصعب على المكلف لقصور الافهام عن بعضها واشتغال البعض بالضروريات جعل تعالى لكل انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا أوجد فيه مثال كل ما هو موجود فى العالم الكبير ليجرى ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع

وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما أنا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر فى الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر فى نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بانوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله تعالى

كل

كل أحد نسخة يتأملها حضرا وسفرا وليلا ونهارا فان نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه والا فله مقنع بالمختصر وفي أنفسكم أفلا تبصرون انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره ولا تفكر وافي الله لان للعقول حدا تقف عنده من حيث هي مفكرة وأية مناسبة بين الحق الواجب الوجود لذاته وبين الممكن وان كان واجبا به عند من يقول به وما أخذه الفكر به انما يقوم صحيحه من البراهين الوجودية ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة الى الدليل ونسبة الى المدلول فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق في وجه أبدا من حيث الذات بل من حيث ان هذه الذات منعوتة بالالوهية فهذا حكم آخر تستقل العقول بادراكه وكم من عاقل يدعى العقل الرصين من العلماء النظار يقول انه حصل على معرفة الذات من حيث النظر الفكري وهو غالط لتردده بفكره بين السلب والاثبات والاثبات راجع الى الوجود والسلب الى العدم والنفي والنفي لا يكون صفة ذاتية لان الصفات الذاتية للموجودات انما هي ثبوتية فما حصل هذا الفكر المتردد بينهما من العلم بالله على شئ اه وقال المصنف في الجواهر والدرر معرفة الله تعالى هو الكبريت الاحمر وتشتمل على معرفة ذات الخالق ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال فهذه الثلاثة هي اليواقيت فانها أخص فوائد الكبريت الاحمر وكما ان لليواقيت درجات فمنها الاحمر ومنها الاكهب ومنها الاصفر وبعضها أنفس من بعض فكذلك هذه المعارف الثلاثة ليست على رتبة واحدة بل انفسها معرفة الذات وهو الياقوت الاحمر ثم يليها معرفة الصفات وهو الياقوت الاكهب ثم يليها معرفة الافعال وهو الياقوت الاصفر وكما ان انفس هذه اليواقيت وأجلها وأعزها وأجودها الاحمر ولا تظفر منه الملوك الا باليسير وقد تظفر مما دونه بالكثير فكذلك معرفة الذات اضيقها مجالا وأعسرها منالا وأعصاها على الفكر وأبعدها عن قبول الذكر ولذلك لا يشتمل القرآن منها الا على تلويحات واشارات يرجع أكثرها الى ذكر التقديس المطلق كقوله ليس كمثله شئ وكسورة الاخلاص والى التعظيم والتنزيه المطلق كقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وأما الصفات فالمجاز فيها أفسح ونطاق النطق فيها أوسع ولذلك تكثر الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر وغيرها وسيأتي بقية هذا الكلام فيما بعد

(بيان التفكر في خلق الله تعالى)

(اعلم) نور الله قلبك (ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه) قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وليس في الوجود الا الله تعالى (وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب) ومصاعد للافكار ومراقي الاعتبار (تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك) والاشجار أقلاما للكتابة (لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقال) تعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) أي وأزواجا مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وقال) تعالى (وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما أدركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها

(بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما أدركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها

وحيوانها ونباتها ومابين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها
فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض ومابينهما وكل جنس منها ينقسم الى أنواع وكل نوع ينقسم الى أقسام

وحيوانها ونباتها ومابين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه من الاجناس المشاهدة من السموات والارض ومابينهما وكل جنس منها ينقسم الى أنواع وكل نوع ينقسم الى أقسام ويتشعب كل قسم الى أصناف ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولانبات ولاحيوان ولافلك ولاكوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه) وقال المصنف في الجواهر والدرر واما الافعال فبحر متسع الاكناف ولا ينال باستقصاء أطرافه بل ليس في الوجود الا الله تعالى وأفعاله وكل ماسواه فعله لكن القرآن اشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة كذكر الكواكب والارضين والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر ضروب النبات وماذكره من الحياة وهي التي ظهرت للحس فأعرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة والروحانيات والروح والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدمي فانهما أيضا من عالم الغيب والملكوت وخارج من عالم الملك والشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس البشر وهي التي سجدت لآدم عليه السلام ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانس وهي التي امتنعت من السجود له ومنها الملائكة السماوية وأعلى منهم الكروبيون وهم العاكفون في حضرة القدس لاالتفات لهم الى الآدميين بل لاالتفات لهم الى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها فهم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لايفترون واعلم أن أكثر أفعال الله تعالى وأشرفها لايعرفها أكثر الخلق بل ادراكهم مقصور على عالم الحس والتخيل وهو القشر الاقصى من اللب الاصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرمان الاقشره ومن عجائب الانسان الابشرته اه (وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) أي لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية ان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فانه اما أن يكون في ذات الشئ كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها (وكما قال تعالى ومن آياته) ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (ومن آياته) خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ومن آياته منامكم بالليل والنهار (من أول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات) المذكورة (فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك) أيها المتفكر (نفسك) أي ذاتك (وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله) تعالى (ماتنقضي الاعمار) الطويلة (في نسخه) اي كتابه (في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال) وفي الارض آيات للموقنين (وفي أنفسكم) آيات اذ مافي العالم شئ الاوفي الانسان له نظير يدل دلالته (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره) أي ما أكثره كفرا بالله تعالى وهو دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أي شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه مخصوصا من بعد حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) أي هيأه لما يصلح له

ويتشعب كل قسم الى أصناف ولانهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولانبات ولاحيوان ولافلك ولاكوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وكما قال تعالى ومن آياته من أول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات *(فمن آياته)* الانسان المخلوق من النطفة وأقرب شئ اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ماتنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيامن هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال قتل الانسان ما أكفره من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره

من

ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وقال تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار (١٨٥) مكين الى قدر معلوم وقال أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتفكر بذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه و يترك التفكر فى معناه فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت و أنتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الالفة والمحبة فى قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهى متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع

من الاعصاب والاشكال أو فقدره أطوارا الى ان تم خلقه (ثم السبيل يسره) أى سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس (ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره) من قبره (وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) فى الارض (وقال تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى) أى يصب فى الارحام (ثم كان علقة) حمراء (فخلق فسوّى) أى عدله (وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين) أى نطفة قذرة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) أى مقدار معين للولادة (وقال) تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) فيه تقبيح بليغ لانكارهم الحشر حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة الجحود لقدرته على ماهو أهون مما عمله فى بداية خلقه ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من أخس الشئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب (وقال) تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أى اخلاط جمع مشج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وأكياش وقيل ألوان فأما ماء الرجل فابيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو أطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (ثم ذكر) تعالى (كيف جعل النطفة علقة) حمراء (والعلقة مضغة) لحم (والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أى من الصفو الذى يسل من الارض (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) وهو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة الآية) والعلقة محركة القطعة من الدم الغليظة وقيل من الدم الجامد والمضغة بالضم قطعة لحم ومنه قوله تعالى ثم خلقنا العلقة مضغة (فتفكر بذكر النطفة فى الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه و يترك التفكر فى معناه فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة من الزمان ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الارباب من الصلب والترائب) أى من صلب الرجل وترائب المرأة (وكيف جمع بين الذكر والانثى وألقى الالفة والمحبة فى قلوبهم) كما يشير اليه قوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة (وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه فى الرحم ثم كيف خلق المولود من) تلك (النطفة) وهو قول ارسطاليس فانه يقول مبدأ قوة الصورة فى منى الذكر ومبدأ انعقاد القوة المنفعلة فى منى المرأة ورأى جالينوس ان لكل واحد من المنيين قوة عاقدة وقابلة للعقد ولكن لا يتم فعلها فى منى الانثى الا بمنى الذكر (وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وكبر) اعلم أن الدم الذى ينفصل فى الحيض عن المرأة يصير أكثره غذاء فى وقت الحمل منه ما يستحيل الى مشابهة جوهر المنى والاعضاء الكائنة منه فيكون غذاء منميا لها ومنها ما لا يصير غذاء لذلك ولكن يصلح لان ينعقد فى حشوها فيكون لحما آخر وسمينا أو شحما ويملأ الامكنة بين الاعضاء الاول ومنه ما لا يصلح لاحد الامرين فيبقى الى وقت النفاس وتدفعه الطبيعة فضلا واذا ولد الجنين فان الدم الذى يولده كبده يسد مسد دم الطمث الذى كان غذاء له و يتولد عنه ما كان يتولد عن ذلك الدم (وكيف جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهى متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة فدوّر الرأس وشق) فيه (السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع

بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنـة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص) وانما سماها باطنة لكونها لاترى بظاهر العـين (ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئـة مخصوصة لوفقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار) اعلم ان كلا من العينين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات ومن العصب والعضل والعروق وكيفيـة تركيبها ان العصبة المجوّفة التى هى أول العصب الخارج من الدماغ يخرج من القحف الى قعر العين وعليهما غشا آن هـما غشاء الدماغ فاذا برزت من العين وصارت فى جوبة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباسا على عظم العين و يسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباسا بعد الصلبية و يسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لانها ذات عروق كثيرة ثم تصير هذه العصبية نفسها الى الجوفة عريضة و يصير منها غشاء بعد الاولين و يسمى الطبقة الشـبكية ثم يتكوّن فى وسط هذا الغشاء جسم رطب لين فى لون الزجاج الذائب وقوامه و يسمى الرطوبة الزجاجيـة و يتكوّن فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير الا ان فى جانبه الخارجى أدنى تفرطح لتظهر فيه أشباح المرئيات وفى جانبه الداخل تقوّ ليتصل بالعصبة المجوّفة كما ينبغى و يسمى الرطوبة الجليدية لشبهها بالجليد فى صفائه وجلاوته و يسمى البردية أيضا لشبهها بالبردة فى شكلها وصفائها وشفيفها و يحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف و يعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعـلو هـذه الطبقة جسم سائل فى لون بياض البيض وقوامه يسـمى الرطوبة البيضية و يعلو البيضية جسم رقيق مخمل الداخل أملس الخارج ويختلف لونه فى الابدان فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك فى وسـطه بحيث يحاذى الجليدية ثقب يتسع و يضيق فى حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع فى الظلمة و يسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة العنبية فى خمل باطنها وملاسة ظاهرها والثقب الذى فى وسطها و يعلو هـذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض و يسـمى الطبقة القرنية غير أنها تتلون بلون الطبقـة التى تحتها المسماة بالعنبية ولونها يختلف فى الناس ففى بعض تكون زرقاء وفى بعض تكون شهلاء وفى بعض تكون سوداء و يعلو هذه الطبقة و يغشاها الا كما بلغ الى موضع سواد العين جسم أبيض اللون يسمى الطبقة الملتحمة وهى التى تلى الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذى على القحف من خارج وجوهره من لحم أبيض دسم وقد امتزج بعضلة العين واحكم على القرنية فلهذا تسمى بالملتحمة هكذا رتب بعضهم هـذه الطبقات والرطوبات أعنى جعل الاول الطبقة الصلبية ثم الطبقة المشيميـة ثم الطبقة الشبكية ثم الرطوبة الجليدية ثم الطبقة العنكبوتية ثم الرطوبة البيضية ثم باقى الطبقات العنبية والقرنية والملتحمة و بعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية وجعـل الطبقات الاربعة أعنى العنكبوتية والعنبيـة والقرنية والملتحمة تاليـة للرطوبات الثـلاث المتوالية وأشرف أجزاء العين انما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لاجـل مصلحته فالزجاجيـة والطبقات الثلاث قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية والطبقات الاربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهى موضوعة فى الوسط صيانة لها وحرزا (فلو ذهبنا نصف مافى آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات) الدالة على كمال قدرته (لانقضت فيه الاعمار) ولم تف عشر عشيره (فانظر الآن الى العظام وهى أجسام صلبة قوية) اعلم أن الاعضاء أجسام كثيفة متكوّنة من الرطوبات المحمودة وهى الاخلاط والرطوبات الثانية التى ليست من الفضول والمنى اما من الاخلاط عنـد من يجعله دما نضيجا واما من الرطوبات الثانية عند من يجعله نوعا آخر ومنها عضو مفرد وهو الذى أى جزء محسوس

بالانامـل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحـال والرئة والرحـم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هـذه الاعضاء بأقسام أخر فركب العـين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئـة مخصوصة لوفقدت طبقـة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى أن نصف مافى آحاد هـذه الاعضاء مـن العجائب والآيات لانقضى فيـه الاعمار فانظـر الآن الى العظام وهى أجسام صلبة قوية

اخذت

أخذت منه كان مشاركا للكل فى الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاجزاء وهو العظم وقد خلق صلبا (فانظر كيف خلقهامن نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلهاقواماللبدن وعماداله) ودعامة للحركات (ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوّف ومصمت وعريض ودقيق) ومنه ماهومربع ومنه ماهوعلى شكل زاوية ومنه ماهوعلى نصف دائرة (ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أجزائه مفتقرا للتردد فى حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بهاثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتهامن أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له) اعلم ان الوتر مؤلف فى الاكثر من العصب النافذ فى العضلة البارز منها فى الجهة الاخرى ومن الرباط والرباط عضو عصبانى المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة وفائدته أن يأتى من العظم الى جهة العضل فيتشظى هو والاعصاب فيتصل وتراوالعصب والرباط اذا تشظيا تشظيا دقاقا وحشى الخلل الواقع بينهما لحما وغشى غشاء يسمى جملة ذلك عضلة فما امتد منه الى العضلة لم يسم رباطا ومالم يمتد اليها ولكن وصل بين طرفى المفصل أو بين أعضاء أخرى وأحكم شد شئ الى شئ فانه مع مايسمى رباطاقد يخص باسم العقب وليس لشئ من الرباطات حس وذلك لئلايتأذى بكثرة مايلزمه من الحركة (ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيهاو ينطبق عليها فصار العبدان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك) اعلم أن المفصل مجاورة طبيعية بين عظمين والالتحام هو اتحاد طبيعى بينهماوهواماأن يكون من غير شئ يصل بينهما واما أن يكون بشئ وذلك الشئ اما عصب واماغضروف واما لحم والمفصل اماموثق وهو الذى لايتحرك حركة بينة كمفصل الرسغ واماسلس وهو مايتحرك حركة بينة كمفصل المرفق وكل ثلاثة أقسام أحدهامن الموثق مايكون تركيبه بدروز يجمع العظمين وهوأن يكون لكل منهمازوائد وحفر كالمنشار فيدخل كل زائدة من كل حفرة من الآخر كالمنشارين اذا جمعا الثانى مايكون تركيبه بلزاق يضمهما وهوان يتصلا على خط مستقيم كزندى الساعد وقصبى الساق الثالث مايكون تركيبه بركز أحدهما فى الآخر وهوأن يدق أحدهماو يرتكز رأسه الدقيق فى عظم آخر كالاسنان فى أوربتها الرابع وهو أول السلس أن تكون الحفرة كذلك من العظم المحفور غائرة الرأس من الآخر طويلة العنق رقيقة كمفصل الفخذ ويسمى المغرق والخامس ان لاتكون الحفرة كذلك يسمى المطارف وان يكون لكل رأس يدخل فى فقرة من الآخر كالمرفق ومفاصل خرز الصلب ويسمى المداخل (ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعهاوركبهاوقدركبهامن خمسة وخمسين عظمامختلفة الاشكال والصور فألف بعضهاالى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كماتراه فمنهاستة تخص القحف) وهى عظما اليافوخ وعظم مؤخر الرأس وعظم الجبهة والعظمان اللذان عن جنبيه وفيه الاذنان فهذه هى الستة وهى عند أهل التشريح سبعة والسابع هو المشترك الشبيه بالوتد وهوقاعدة الدماغ وحمال الرأس ولابد من ذكره وقد أسقطه المصنف وبه يتم العدد الذى ذكره كمايظهر ذلك بالتأمل فاليافوخان مربعان رخوان وسبب رخاوتهماأن يكوناخفيفين لئلا يثقلاعلى الدماغ ولان الروح النفسانى انما ينضج أوّلا بالبطنين المقدمين من الدماغ ثم يتصفى و يصير الى البطن المؤخر وكانت الفضول هناك أكثر فاحتيج الى أن يتحلل منه البخار فلذا خلقتارخوين وعظماالجنبين مثلثان وكل ثلاثة أجزاء أحدها يسمى الحجرى لانه صلب كالحجر وفيه ثقب السمع الثانى صلب جداوفيه زائدة شبيهة بحلمتى الثدى يمنع اللحى الاسفل من أن يخرج عن موضعه لسلاسة مفصله الثالث موضع الصدغ وهو الصلب أيضا وعظم الجبهة نصف دائرة وعظم مؤخر الرأس والوتد كثير الاضلاع والشكل صلاب للاستغناء عن منفعة الاسترخاء المذكور ولمقاومة ماينال الرأس من مصاكة الاجسام التى يضرب بها الرأس أو يقع هو عليها وقلمايقع الانسان على يافوخه بل على قفاه وجنبيه ووجهه غالبا وعظم

كيف خلقهامن نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلهاقواما للبدن وعماداله ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوّف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه مفتقرا للتردد فى حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بهاثم وصل مفاصلهاوربط بعضها ببعض بأوتار أنبتهامن أحد طرفى العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة منه وفى الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيهاوتنطبق عليها فصار العبدان أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعهاوركبها وقد ركبهامن خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فألف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنهاستة تخص القحف

المؤخر أصلب الجميع لعدم حارس له كالعينين ودافع كاليدين والحاجة فى شدة صلابة القاعدة أوضح من أن
يوضح وهو موضوع تحت القحف من ناحية خلف فيما بينه وبين اللحى الاعلى وقد ملئ به الخلل الحادث
هناك وهذه العظام يتصل بعضها ببعض بدروز خاصة وعامة يسمى الشؤون فالخاصة خمسة أحدها فى
مقدم الرأس فى موضع يوضع فيه الاكليل مشترك مع الجبهة قوسى هكذا ويسمى الاكليلى الثانى
وسط الرأس قد ذهب فى طوله ونصفه مستقيم يقال له وحده سهمى واذا اعتبر من جهة اتصاله بالاكليلى قيل
له سفودى وشكله قوس يقوم فى وسطه خط مستقيم كالعمود وهو هكذا الثالث فى مؤخر الرأس
مشترك بين الرأس من خلف وبين قاعدته وهو على شكل زاوية متصل بنقطة فى طرف السهمى ويسمى
الدرز اللامى لانه يشبه اللام فى كتابة اليونانيين وهو هكذا واذا انضم الى الدرزين المقدمين
صار شكله هكذا وهذه الدروز الثلاثة دروز حقيقية الرابع والخامس الدرزان الكاذبان
وهما ممتدان فى طول الرأس فوق الاذنين على موازاة السهمى من الجانبين وليسا بغائصين فى العظم تمام
الغوص ولهذا يسميان القشريتين واذا اتصلا بالثلاثة الاول الحقيقية صار شكلها هكذا وأما
العامة وهى المشتركة بين الرأس وغيره فاثنان أحدهما الذى يصل بين الرأس وبين اللحى الاعلى وهو
الذى يبتدأ من الموضع الغائر من الصدغ من طرف الدرز الاكليلى ويصير الى موضع العينين فيمر فيه وفى
الوسط بين الحاجبين حتى ينتهى الى الطرف الآخر من الدرز الاكليلى فيلتزق به الثانى الوصل بينه وبين وأربعة عشر للحى الاعلى
القاعدة فيصل بين طرفى اللامى عندما ينحدران الى موضع القاعدة ثم يصعد من الجانبين فيتصل بطرفى
الاكليلى واعلم ان ماذكرنا من الخمسة فهى للرأس الذى شكله طبيعى أى مستدير له نتوّ فى مقدمه ونتوّ فى
مؤخره وأما الذى ليس كذلك فهو ثلاثة احدها الذى لا نتوّ له فى مقدمه ولا يوجد فيه الاكليلى الثانى
ما لا نتوّ له فى مؤخره فلا يوجد فيه اللامى الثالث ما لا نتوّ له فى مقدمه ولا فى مؤخره فلا يوجد فيه الاكليلى
واللامى ويوجد فيه درزان متقاطعان على زوايا قائمة ويصير الرأس كالكرة متساوى الطول والعرض
ولكل هذه العظام حدود تفرزه من غيره أما اليافوخان فحد كل من خلف أحد ضلعى اللامى ومن قدام
الاكليلى ومن الاسفل احد القشريتين ومن الاعلى السهمى وأما الجانبان فحد كل منهما من الاعلى أحد
القشريتين ومن الخلف طرف اللامى ومن القدام آخر الدرز العام الذى من طرف اللامى الى طرف الاكليلى
وعظم المؤخر حده من الاعلى اللامى ومن الاسفل الجزء الوسط من العام الذى بين الرأس والوتد الذى من
طرف اللامى الاكليلى وعظم المؤخر حده من الاعلى اللامى ومن الاسفل الجزء الوسط من العام الذى بين
الرأس والوتد وهو الواصل بين طرفى اللامى وعظم الجبهة حده فوق الاكليلى ومن أسفل العام الواصل
بين الرأس واللحى الاعلى واعلم ان القحف جنة الدماغ وجعل شكله مستديرا لئلا تسرع اليه الآفات
ولان الشكل المستدير لا ينفعل عن المصادمات ما ينفعل عنه ذو الزوايا وليسع من جوهر ما يحتوى عليه
مقدارا كثيرا لان الشكل المستدير أعظم مساحة مما يحيط به غيره من الاشكال المستقيمة الخطوط اذا
تساوت احاطتها وخلق الى طول مع استدارته مضغوطا من الجانبين ناتئا من قدام وخلف لان الدماغ
كذلك بسبب الشعب التى يأتى منه الى المنخرين والعينين وبسبب أبخرة المؤخر الذى هو منشأ النخاع
وفائدة دروزها اندفاع البخارات من منافذها وفائدة كثرة عظامه ان الآفة اذا لحقت جزأ لم يقدح فى
البواقى وليكون فى الشرايين والاوردة الداخلة الى الدماغ والخارجة منها مسالك وأعظم تلك المسالك
هو مخرج النخاع وهو الذى من أسفل عند فقرة القفا فهذا ما يتعلق بعظام القحف ولم يذكر المصنف عظام
الصدغين وهى أربعة لكل اثنان يسميان الزوج أحدهما ملتحم بالعظم الجبينى من عظام الرأس
والآخر متصل بطرف الحاجب الذى هو عند الموق الاصغر من العين وكلاهما قرنا بدرز مورب يفرق
بينهما ومنفعتهما حفظ عضل الصدغ عما يصاكه من خارج (وأربعة عشر للحى الاعلى) ستة فى العينين

لكل ثلاثة واثنان للوجنتين وهما كبيران منهما أكثر الاسنان سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنان صغيران وفيهما ثقبان من المنخرين الى الفم واثنان فى طرفى اللحى وفيهما بقية الاسنان واثنان فى الانف وأما درز اللحى الاعلى فالمشتركة قد ذكرت والخاصة أربعة احدها يبتدئ من تحت زوج الصدغ من الدرز المشترك للحى والوتد ويمر الى وسط الزيق الاسفل من محاجر العين وينقسم هناك ثلاث شعب الثانى والثالث يبتدئان من وسط الحاجبين ويمران الى جانب المنخرين حتى ينتهيا الى الموضع بين الرباعيات والانياب الرابع يقطع أعلى الحنك بالطول وكل واحد من هذه العظام يحده من جوانبه درز من المشتركة والخاصة وفائدة كثرتها ان الآفة اذا نالت أحدها لم يؤثر فى الباقى (واثنان اللحى الاسفل) طرف كل منهما من الاسفل فى موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له شعبتان احداهما حادة دقيقة الرأس وهى تحت الزوج ويأتيها وتر عضلة الصدغ القائم باطباق الفم والثانية غليظة وهى من خلف داخلة فى نقرة تحت الزيادة الشبيهة بحلمتى الثدى دخولا يلتئم به منها ومن تلك النقرة مفصل (والبقية هى الاسنان) وهى اثنان وثلاثون فى كل لحى ستة عشر (بعضها عريضة) خشنة الرؤس (تصلح للطحن) وهى خمسة فى كل من الجانبين وتسمى الاضراس والطواحين (وبعضها) عراض حادة الرؤس (تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا) منها أربعة من قدام وهى الثنيتان والرباعيات ويقال لها القطاعة اذ يقطع بها مايؤكل من الطعام اللين واثنتان عن جانبى الاربع ويقال لهما الناباب وهما حادتا الرؤس عريضتا الاصول يكسر بهما ماصلب من الطعام ولكل من هذه الست أصل واحد ولكل منها اذا كان من فوق ثلاثة أصول وقد يكون لاقصاها أربعة وان كان من أسفل أصلان وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول وانما جعلت أصول الاضطراس أكثر لشدة عملها ودوامه وانما جعلت أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها ومن عجيب الحكمة فى هيئة الاسنان ان الثنايا والرباعيات يتماس ويلاقى فى حالة العض ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الاشياء وذلك يكون بجذب الفك الى قدام حتى يلاقى بعضها بعضا وعند المضغ والطحن يرجع الفك الى مكانه فيدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات الى داخل ويحيد عن موازاة العالية فيتم بذلك الاضراس ووقوع بعضها الى بعض وذلك لانه لا يمكن تلاقى الثنايا والرباعيات التى فى اللحى الاعلى فى اللحى الاسفل أن يتلاقى الاضراس وربما عدمت النواجذ منها فى بعض الناس وهى أربعة الطرفانية فيكون أسنانه ثمانية وعشرين النواجذ تنبت فى الاكثر فى وسط زمانى النمو وهو بعد البلوغ الى الوقوف وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك تسمى اسنان الحلم *(تنبيه)* اختلف الاطباء فى المادة التى تخلق منها الاسنان فقال بعضهم هى عظام لانها صلبة يابسة قابلة للكسر غير مدركة لالم السحق والنحت واليه يميل سياق المصنف وقال بعضهم هى أعصاب لانها تدرك الحرارة والبرودة وألم الضربان والوجع والحكة ويحصل لها الضرس من الحموضات وذلك خدرها والخدر مخصوص بالعصب قال المتأخرون والحق هو الاول وهى عظام قد غلب عليها البرد واليبس وقد اتصل بها شعب من العصب الدماغى وقد أنبتت فى أصولها وهى الموجبة لادراكها الوجع والضربان والحرارة والبرودة وغيرها وقد اختلفوا أيضا هل أصلها من منى الاب والام أو هى من الغذاء واستدل القائلون بالاول بانها لو كانت من الغذاء لنبتت كلما انكسرت وسقطت وليس كذلك واستدل القائلون بالثانى بانها لو كانت من المنى لم يوجد الجنين الا بها ولم تنبت هى اذا سقطت كما فى الاطفال وليس كذلك والحق انها من مادة المنى لكن تلك المادة كامنة فى عظام الفكين والعلة الغائية فى ذلك ان الطفل لا يحتاج الى الاسنان فى أول الامر لان غذاءه من اللبن وفكاه صغيران وعظامهما ضعيفة يكون ماينبت منهما مناسبا لها فى الضعف والصغر فلم تف بما يحتاج اليه من المضغ والكسر وغير ذلك الى آخر العمر فالعناية الازلية اقتضت تأخيرها وجهاونباتها الى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل

واثنتان للحى الاسفل والبقية هى الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا

والعظم والقوة والصلابة وغيرها وأما سقوط أسنان الاطفال ونباتها مرة ثانية فالحكمة فيه ان الطفل اذا صار محتاجا الى الاغتذاء بغير اللبن اقتضت العناية نبات أسنانه لكنها تكون ضعيفة صغيرة مناسبة لعظام الكفين ولذلك لا يفي بما هو المراد الى آخر فقدر البارى تعالى أن يسقط ويدخر الطبيعة شيأ من المادة لانباتها مرة ثانية بحيث يفي بالمراد الى حلول الاجل الطبيعي ولسقوطها سبب آخر وهو نمو الانسان وكبر أعضائه فيتسع بالضرورة مكان الاسنان فيتحرك ويتزلزل ويسقط ومايقال من ان بعض الشيوخ تسقط أسنانه وتنبت مرة ثالثة فغير مستبعد اذقد تكون المادة التى تخلق الاسنان منها أوفر مما هو الاغلب والاكثر المعتاد فى الاشخاص وذلك نادر فيفي بنباتها مرة ثالثة ومادة السن الزائدة هى أيضا من هذا القبيل أعنى من توفر المادة كمادة الاصبع الزائدة وقد تنبت لبعض الناس بعد البلوغ أسنان صغار ومادتها ماذكرنا (ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوّفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها) اعلم أن عظم الصلب ينقسم أربعة أجزاء أحدها الرقبة وهى مركبة من سبع فقرات والفقرة عظم فى وسطه ثقب ينفذ فيه النخاع ويقال لها أيضا الخرزة الثانى الظهر الثالث القطن والحقو الرابع العجز وسيأتى بيان كل ذلك ومن الفقرات ماتسمى بالزوائد وهى ثلاثة أجناس أحدها يسمى بالشوك والسناسن الثانى الزوائد المعترضة فمنها من فقار الرقبة مثقوب وهى فى الاولين بسيطة وفى الخمس الباقية مشقوقة باثنين ومامنها فى البواقى غير مثقوب الثالث الزوائد التى بها تلتئم مفاصل الفقار وهى فى كل أربع ثنتان شاخصتان الى فوق وثنتان الى أسفل وفى خرز الرقبة وخرز القطن زائدتان للوقاية وقوله فيها تحريفات وزيادات ونقصانات يشير به الى أن فى كل من الفقرات الستة السفلية من الرقبة نصف ثقبة هى نصف دائرة تامة وتلتئم من اثنين دائرة تامة أيضا والفقرة الاولى يخرج العصب من ثقب فيها خاصة لمكان المفاصل التى من جانبيها (ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة) اثنتاعشرة منها تسمى فقرات الصدر أيضا لان حد الصدر الاسفل ينتهى عندقبلها وسائر الفقرات يتصل كل منها بصاحبتها من قدام برباطات ومن خلف بزوائد يدخل من كل فى الاخرى ومنها خمس للقطن والحقو (وركب عظم العجز) وهو عظم عريض يعرف بالعظام الاعظم (من ثلاثة أجزاء مختلفة) وعند المشرحين مركب من جزأين أحدهما يسمى العجز باسم الجميع وهو مركب من ثلاثة عظام شبيهة بالفقرات (فيتصل به من أسفله عظم العصعص) وهو الجزء الثانى من العجز (وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء) غضروفية وتختلف هذه الخرز فى الاتصال والمقدار والثخن والزوائد والثقب ولعظم العجز زوائد شوكية وشاخصة الى الفوق وأسفل وأما التى فى الجانبين فهى عراض واعلم ان منافع عظام الصلب خمس احداها انه أساس الاعضاء الثانية مرور النخاع فى تجويفه والحاجة الى النخاع ضرورية اذ لابد للاعضاء من عصب الحس والحركة ولو كان العصب كله يأتيها من نفس الدماغ لانقطع اذا بعدت المسافة على أنه لم يمكن أن ينبت من الدماغ عصب صلب يصلح لتحريك اليدين والرجلين للين جوهره الثالثة كونه جنة للنخاع واقية الرابعة القدرة على الانحناء والانبساط ولذا جعل مركبا من الفقرات الكثيرة اذلو كان واحدا لتعذر ذلك الخامسة أن يستر الاعضاء الموضوعة عليها ويدفع عنها (ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر) وهى سبعة يتصل بعضها ببعض وابتداؤها من حيث نقرة الحلق وانتهاؤها من أسفل الثدى بقليل حيث أضيق موضع من المواضع التى تحس من البطن (وعظام الكتف) وهى أربعة لكل اثنتان أحدهما له تقعير من باطنه لتحدب الاضلاع وتجويف من ظاهره ونتوء من خلفه يقال له ظاهر الكتف وعين الكتف وله عنق فى طرفه نقرة يدخل فيها رأس العضد وفيه زائدتان احداهما من خلف فى الطرف الاعلى من العين شبيهة بمنقار الغراب وتسمى الاخرم وبهما يرتبط الكتف بالترقوة وهى تمنع رأس العضد أن يخلع والثانية عظم

ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوّفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف

غضروفى الى فوق من داخل يمنع رأس العضد أن ينخلع (وعظام اليدين) وهى ستة عشر لكل ثمانية وهى عظام صلبة صلدة عديمة المخ سبعة منها انضدت صفين فالصف الاعلى من ثلاثة والاسفل من أربعة وذلك لان أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه فى هذا الجانب فرجة أعنى الساعد وأسفله متصل بعضو عريض أعنى مشط الكف وأما الثامن فانما خلق لحفظ عصبة هنالك تاتى الكف لا للرسغ خاصة (وعظام العانة وعظام العجز) اعلم ان عظم العانة واحد وهو جزء من أربعة أجزاء من عظمى الوركين وبيانه ان عظمى الوركين متصلان بعظم العجز من جانبيه عن يمينه وعن شماله ولكل أربعة أجزاء فيقال للذى بجنبه منها عظم الخاصرة وللذى من قدامه عظم العانة وللذى من خلفه عظم الورك وللجزء الباطن المجوّف حق الفخذ وأما عظام العجز فقد تقدم الكلام عليها (ثم عظام الفخذين) وهما عظمان من أعظم عظام البدن لانهما يحملان مافوقهما ويقومان بتحريك عضو عظيم أعنى جملة الرجل والطرف الاعلى من كل منقول الى الجانب الوحشى ليكون للعضل والعصب والعروق موضع والاسفل الى الانسى ليتمكن البدن منه بوثاقة وحرز ولكل رأسان الاعلى مدوّر داخل فى حق الفخذ ويسمى رمانة الفخذ والاسفل ذو شعبتين يدخلان فى نقرتين فى رأس عظم الساق (والساقين) وهى ستة لكل ثلاثة أحدها القصبة العظمى ويقال له عظم الساق والقصبة الانسية لوضعه فى الجانب الانسى والثانى الصغرى والوحشية وهى أقصر من ثلاث ولذا لاتبلغ مفصل الركبة وانما تبلغه العظمى فيدخل رأسان من عظم الفخذين فى حفرتين فيها وطرفاهذين يلتقيان عند الكعب فيحدث فيما بينهما المفصل الثالث من مفاصل الرجل الثالث عين الركبة وهو عظم مطابق على مفصل الركبة مستدير فيه غضروفية ويسمى الرحى (وأصابع الرجلين) وهى مؤلفة من أربعة عشر عظما الا ان الابهام فيها مؤلف من كعبين والبواقى من ثلاث فهذه جملة عظام البدن ولم يذكر عظمى العضدين ولا عظام الساعدين وهى أربعة لكل اثنان هما الزندان ولا عظام شطر الكفين وهى ثمانية لكل أربعة ولا عظام أصابع اليدين وهى ثلاثون لكل خمسة عشر ولا عظام القدمين وهى اثنان وخمسون لكل ستة وعشرون وقيل أربعة وخمسون لكل سبعة وعشرون (فلا نطيل بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى) السمسمانيات وهى (العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل) من السلاميات وهى عظام الاصابع لزيادة الاستيثاق منها سميت بذلك لتشابهها السمسم وسوى العظم الشبيه باللام اليونانى وسوى العظم الذى فى القلب فانهما عند بعض الناس من جنس الغضروف والاختلاف فى عدد جملة عظام القدمين بل البدن كثير وتفصيله مودع فى كتب التشريح (فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة) قذرة (سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها) فقط (فان هذا علم قريب) سهل التناول (يعرفه الاطباء والمشرحون) أى أرباب التشريح (وانما الغرض) المطلوب من ذلك (أن ينظر منها فى مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه) وازالته (ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصوّرها فشتان بين النظرين) نظر البصر ونظر البصيرة (ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة) أو سبعا وعشرين وهذا على قول جالينوس (والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية) فاللحم هو حشو خلل الاعضاء وقوتها التى تندعم بها ويندرج فى هذا الحد أنواع اللحم أحدها اللحم الذى فى العضل وهو أكثر مافى البدن والثانى اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الاسنان والثالث اللحم الغددى كلحم الانثيين ولحم الثدى وغير ذلك والرابع

وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض أن ينظر منها فى مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصوّرها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية

السمين وهو ما يعلو على اللحم الاحمر والخامس الشحم وهو جسم أبيض لين وأما العصب فهو عضو أبيض لدن فى الانعطاف صلب فى الانفصال وأما الرباط فهو عضو عصبانى المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة واما الاغشية فهى أعضاء عصبانية عريضة شديدة صلبة القوام (وهى مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها) ومنفعتها ان الانسان اذا أراد أن يقرب عضوا من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد فى عرضها ونقص من طولها واذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد فى طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود والعضل الذى يحرك عضوا كبيرا يكون كبيرا كالعضل الذى فى الفخذ المحرك وينبت منه اما وتر واما أوتار متصل بالعضو الذى يحركه وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد والذى يحرك عضوا صغيرا يكون صغيرا كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جدا وليس لها أوتار وكل عضو يتحرك حركة ارادية فانه له عضلة بها تكون حركته فان كان يتحرك الى جهات متضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها الى ناحيتها عند كون تلك الحركة وتمسك المضادة لها عن فعلها وان عملت المضادتان فى الوضع فى وقت واحد انشق العضو أو تمدد مستقيما لا يتحرك مثال ذلك ان الكف اذا مدها العضل الموضوع فى باطن الساعد انثنى وان مده العضل الموضوع فى ظهره انحنى وانقلب الى خلف وان مداها جميعا استوى وقام بينهما وجملة ما للبدن من الحركات الارادية حركة جلدة الجبهة وحركة العينين والخدين وطرفى الانفين والشفتين واللسان وحركة الحنجرة والفك وحركة الرأس والعنق وحركة الكتف وحركة مفصل العضد مع الكتف وحركة مفصل العضد مع الساعد وحركة مفصل الساعد مع الرسغ وحركة جملة الاصابع وكل واحد من مفاصلها وحركة الاعضاء التى فى الحلق وحركة الصدر للتنفس وحركة القضيب وحركة المثانة فى منعها خروج البول وحركة المعى المستقيم فى منعها خروج الثفل وحركة مراق البطن وحركة مفصل الورك والفخذ وحركة مفصل الفخذ والساق وحركة مفصل الساق والقدم (فاربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها ولو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين) ثلاث منها لتحريك الجفن رأسها معلق فى العظم الحاوى للعين ووترها يمر فى وسط طى الغشاء الذى يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه واثنتان موضوعتان فى موق العين مدفونتان فى حفرتها ووتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلها فان نال احداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحا وواحدة وقيل ثنتان وقيل ثلاثة يدعم العصبة المجوفة التى يكون بها البصر ويثبتها حتى لا تنالها بسبب لينها عند التحديق الشديد أن ينقطع وست عضلات تحرك العين أربع الى الاستقامة احداها تميلها الى فوق الثانية تحفظها الى أسفل الثالثة تحركها يمنة الرابعة تحركها يسرة وثنتان على الاستدارة فهذه عشرة أو احدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين وللاخرى كذلك (وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص) منها تسع للوجه ثنتان من جانبى الخدين يحركان الخدود من اللحى ويطرقان بين الشفتين وهما عريضتان وثنتان تجذبان الشفة السفلى الى أسفل وثنتان تبسطان طرف الانف وواحدة تحت جلدة الجبهة ومنها اثنتا عشرة لتحريك الفك الاسفل ومنها ثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق ومنها اثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة ومنها تسع لتحريك اللسان ومنها أربع عشرة للكتفين ومنها ست وعشرون للعضدين ومنها ثمان لمفصل المرفقين ومنها أربع وثلاثون فى الساعدين ومنها ست وثلاثون فى الكتفين ومنها مائة وسبع لحركة الصدر ومنها ثمان وأربعون لتحريك الصلب ومنها ثمان موضوعة على البطن ومنها أربع للانثيين ومنها واحدة لعنق المثانة ومنها أربع تحرك الذكر ومنها أربع تحيط بالدبر ومنها ست وعشرون أو أربع وعشرون أو ثنتان وعشرون لمفصل الورك ومنها ثمان عشرة أو عشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق ومنها ثمان وعشرون لحركة القدم ومنها ثمان وخمسون أو ثنتان

وخمسون

وهى مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها ولو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص

وأمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فللفكر مجال فى آحاد هذه
الاجزاء ثم فى آحاد هذه الاعضاء ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لاتدرك بالحواس
أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان و باطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة مايقضى به العجب وكل ذلك
صنع الله فى قطرة ماء قذرة
فترى من هذا صنعه فى
قطرة ماء فما صنعه فى
ملكوت السموات وكواكبها
وما حكمته فى أوضاعها
واشكالها ومقاديرها
وأعدادها واجتماع بعضها
وتفرق بعضها واختلاف
صورها وتفاوت مشارقها
ومغاربها افلاتظن أن ذرة
من ملكوت السموات تنفك
عن حكمة وحكم بل هى
أعظم خلقا وأتقن صنعا
وأجمع للعجائب من بدن
الانسان بل لانسبة لجميع
مافى الارض الى عجائب
السموات ولذلك قال تعالى
أأنتم أشد خلقا أم السماء
بناها رفع سمكها فسوّاها
وأغطش ليلها وأخرج
ضحاها فارجع الآن الى
النطفة وتأمل حالها أوّلا
وماصارت اليه ثانيا وتأمل
انه لواجتمع الجن والانس
على أن يخلقوا للنطفة سمعا
أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو
علما أو روحا أو يخلقوا فيها
عظما أو عرقا أو عصبا أو
جلدا أو شعرا هل يقدرون
على ذلك بل لو أرادوا أن
يعرفوا كنه حقيقته وكيفية
خلقته بعد أن خلق الله
تعالى ذلك لعجزوا عنه
فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصوّر على حائط تأنق
النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام
فطنته وعظم فى قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط و بالقدرة وبالعلم و بالارادة وشئ من ذلك

وخمسون موضوعة فى القدم لبقية حركات الاصابع (وأمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول) فالاعصاب مبدؤها من الدماغ والنخاع وجميعها أزواج سوى عصب واحد فانه فرد ولازوج له وهو آخر النخاعيات فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حس الحواس الخمس وحس بعض الاعضاء وأما العروق فمنها نوابض ومنها ضوارب فمن النوابض الاوردة ومنبتها الكبد ولها انشعابات فما يأتى منها اليد من ناحية الابط يسمى الباسليق وماجاء الى اليد من الجانب الوحشى يسمى القيفال وماغار فى العنق مصعدا يسمى الودج وما كان عند المرفق يسمى الاكحل وماركب الزند الاعلى يسمى حبل الذراع ومابلغ رأس الزند الاسفل يكون من بعضه شعبة العرق الذى بين الخنصر والبنصر المسمى بالاسيلم وماعمر فى عضد الساق الداخل والخارج يسمى المابض وماظهر عند الكعب الداخل يسمى الصافن وماعمر فى الجانب الظاهر من الساق وهو غائر الى ناحية الكعب الخارج يسمى عرق النسا وفعل الجميع جذب الكيلوس الى الكبد وأما الضوارب فهى الشرايين ومنبتها التجويف الايسر من القلب ويخرج من هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدى والثانى كبير جدا يسمى الابهر وحين طلوعه تتشعب منه شعبتان احداهما وهى أصغرهما تصير الى التجويف الايمن من تجويفى القلب والثانية تستدير حول القلب ثم تدخل اليه وتتفرق فيه ثم ان الباقى من العرق النابت من تجويف القلب الايسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين ينقسم قسمين احدهما يأخذ نحو أعلى البدن وتتشعب منه فى مصعده من الجانبين شعب والثانى يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الصلب نازلا الى أسفل وتتشعب منه عند كل خرزة شعبة يمنة وأخرى يسرة (فللفكر مجال فى آحاد هذه الاجزاء فى آحاد الاعضاء ثم فى جملة البدن) من حيث المجموع من هذه الاجزاء والاعضاء (فكل ذلك نظر الى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات) الباطنة (التى لاتدرك بالحواس) الظاهرة (أعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان و باطنه والى بدنه وصفاته المركبة فيه فترى فيه من العجائب والصنعة مايقضى به العجب وكل ذلك صنع الله) تعالى (فى قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وماحكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها افلاتظن ان ذرة فى ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لانسبة لجميع مافى الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم أشد خلقا) أى أصعب خلقا (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها أوّلا) كيف كانت فى قلتها وحقارتها (وماصارت اليه ثانيا) بعد اختلاف الاطوار السبعة عليها (وتأمل لو اجتمع الانس والجن على أن يخلقوا للنطفة سمعا أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو علما أو روحا أو يخلقوا فيها عظما او عرقا أو عصبا أو جلدا أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصوّر على حائط) أو خشب أو ورق وقد (تأنق النقاش فى تصويرها) وتحليتها (حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان) وهو غاية التقريب (عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم و بالحائط واليد و بالقدرة و بالعلم والارادة وشئ من ذلك

ليس من فعـل النقاش ولاخلقـه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه
وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها

فاحسن تشكيلها وقدرها
فاحسن تقديرها وتصويرها
وقسم أجزاءها المتشابهة
الى أجزاء مختلفـة فاحكم
العظام فى أرجائها وحسن
أشكال أعضائها وزين
ظاهرها وباطنها ورتب
عروقها وأعصابها وجعلها
مجرى لغذائها ليكون ذلك
سبب بقائها وجعلها سميعة
بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها
الظهر أساسا لبدنها والبطن
حاويا للآلات غـذائها
والرأس جامعا لحواسـها
ففتح العينين ورتب طبقاتها
وأحسـن شكلها ولونها
وهيأتها ثم حماها بالاجفان
لتسترها وتحفظها وتصقلها
وتدفع الاقذاء عنها ثم أظهر
فى مقدار عدسة منها صورة
السمـوات مـع اتساع
أكنافها وتباعد أقطارها
فهو ينظر اليها ثم شق أذنيه
وأودعهما ماء مرا ليحفظ
سمعها ويدفع الهوام عنها
وحوطها بصـدفة الاذن
لتجـمع الصوت فترده الى
صماخها ولتحس بدبيب
الهوام اليها وجعـل فيها
تحـريفات واعوجاجات
لتكثر حركة مايدب فيها
ويطول طريقه فيتنبه من
النوم صاحبها اذا قصـدها
دابة فى حال النوم ثم رفـع
الانف من وسـط الوجه
وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته
وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا للحرارة باطنه

ومنفذان

ليس من فعل النقاش ولاخلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصـبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتسـتعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترائب) وجمعها من بين الذكر والانثى (ثم أخرجها منها) فالقاها فى الرحم (وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقـديرها و) صوّرها فاحسن (تصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الى أجزاء مختلفة فاحكم العظام) التى هى دعائم البدن (فى أرجائها) أى أطرافها (وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها) وممد الايصال منافعها (ليكون ذلك سبب بقائها) فى الدنيا (وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا للآلات غذائها والرأس جامعا لحواسـها) الظاهرة (ففتح العينـين ورتب طبقاتها) بما فى أثنائها من الرطوبات (وأحسن شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان) من الاعلى والاسفل (لتسـترها) من عوارض الآفات (وتحفظها) عن اشـعة الشمس (وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها) باهدابها (ثم أظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر اليها) وللناس فى صفة الابصار خمسة مذاهب أحدها وهو مذهب المتـكلمـين ان الابصار علم خاص يتعلق بالمعلوم على ماهو عليـه والثانى قول الطبيعيين وهو ان الابصار وروده صورة المرئى على الرائى فينطبع فيه مثال للمرئى فيدركه بانطباع صورته فيه والثالث قول الرياضيين وهو ان الابصار لاجل ان الشعاع يخرج من العين على شكل مخروط رأسه عند مركز البصر وقاعدته عند سطح المبصر والرابع ان الابصار بان يخرج من العين خط واحد مستقيم ينتهى الى المبصر ثم يتحوّل على سطحه حركة فى غاية السرعة فى الطول والعرض فيحصـل الادراك والخامس أن لا يخرج من العين شعاع لكن الشعاع الذى فيه يتكيف الهوى بكيفيته ويصير ذلك آلة للابصار والحق فى هذه الاقوال هو الاوّل وقد وردت على بقية الاقوال ايرادات مع أن مسائل المبصرات فى علم المناظر انما تتخرج على قاعدة الشعاع وبسط ذلك فى المبسوطات فى هذا العلم وقد أورد الشهاب القرافى فى كتابه الاستبصار لما يدرك بالابصار منها جملة ولا يليق ايراده هنا (ثم شق أذنيه) وركبهما من اللحم والغضروف والعصب الحساس (وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصـدفة الاذن ليجتمع الصوت فترده الى صماخها وليحس بدبيب الهوام اليها وجعـل فيها تحريفات واعوجاجات ليكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حال النوم) ولئلا يصادم الاصوات المزعجة عصب الحس دفعة بعنف فتلحقه آفة واعلم ان داخل الاذن فضاء هو موضوع مجوّف ذو تقعير يؤدى اليه ثقبه وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل وبهذا الغشاء يكون السمع عندما يقرعه الصوت لان فى ذلك الفضاء هواء راكدا فكلما وصل الهواء الخارجى المتموّج الى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان العصب معا فيدرك الصوت (ثم رفع الانف من وسط الوجه) بعد ان ركبه من العظم والغضروف والعضل (وأحسن شـكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليسـتدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا للحرارة باطنه) اعلم ان عضلة النصف الاعلى القريب من الحاجبين عظيمة وعضلة النصف الاسفل غضروفية ومجراه اذا علا انقسم قسمين أحدهما يفضى الى أقصى الفم والثانى عرصاعدا حتى ينتهى الى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع فى وجه زائد فى الدماغ وبعـد هذا العظم منفذ فى الغشاء بن تنفـذ فيه الرائحة الواصـلة الى الزائدة الى الدماغ فبهـذا المجرى يكون الشم وبالاولى التنفس الجارى على العادة لا الكائن بالفم ومن منفذى الانف منفـذان الى الحنك بهما يصير الصوت صافيا فاذا انسدا تغير الصوت

وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة الطعن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها

ومنفذان الى مآقى العين بهما يصل رائحة الكحل الى الانف (وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب) وهو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المرىء وقد التفت به عروق كثيرة صغار فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب وبهما يبقى فى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية (وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطعن والكسر والقلع) فمنها الطواحن ومنها الكواسر ومنها القواطع كما تقدم بيانها (فاحكم أصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم) فى السلك (وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام) الشفوية (ثم خلق الحنجرة) مشدودة مع العصبة بالمرىء (وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة) اعلم ان الحنجرة مؤلفة من ثلاث غضاريف أولها الدرقى وهو قدام الحلق مقعر الباطن محدب الظاهر متصل باصل اللسان الثانى يحاذى الدرقى من خلف الثالث مكبوب عليهما ويلقى الدرقى بغير اتصال ويسمى المكبى وهما يأتيان الدرقى عند الاكل فيساعدانه على تغطية قصبة الرئة وضمها لئلا ينزل فيه شىء مما يؤكل ويشرب و ينحيانه عنه عند الكلام فينفتح وانما يتنوا الحنجرة و يغلظ الصوت عند الادراك لان الحرارة التى تنهض فى ذلك الوقت توسع الحنجرة فينتو ويغلظ الصوت والآلة التى تحرك الهواء الذى هو مادة الصوت بحركتى الانقباض والانبساط يسمى بالحجاب واللهاة عضو معلق فوق الحنجرة يصل اليه أوّلا كل شىء خرج من الحنجرة كالتنفس والنفث والصوت وكل شىء دخل فيها كالهواء والدخان ونحوهما ويدفع مضرة ذلك عن الحنجرة وقصبة الرئة ولهذا يتغير صوت من قلع لهاته وتضر حنجرته والحنك كقبة يتضاعف الصوت اذا حصل فيه والهواء الذى هو مادة الصوت مادام فى العصبية يكون كالدخان فاذا وصل الى طرف القصبة صار صوتا وحركة اللسان بمعونة الاسنان تظهر الحروف فى ذلك الصوت فيصير كلاما واعلم ان فى الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة فى تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافيا فاذا عرض لاحد حمى محرقة تحرق تلك الرطوبة فلا يقدر على اخراج الصوت وكذا من تكلم كثيرا أو سافر فى هواء حار يابس فانهما لا يقدران على التكلم الا اذا بلا حلقهما بالماء أو بشىء آخر رطب (ثم زين الرأس بالشعر) فى الرجال والنساء (والاصداغ) جمع صدغ وهو الشعر الذى يدلى ما بين لحظ العين الى أصل الاذن وهذا للنساء خاصة (وزين الوجه باللحية) وهذا للرجل خاصة ومن تسبيح بعض الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالشعور (والحاجبين) وهذا للرجال والنساء جميعا (وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب) جمع هدب وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين (ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد) منها (لفعل مخصوص فسخر المعدة) التى هى حوض البدن (لاحالة الغذاء الى الدم) وهى جسم مستدير الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين (والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال) عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون مغشى بغشاء يأتيه من الصفاق ليس له فى نفسه حس بل لغشائه (يخدمها بجذب السوداء عنها) وهو وعاء السوداء و بالوعتها وموضعه فى الجانب الايسر من ضلوع الخلف والمعدة وجعل متخلخلا ليستقر السوداء المنجذب اليه فى تضاعيفه وجعل فيه الشرايين الكثيرة لتقابل حرارتها برودة السوداء (والمرارة) عضو عصبانى ذو طبقة واحدة كخريطة منسوجة من الليف المستقيم والعريض والمورب (يخدمها بجذب الصفراء عنها)

والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه فى طريق الاحليل

والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف و قسم الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل و وضع الاربعة فى جانب الابهام لتدور الابهام على الجميع ولواجتمع الاولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الاصابع سوى ماوضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب

وهى وعاء الصفراء و بالوعتها وهى موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد ولها منفذان فان اتفق قصور فى جذب المرارة الصفراء من الكبد يرم الكبد فان تعفنت الصفراء فى الكبد حدثت الحميات الحادة (والكلية) مركبة من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشرايين يأتيها عصب صغير يكون منه غشاؤها موضوعة بالقرب من الكبد (تخدمها بجذب المائية) وجوهر مندمج صلب لئلا ينفذ فيها الا الماء الرقيق وهما كليتان ولكل منهما عنقان وأحد عنقى أحدهما يتصل بالعرق الطالع من حدبة الكبد والثانى من كل منهما يمر مستقلا حتى يصل بالمثانة و يسميان الحالبين وهما مجرا البول (والمثانة) وهى مركبة من جسم عصبانى مضاعف ذى طبقتين من عروق وشريانات وهى وعاء البول وآلة لدفعه وموضعها بين الدبر والعانة وشكلها بلوطى بيضى كيكيس طرفاه حادان ووسطه ذو سعة (تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه فى طريق الاحليل) اعلم أن البول مجيئه من الكلى من الحالبين فاذا بلغ الى المثانة خرق احدى طبقتيها ومر فيما بين الطبقتين حتى يأتى عنق المثانة ثم يخرق الطبقة الثانية فينصب منها الى تجويف المثانة فى منفذ خفى حتى يستره غشاء صغير من ان يسد هذا المنفذ عند امتلاء المثانة من البول لئلا يرجع من حيث جاء وفى عنق المثانة الذى هو مخرج البول ثلاث عطفات وللحيوانات الاخر عطفة واحدة ولهذا يكون تنظيف مثانة الرجال من البول أبطأ (والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى سائر أطراف البدن) فان الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير الى الكبد و ينهضم فيها و يستحيل الى الدم و باقى الاخلاط ثم يمتاز الدم عنها كما فيكون غذاء للاعضاء (ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد) عند التناول (وعرض الكف) أى جعله عريضا (وقسم) فيه (الاصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل) وتسمى أيضا السلاميات وهى عظام صغار يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة بربط (ووضع الاربعة فى جانب والابهام) وحده (فى جانب ليدور الابهام على الجميع) فالعظم الاول من الابهام مربوط بالرسغ لا بالمشط كالاربع الاخر وقيل هو متصل بطرف الزند الاعلى بمفصل واسع سلس لانه يحتاج الى حركة واسعة ليلتقى به الاصابع الاربع (ولواجتمع الاولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر فى وضع الاصابع سوى ماوضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدر وا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا) أى تشبيها بالطبق (وان جمعها) مع بعضها (كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت) مثل (مغرفة) له (وان بسطها وضم أصابعها كانت) مثل (مجرفة له ثم خلق الاظفار) مستديرة (على رؤسها) والظفر اما من العظام واما جسم عظمى موصول بالسلاميات الاخيرة من الاصابع مربوط مع اللحم والجلد برباطات من جنس الاوتار وقد يصير الى الظفر عصب و وريد وشريانات يؤدى اليه الحياة والغذاء (زينة للانامل) وهذا أحد منافع الاظفار (و) الثانية لتكون (عمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع) ولا تهن عند الشد على الشئ (و) الثالثة (ليلتقط بها الاشياء الدقيقة) أى ليتمكن من لقط الاشياء (الصغيرة التى لا تتناولها الانامل و) الرابعة (ليحك بها بدنه عند الحاجة) وهذه الاربعة أولى بنوع الانسان والخامسة ان تكون سلاحا فى بعض الاوقات وهذه أولى بالحيوانات الاخرى وخلق الظفر من عظام لينة ليتطامن تحت ما يصاكه فلا ينصدع (فالظفر الذى هو أخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه) (واليه يشير) قول القائل

ماحك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك
واذا بعثت لحاجـــة * فابعث لاعرفهم بقدرك

(ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب) وفى نسخة الى

ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحل الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ثم فتح في حلمتي الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا

طالب (ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحل الا بعد تعب طويل) ثم لا يشفيه الغليل (ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث) هي الاغشية أحدها المشيمة وهي الغشاء المحيط والثاني الذي ينصب اليه بول الجنين والثالث الذي هو مغص العرق (ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيأ فشيأ ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي) هكذا في النسخ والاولى الجنين فانه هكذا يطلق عليه ما دام في الرحم (لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج اليه) فان الجنين اذا تم خلقه وكمل لم يكتف بما يجيئه من دم الطمث والنسيم ويهرب عن الضيق وقلة الغذاء فيتحرك حركات صعبة قوية وتنهتك أربطة الرحم (ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين) كل منهما مركب من عروق وشرايين وعصب يحشى ما بينها نوع من اللحم غددي (وجمع فيهما اللبن) فيحيل ما في تجويفهما من الدم حتى يصير لبنا كما يحيل لحم الكبد ما يجتذب من المعدة والامعاء حتى يصير بتشبيهه له اياه بنفسه دما (وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورأفته كيف أخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه) جل ثناؤه (كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة) وهذا على القول الصحيح ان الاسنان هي عظام صلبة قابلة للكسر غير مدركة لالم السحق والنحت كما تقدم قريبا وان مادتها التي خلقت منها مني الاب والام ولكن كانت تلك المادة كامنة في عظام الفكين والعلة الغائية في ذلك ان الطفل لا يحتاج الى الاسنان في أول الامر لان غذاءه من اللبن وفكاه صغيران وعظامهما ضعيفة لكون ما نبت منهما مناسبا لها في الضعف والصغر فليف بما يحتاج اليه من المضغ والكسر وغير ذلك الى آخر العمر فالعناية الازلية اقتضت تأخير خروجها ونباتها الى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل والعظم والقوة والصلابة وغيرها (ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية) والرشد (تدريجا) شيأ فشيأ (حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا) بعد ان كان طفلا وصبيا (ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا) وفي كفاية المتحفظ لابن الاجدابي الولد ما دام في بطن أمه فهو جنين فاذا ولد سمي صبيا فاذا فطم سمي غلاما الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج ثم يصير حزورا الى خمس عشرة سنة انتهى وقال الاطباء الاسنان أربعة سن النمو ويسمى سن الحداثة وهو الى قريب من ثلاثين سنة ثم سن الوقوف ويسمى سن الشباب وهو الى أربعين سنة ثم سن الانحطاط ويسمى سن الكهولة وهو الى نحو من ستين سنة ثم سن

الانحطاط و يسمى سن الشيخوخة وهو الى آخر العمر وقد أشار المصنف الى هذه الاربعة وسن الحداثة ينقسم الى سن الطفولة وهو قبل النهوض والى سن الصبا وهو بعد النهوض وقبل الشدة ثم سن الترعرع وهو بعد الشدة وقبل المراهقة ثم سن الغلامية والرهاق الى تبقل وجهه ثم سن الفتى الى أن يقف النمو (اما كفورا واماشكورا واماطيعا أوعاصيامؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بالانسانية كالعنصر والنطفة والمراد بالانسان الجنس لقوله (اناخلقنا الانسان من نطفة) أوالمراد به آدم بين أولا خلقه ثم خلق بنيه (أمشاج) أى أخلاط وتقدم الكلام عليه قريبا (نبتليه) أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره (فجعلناه سميعابصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (انا هديناه السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اماشاكرا) بالاهتداء والاخذبه (واماكفورا) بالاعراض عنه (فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية) وتدهش عقلك (والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أونقشا حسنا على ورق) أوعلى (حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وانه كيف نقشه و) كيف (خطه وكيف اقتدرعليه ولا يزال يستعظمه و يقول ما أحذقه وما أكمل صنعته و) ما (أحسن قدرته ثم ينظر هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلاتدهشه عظمته ولايحيره جلاله وحكمته) وبديع صنعته (فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لايمكن استقصاؤها) ولايحصر انتهاؤها (فهو أقرب مجال الفكر لك وأجلى شاهدا على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لاتعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم تشاركك فى معرفة ذلك) فكل ذلك من خواص البهائم (وانماخاصية الانسان التى حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذبها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين و يحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم) من الاكل والشرب والنوم والجماع والتهور وغير ذلك ومن رضى كذلك (فانه شرمن البهائم) وأخس حالا منها (بكثير اذلاقدرة للبهيمة على ذلك وأماهو فقد خلق له القدرة) التامة على الوصول الى القرب (ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها) اذلم يستعملها فيما تقرب به الى الله تعالى (فاولئك) الذين قيل فى حقهم (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) ومن كلام أمير المؤمنين رضى الله عنه فى صفة خلق الانسان أم هذا الذى أنشأه فى ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا و يقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفرمستكبرا وخبط سادرا ماتحا فى غرب هواه كادحا سعيا لدنياه فى لذات طربه و بدوات أربه لايحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات فى فتنة غريرا وعاش فى هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا ومن كلامه رضى الله عنه أيها المخلوق السوى والمنشأ المرعى فى ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين و وضعت فى قرار مكين الى قدر معلوم وأجل مقسوم تمور فى بطن أمك جنينا لاتحير دعاء ولا تسمع نداء ثم أخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذى الهيئة والادوات فهو من صفات خالقه أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد (واذاعرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك)

اما كفورا أو شكورا اماطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه فى نفسه و يقول ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلاتدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لايمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال الفكر لك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لاتعرف من نفسك الا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك فى معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التى حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذبها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لاقدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك

ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات *(أما الارض)* فمن آياته أن خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها مرقد للاموات قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت من عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الانهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شئ حي فأخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا

ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء أما الارض فمن آياته) الدالة على عظيم قدرته (ان خلق الارض فراشا) أي بساطا وفرشها أي بسطها فعال بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب (ومهادا) وهو بمعناه (وسلك فيها سبلا فجاجا) أي طرقا واضحة واسعة (وجعلها ذلولا) أي لينة منقادة (لتمشوا في مناكبها) أي جوانبها (وجعلها قارة) غير مضطربة (وأرسى فيها الجبال أوتادا تمنعها من أن تميد) أي تتحرك وتضطرب (ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها على الاستيفاء (وان طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا) وقال تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا (وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض) في مواضع متعددة (ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر الاحياء) يستقرون عليه ببناء المساكن فيه (وبطنها مرقد الاموات قال الله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) أي ذات كفت أي ضم وجمع بضمهم أحياء على ظهورها وأمواتا في بطونها وأصل الكفت الضم والكفات الموضع الذي يكفت فيه كل شئ (فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات) قال الله تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب) قال الله تعالى والجبال أرساها وقال تعالى والجبال أوتادا (وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون) قال الله تعالى وفجرنا الارض عيونا (وأسال الانهار تجري على وجهها) يمنة ويسرة (وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا صافيا زلالا) عذبا (وجعل به كل شئ حي) قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي (فأخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح) جمع ريح على غير قياس أو جمع الجمع (يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة) قال الله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب) أم (متى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) كما ضرب الله به المثل (ثم انظر الى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها) يشبه بعضه بعضا (فاذا أنزل عليها الماء) من السماء (اهتزت) أي تحركت بالنبات عند وقوع الماء عليها (وربت) أي زادت زيادة المربي أي المشرف (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي أنواع الاشجار والنبات (ألوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه و) انظر (كيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي) أي يقوم منزلة الغذاء للبدن (وهذا يقوي) الاعضاء الرئيسة والحواس (وهذا يحيي) العليل ويبرئه من مرضه (وهذا يقتل) بسميته (وهذا يبرد وهذا

يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق) أى من أصولها (وهذا يستحيل الى الصفراء) فى الحال (وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم) و يروّقه (وهذا يستحيل دما) خالصا (وهذا يفرح) و ينشط (وهذا ينوّم) و يسكن (وهذا يقوّى وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح) الذى يفلح الارض ويشقها لاستنباته (فى ترتيبه الى عمل مخصوص) فى زمن مخصوص (فالنخل تؤبر) أى تلقح قال أبو حاتم فى كتاب النخلة اذا انشق الكافور وقيل شقيق النخال وهو حين يؤبر بالذكر فيؤتى بشمراخ منه فتنفض فيطير غبارها وهو طحين شماريخ الفحال الى شماريخ الانثى وذلك هو التلقيح (والكرم يكسح) أى يقطع و ينقى و يقلم (والزرع ينقى عنه الحشيش) الاجنبى (والدغل) شبه الحالوم وغيره مما يفسده بقاؤه (و بعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الارض) أى رميه فيها (و بعضه بغرس الاغصان) فى الارض (وبعضه يركب فى الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الايام فى وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات) ومن كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى صفة الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذىّ أمواجها وتصطفق متقاذفات أثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخزيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا مقهورا وفى حكمة الذل منقادا أسيرا وسكنت الارض مدحوّة فى لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ أنفه وسموّ غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها وفرقها فى سهوب بيدها وأخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال فى قطع أديمها وتغلغلها متسربة فى جوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجوّ و بينها وأعد الهواء متنسما لساكنها وأخرج اليها أهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التى تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيى مواتها وتستخرج نباتها ألف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين فزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه فى كففه ولم ينم وميضه فى كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسله سحا متداركا قد أسف هيدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها أخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهى تبهج بزينة رياضها وتزدهى بما ألبسته من ريط أزاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر أنوارها وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج فى آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها ومن كلامه رضى الله عنه وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه أطباقا ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره وأذعن لهيبته و وقف الجارى منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها فارساها فى مراسيها وألزمها قراراتها فمضت رؤسها فى الهواء و رست أصولها فى الماء فانهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها فى متون أقطارها ومواضع أنصابها فاشهق قلالها وأطال انشازها وجعلها للارض عمادا وأرزها فيها أوتادا فسكنت عن حركتها من أن تميد باهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجى راكد لا يجرى وقائم

يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تنبت الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى ترتيبه الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى منه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الارض تحريقا وبعضه بغرس الاغصان وبعضه يركب فى الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الايام فى وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات

(ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض) ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها وبعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا أكلته فيتهنأ عيشك ومامن جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ماخلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذى ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق

(ومن آياته أصناف الحيوانات) وانقسامها الى مايطير والى مايمشي وانقسام مايمشي الى مايمشي على رجلين والى مايمشي على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات ثم انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب مالا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى الفها

لا يسرى تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففى الارض قطع متجاورات مختلفة) قال الله تعالى وفى الارض قطع متجاورات أى بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس (فانظر الى الجبال كيف تخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج) وهو حجر أخضر تشوبه زرقة ويصفر لونه مع صفاء الجو ويتكدر بكدورته يجلب من معادن أرض نيسابور (واللعل) وهو حجر أحمر شبه الياقوت يجلب من معادن أرض بدخشان (وغيرها) كالماس والزمرد والياقوت والعقيق ونحو ذلك (بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب) والفضة (والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا تنطبع كالفيروزج واللعل و) انظر (كيف هدى الله الناس الى استخراجها) من معادنها (وتنقيتها) من أوساخها ثم سبكها (واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها) على أنواع غريبة وأشكال عجيبة (ثم انظر الى معادن الارض من النفط) وهو دهن يخرج من بئر هى معدنه منه مالونه أبيض ومنه مالونه أسود (والكبريت) وهو عين يجرى فاذا جمد ماؤها صار كبريتا أصفر وأبيض وكدرا وأما الكبريت الاحمر فهو من الجواهر المعدنية معدنه فى وادى النمل يضيء بالليل فى معدنه كالنار واذا خرج من موضعه لم يضئ ويدخل فى أعمال الذهب كثيرا ويحمر البياض ويضرب بعزته المثل (والقار) منه بحرى أسود سيال ومنه جبلى يسيل من شجرة (وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام) واصلاحه (ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضى سبخة بجوهرها) أى بطبعها الذى خلق عليه (بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا أكلته فيتهنأ عيشك) اعلم ان الملح أنواع فمنه ملح العجين وهو البحرى والسبخى ومنه الاندرانى الشبيه بالبلور ومنه أسود نفطى ومنه الملح المر ومنه الهندى وهو أبيض فيه حمرة وكلما كان أمر كان احر وأجودها الاندرانى والمحرق أشد تجريقا من غير المحرق والمحتفر أحد من غيره وهو بجميع أنواعه جلاء محلل قابض مجفف يذهب بوخامة البطيخ ويسهل انحدار الطعام ويمنع العفونة (ومامن جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ماخلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذى ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه) ورحمته (ولذلك قال تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (أصناف الحيوانات وانقسامها الى مايطير) فى الجو (والى مايمشي وانقسام مايمشي الى مايمشي على رجلين والى مايمشي على أربع و) الى مايمشي (على عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات) قال الله تعالى منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء قال بعض المحققين وانما اقتصر على أربع ولم يجاوز اشارة الى أنه غاية مااقتضته الحكمة الالهية وأما ماعداها من الارجل التى ترى فى بعض الحشرات فانما هى الزوائد والمتممات والاصلى فيها هى الاربع لا غير (ثم انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب مالا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو أردنا ان نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى الفها

لزوجها وفي ادخارها النفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك) وهي دويبة قصيرة الارجل كثيرة الاعين لها ثمانية أرجل وست عيون اذا أرادت صيد الذباب لطئت بالارض وجمعت نفسها ثم وثبت وتبيض وتحضن وأول ما تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته في ثلاثة أيام ويقوى على النسج ساعة يولد (فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط الى طرفيه ثم يبتدئ ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا ثم اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويرعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصد الوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منه بخيط آخر وبقي منكسا في الهوا ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله) قال صاحب كشف الاسرار قال العنكبوت من حين أولد أنسج لنفسي فاول ما أقتصد زاوية البيت وان كان خربا فهو أحسن ما اويت فاقصد الزوايا لما فيها من الخبايا ولما في سرها من النكت والخفايا وألقي لعابي على حافاتها حذرا من الخلطة وآفاتها ثم أفرد من طاقات غزلي خيطا منكسا في الهواء فاتعلق فيه مسبلا يدي ممسكا برجلي فيظن الغر أني في تلك الحالة ميت لا محالة فتمر الذبابة بي فاختطفها بحبائل كيدي ثم أودعها شبكة صيدي (وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أو لا هادي له ولا معلم أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته) وبطشه (عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله أو صورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات) قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة ألا ينظرون الى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه واتقن تركيبه وخلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفاء اليابس والحجر الجالس ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق كل شئ وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل

لزوجها وفي ادخارها النفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر
فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ ويلقي
اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى وراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصد الوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه فاخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي
أو علمه أو لا هادي له ولا معلم أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر لها
نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم
فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات

لها الحس القوى ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها وتقضى منه شهواتها وخلقها كله لا يكون أصبعا مستدقة فتبارك الذى يسجد له ما فى السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقى بالطاعة اليه سلما وضعفا ويعطى القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره أحصى عدد الريش منها والنفس وأرسى قوائمها على الندى واليبس قدر أقواتها وأحصى أجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طير باسمه وتكفل له برزقه وأنشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها وأخرج نبتها بعد جدوبها وقال على رضى الله عنه فى خطبته يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذى حركات وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت فى اسماعنا دلائله على وحدانيته وماذرأ من مختلف صور الاطيار التى أسكنها أخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسى اعلامها من ذوات أجنحة مختلفة وهيآت متباينة مصرفة فى زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها فى مخاريق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد ان لم تكن فى عجائب صور ظاهرة وركبها فى حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو فى الهواء خفوقا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها فى الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس فى قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس فى لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلق الطاوس الذى أقامه فى أحكم تعديل ونضد ألوانه فى أحسن تنضيد بجناح أشرج قصبه وذنب أطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على راسه كانه قلع دارئ عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضى كافضاء الديكة ويئر بملاقحة ار الفحول المغتلمة أحيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف فى دفتى جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مدارى من فضة وما أنبت عليه من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما أنبتت الارض قلت جنى من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل أو مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل يمشى مشى المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله فى موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية أو كحريرة ملتبسة مرآة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم فى لون الاقحوان أبيض يقق فهو ببياضه فى سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد أخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترا وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات أوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف ألوانه ولا يقع لون فى غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية وأحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن اوتبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز الاوهام عن أن تدركه والالسنة أن تصفه فسبحان الذى بهر العقول عن وصف خلق قد جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا وأعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته فسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة وأى على

وهـذا الباب أيضا لاحصرله فان الحيوانات وأشكالها واخـلاقها وطباعها غير محصورة وانمـا سـقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهـدة نعم اذارأى حيوانا غريبا ولودودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسـه بل لونظر الى الانعام التى الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم وأوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغـذية لهم ثم جعل بعضـها زينة للركوب وبعضـها حاملة للاثقـال قاطعة للبوادى والمفازات البعيـدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصـوّرها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقـه اياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غـير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزيرأو أومشـير فهو العليم الخبير الحكيم القـدير فلقـد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيـده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثنـاء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وانمـا غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنـه ورأفته * (ومن آياته البحار العميقـة المكتنفة لاقطار الارض) * التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادى والجبال من الماء بالاضافـة الى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم الارض فى

نفسه ان لا يضطرب شحمـا أو لج فيه الروح الا وجعـل الحمام موعده والفناء غايته وقال رضى الله عنه فى خطبـة يذكر فيها بدائـع خلقـة الخفاش ومن لطائف صـنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفافيش التى يقبضها الضياء الباسـط لكل شئ ويبسطها الظلام القابض لكل حى وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدى به فى مذاهبها وتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضى فى سبحات اشراقها وأكنها فى أماكنها عن الذهاب فى بلج ائتلافها فهى مسدلة الجفون بالنهار على احداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به فى التماس أرزاقها فلا يرد أبصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضى فيه لغسق دجنته فاذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاح نهارها ودخل اشراق نورها على الضباب فى وجارها أطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاما لها جناحان لم يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد أركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شئ على غير مثال خلا من غيره (وهذا الباب أيضا لاحصرله فان الحيوانات واشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانمـا سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذارأى حيوانا غريبا) فى شكله (ولودودا تجدد) عند رؤيته (تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات) ان تأمل فيه (وليس يتعجب من نفسه) وحينئذ يقال له

أتحسب أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

(بل لونظر الى الانعام التى ألفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها) التى خصها الله بها (من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله تعالى لباسا لخلقه وأكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم وأوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينـة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى والمفازات) قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصوّرها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميـع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر) ومن غير روية (ومن غير استعانة بوزيرأو بمشير) أومدبر (فهو العليم الخبير الحكيم القدير) جل شأنه (فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيـده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليـه بل هو كما أثنى على نفسه) كما قال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (وانمـا غاية معرفتنا الاعـتراف بالعجز عن معرفته) كما قاله الصديق رضى الله عنه (فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته) وبالله التوفيق (ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (البحار العـميقة المكتنفة لاقطار الارض) أى جهاتها (التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميـع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادى والجبال عن الماء بالاضافـة الى الماء كجزيرة صـغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم الارض

فى البحر كالاصطبل فى الارض) قال العراقى لم أجده وقد تقدم (فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض ومافيها) من جبال وحيوان ونبات وغير ذلك (فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب مافيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة الأرض) ولذا قيل حدث عن البحر ولا حرج (ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها فى البحر فيظن انها) لعظمها (جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت) على ظهورها (فتحرك) وتضطرب (و يعلم انه حيوان) ذكره القزوينى فى عجائب المخلوقات والدميرى فى حياة الحيوان وابن بطوطة فى رحلته ومنها سمكة فى بحر الزنج كالجبل العظيم من رأسها الى ذنبها مثل سنان المنشار من عظام سود كل سن منها كذراعين وعند رأسها عظمان طويلان فى مقدار عشرة أذرع تضرب بهما ماء البحر يمينا وشمالا فيسمع له صوت هائل ويخرج الماء من فيها وانفها فيصعد نحو السماء ثم يصعد الى المركب رشاشة كالمطر فاذا دخلت تحت سفينة كسرتها ومنها سمكة تسمى المنارة تخرج على هيئتها فترمى نفسها على السفينة فتكسرها فاذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات تبعد عنهم (ومامن صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو) جمل أو (طير أو بقر أو انسان الا وفى البحر أمثاله وأضعافه) فانسان الماء يشبه الانسان الا ان له ذنبا وقيل ان فى بحر الشام بعض الاوقات من شكله شكل الانسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فاذا رآه الناس استبشروا به بخصب وحكى ان بعض الملوك حمل اليه انسان ماء فاراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فاتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقيل للولد مايقول أبوك قال يقول اذناب الحيوانات كلها فى أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم فى وجوههم وسئل الليث بن سعد عن أكله فقال لايؤكل على شئ من الحالات وفى بحر الروم سمك يقال له بنات الماء شبه النساء ذوات شعور سبط ألوانهن الى السمرة ذات فروج عظام وثدى وكلام لايكاد يفهم و يضحكون و يقهقهون وربما وقعن فى أيدى بعض المراكب فينكحوهن ثم يعيدونهن الى البحر وحكى الرويانى صاحب البحر أنه كان اذا أتاه صياد بسمكة منهن حلفه أنه لم يطأها ونوع من حيوان البحر يقال له الشيخ اليهودى وجهه كوجه الانسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدن ضفدع وشعره كشعر البقرة وهو فى حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فيثب كما يثب الضفدع و يدخل الماء فلا تلحقه السفن اذا تم السبت وقال القزوينى سمك فى البحر يقال له أبو مرينا على صور الرجال بجلود لزجة وأجسام تشاكله يبرزون من البحر الى البر يتشمسون فاذا وقعوا فى أيدى الصيادين بكوا وقال المسعودى النسناس حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء و يتكلم ومتى ظفر بالانسان قتله وقال القزوينى انه أمة من الامم لكل واحد منهم نصف بدن ورأس و يد ورجل كانه شق انسان يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا و يعدو عدوا منكرا ويوجد فى جزائر الصين وحيوانات البحر التى تشبه حيوانات البر كثيرة جدا والقول فيها يطول وانما اقتصرت على ذكر مايشبه الانسان لغرابته وقال أبو حاتم فى كتب الطير طير الماء أكثر من أن يحصى أكثر من مائتى لون والعرب لاتعرف أكثرها وأسماؤها عندنا بالنبطية لانها فى البطائح فى بلاد النبط (وفيه أجناس لايعرف لها نظير فى البر وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر و جمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفه تحت الماء) ومغاصه بحر الهند وعن ابن عباس اذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها قلت وهو مطر مخصوص فى أيام نيسان الرومى (وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر) ومغاصه فى بحر افريقية قال الطرطوشى هو عروق حمر تطلع من الشجر كاصابع الكف قال وهذا شاهدناه بمغارب الارض كثيرا انتهى وتتخذ منها السبح وغيرها من أنواع الاوانى والمذكور فى القرآن هو صغار اللؤلؤ قاله الازهرى وجماعة من أئمة اللغة قيل النون زائدة لانه ليس فى الكلام فعلال بالفتح الا المضاعف نحو الخلخال وقال الازهرى لاأدرى أثلاثى أم رباعى (ثم تأمل ماعلاه من العنبر وأصناف

فى البحر كالاصطبل فى الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم أن الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض ومافيها فتأمل الآن عجائب البحر فان عجائب مافيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ماتشاهده على وجه الارض كما أن سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ماترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فتحرك ويعلم انها حيوان ومامن صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو انسان الا وفى البحر أمثاله واضعافه وفيه أجناس لايعهد لها نظير فى البر وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر جمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تامل ماعداه من العنبر وأصناف

النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرفيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله ماهو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كأنه شئ واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها بذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في تحصيلها لوملك ذلك ثم لو شربها ومنع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والانهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب أما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن أني كونت نفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما تستحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحاتي وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى

التقويس

النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه) والعنبر قطع توجد في بحر الهند تشبه الشمع في جوده وذوبانه وقيل انه روث دابة بحرية وقيل انه زبد البحر وقيل انه من عين يسيل في البحر وتفصل عنه الحلاوة ويطفو الشمع من فوق فهو العنبر الاشهب وربما اتفق أنه يبتلعه السمك المعروف بالبالة لحلاوة فيه فيعرض له قولنج فيموت فيقذفه البحر الى الساحل فتتفرق أجزاء السمك وينعقد ذلك العنبر الاشهب في جوفه فهو العنبر الفستقي وقال القزويني البالة سمكة عظيمة يخاف منها أهل السفن فاذا بغت على حيوان البحر بعث الله لها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا تفارقها فتطلب قعر البحر وتضرب الارض برأسها الى أن تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم ولها أناس يرصدونها فاذا رأوها جروها بالكلاليب الى الساحل وشقوا بطنها واستخرجوا منها العنبر (ثم انظر الى عجائب السفن) وما فيها من غرائب الصنائع كيف هدى الانسان الى تركيبها على هذا الوجه المشاهد وهي ما بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة (كيف أمسكها الله على وجه الماء ويسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم) من البضائع والمؤن الثقيلة (ثم أرسل الرياح لتسوق السفن) الى المواضع المقصودة (ثم عرف الملاحين) وهم خدمة السفن نسبوا الى البحر الملح لملازمتهم اياه (موارد الرياح ومهابها ومواقيتها) حتى قيل انه علم نفيس مع قوم مناحيس (ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك) كله (ماهو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كأنه شئ واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل الانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات) قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي قال الحراني وهو أول ظاهر للعين من اشباح الخلق (فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا شربها ومنع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها والاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والآبار والانهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها) أي أصواتها (قائلة لكل ذي لب أما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن اني كونت بنفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بانه صفة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه) وعظمة خالقه (وتقول النطفة) الانسانية (لارباب السمع والقلب) الذين يسمعون فيعون ويرون فيعتبرون (لا الذين هم عن السمع معزولون) قال الله تعالى انهم عن السمع لمعزولون أي ممنوعون بعد ان كانوا ممكنين (توهموني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي) وهو بعد مضي مائة وعشرين يوما من الحمل (فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى

التقويس يظهر) على التدريج (شيأ فشيأ ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم أفهذا النقاش بأعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة ولو نظرت الماهرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له) في ذاته (ولا يساويه نقاش ومصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك) لهذا (فانه أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح) والانكشاف (ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه) أي حقيق (فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه) مشاهدة عيانية مصونة عن الحلول والاتحاد (وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه) فهم عن مشاهدته محجوبون (فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه) جل شأنه وعز برهانه (ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (الهواء) بالمد (اللطيف المحبوس) المسخر (بين مقعر السماء ومحدب الارض) والجمع أهوية (لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومسقطة) وتحليق الطائر استدارته في الهواء واسفافه ضم جناحيه (سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته) كما قرئ به أي منشورة في الجو بمعنى مبسوطة والرياح تنشر السحاب (كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح لواقح) أي ذوات لقاح (فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدا (في يوم نحس مستمر) النحس ضد السعد وقرأ الحسن البصري بالتنوين وكسر الحاء وعنه أيضا على الصفة والاضافة والحاء مكسورة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي منقلعة من قعرها يقال قعرت الشجرة اذا قلعتها من أصلها فانقعرت وقيل معنى انقعرت ذهبت في قعر الارض وانما أراد الله تعالى ان هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخلة الذاهب في قعر الارض فلم يبق له رسم ولا أثر (ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه) أي يثقل ويصير الى الاسفل (فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء ولا يرسب فيه لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل

التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم أفهذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت الماهرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه * (ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض) * لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل

عن السطح الداخل من السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بقعرها تتشبث باذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن الى جملة ذلك فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما وأشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه اذ لا مطمع فى استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء الى أن يأذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاوّلون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذى أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج

كالقطن

عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى) أى السقوط (فى البئر فالسفينة بقعرها تتشبث باذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد فى المحسوس و) لا (عقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجوّ وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن الى جملة ذلك فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما) فهذا على طريق الاجمال (وأشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض) والمسخر هو المقيض للفعل (وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر) وذلك فى آيات كثيرة (فان لم يكن لك حظ فى هذه الجملة الا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع فى استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جوّ صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جوّ السماء الى أن يأذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراد الله تعالى وعلى الشكل الذى شاء فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة) فان قيل لم كانت نقطة المطر ترى فى الجوّ خطا وانما هى نقطة والجواب ان لذلك سببين أحدهما ان الماء يمر بالهواء فيكيفه بكيفيته فيصير نديا كانه ماء فيرى كما يرى الشهاب المحرق للشياطين عند استراقهم السمع فى الهواء فيرى خلفه حبل نار بسبب أنه مر بالهواء فيكيفه بناريته فصار يرى نارا السبب الثانى ان حركة القطرة فى الهواء تمنع من استيثاق الحس انفصالها عن الاحياز فيبقى البصر فيتوهمها باقية فى حيزها مع خروجها عنه فيحصل خط من الماء ومثل ذلك من يأخذ شعلة من نار فى يده ويديرها ادارة شديدة فيتوهم الرائى انها دائرة نار لهذين السببين (فلو اجتمع الاوّلون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذى أوجدها) وخلقها (ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية فى ناحية الجبل الفلانى يصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع ما فى انعقاد البرد) محركة (الصلب) شبه الحصا ينزل من السماء ويسمى حب الغمام (من الماء اللطيف) السيال (وفى سائر الثلوج

كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر الى أعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف (٢٠٩) الاشجار شيأ فشيأ بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الاوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها الى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب وان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل*(ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب)* وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وكقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها

كالقطن المندوف) المنفوش (من العجائب التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين) المصدقين (من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته) وذلك لحسن ايقانهم فى معرفة مصنوعاته (ولا للعميان الجاحدين) المنكرين (الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء) من فوق (لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله) والثقيل بطبعه لا محالة يهوى الى تحت (ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها) كما يقول ان الحجر اذا رمى الى فوق فبقدر قوة الرامى يصعد الى فوق ثم يغلب عليه طبعه فيهوى ساقطا (ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر الى أعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى أسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار) على التدريج (شيأ فشيأ بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الاوراق) من سائر أغصان الشجر (فيغذى كل جزء من ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار) أى تشبه الشعر فى الدقة (يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورق عروق صغار) تمتد منه (فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه) من تلك العروق (جداول ثم يتشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم تنتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة) جدا (تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها الى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها) بحيث لو قطع ذلك الامداد ليبس وسقط (وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل) كما يقوله الطبائعى الجاهل (فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب) كما يقوله الطبائعى أيضا (فما الذى سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه فى أول الامر فنهاية الجاهل فى بداية العاقل ومن آياته) الدالة على عظيم قدرته (ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن أدرك الكل وفاته) درك (عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر وأصغر) من القطرة (ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع) منها (وكم من قسم فى القرآن بها) فالمقسم به عظيم فى نفسه ولولاه لما أقسم بها (كقوله تعالى والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب وقوله تعالى (والسماء والطارق) أى الكوكب البادى بالليل وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب وقوله تعالى (والسماء ذات الحبك) أى الطرائق المنظومة بالنجوم والمجرة ومنهم من اعتبر ذلك بالطرائق المعقولة المدركة بالبصائر المشار اليه بقوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقوله تعالى (والسماء وما بناها وقوله) تعالى (والشمس وضحاها) أى ضوئها اذا اشرقت (والقمر اذا تلاها) أى

وكقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الارزاق عليه وأضافها اليه فقال تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون وأثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون فى خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أى تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاى نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهى متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال سبحانه وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن أن معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك فى هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشئ من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فاجل أيها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها الى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب

رضى

تلألؤه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو فى الاستدارة وكمال النور (وكقوله) تعالى (فلا أقسم بالخنس) أى بالكواكب الرجع وهى ما سوى النيرين من الكواكب السائرات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) أى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه (وقوله) تعالى (والنجم اذا هوى) أى أقسم بجنس النجم خاصة أو الثريا اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى بالفتح اذا سقط وغرب (وقوله) تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم) أى بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلائل على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (فقد علمت ان عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الارزاق عليه وأضافها اليه فقال وفى السماء رزقكم وماتوعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون فى خلق السموات والارض) ربنا ما خلقت هذا باطلا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته) رواه الديلمى من حديث عائشة بلفظ ثم لم يتفكر فيها وقد تقدم قريبا (أى تجاوزها من غير تفكر) وقد تقدم نحوه عن الاوزاعى (وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) أى لا يتفكرون فيها (فاى نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال) تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أى ذات صلابة (وقال) تعالى (أأنتم أشد خلقا) أى أصعب (أم السماء) ثم بين شدته بقوله (بناها) ثم بين كيفية بنائه بقوله (رفع سمكها) أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا (فسواها) أى عدلها أو جعلها مستوية أو تممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتدابير وغيرها من قولهم سوّى فلان أمره اذا أصلحه (فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم تشاركك فى هذا النظر) فان قلت لم كانت السماء ترى زرقاء وهى عند أهل الهيئة لا لون لها فالجواب انها غير مرئية وما لا يرى يرى مظلما كما ان الاعمى اذا سئل ماذا ترى يقول ظلام أسود واذا كانت بهذا الطريق سوداء وتحتها الهواء شفاف مضئ والبصر يخترقه فتراه كأنه فى السماء كما يتوهم الرطوبة فى الشتاء فى الكواكب فيحصل من صفاء الهواء وظلمة البصر فى السماء زرقة لان شأن اختلاط الاسود بالصافى (فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى) فى كتابه العزيز (ابراهيم) عليه السلام (بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشئ من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) وكل ذلك فى القرآن (فاطل أيها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها) وتعتبر بما فيها (الى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن) ملاحظا جلاله وعزه وكبرياءه (فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي) وهكذا تكون الرؤية القلبية (وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسى والسموات والارض وما بينهما) العزيز القهار جل جلاله (فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح) أى الواسعة الاطراف (والمسافات الشاسعة) أى البعيدة (والعقبات الشاهقة) أى المرتفعة الصعبة (وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة) بالاضافة الى بقية العقبات (وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك) وقلة حيائك (وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها فى الحركة على الدوام من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل) معلومة (مرتبة) ترتيبا غريبا (بحساب مقدر لا تزيد ولا ينقص الى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب) كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (وتدبر عدد كواكبها وكثرتها) وعلماء الاوائل لما أرادوا تمييزها قسموا الفلك نصفين بالدائرة التى هى مجرى رؤس برجى الاستواء وهما الحمل والميزان وسموا أحد النصفين جنوبيا والآخر شماليا وسموا ما وقع منهما من الكواكب والمنازل كذلك وسمت العرب الشمالية شامية والجنوبية يمانية فمن الشمالية بنات نعش الصغرى وهى سبعة كواكب أربعة مربعة منها الفرقدان وكوكبان آخران معهما ومنها بنات نعش الكبرى وهى أيضا سبعة كواكب الاول من البنات الذى هو فى الطرف يسمى القائد والاوسط العناق والثالث والذى يلى النعش الجون والى جانب الاوسط كوكب صغير يقال له السهى والعيدق وبالقرب من الفرقدين كوكبان مقترنان بينهما رأى العين نحو قامة اذا اعترض الفرقدان انتصبا واذا انتصب الفرقدان اعترضا يسميان الحرين والذئبين والعوهقين وقدامهما كواكب تسمى أظفار الذئب ومنها كوكبان فوق الجدى يسميان الفرق وعند الاعلى منهما كواكب صغار مستديرة تسمى القدر ومنها الاثافى وهى كواكب ثلاثة أسفل من القدر ومنها القرحة وهى كوكب أسفل من الفرق وهى قبلة الكوفة ومنها الهلبة وهى كواكب ملتفة متقاربة كأنها الثريا وتسمى أيضا السنبلة ومنها كوكب الاسد وهو منفرد فيما بين الهلبة وبين البنات من بنات نعش الكبرى ومنها الصرفة وهو كوكب نير منفرد على أثر الزبرة ومنها النوافذ وهى كواكب ثلاثة كل نفرة منها كوكبان متقاربان وتسمى أيضا القرائن والثعيلبات ومنها الظباء وهى كواكب خفية مستطيلة مثل الحبل الممدود من الهلبة الى العيوق وهنالك العوائذ وهى كواكب أربعة مربعة فى وسطها كوكب سحابى كأنه لطخة غيم يسمى الربع ومنها الفكة وهى كواكب مستديرة فيها فرجة والعامة تسميها قصعة المساكين وبالقرب منها رؤية السماك وهو كوكب منتبذ يعارضه كوكب بالقرب منه كأنه عذبة فى رمح وكذلك قيل له الرامح وذو السلاح ويقال لما بين النسقين الشامى واليمانى الروضة وفى داخلها كوكب أبيض منفرد يقال له الراعى وبالقرب منه كواكب صغار يقولون هى غنمه يرعاها فى الروضة وفى اضعاف تلك الكواكب كوكب صغير وباص يقولون هو كلبه ومنها النسر الواقع وهو كوكب أزهر خلفه كوكبان كأنهما واياه أثافى قدر وهناك نسر آخر يقال له الطائر وهى ثلاثة كواكب مصطفة والاوسط منها هو أنورها ومنها الفوارس وهى كواكب أربعة مصطفة وراء النسر الواقع ووراءها كوكب أزهر منفرد وسط المجرة يسمى الردف ومنها الصليب وهى كواكب أربعة متقاربة مصلبة النظم بالقرب من النسر الطائر وتسمى أيضا القعود ومنها كف الثريا الخضيب وهى خمسة بيض مختلفة النظم

رضى الله عنه حيث قال رأى قلبى ربى وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وأدنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسى والسموات والارض وما بينهما فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر والى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها فى الحركة على الدوام من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها

وراء الردف وهى أيضا سنام الناقة وتحت الكف الخضيب كواكب غير مبينة النظام هى جفرة الناقة
وهناك لطخة سحابية هى وسم الناقة و وراء الكف الخضيب العيوق وهو كوكب عظيم نير فى حاشية المجرة
و وراء العيوق كواكب ثلاثة زهر مصطفة منفرجة متقوسة تسمى توابع العيوق والاعلام ومنها العاتق
وهو كوكب نير بالقرب من الثريا ثم المنكب ثم المرفق وتحت المرفق كوكب صغير يسمى ابرة المرفق ويقال
لما بين المرفق والمنكب عضد الثريا وبعد المرفق المعصم ويقال لما بين المرفق والمعصم الساعد والسو يعد
وهناك كوكب بين فى صورة مثلثة يسمى رأس الغول وبالقرب منه كوكب نير منفرد يسمى عناق الارض
وعند بنات نعش كواكب يقال لها الحية وعند أسفله كوكب أحمر يقال له الذيخ وهناك كواكب أخر يقال
لها الضباع وأولاد الضباع كواكب صغار عن يمين الضباع والشاء كواكب صغار بين القرحة والجدى
والراعى كوكب أنور من كواكب الشاء والخباء كواكب أسفل من الحوض وخلف العاتق كوكبان يسميان
المزحف والبرجيس وهما تحت المجرة فهذه جملة الكواكب المشهورة من الشآمية وأما الكواكب
اليمانية فمنها منكبا الجوزاء الايمن منهما كوكب أحمر وهو مرزم الجوزاء والايسر يسمى الناجذ وفى وسط
الجوزاء كواكب بيض ثلاثة تسمى النظم ومنها رجل الجوزاء اليمنى كوكب أبيض صغير واليسرى كوكب
أبيض وباص أكبر من اليسرى وتحت كل واحد منهما كواكب أربعة تسمى كرسى الجوزاء وفوق رأس
الجوزاء كواكب صغار تسمى تاج الجوزاء وذوائب الجوزاء ومنها الشعرى العبور وهو كوكب عظيم
وباص أسفل الجوزاء على اليسار وهناك ثلاثة كواكب بيض مختلفة التثليث تسمى عذرة الجوزاء
وخمسة أخرى تسمى العذارى وهى فى حاشية المجرة ومنها الخيل وهى كواكب أكثر من العشرة نيرة وفيها
ستة فى ثلاثة أمكنة متفرقة فى كل مكان منها كوكبان وبين كواكب الخيل كواكب صغار تسمى افلاء
الخيل وهى كلها بين يدى الشولة فوق المجرة وأسفل من شولة العقرب كواكب تسمى القبة وبين الزبانيين
وبين عرش السماك كواكب مجتمعة نيرة على غير نظم تسمى الشماريخ ومنها سهيل وهو كوكب عظيم
منير أحمر منفرد عن الكواكب ولقرب مجراه من الافق تراه أبدا كانه يضطرب وهو فى سمت الشعرى
العبور وفى مجرى سهيل كوكبان يقال لهما احضار والوزن وهما يطلعان قبل سهيل وفى مجرى قدمى سهيل
كواكب زهر تسمى الاعيار ومنها السعودات وهى ستة متناسقة فى جهة الدلو وكل سعد منها كوكبان
وهى كواكب خفية غير نيرة منها سعد ناشرة ثم سعد الملك ثم سعد البهام ثم سعد الهمام ثم سعد البارع ثم سعد
مطر ومنها الشراسيف وهى كواكب مستطيلة مثل الحبل وبعدها كواكب مستديرة متبددة يقال لها
المعلف ومنها الصردان واليمامتان والقطا والظليمان ومنها السفينة وهى كواكب خفية متتابعة مقدمها
عند سعد الهمام ومؤخرها عند السمكة وفى مقدمها الضفدع الاولى وفى مؤخرها الضفدع الثانية فهذه
مشاهير الكواكب اليمانية وقد ميز قدماء العلماء كواكب السماء على وجه الدهر فجعلوها فى منازل
سبعة من الاقدار فجعلوا كبارها فى القدر الاول وهى التى تسميها الدرارى والزهرة والشعرى العبور وهما
أنور نجوم السماء والذى أحصى العلماء من درارى النجوم كلها سوى الخمسة المتحيرة خمسة عشر كوكبا
وهى التى فى القدر الاول من العظم وهى الشعريان وسهيل والمحنث والعيوق والسماكان والدبران وقلب
الاسد والنسر الواقع والصرفة ومنكب الجوزاء ورجلها ومادون هذه وهى فى القدر الثانى من العظم
خمسة وأربعون كوكبا وهى كالفرقدين وبنات نعش الكبرى والردف ورأس الغول والعناق وقلب
العقرب والنسر الطائر وثلاثة من العراقى وكوكبي الذراع المبسوطة وثلاثة كواكب من الجبهة والفرد
واشباه هذه مما تركنا ذكره لقلة الحاجة اليه فى هذا الموضع وكذلك تركنا ذكر سائر ما فى الاقدار الباقية لان
هذا الكتاب ليس من مواضع ذكرها وأما المجرة فهى أم النجوم لكثرة عدد نجومها وتسمى أيضا القديمة
(و) انظر الى (اختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة) كانه شعلة نار (و بعضها الى البياض) الناصع

واختلاف ألوانها فبعضها يميل الى الحمرة و بعضها الى البياض

وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان ومامن صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولا طبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما

(وبعضها الى اللون الرصاصي) كأنه لطخ سحاب كما تقدم ذلك (ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد) والسرطان والجدي والحوت وهي البروج السبعة (والانسان) قال الدينوري ويشبه الجوزاء بصورة الانسان في المنظر وهو البرج الثالث وقد تقدم ذكر كواكب الجوزاء (ومامن صورة في الارض الا ولها مثال في السماء) ويزيد صورا كثيرة لا يوجد لها مثال في الارض (ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها خالقها) جل وعلا (ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار) واختلافهما من الآيات (ولم تعرف المواقيت) قال الله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس (ولا طبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء (والنهار معاشا) أي وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر قال لو ان الشمس تجري مجرى واحدا ما انتفع أحد من أهل الارض بشئ منها ولكنها تحلق في الصيف وتعترض في الشتاء فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لانضجهم الحر ولو انها طلعت مطلعها في الصيف في الشتاء لقطعهم البرد (وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص) فيدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة ويولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر وذلك بحسب مطالع الليل ومغاربه (وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان) اعلم ان مشرق الشمس في أطول يوم في السنة وذلك قريب من مطلع السماك الرامح وكذلك مغرب الصيف هو على نحو ذلك من مغرب السماك الرامح ومشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة وهو قريب من مطلع قلب العقرب وكذلك مغرب الشتاء هو على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب فمشارق الايام ومغاربها في جميع السنة هي كل ما بين هذين المشرقين والمغربين فاذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنة لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع فتطلع كل يوم من مطلع فوق مطلعها بالامس طالبة مشرق الصيف فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين وذلك عند استواء الليل والنهار في الربيع فذلك مشرق الاستواء وهو قريب من مطلع السماك الاعزل ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع الى أن تبلغ مشرق الصيف الذي بيناه فاذا بلغته كرت راجعة في المطالع منحدرة نحو مشرق الاستواء حتى اذا بلغته استوى الليل والنهار في الخريف ثم استمرت منحدرة حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي بيناه فهذا دأبها وكذلك شأنها في المغارب على قياس ما ذكرنا في المطالع (وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من أجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده) والمراد بوسط السماء المجرة المسماة بام النجوم وهي دائرة متصلة اتصال الطوق وتسمى أيضا منطقة الفلك (وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما

من التفاوت فى كبر الارض فانت تعرف كبر الارض واتساع أطرافها آنه لا يقدر آدمى على أن يدور بجوانبها قد اتفق الناظرون) أهل النظر من علماء الاوائل (على ان الشمس مثل الارض مائة ونيف وستون مرة) قال الدينورى يقال ان الارض جزء من مائة وستة وسبعين جزأ من الشمس والقمر جزء من ستة ألف وثلاثمائة وستة وثلاثين جزأ من الشمس (وفى الاخبار مايدل على عظمها) قال العراقى روى أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رأى رسول الله الشمس حين غربت وقال فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لاهلكت ماعلى الارض وفيه من لم يسم وللطبرانى فى الكبير من حديث أبى امامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شئ الا أحرقته انتهى قلت حديث عبد الله بن عمرو أخرجه كذلك ابن أبى شيبة وابن منيع وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه بلفظ لاحرقت بدل لاهلكت وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه من حديث أبى ذر قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم وهو على حمار فرأى الشمس حين غربت فقال أتدرى حين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب فى عين حامئة وأما حديث أبى امامة فاخرجه كذلك أبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه فى التفسير (والكواكب التى تراها) بعينك (أصغرها مثل الارض ثمان مرات وأكبرها ينتهى الى قريب مائة وعشرين مرة من الارض) قال الدينورى يقال ان القمر جزء من ستة وثلاثين جزأ من الارض والارض جزء من مائة وستة وسبعين جزأ من الشمس (وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها) عن الارض (اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفى الاخبار ان بين كل سماء الى أخرى مسيرة خمسمائة عام) قال العراقى رواه الترمذى من رواية الحسن عن أبى هريرة وقال غريب قال ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبى هريرة ورواه أبو الشيخ فى العظمة من رواية أبى نصر عن أبى ذر ورجاله ثقات الا أنه لا يعرف لابى نصر سماع من أبى ذر انتهى قلت وقد رواه البزار كذلك فيما أخبر به عمر بن أحمد بن عقيل أنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أنبأنا على بن يحيى أنا يوسف بن عبد الله أخبرنا عبد الرحمن بن أبى بكر الحافظ قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الحسن الانصارى شفاها عن ابراهيم بن أحمد المقرى عن أحمد بن أبى طالب أنبأنا جعفر ابن على عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمى أخبرنا أبو محمد بن عتاب حدثنى أبى أنبأنا سليمان بن خلف اجازة أنبأنا أبو عبد الله بن الفرج أخبرنا محمد بن يحيى بن حبيب حدثنا الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا محاضر هو ابن المورع حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى نصر عن أبى ذر رفعه كثف الارض مسيرة خمسمائة عام وبين الارض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام وكثفها مثل ذلك وكثف الثانية مثل ذلك ومابين كل أرض مثل ذلك الى أن قال ثم مابين السماء السابعة الى العرش مثل ذلك هذا حديث رجاله ثقات أخرجه اسحق بن راهويه فى مسنده عن أبى معاوية عن الاعمش به قال البزار ولا نعلمه عن أبى ذر الا بهذا الاسناد وأبو نصر أحسبه حميد بن هلال ولم يسمع من أبى ذر انتهى قلت وقيل مجذر بن شيبة وقيل لا يعرف وهو من رجال النسائى وروى أحمد والترمذى وقال غريب والنسائى وابن ماجه وابن حبان وأبو الشيخ فى العظمة وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى البعث والضياء فى المختارة من حديث أبى سعيد فى تفسير قوله تعالى وفرش مرفوعة والذى نفس محمد بيده ان ارتفاعها كما بين السماء والارض وان مابين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام وروى أحمد فى مسنده من حديث العباس رضى الله عنه هل تدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة الحديث (فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التى الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك انها

من التفاوت فى كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع أطرافها انه لا يقدر آدمى على أن يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق المناظرون على أن الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفى الاخبار مايدل على عظمها ثم الكواكب التى تراها اصغرها مثل الارض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفى الاخبار أن مابين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض اضعافا فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التى الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها

في

فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء من كوكب الى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال النبى له صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها فى حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم (٢١٥) كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الارض التى هى أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا أنه بيت ربك هو الذى انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على ان تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك فى مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجوارى والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك

فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع أول جزء من كوكب الى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا الى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام) هكذا ذكره صاحب القوت وقد تقدم فى آداب السفر وقال العراقى لم أجد له أصلا (فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم) جل جلاله (كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها) وبعد أقطارها (فى حدقة العين) الباصرة (مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها) فسواها (ثم أمسكها) عن أن تقع على الارض (من غير عمد ترونها) ولا اسناد يسندها (ومن غير علاقة من فوقها) يجرها (وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب انك تدخل بيت غنى) من ذوى الاموال (فتراه مزوقا بالصبغ) المختلف (مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه) وأنواع مزخرفاته (ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذى تصفه) وتذكر محاسنه (بل ذلك البيت أيضا جزء من الارض التى هى أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا أنه بيت ربك هو الذى انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك) بانواع الاطعمة (ولا تقدر أن تأكل عشر عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك فى مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا) بل عاجزون عن ذلك كله (وقد يكون فى بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك) وماله على مالك (وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك) جل جلاله (وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجوارى والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك

الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لاقدرة لها على المجاوزة بالنظر من نفسها وغذائها وبيتها وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فانت أيضا) أيها المسكين (غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سماواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه) ومن كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا سكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نهارها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن ترد ما شاع فى السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج فى بقاع الارضين المتطاطئات ولا فى يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد فى أفق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما يسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء يعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفى البعوضة من قوتها وما تحمل من أنثى فى بطنها وقال رضى الله عنه فى صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها وأقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وأمسكها من ان تمور فى خرق الهواء بائده وأمرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها وأجراهما فى مناقل مجراهما وقدر سيرهما فى مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق فى جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقى السمع بثواقب شهبها وأجراهما على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها وقال رضى الله عنه فى صفة الملائكة ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته ملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق أجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولى أجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيأ معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون جعلهم فيما هنالك أهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع أمره ونهيه وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وأمدهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة وفتح لهم أبوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده ولم تثقلهم موصرات الآثام ولم ترتحلهم عقب الليالى والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته فى أثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع بريبها على فكرهم منهم من هو فى خلق الغمام الدلح وفى عظم الجبال الشمخ وفى قترة الظلام الابهم ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الارض السفلى فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووسلت حقائق الايمان

الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فانت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه

بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ماعنده الى ماعند غيره قدذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ماسلف عنهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات ألسنتهم ولاملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجبر اليه أصواتهم ولم تختلف فى مقادم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير فى أمر رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولاتنتضل فى هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لايقطعون أمد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الاالى موادمن قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوافى جدهم ولم تأسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعى على اجتهادهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاءمنهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا فى ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولاتولاهم غل التحاسد ولاشعبتهم مصارف الريب ولااقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفككهم من ربقته زيغ ولاعدول ولاونى ولافتور وليس فى اطباق السموات موضع اهاب الاوعليه ملك ساجد أوساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم فى قلوبهم عظما اه

(فصل) فى ذكر ماورد فى الاخبار من ذكر ملائكة الملكوت الاعلى روى ابن مردويه من حديث ابن عباس اطت السماء ويحق لها ان تئط والذى نفس محمد بيده مافيها موضع شبر الاوفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده وروى أبوداود وابن ماجه من حديث عباس بن عبد المطلب فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل مابين السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل مابين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش من أسفله وأعلاه مثل مابين سماء الى سماء فوق ذلك وروى أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الشعب والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته مامنهم ملك تقطر من عينيه دمعة الاوقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجود امنذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وملائكة ركوعا لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا اليه وقالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغى لك وروى الديلمى من حديث ابن عمران لله تعالى ملائكة فى السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ولله ملائكة فى السماء الثانية ركوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ولله ملائكة فى السماء الثالثة سجودا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وروى ابن بلال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس ان الله عز وجل أملاكا خلقهم كيف شاء وصورهم على ماشاء تحت عرشه ألهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى كل يوم مرتين ألامن وسع على عياله وجيرانه وسع الله تعالى عليه فى الدنيا ألامن ضيق ضيق الله عليه الاان الله قد أعطاكم لنفقة درهم على عيالكم سبعين قنطارا والقنطار مثل أحد وزنا انفقوا ولاتجمعوا ولاتضيقوا ولاتقتروا وليكن أكثر نفقتكم يوم الجمعة وروى أبو الشيخ فى العظمة من حديث جابران لله تعالى ملائكة مابين شحمة أذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران ورواه ابن عساكر بلفظ ان لله ملائكة وهم

الكروبيون من شحمة اذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع فى انحطاطه وروى الديلمى من حديث ابن عباس ان لله ملكا نصف جسده الاعلى ثلج ونصفه الاسفل نار ينادى بصوت رفيع سبحان الله الذى كف حر هذه النار فلا يذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار اللهم يا مؤلفا بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك وروى الديلمى من حديث أنس ان لله تعالى بحرا من نور وحوله ملائكة من نور على خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح فمن قالها فى يوم أوشهر أوسنة مرة أوفى عمره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أومثل رمل عالج أوفر من الزحف (ولنقبض عنان الكلام على هذا النمط فانه مجال) واسع (لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه) فهو (قليل نزر حقير بالاضافة الى ماعرفه جملة العلماء والاولياء) والصالحين (وما عرفوه) فهو (قليل نزر حقير بالاضافة الى ماعرفه الانبياء) عليهم السلام (وجملة ما عرفوه) فهو (قليل بالاضافة الى ماعرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم فهو قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون) فى حضرة القدس (كاسرافيل وجبريل وغيرهما) عليهم السلام وهذا يشعر بتفضيل الملائكة على الانبياء وهو مذهب المصنف ولائمة السنة فيه خلاف مبسوط فى محله (ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب) اذ لا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الا من له مثل علمه وليس ذلك الا له تعالى فلا يعرفه سواه تعالى وتقدس وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق البتة فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقة أصلا بل ايهامية تشبيهية فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم معرفته البتة وانه يستحيل ان يعرف المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى (فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة (فهذا بيان معاقد الجمل التى يجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى) وقال صاحب القاموس فى البصائر نقلا عن المشايخ الفكرة فكرتان فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة وفكرة تتعلق بالطلب والارادة فالتى تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة الضمير بين الحق والباطل والثابت والمنفى والفكرة التى تتعلق بالطلب والارادة هى الفكرة التى تميز بين النافع والضار ثم تترتب عليها فكرة أخرى فى الطريق الى حصول ما ينفع فيسلكها وطريق ما يضر فيتركها ولهم فكرة فى عين التوحيد وفكرة فى لطائف الصفة وفكرة فى معانى الاعمال والاحوال فهذه ستة أقسام لا سابع لها هى مجال أفكار العقلاء فالفكرة فى التوحيد استحضار أدلته وشواهده الدالة على بطلان الشرك واستحالته وان الالهية يستحيل ثبوتها لاثنين كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين فكذلك أبطل الباطل عبادة اثنين والتوكل على اثنين بل لا تصلح العبادة الا للاله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار اه (ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته) أشار به الى ان اتساع المعرفة انما يكون فى معرفة أسمائه وصفاته وفيها تتفاوت درجات الملائكة والانبياء والاولياء فى معرفته وهذا أيضا لا يعرفه بالكمال فى الحقيقة الا الله تعالى (و) لكن (كلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم) أى كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع فى ملكوت الارض والسموات كان حظه من معرفة صفة القدرة أوفر وأتم لان الثمرة تدل على المثمر وهذا (كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أوشعره) وتزداد احاطة بتفاصيل علومه فيها (فتزداد به

ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ماعرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ماعرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة الى ماعرفه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ماعرفوه قليل بالاضافة الى ماعرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا أضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو الى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التى تجول فيها فكر المتفكرين فى خلق الله تعالى وليس فيها فكر فى ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر فى الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أوشعره فتزداد به

معرفة

معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره تزيده محلا فى قلبك ويستدعى التعظيم له فى نفسك فهكذا تأمل فى خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل مافى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما لكل عبد منهما بقدر مارزق) والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوتا لا يتناهى ومن هنا تعرف ان من قال لا أعرف الا الله فقد صدق ومن قال لا أعرف الله فقد صدق فانه ليس فى الوجود الا الله تعالى وأفعاله فاذا نظر الى أفعاله من حيث هى أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث انها سماء وأرض وشجر بل من حيث انها صنعه فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه ان يقول ما أعرف الا الله وما أرى الا الله ولو تصوّر شخص لا يرى الا الشمس ونورها المنتشر فى الآفاق يصح ان يقول ما أرى الا الشمس فان النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجا عنها وكل مافى الوجود نور من أنوار القدرة الازلية وأثر من آثارها وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير فكذلك المعنى الذى قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس فى الوجود الا الله تعالى فيجوز ان يقول العارف لا أعرف الا الله تعالى ومن العجائب ان يقول لا أعرف الا الله تعالى ويكون صادقا ويقول لا أعرف الله ويكون أيضا صادقا ولكن ذلك بوجه وهذا بوجه ولا تناقض فيه لاختلاف وجوه الاعتبارات (فلنقتصر على ماذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه فى كتاب الشكر فاذا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فضل الله تعالى من حيث هو احسان وانعام علينا وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله) وصنعه (فقط وكل مانظرنا فيه فان الطبيعى) الذى يذهب الى تأثير الطبائع فى الاشياء (ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته) لقصوره على تاثير الطبائع عن بارئها جل وعز (والموفق) العارف (ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته) لانه لا ينظر فى الوجود الا الله وصنعه (ومامن ذرة فى السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء فمن نظر فى هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته) واهتدى وكان مقامه فيها أتم (ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقى وارتدى) وسلك سبيل الردى (فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة) أى موقع زلل (أقدام الجهال بمنه) تعالى (وفضله وجوده ورحمته) آمين وبه تم كتاب التفكر والحمد لله رب السموات والارضين والصلاة والسلام على حبيبه محمد المرسل الى كافة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين قد نجز الفراغ عن شرحه فى السادسة من نهار الاثنين لاربع بقين من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١ اللهم اختم بالصالحات أعمالنا وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسينى غفر الله له بمنه حامدا الله مصليا مسلما آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله مقدر الموت على العباد * ومحذر الفوت لينتهزوا فرصة الاجتهاد * وجاعل موت المسلمين وسيلة الى لقائه * ومدخلا فى دار احسانه وحسن جزائه * ومعراجا تعرج به أرواحهم الى حضرة القدس * ومخرجا يتروحون فيه من غموم الدنيا بنفحات القرب والانس * أحمده على حسن بلائه لنا فى الموت والحياة وأشكره على توفيقه لشهود حسن اختياره للمؤمنين فى كل ماقدره وامضاه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الا اياه * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذى اصطفاه بالتفضيل على سائر خلقه واجتباه * وجعله اماما لاهل اعصار الدنيا ثم نقله الى الآخرة ليأتم به أهل تقواه * واقد خيره سبحانه بين الدنيا وبين ماعنده وارتضاه * لاجرم انه نقله الى الرفيق الاعلى وجعل أعلى الفردوس مثواه * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الثقاة الهداة وسلم كثيرا وأدام ذلك بعدد لا يدرك منتهاه * وبعد فهذا شرح

معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره تزيده محلا من قلبك يستدعى التعظيم له فى نفسك فهكذا تأمل فى خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل مافى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما لكل عبد منهما بقدر مارزق فلنقتصر على ماذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه فى كتاب الشكر فانا نظرنا فى ذلك الكتاب فى فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفى هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل مانظرنا فيه فان الطبيعى ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته ومامن ذرة فى السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء فمن نظر فى هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقى وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه

(كتاب ذكر الموت ومابعده)

وهو الآن بعون الموفى لكتب احياء العلوم للامام الهمام مقتدى الخاص والعام *حجة الاسلام* وقطب رحا دائرة الاعلام * مولى الموالى أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى روى الله ضريحه بملث غيث رحمته الموالى وأهدى الى روحه الزكية تحالف غفرانه الغوالى وقد طالعت عليه زيادة على ماسلف ذكره فى مقدمة كتاب العلم من الكتب الغريبة كتاب المتفجعين لابى العباس محمود بن محمد بن الفضل الاديب وكتاب الثبات عند الممات للحافظ أبي الفرج بن الجوزى وحادى القلوب الى لقاء المحبوب للشيخ ناصر الدين محمد بن الميلق الشاذلى وشرح الصدور فى أحوال الموتى والقبور *وأمالى الدرة الفاخرة كلاهما للحافظ جلال الدين السيوطى رحمهم الله تعالى فدونك شرحا للمقاصد محررا وللراغب فى الآخرة منبها ومذكرا جمع الفوائد فأوعى واستوعب المهمات نوعا فنوعا ولما رأيت مسارعة الموت حائلة بين المؤمل والآمال انتهزت الفرصة بالاختصار والاجمال وكتبت ماتبادر فى استحضارى أوّلا فأوّلا ولم أتفرغ لاراحة العنان لكونى مستعجلا وبالله توكلى وبه أستعين انه هو المعين فى أمور الدنيا والدين وهذا أوان شروع المقصود *بعون الملك المعبود قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة) القصم كسر الشئ حتى يبين وقولهم فى الدعاء قصمه الله معناه أذله وأهانه وهذه المعانى الثلاثة محتملة هنا والرقاب جمع الرقبة محركة العنق وقيل أصل مؤخره ويجمع أيضا على رقب وأرقب ورقبات والجبابرة جمع جبار وهو فعال من الجبر بمعنى القهر والاذلال يقال جبره السلطان اذا قهره وسامه الخسف وأجبره لغة فيه قال الازهرى هما جيدتان وقال ابن دريد فى باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشئ وأجبرته (وكسر به ظهور الاكاسرة) جمع كسرى بفتح الكاف وكسرها لغتان مشهورتان وحكى الفتح عن الاصمعى والكسر عن غيره (وقصر به آمال القياصرة) جمع قيصر قال المطرزى وابن خالويه كل من ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى وقد جاء ذكرهما فى الحديث رواه الترمذى عن أبي هريرة اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وفى كل من الجملتين جناس الاشتقاق وفى الثانية فقط براعة الاستهلال (الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق) الذى هو الموت فانه حتم فى رقاب العباد (فارداهم) أى أوقعهم (فى الحافرة) أى المحفورة والمراد بها القبر وأما قوله تعالى أئنا لمردودون فى الحافرة فالمعنى الى أمرنا الاول وهو الحياة وقال مجاهد أى خلقا جديدا وقال ابن الاعرابى أى الى الدنيا كما كما يقال عاد الى حافرته أى رجع الى حالته الاولى (فنقلوا من أعالى القصور الى أسافل القبور ومن خباء المهود) جمع المهد بمعنى الممهود وهو الفرش المهيأ للاضطجاع (الى ظلمة اللحود) جمع اللحد وهو القبر الملحود (ومن ملاعبة الجوارى والغلمان الى مصاحبة) وفى نسخة مقاساة (الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة) بكسر العين وسكون الشين الجماعة المعاشرون (الى وحشة الوحدة) وبين كل من الضياء والظلمة والانس والوحدة وحسن المقابلة (ومن المضجع الوثير) أى اللين (الى المصرع الوبيل) أى الوخم (فانظر هل وجدوا من الموت حصنا) يمنعهم منه (أو اتخذوا من دونه حجابا وحرزا) يدفعهم عنه (وانظر هل تحس منهم من أحد) أى هل تشعر باحد منهم أو تراه (أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا (فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء) أى الغلبة (واستأثر) أى اختص (باستحقاق البقاء) بنفسه لا الى عمدة ولم يصح عليه الفناء (وأذل اصناف الخلق) أى أنواع المخلوقات (بما كتب عليهم من الفناء) وهذا هو البقاء بغيره مما سواه سبحانه فانه يصح عليه الفناء (ثم جعل الموت مخلصا) من الحبس (للاتقياء) أى للمؤمنين الموصوفين بالتقوى (وموعدا فى حقهم للقاء) يشير الى قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت (وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء) كما

(كتاب ذكر الموت ومابعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجوارى والغلمان ومقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ فى التراب ومن أنس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا فى حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء

فلله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر فى السموات والارض وله الحمد فى الاولى والآخرة والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده أن لا يكون له فكر الا فى الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حول الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر فى المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقى من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين * (الشطر الاول فى مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب) * الباب الاول فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثانى فى ذكر طول الامل وقصره الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور والباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام

وردت بذلك الاخبار وسيأتى ذكرها (فلله الانعام بالنعم المتظاهرة) أى العديدة المعاونة بعضها بعضا (وله الانتقام بالنقم القاهرة) أى الغالبة (وله الشكر فى السموات والارض وله الحمد فى الاولى والآخرة والصلاة على) سيدنا (محمد ذى المعجزات الظاهرة) أى المعلومة (والآيات الباهرة) وتقدم الكلام على المعجزة والآية وذكر الفرق بينهما (وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا فى الموت) فانه السبب الموصل لهذه الاهوال المذكورة والباب الفاتح لها (ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه) والتعريج الوقفة اليسيرة (ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها فى) جملة (أصحاب القبور) يشير الى حديث ابن عمر الآتى ذكره (فان كل ما هو آت قريب) رواه القضاعى من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد الجهنى عن أبيه عن جده زيد قال تلقفت هذه الخطبة من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرها وفيها هذه الجملة (والبعيد ما ليس بآت) وهو الذى انقرض ومضى ومنه قول الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

(وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم مرارا (ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر فى المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه) ومتمماته (وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لابد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل لما بعد الموت فما بقى من العمر الا القليل والخلق غافلون) قال الله تعالى (اقترب للناس حسابهم) أى بالاضافة الى ما مضى أو عند الله أو لان كل ما هو آت قريب (وهم فى غفلة معرضون) عن التفكر فيه (ونحن نذكر ما يتعلق بالموت فى شطرين الشطر الاول فى مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب الباب الاول فى فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثانى فى ذكر طول الامل وقصره) وفيه بيان فضل قصره والسبب فى طوله وعلاجه وبيان مراتب الناس فى كل منهما والمبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير (الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاهوال عند الموت) وفيه بيان دواهى الموت والحسرة ومنه لقاء ملك الموت (الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وما جرى عندها (و) وفاة (الخلفاء الراشدين) رضى الله عنهم (بعده) وما جرى لهم عندها (الباب الخامس فى كلام المحتضرين) أى المشرفين على الموت يقال حضره الموت واحتضر أشرف عليه فهو فى النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (من الخلفاء والامراء والصالحين * الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور * الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور * الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام) فهذه ثمانية أبواب على

(الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره) اعلم ان المنهمك في الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس امامنهمك واما تائب مبتدئ أوعارف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب فانه يذكرمن ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت و يحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة والموت أحب الى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك

عدد أبواب الجنان

(الباب الاوّل فى ذكر الموت والترغيب فى الاكثار من ذكره)

(اعلم) وفقك الله تعالى ان المقامات التسع التى ذكرها المصنف ليست على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانهما أعلى المقامات و بعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد واقبال على طريق القرب والزهد ترك التشاغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب والمحبة والمعرفة مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله من القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أورده آخرا ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به ينقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها واذا فهمت ذلك فاعلم (ان المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت فلا يذكره) بلسانه وبقلبه (واذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لا تفرون منه لاحق بكم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه وماقبل هذه الآية قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (ثم الناس امامنهمك) فى حب الدنيا (واما تائب مبتدئ أو عارف منتهى) قد انتهى فى سيره (أما المنهمك فلا يذكر الموت) أصلا لاشتغاله بما ينفره عنه (وان ذكره) يوما (فيذكره للتأسف على دنياه) أى على ما يفوته منها (ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب) المبتدى (فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت) فى بعض الاحيان (خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد) وتهيئته (وهو معذور فى كراهة الموت) من هذا الوجه (ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه) هو شطر حديث أوّله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله الخ قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت هو متفق عليه من حديث عائشة ومن حديث أبى موسى ومن رواية أنس عن عبادة بن الصامت واما حديث أبى هريرة فرواه مسلم فقط والنسائى وسيأتى ذكره (فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه رضاه) ويحبه (فلا يعد كارها للقاء) بهذا المعنى (وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا وأما العارف المنتهى فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستبطئ مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر أحب الىّ من الغنى والسقم أحب الىّ من الصحة والموت أحب الى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا محمد بن يزيد الآدمى حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد مولى ابن عياش قال حدثنى من دخل على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه فقال لولا انى أرى ان هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم انى كنت أحب الفقر على الغنى وأحب

الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله تعالى وأخرجه ابن الجوزى فى كتاب الثبات عن محمد بن القاسم أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله الاصبهانى هو صاحب الحلية فذكره وقال أبو نعيم أيضا حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السرى بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذى سبق بى الفتنة قادتها وعلوجها وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين حدثنى الربيع بن تغلب حدثنى فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال لما مرض حذيفة مرضه الذى مات فيه قيل له ماتشتهى قال أشتهى الجنة قالوا فما تشتكى قال الذنوب قالوا أفلا ندعو لك الطبيب قال الطبيب أمرضنى لقد عشت فيكم على خلال ثلاث الفقير فيكم أحب الى من الغنى والضعة فيكم أحب الى من الشرف وان من حمدنى منكم ومن لامنى فى الحق سواء ثم قال أصبحنا قالوا نعم قال اللهم انى أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وأخرجه ابن الجوزى فى كتاب الثبات عن اسمعيل بن أحمد أخبرنا محمد بن هبة الله أخبرنا على بن محمد بن بشران حدثنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر القرشى هو ابن أبى الدنيا فذكره وقد رويت هذه المقالة أيضا عن معاذ بن جبل انه لما طعن فى كفه قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم رواه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم عنه (فاذا التائب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة) ولا نفعا ولا ضرا (بل يكون أحب الاشياء اليه أحبها الى مولاه) كما روى ذلك عن عدة من السلف وتقدم فى كتاب المحبة والرضا (فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى) لانه لا يتصوّر وقوع ذلك الا بعد كمال المحبة فلو تمنى أهل النهى من أولى الالباب غاية الامانى فكوّنت لهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله فى تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من تحرى أمانيهم وأفضل لهم عند الله من قبل ان الله أحكم الحاكمين (وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة)

(بيان فضيلة ذكر الموت كيفما كان)

ولنقدم أوّلا ما يتعلق ببدوّ الموت ثم بما ورد فى النهى عن تمنيه ثم بما ورد فى فضل طول الحياة فى طاعة الله تعالى ثم نتبعه بذكر فضيلته فاقول روى أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد فى قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت والبعث وقال أحمد فى الزهد وابن أبى شيبة فى المصنف معا حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة ان الارض لا تسعهم فقال انى جاعل موتا قالوا اذا لا يهنأهم العيش قال انى جاعل أملا وفى الحلية عن مجاهد قال لما أهبط آدم عليه السلام الى الارض قال له ربه ابن للخراب ولد للموت وروى البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ان ملكا ينادى يا بنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب ومن حديث الزبير ما من صباح يصبح على العباد الا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب وروى أحمد فى الزهد من طريق عبد الواحد بن زيد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام يا بنى آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم وروى الثعلبى فى التفسير عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول لدوا للموت وابنوا للخراب

(فصل) فيما ورد فى النهى عن تمنى الموت والدعاء به لضر ينزل فى المال والجسد روى الباوردى والطبرانى والحاكم من حديث الحكم بن عمرو الغفارى وأحمد من حديث عبس الغفارى وأحمد أيضا والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديث خباب لا يتمنين أحدكم الموت ورواه الشيخان من حديث أنس بزيادة لضر نزل به فان كان ولا بد متمنيا فليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة

فاذا التائب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الاشياء اليه أحبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

خيرالى ورواه بهذه الزيادة أيضا الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان ورواه ابن أبى شيبة وابن حبان بزيادة بعد قوله نزل به فى الدنيا ولكن ليقل وساقاه وفيه فى آخره بعد قوله خيرالى وأفضل ورواه الشيخان من حديث أبى هريرة بلفظ لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل ان يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر بلفظ لا يتمنين أحدكم الموت حتى يثق بعمله ورواه أحمد والبخارى والنسائى بلفظ اما محسنا فلعله يزداد واما مسيئا فلعله يستعتب ورواه النسائى وحده بلفظ اما محسنا فلعله أن يعيش يزداد خيرا وهو خير له واما مسيئا فلعله أن يستعتب ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بلفظ فانه لا يدرى ما قدم لنفسه وروى أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم والبيهقى فى الشعب من حديث جابر لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الانابة وروى الشيخان من حديث أنس قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتمنى الموت لتمنيناه وروى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال لولا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعونا به وروى المروزى عن القاسم مولى معاوية ان سعد بن أبى وقاص تمنى الموت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمن الموت فان كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك وان كنت من أهل النار فما يعجلك اليها وروى أبو يعلى والطبرانى والحاكم عن أم الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليهم وعمه العباس يشتكى فتمنى الموت فقال له ياعم لا تتمن الموت فان كنت محسنا فان تؤخر تزدادا حسانا الى احسانك خير لك وان كنت مسيئا فان تؤخر تستعتب من اساءتك خير لك فلا تتمن الموت

(فصل) فى فضل طول الحياة فى طاعة الله تعالى روى أحمد والترمذى وصححه والحاكم من حديث أبى بكرة أن رجلا قال يارسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى الحاكم من حديث جابر خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا ورواه أحمد من حديث أبى هريرة وروى الطبرانى من حديث عبادة بن الصامت ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وروى أيضا من حديث عوف بن مالك كلما طال عمر المسلم كان له خير وروى أحمد من حديث أبى هريرة قال كان رجلان من بنى حى من قضاعة أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت لذلك فاصبحت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة وروى أحمد والبزار من حديث طلحة ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر فى الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وروى صاحب الحلية عن سعيد بن جبير قال ان بقاء المسلم كل يوم غنيمة لاداء الفرائض والصلاة وما يرزقه الله من ذكره وروى ابن أبى الدنيا عن ابراهيم بن أبى عبلة قال بلغنى ان المؤمن اذا مات تمنى الرجعة الى الدنيا ليس ذلك الا ليكبر تكبيرة أو يهلل تهليلة أو يسبح تسبيحة

(فصل) فى جواز تمنى الموت والدعاء به لخوف الفتنة فى الدين روى مالك من حديث أبى هريرة لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه وروى مالك والبزار عن ثوبان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون وروى مالك عن عمر أنه قال اللهم قد ضعفت قوتى وكبرسنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك الا الشهر حتى قبض وروى أحمد والطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مساوى الاخلاق عن عليم الكندى قال كنت مع عبس الغفارى على سطح فرأى قوما

يعملون

يتحملون من الطاعون فقال يا طاعون خذني اليك قالها ثلاثا فقال عليم لم تقول هذا ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنى أحدكم الموت فانه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب فقال عبس أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بادروا بالموت ستة امرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفاف بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يغنيهم بالقرآن وان كان أقلهم فقها قال في الصحاح تحمل بمعنى ارتحل وروى الحاكم عن الحسن قال قال الحكم بن عمرو يا طاعون خذني اليك فقيل له لم تقول هذا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتمنين أحدكم الموت قال قد سمعت ما سمعتم ولكني أبادر ستا بيع الحكم وكثرة الشرط وامارة الصبيان وسفك الدماء وقطيعة الرحم ونشوا يكونون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير وروى ابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي فضالة ان أبا هريرة ذكر الموت فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لاحد أن يتمنى الموت لا بر ولا فاجر اما بر فيزداد برا واما فاجر فيستعتب فقال وكيف لا أتمنى الموت وانما أخاف أن تدركني ستة التهاون بالذنب وبيع الحكم وتقاطع الارحام وكثرة الشرط ونشو يتخذون القرآن مزامير وروى الطبراني من حديث عمرو بن عبسة لا يتمنى أحدكم الموت الا أن يثق بعمله فان رأيتم ست خصال فتمنوا الموت وان كانت نفسك في يدك فارسلها اضاعة الدم وامارة الصبيان وكثرة الشرط وامارة السفهاء وبيع الحكم ونشو يتخذون القرآن مزامير وروى صاحب الحلية من حديث ابن مسعود لا يخرج الدجال حتى لا يكون شئ أحب الى المؤمن من خروج نفسه وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى قراء العلم ذلك الزمان من الذهب الاحمر وعن أبي هريرة قال يوشك أن يكون الموت أحب الى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه وعن أبي ذر قال ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة بهم فيقول الرجل ليتني مكانها وروى ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال مرض أبو هريرة فاتيت أعوده فقلت اللهم اشف أبا هريرة فقال اللهم لا ترجعها وقال يوشك يا أبا مسلم أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى أحدهم من الذهب الاحمر ويوشك يا أبا سلمة ان بقيت الى قريب يأتي الرجل القبر فيقول ياليتني مكانك وروى المروزي في الجنائز عن مرة الهمداني قال تمنى عبد الله لنفسه ولاهله الموت فقيل له تمنيت لاهلك فلم تتمناه لنفسك فقال لواني أعلم انكم تسلمون على حالكم هذه لتمنيت ان أعيش فيكم عشرين سنة وروى عن أبي عثمان قال بينما ابن مسعود ذات يوم في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان ذواتا منصب وجمال وله منهما ولد كاحسن الولد اذ شقشق على رأسه عصفور ثم قذف ذا بطنه فنكته بيده ثم قال لان يموت آل عبد الله ثم يتبعهم أحب الى من أن يموت هذا العصفور ورواه صاحب الحلية كذلك وروى المروزي عن قيس قال كان صبيان لعبد الله يشتدون بين يديه فقال ترون هؤلاء لهم أهون على موتا من عدتهم من الجعلان وروى صاحب الحلية من طريق الحسن حدثنا أبو الاحوص قال دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون ثلاثة كامثال الدنانير فجعلنا ننظر اليهم ففطن بنا فقال كانكم تغبطونني بهم قلنا وهل يغبط الرجل الا بمثل هؤلاء فرفع رأسه الى سقف بيت له قصير قد عشش فيه خطاف فقال لان أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب الى من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر وروى المروزي عن الحسن قال كان في مصركم هذا رجل عابد فخرج من المسجد فلما وضع رجله في الركاب أتاه ملك الموت فقال مرحبا لقد كنت اليك بالاشواق فقبض روحه وروى ابن سعد والمروزي عن خالد بن معدان قال مامن دابة في بر ولا بحر يسرني أن تفديني من الموت ولو كان الموت علما يستبق الناس اليه ماسبقني اليه أحد الا رجل يغلبني بفضل قوته وروى صاحب الحلية عنه قال والله لو كان الموت في مكان موضوع لكنت أول من سبق اليه وروى أيضا عن عبد ربه بن صالح انه دخل على مكحول في مرض موته فقال له عافاك الله تعالى فقال كلا اللحوق بمن يرجى عفوه خير مع البقاء مع من لا يؤمن شره

شياطين الانس وابليس وجنوده و روى ابن عساكر عن ابن مسهر قال سمعت رجلا قال لسعيد بن عبد العزيز التنوخى أطال الله تعالى بقاءك فغضب وقال بل عجل الله بى الى رحمته و روى صاحب الحلية عن عبيدة بن المهاجر قال لو قيل من مس هذا العود مات لقمت حتى أمسه و روى أيضا عن عبد الرحمن الصنابحى قال الدنيا تدعو الى فتنة والشيطان يدعو الى خطيئة ولقاء الله خير من المقام معهما و روى ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنى الموت قال فى أصلى كل يوم كذا وكذا صلاة حتى أرسل اليه يزيد بن مسلم فتعنته واتقى منه فكان يقول اللهم الحقنى بالاخيار ولا تخلفنى مع الاشرار و روى أيضا عن أم الدرداء قالت كان أبو الدرداء اذا مات الرجل على الحال الصالحة قال هنيأ لك ياليتنى كنت مكانك فقالت أم الدرداء له فى ذلك فقال هل تعلمين ياحمق ان الرجل يصبح مؤمنا و يمسى منافقا يسلب ايمانه وهو لا يشعر فانا لهذا الميت أغبط منى لهذا بالبقاء فى الصلاة والصيام و روى ابن أبى شيبة فى المصنف وابن أبى الدنيا عن أبى جحيفة قال مامن نفس تسرنى أن تفديني من الموت ولا نفس ذبابة و روى ابن أبى الدنيا والخطيب وابن عساكر عن أبى بكرة قال والله مامن نفس تخرج أحب الى من نفسى هذه ولا نفس هذا الذباب الطائر ففزع القوم فقالوا لم فقال انى أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر وما خير يومئذ و روى ابن أبى شيبة وابن سعد والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة أنه مر به رجل فقال أين تريد قال السوق قال ان استطعت أن تشترى الموت قبل أن ترجع فافعل و روى ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية وكان شيخا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب أن يقبض فكان يدعو اللهم كبرت سنى ووهن عظمى فاقبضنى اليك قال فبينما أنا يوما فى مسجد دمشق وأنا أصلى وأدعو ان أقبض اذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دراج أخضر فقال ماهذا الذى تدعو به قلت وكيف أدعو ياابن أخى قال قل اللهم حسن العمل و بلغ الاجل قلت من أنت يرحمك الله قال أنا رتائيل الذى يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحدا

(فصل) وأما فضيلة ذكر الموت فقد أورد المصنف فى هذا الفصل مايدل على فضيلة الموت ومايدل على فضيلة ذكره ونحن ننبه على كل منهما فمما يدل على فضيلة ذكره ما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات) الموت وهادم روى بالدال المهملة و بالمعجمة والهذم القطع ومنه سيف هذام واللذات هى الشهوات فان كان بالدال المهملة فالمعنى مزيلها من أصلها وأنكره السهيلى فى الروض وقال ليس مرادا ههنا وتعقبه الحافظ ابن حجر وقال فى ذا النفى نظر وسياق المصنف يشعر أنها بالذال المعجمة حيث قال (معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم) أى ميلكم وسكونكم (اليها فتقبلوا على الله تعالى) وسياق الطيبى يشعر بانها بالدال المهملة حيث قال شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون اليها ويشتغل بما عليه من التزوّد الى القرار وقال العراقى رواه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم انتهى قلت لفظ الترمذى أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ورواه كذلك هو وأحمد والنسائى وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة به مرفوعا وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطنى بالارسال وقد رواه كذلك العسكرى فى الامثال والبيهقى فى الشعب و رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عمر والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم أيضا والبيهقى والضياء من حديث أنس وقوله الموت بجره عطف بيان وبرفعه خبر مبتدا محذوف و بنصبه بتقدير أعنى وقد جاء فى بعض الروايات يعنى الموت فيتعين النصب وقد روى هذا الحديث بزيادات يأتى ذكرها قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم) منه وفى لفظ بنو آدم (ما أكلتم منها سمينا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا

وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذلا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم

لان تذكره ينغص النعمة ويكدر صفو اللذة وذلك مهزل لا محالة قال الشيخ الاكبر قدس سره حقيقة الكشف اطلاع على ظاهر من علم باطن يستجليه ادراك باطن حس من الحواس يحاذى به المطلع حذو مدركات ظاهر حسه والخطاب فى أمره يختص بمن وقع له فى مطالعته حظ كشأن الحواس الظاهرة وبركة الكشف فى الحس بمثابة بركة العلم فى أمر العلم ينال به واجده غيبا عن ظاهر العين والسمع وسائر الحواس فكان من لا كشف له من الناس بمنزلة أعجم الحيوان الذى لا يتقدم بين يدى ظاهر أمره مثل ماذكره صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وكذلك من لا كشف له لما سمنت جبلته وضخمت طبيعته تشبث بدنياه قلبه ولم يجد الزهد فى متاع دنياه مساغا انتهى قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أم صبية الجهنية وقد تقدم انتهى قلت هى بضم الصاد المهملة وفتح الموحدة وتشديد التحتية مصغرا صحابية اسمها خولة بنت قيس على الاصح جدة خارجة بن الحرث وزعم ابن منده انها خولة بنت قيس بن فهد والصواب الاول وقد رواه أيضا القضاعى فى مسند الشهاب وفيه عبد الله بن أسلم ضعفه الدارقطنى ورواه الحاكم والبيهقى والديلمى بسند فيه ضعفاء عن أبى سعيد الخدرى وذكروا فيه قصة أنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة الى خباء فقالت يارسول الله حلنى حتى أذهب فارضع خشفى ثم ارجع فقال صيد قوم وربيطة قوم ثم أخذ عليها فحلها فلم يكن الا قليلا حتى رجعت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له يعنى فاطلقها ثم قال لو تعلم الحديث ولفظ الديلمى لو علمت البهائم من الموت ما أكلتم منها سمينا وعنده من حديث أنس بلا سند لو ان البهائم التى تأكلون لحومها علمت ما تريدون بها ما سمنت وكيف تسمن أنت يا ابن آدم والموت امامك (وقالت عائشة رضى الله عنها) قلت (يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة) قلت تقدم هذا للمصنف فى آخر كتاب التوحيد والتوكل انه من حديث أنس وعائشة ولفظه قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة وتقدم هناك ان العراقى قال لم أقف له على اسناد وذكرنا ان حديث عائشة رواه الطبرانى فى الاوسط نحوه وفيه من قال فى يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد وعزاه السيوطى فى شرح الصدور للطبرانى من حديث عمار بلفظ المصنف (وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور) أى البعد عنها (ويتقاضى الاستعداد للآخرة) أى يطالب (والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا) والاكباب عليها (وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن اه قلت ورواه كذلك ابن المبارك فى الزهد والبيهقى فى الشعب ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث جابر (وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن) كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة (اذلا يزال فيها فى عناء) أى تعب (من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه) فقد روى أحمد من حديث ابن عمرو الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة ورواه ابن المبارك فى الزهد بلفظ الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فجعل يتقلب فى الارض ويتفسح فيها ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف بلفظ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاذا مات المؤمن يخلى سربه حيث شاء والسرب بالفتح الطريق كما فى الصحاح وروى ابن أبى شيبة فى المصنف والمروزى فى الجنائز والطبرانى وأبو نعيم عن ابن مسعود قال ذهب صفو الدنيا فلم يبق الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم (وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم) أى لما يلقاه من الآلام والاوجاع وفى رواية لكل ذنب وقال ابن الجوزى وفى بعض طرق الحديث ما يفهم ان المراد بالموت الطاعون فانهم كانوا فى الصدر

الاول يطلقون الموت ويريدونه به اهـ وكأنه يشير الى خبر البخارى الطاعون كفارة لكل مسلم قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين انه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء اهـ قلت وكذلك رواه القضاعى فى مسند الشهاب كلهم من طريق يزيد بن هرون عن عاصم الاحول عن أنس به وقال العراقى فى أماليه انه ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن ولم يصب ابن الجوزى والصغانى فى ذكرهما له فى الموضوعات وقال الحافظ ابن حجر انه لم يتهيأ الحكم عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق قال ومع ذلك فليس هو على ظاهره بل هو محمول على موت مخصوص ان ثبت الحديث اهـ ولهذا المعنى احتاج المصنف الى تأويله فقال (وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا) أى الكامل فى اسلامه وايمانه (الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده) وقد روى الحاكم من حديث جابر أكمل المؤمنين من سلم المسلمون من لسانه ويده وروى ابن النجار من حديث على وانما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (وتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامة الفرائض) وقال العامرى فى شرح الشهاب معنى الحديث ان الله تعالى يتكرم على عبده المسلم بتطهيره للقائه بتكفير ذنوبه مما يلاقى غصص الموت وسكراته كما كفرت الامراض والمصائب عنه ذنوبا أخر قبل موته وروى أبو نعيم فى الحلية عن الاوزاعى قال قال عمر بن عبد العزيز ما أحب ان يهون على سكرات الموت انه آخر ما يكفر به المسلم (وقال عطاء الخراسانى) هو عطاء بن أبى مسلم كنيته أبو أيوب ويقال أبو عثمان ويقال أبو محمد ويقال أبو صالح البلخى نزيل الشام مولى المهلب بن أبى صفرة الازدى واسم أبيه أبى مسلم عبد الله ويقال ميسرة روى عن ابن عباس وعنه ابن جريج ثقة صدوق وقال الدارقطنى الا أنه لم يلق ابن عباس مات سنة خمس وثلاثين ومائة وكانت ولادته سنة خمسين ودفن ببيت المقدس روى له مسلم والاربعة وقيل بل روى له البخارى أيضا وقال الحافظ ابن حجر لم يثبت (مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا) أى اخلطوا (مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت) قال العراقى رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الموت هكذا مرسلا ورويناه فى أمالى الخلال من حديث أنس ولا يصح اهـ قلت ورواه البيهقى من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يضحكون ويمزحون فقال اكثروا ذكر هاذم اللذات وروى العسكرى فى الامثال من حديث أبى هريرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس من مجالس الانصار وهم يمزحون ويضحكون فقال اكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه لم يذكر فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا كثره ولا فى ضيق الا وسعه ولا فى سعة الا ضيقها وروى البيهقى من حديث أبى سعيد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ناسا يكثرون فقال لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات الموت وانه لم يأت على القبر يوم الا وهو يقول أنا بيت الوحدة وبيت الغربة أنا بيت التراب أنا بيت الدود ولفظه عند العسكرى دخل النبى صلى الله عليه وسلم مصلى فرأى ناسا يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات فاكثروا ذكر هاذم اللذات (وقال أنس) رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه) أى اكثاره (يمحص الذنوب) أى يزيلها (ويزهد فى الدنيا) أى يقللها فى أعينكم وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص لذته الحاضرة وزهده فيما كان يؤمل لكن النفوس الذاكرة والقلوب العاطلة تحتاج الى تطويل الوعظ وتزويق الالفاظ قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف جدا اهـ قلت وتمامه عند ابن أبى الدنيا فان ذكرتموه عند الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم وهو فى مكارم الاخلاق لابن لال بلفظ اكثروا ذكر الموت فان ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد فى الدنيا الموت القيامة والموت المقيمة (وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا) قال العراقى رواه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده من حديث أنس

وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراسانى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا

وعن أنس بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الجيلى مرسلا اه قلت كذا هو فى النسخ ابن المبارك ولعله ابن أبى الدنيا فانه الذى رواه فى البر والصلة وأما حديث أنس فرواه ابن السنى فى عمل يوم وليلة والعسكرى فى الامثال بلفظ كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا وذكر اله قصة تقدم ذكرها وروى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى الدرداء قال موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا كفى بالدهر مفرقا اليوم فى الدور وغدا فى القبور (وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد اه قلت لفظ الطبرانى كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى ورواه العسكرى فى الامثال والطبرانى أيضا والقضاعى والبيهقى فى الشعب بلفظ كفى بالموت واعظا وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلا ورواه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار وتقدم قريبا من قول أبى الدرداء رواه سعيد بن منصور (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف اه قلت هذا الشطر الاخير لو تعلمون ما أعلم الخ متفق عليه من حديث أنس وعائشة وفى الباب عن أبى هريرة وجماعة تقدم ذكره وقد روى البيهقى فى الشعب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا اكثروا ذكر هاذم اللذات فانه لا يكون فى كثير الاقلله ولا فى قليل الا كثره (وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أنبأنا مالك بن مغول فذكره بلاغا بزيادة فيه اه قلت وكذلك رواه البزار من حديث أنس وروى ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد عن ابن سابط قال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل فاثنى عليه فقال صلى الله عليه وسلم كيف ذكره للموت فلم يذكر ذلك منه فقال ما هو كما تذكرون وأخرجه الطبرانى عن سهل بن سعد نحوه (وقال ابن عمر) رضى الله عنهما (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) قال العراقى رواه ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا فى الموت بكماله باسناد جيد اه قلت ورواه الطبرانى والحاكم عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى المؤمنين أكيس قال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل نزول الموت أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة ورواه ابن المبارك فى الزهد وأبو بكر فى الغيلانيات من طريق يحيى بن أيوب عن عبيد بن زهر عن سعد بن مسعود الكندى له صحبة وقيل انه تابعى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المؤمنين أكيس فقال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا اسحق بن ابراهيم الحربى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا اسمعيل بن عياش عن العلاء بن عتبة عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر قال قام فتى فقال يا رسول الله أى المؤمنين أكيس قال اكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل ان ينزل به أولئك الاكياس ثم قال رواه أبو سهيل بن مالك وحفص بن غيلان ويزيد بن مالك وقرة بن قيس ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه اه ومما يحسن ايراده من الاخبار فى فضل الموت وروى الديلمى من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما الموت ريحانة المؤمن وروى البيهقى فى الشعب وضعفه والديلمى من حديث عائشة الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والعقل هدية من الله والجهل ضلالة والظلم ندامة والطاعة قرة العين والبكاء من خشية الله النجاة من النار والضحك هلاك البدن والتائب

وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضى الله عنهما أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

(وأما الآثار) فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع ابن خيثم ماغائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت

من الذنب كمن لاذنب له وروى أحمد وسعيد بن منصور فى سننه باسناد صحيح من حديث محمود بن لبيد اثنان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب وروى ابن السكن وأبو موسى فى المعرفة والبيهقى فى الشعب من حديث زرعة بن عبد الله الانصارى يحب الانسان الحياة والموت خير لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب وهو مرسل لان زرعة تابعى وقيل هو صحابى وهو بضم الزاى ثم راء وقيل براء ثم زاى ساكنة وروى الشيخان من حديث أبى قتادة قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال مستريح أومستراح منه قالوا يارسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها الى رحمة الله تعالى والفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر ياأباذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره ياأباذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره وروى النسائى والطبرانى وابن أبى الدنيا من حديث عبادة بن الصامت ما على الارض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب ان ترجع اليكم ولها نعيم الدنيا ومافيها الا الشهيد فانه يحب ان يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له وروى الطبرانى من حديث أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الموت الى من يعلم انى رسولك وروى الاصبهانى فى الترغيب عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان حفظت وصيتى فلا يكونن شئ أحب اليك من الموت وروى ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى الموت والبيهقى فى الشعب من حديث الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مزهدا فى الدنيا مرغبا فى الآخرة وروى الديلمى من حديث أبى هريرة اكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكره الا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت وروى ابن عساكر من حديث أبى الدرداء لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا وروى ابن المبارك فى الزهد من مرسل محمد بن عبد الرحمن بن نوفل لو تعلمين علم الموت يابنت زمعة لعلمت انه أشد مما تقدرين عليه وقد رواه الطبرانى عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن سودة بنت زمعة موصولا ومما يحسن ايراده فى ذكر فضيلة ذكر الموت والاستعداد له من الاخبار روى ابن أبى الدنيا عن سفيان قال حدثنا شيخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال اكثر ذكر الموت يسليك عما سواه وروى أبو نعيم من حديث أبى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالى لا أحب الموت قال لك مال قال نعم قال قدمه فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب ان يلحق به وان أخره أحب أن يتأخر معه وروى الطبرانى عن طارق المحاربى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياطارق استعد للموت قبل الموت وروى الديلمى من حديث أنس أفضل الزهد فى الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة وروى الترمذى من حديث أبى هريرة ما من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يارسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع (وأما الآثار فقد قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا) لان ذا اللب يراها ببصيرته زائلة والموت واقعا فلا يفرح بشئ من زهرتها (وقال) أبو يزيد (الربيع بن خيثم) الثورى الكوفى العابد أحد الزهاد الثمانية (ماغائب ينتظره المؤمن خيرله من الموت) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن المبارك فى الزهد والمروزى فى الجنائز وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبى يعلى عن الربيع بن خيثم فذكره وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا جعفر بن الصباغ حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا الاشجعى سمعت سفيان يقول قال الربيع بن خيثم ارتدوا هذا الخير بالله تنالوه لابغيره واكثروا ذكر هذا الموت الذى لم تذوقوا مثله فان الغائب اذا طالت غيبته رجيت جيئته وانتظره أهله وأوشك ان يقدم عليهم وحدثنا عبد الرحمن بن العباس

حدثنا

حدثنا ابراهيم الحربي حدثنا أبو بكر حدثنا سعيد بن عبد الله عن نسير عن بكر بن ماعز قال كان الربيع يقول أكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله (وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني الى ربي سلا) رواه أبو نعيم في الحلية ورواه صاحب كتاب المتفجعين عن الفريابي قال حدثنا سفيان عن ابن حيان ان الربيع بن خيثم قال عند موته لا تعلموا بي أحدا وسلوني الى ربي مرسلا (وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده) رواه ابن أبي الدنيا (وكان أبو بكر محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى (اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي ح وحدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربي حدثنا اسحق بن اسمعيل ومحمد بن عباد قالوا حدثنا سفيان بن عيينة حدثني دهبن الاقطع قال كان محمد بن سيرين اذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته ورواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الله بن ابراهيم بن العباس عن عثمان بن قرزاذ عن ابراهيم بن بشار عن ابن عيينة وفيه على حياله بدل على حدته (وكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (يجمع كل ليلة الفقهاء) عنده (فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة وما فيهما من الاهوال) والشدائد (ثم يبكون حتى كان بين أيديهم جنازة) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو اسحق (ابراهيم) بن يزيد بن شريك (التيمي) الكوفي وكان من العباد (شيآن قطعاني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل) رواه ابن أبي الدنيا في الموت (وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (من عرف الموت هانت عليه المصائب) رواه ابن أبي الدنيا بلفظ مصائب الدنيا وغمومها رواه عن محمد بن الحسين قال حدثنا الحرث ابن خليفة حدثنا نذر يد أبو سليمان عن ابراهيم بن أبي عبد الله الشامي عن كعب فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (وقال أبو بكر مطرف) بن معقل التميمي الشقري بالشين المعجمة والقاف محركة منسوب الى شقرة قبيلة من تميم وهو لقب معاوية بن الحرث بن تميم ومطرف هذا روى عن ابن سيرين والحسن والشعبي وعنه النضر بن شميل وأبو داود الطيالسي (رأيت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين) رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عبد العزيز بن سليمان فقال حدثنا أبو بكر المؤذن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أبو عقيل زيد بن عقيل قال سمعت مطرفا الشقري يقول لعبد العزيز بن سليمان رأيت فيما يرى النائم فذكره وفي آخره فخر عبد العزيز مغشيا عليه (وقال أبو) هانئ (أشعث) بن عبد الملك الحراني البصري منسوب الى حران مولى عثمان بن عفان قال يحيى بن سعيد لم ألق أحدا يحدث عن الحسن أثبت منه وكان عالما بمسائل الحسن الرقاق قال شعبة عامة ما روى يونس في الرقائق كان يرى انها عنه وقال ابن سعد كان الحسن اذا رأى الاشعث قال هات يا أبا هانئ ما عندك وفي طريق آخر انشر بزك أي هات مسائلك وقال الدارقطني هم ثلاثة يروون عن الحسن جميعا أحدهم الحراني ثقة وأشعث الحداني يعتبر به وابن سوار الكوفي يعتبر به وهو أضعفهم روى له البخاري تعليقا والباقون سوى مسلم (كنا ندخل على الحسن) البصري (فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت) رواه أبو نعيم في الحلية (وقالت صفية) بنت شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة العبدرية تابعية جليلة لها رواية وأكثر حديثها عن عائشة (ان امرأة اشتكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثري من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وروى ابن عساكر عن الشعبي قال كان عيسى اذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم ان يذكر عنده الساعة فيسكت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي طارق التبان قال كان عبد العزيز بن سليمان اذا ذكر القيامة والموت صرخ

وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخي أحذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر ابن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيآن قطعاني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها ان امرأة اشتكت الى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما

كما تصرخ الثكلى و يصرخ الخائفون من جوانب البحر قال ور بما رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه (وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى الموت عن ثابت ابن صفوان عن عروة قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها الا الله فاذا ذكر رحمته تراجعت وروى أحمد فى الزهد عن أبى العالية قال كان دعاء داود عليه السلام سبحانك الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ردت الى روحى سبحانك الهى أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ما رأيت عاقلا قط الا أصبته حذرا من الموت وعليه حزينا) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى مروان بشر الرحال عن الحسن قال يحق لمن يعلم ان الموت مورده وان الساعة موعده وان القيامة بين يدى الله مشهده أن يطول حزنه (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لبعض العلماء عظنى فقال أنت أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق فضيل بن عياض عن السرى بن يحيى عن عمر بن عبد العزيز قال والله ان رجلا ليس بينه و بين آدم الا اب له قد مات لمعرق له فى الموت وروى أيضا فى ترجمة عبد العزيز بن سلمان من طريق محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال كنت أسمع أبى يقول عجبت ممن عرف الموت كيف تقر عينه فى الدنيا أم كيف تطيب بها نفسه أم كيف لا ينصدع فيها قلبه قال ثم يصرخ هاه هاه حتى يخر مغشيا عليه (وكان الربيع بن خثيم) الثورى الكوفى الزاهد (قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لفسد) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وروى أبو نعيم فى الحلية عن الحسن هو ابن صالح قال قيل للربيع بن خثيم يا أبا عبد الله لو جالستنا قال لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة فسد على (وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير) الحرشى العامرى البصرى التابعى الزاهد (ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه) رواه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم ابن اسحق الحربى حدثنا أبو كريب حدثنا اسحق بن سليمان عن أبى جعفر الرازى عن قتادة عن مطرف قال فساقه (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لعنبسة) بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبى خالد الاموى أخى عمرو الاشدق ثقة وكان عند الحجاج بالكوفة مات على رأس المائة روى له البخارى ومسلم وأبو داود (أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضى حدثنا ابن أبى بكر حدثنا سعيد بن عامر عن أسماء بن عبيد قال دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين ان من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها ولى عيال وضيعة افتأذن لى أخرج الى ضيعتى وما يصلح عيالى فقال عمر أحبكم الينا من كفانا مؤنته فخرج من عنده فلما صار عند الباب قال عمر أبا خالد أبا خالد فرجع فقال أكثر من ذكر الموت فان كنت فى ضيق من العيش وسعه عليك وان كنت فى سعة من العيش ضيقه عليك حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى المروزى حدثنا خالد بن خراش حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن عمر قال قال عنبسة بن سعيد دخلت على عمر فذكر نحوه (وقال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (قلت لام هرون) وكانت من العارفات (أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت ومما يحسن ايراده من ذكر الآثار فى فضل الموت وروى المروزى فى الجنائز وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر والموت وروى

وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظنى فقال أنت أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر ابن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الدارانى قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

ابن أبي شيبة والمروزي عن طاوس قال لايحرز دين المرء الاحفرته وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال بلغني ان أول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله وروى سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي الدرداء قال مامن مؤمن الا الموت خير له ومامن كافر الا الموت خير له فمن لم يصدقني فان الله يقول وماعند الله خير للابرار ولايحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير الآية وروى ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال مامن نفس برة ولافاجرة الا والموت خير لها من الحياة ان كان برا فقد قال الله تعالى وماعند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله ولايحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية وروى ابن المبارك وأحمد في الزهد عن حبان بن جبلة ان أباذر أو أبا الدرداء قال لاحبذا المكروهات الثلاث الموت والمرض والفقر وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له في الموت خير فلاخير له في الحياة وروى ابن سعد في الطبقات والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال أحب الفقر تواضعا لربي وأحب الموت اشتياقا لربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي وروى أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري أنه كان اذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فان سئل عن شئ قال لا أدري لا أدري وروى ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء أنه قيل له ماتحب لمن تحب قال الموت قالوا فان لم يمت قال يقل ماله وولده وروى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال أتمنى لحبيبي ان يقل ماله و يعجل موته وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء قال مااهدى الى أخ صالح هدية أحب الى من السلام ولا بلغني خبر أعجب لي من موته وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال قيل لعبد الاعلى التيمي ماتشتهي لنفسك وان تحب من أهلك قال الموت وقال سهل بن عبد الله التستري لايتمنى الموت الاثلاثة رجل جاهل بمابعد الموت أو رجل يفر من أقدار الله تعالى أو مشتاق محب للقاء الله تعالى وقال حبان بن الاسود الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة وقال بعضهم ان المشتاقين يحسون حلاوة الموت عند وروده لماقد كشف لهم من ان روح الوصول أحلى من الشهد وروى ابن عساكر عن ذي النون المصري قال الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات اذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقا الى ربه وحبا للقائه والنظر اليه وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عبد ربه أنه قال لمكحول أتحب الجنة قال ومن لايحب الجنة قال فاحب الموت فانك لن ترى الجنة حتى تموت وروى عن عبد الله بن أبي زكريا أنه كان يقول لوخيرت بين ان أعمر مائة سنة في طاعة الله تعالى وان أقبض يومي هذا أوفي ساعتي هذه لاخترت ان أقبض في يومي هذا أوفي ساعتي هذه شوقا الى الله ورسوله والى الصالحين من عباده وروى أبو نعيم وابن عساكر عن أحمد بن الحواري قال سمعت أبا عبد الله النباجي يقول لوخيرت بين ان تكون لي الدنيا منذ يوم خلقت أتنعم فيها حلالا لا أسأل عنها يوم القيامة وبين ان تخرج نفسي الساعة لاخترت ان تخرج نفسي الساعة أماتحب ان تلقى من تطيع وروى ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا عن مسروق قال ماغبطت شيأ بشئ كمؤمن في لحده قدامن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا ورواه ابن أبي شيبة بلفظ مامن شئ خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وامن من عذاب الله وروى ابن المبارك في الزهد عن الهيثم بن مالك قال كنا نتحدث عند أيفع ابن عبدة وعنده أبو عطية المذبوح فتذكروا النعيم فقال من أنعم الناس قالوا فلان وفلان فقال ماتقول يا أبا عطية فقال أنا أخبركم عن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب وروى عن محارب بن دثار قال قال لي خيثمة أيسرك الموت قال لا قال ماأعلم أحدا لايسره الموت الامنقوص وهو عند عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بلفظ فقال ان هذا بك لنقص كبير وروى عن أبي عبد الرحمن ان رجلا قال في مجلس

أبي الاعور السلمي والله ماخلق الله شيا أحب الي من الموت فقال أبو الاعور لان أكون مثلك أحب الى من حمر النعم وروى ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم قال في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا وان كان الموت ذاغصص وكرب وروى عن محمد بن زياد قال حدثت عن بعض الحكماء انه قال للموت أهون على العاقل من زلة عالم غافل وروى عن سفيان قال كان يقال الموت راحة العابدين ومن الآثار التي يناسب ايرادها في فضل ذكر الموت والاستعداد له ماقال بعضهم في قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا هو الكفن فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا بصرفها فيما يوصل اليها ولا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك الذي هو الكفن كما قيل

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تلوى فيهما وحنوط

وقال حامد اللفاف من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة وقال بعضهم لايدخل ذكر الموت بيتا الارضي أهله بما قسم لهم قال أبو نواس

ألا أين الذين فنوا وماتوا * أما والله ماماتوا لتبقى

وقال أبو حمزة الخراساني من أكثر ذكر الموت حبب اليه كل باق وبغض اليه كل فان وروى ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال ماأكثر عبد ذكر الموت الاترك الفرح والحسد وروى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال من أكثر ذكر الموت قل حسده وقل فرحه وروى ابن أبي شيبة عن عون بن عبد الله قال ماأحد ينزل الموت حق منزلته الاعبدا عدغدا ليس من أجله كم من مستقبل يوما لايستكمله وراج غدا لايبلغه انك لو ترى الاجل ومسيره لابغضت الامل وغروره وروى عن ابي حازم قال كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لايضرك متى مت وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي عمران قال قال عمر بن عبد العزيز من قرب الموت من قلبه استكثر مافي يديه وروى عن القداح قال كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته وعن عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد قال كان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وعن عمر بن ذر قال قال عمر بن عبد العزيز ماأحب ان يهون على الموت لانه آخر مايؤجر عليه المؤمن وعن الاوزاعي قال قال عمر فذكر نحوه وروى عن جابر بن نوح قال كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض أهل بيته أما بعد فانك ان استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض اليك كل فان وحبب اليك كل باق والسلام وروى عن مجمع التيمي قال ذكر الموت غنى وعن سميط قال من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال مالزم عبد قلبه ذكر الموت الاصغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع مافيها وعن قتادة قال كان يقال طوبى لمن ذكر ساعة الموت وعن مالك بن دينار قال قال حكيم كفي بذكر الموت للقلوب حياة للعمل وعن أبي حازم قال يا ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر وروى عن علي رضي الله عنه قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد نظم هذا المعنى الحافظ العراقي فقال

وانما الناس نيام من يمت * فهم ازال الموت عنه وسنه

وروى أبو نعيم في الحلية ان عمر بن عبد العزيز قال لميمون بن مهران ياميمون ماأرى القبر الازيارة ولابد للزائر ان يرجع الى منزله يعني الى الجنة أو النار وعن رجاء بن حيوة قال ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوما فقال يتمثل

ألم تر ان الموت أدرك من مضى * فلم ينج منه ذو جناح ولا ظفر

(بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان الموت هائل) فظيع (وخطره عظيم و) انما (غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه) فلايخطر لهم ببال (و) لقلة (ذكرهم له) على ألسنتهم (ومن يذكره) قليلا أو كثيرا

(بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)* اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره

ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شئ الا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى يريدان يسافر الى مفازة مخطرة أو يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وانه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر فى نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضى الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا الى الله عز وجل

(ليس يذكره بقلب فارغ) عن الشواغل (بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا) معلق بها (فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه) لاجل ذلك (فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه) عن كل شئ الا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى (يريدان يسافر الى مفازة مخطرة أو) يريدان (يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه) ان قام أو قعد (فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك) اى اذا تحقق التأثير فمن علاماته أنه (يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه) منها فلا يكون له فى باطنه ميل اليها أصلا (وأوقع طريق فيه) أى أكثره وقعا فى القلب (ان يكثر ذكر أشكاله وأقرانه) ولداته (الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم) الجميلة (فى مناصبهم وأحوالهم) التى كانوا يتقلبون فيها (ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا نساءهم) أى تركوهن أرامل بلا أزواج (وايتموا أولادهم) أى تركوهم يتامى (وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم) ومدارسهم (ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب) أى موافقتها (وركونه الى القوة والثبات وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق و) الآن (قد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك و) الآن (قد أكل التراب أسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت الاشهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك) القابض للروح وهو عزرائيل عليه السلام (وقرع سمعه النداء اما بالجنة أو بالنار) يشير الى ما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن عمرو اذا توفى الله المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى الى روح الله فتخرج كاطيب ريح المسك وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى الى غضب الله فتخرج كانتن جيفة وقد رواه أبو بكر المروزى فى الجنائز من حديث أبى هريرة نحوه وسيأتى (فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة قال قال أبو الدرداء أعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا ان قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (السعيد من وعظ بغيره) رواه مسلم من طريق عمرو بن الحرث عن أبى الزبير المكى عن عامر بن واثلة عنه بزيادة والشقى من شقى فى بطن أمه وهو عند العسكرى فى الامثال من طريق عون عن أبى وائل وعند القضاعى من طريق ادريس بن يزيد الاودى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص كلاهما عن ابن مسعود مرفوعا ورواه العسكرى أيضا من طريق عبد الله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جده زيد بن خالد رفعه بلفظ المصنف ورواه القضاعى من هذا الوجه بتمامه ويروى من حديث عبد الله بن مصعب عن أبيه أيضا فقال عن عقبة بن عامر بدل زيد وهما ضعيفان ولذا قال ابن الجوزى لا يثبت كذلك مرفوعا (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى فى خطبته (ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا الى الله عز وجل

تضعونه فى صدع من الارض) أى شق منها (قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب) هكذا أورده هنا مختصرا وسيأتى بتمامه فى آخر الباب الذى يليه أخرجه أبو نعيم فى الحلية مطولا كما سنذكره (فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى) وأهل البلاء (هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والافالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان) أى طرفه (قليل الجدوى) أى الفائدة (فى التحذير والتنبيه) وسيأتى ذكر الخطب التى فيها مجال أفكار المعتبرين من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى آخر الباب الذى يليه (ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته نظر ابن مطيع) هو عبد الله بن مطيع بن الاسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عريج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى المدنى ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولابيه صحبة كان من رجال قريش جلدا وشجاعة كان على قريش يوم الحرة وقتل مع ابن الزبير بمكة وكان قد استعمله على الكوفة روى له مسلم حديثا واحدا (ذات يوم الى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والله الموفق

(الباب الثانى فى طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته)

وفيه أربعة فصول * الفصل الاول فى (فضيلة قصر الامل) اعلم ان الامل هو توقع حصول الشئ وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله فمن عزم على سفر الى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت الا ان قرب منها فان الطمع ليس الا فى القريب والرجاء بين الامل والطمع فان الراجى قد يخاف ان لا يحصل مأموله ويقال لما فى القلب مما ينال من الخير أمل ومن الخوف ايحاش ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه خطر ومن الشر وما لا خير فيه وسواس وقصره حبس النفس عنه يقال قصرت نفسى على هذا الامر اذا لم يطمع الى غيره وقصرت من طرفى لم أرفعه الى مكروه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر) بن الخطاب رضى الله عنهما (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا) قال العراقى رواه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر فى آخر حديث كن فى الدنيا كانك غريب اﻫ قلت ورواه البخارى من طريق الاعمش عن مجاهد عنه به الى قوله عابر سبيل مرفوعا من حديث ابن عمر وما سوى ذلك فانه من قوله لمجاهد وروى ابن المبارك فى الزهد وأحمد والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والعسكرى فى الامثال من طريق سفيان عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال يا عبد الله بن عمر كن فى الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا الحرث بن أبى اسامة حدثنا اسحق بن عيسى الطباع حدثنا حماد بن زيد ح وحدثنا حبيب بن الحسن حدثنا يوسف القاضى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا زائدة ح وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصرى حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير ح وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان واللفظ له قالوا عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال لى وأحب فى الله وأبغض فى الله ووال فى الله وعاد فى الله فانك لا تنال ولاية الله الا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت موافاة الناس فى أمر الدنيا وان ذلك لا يجزى عن أهله شيأ قال وقال لى ابن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فانك يا عبد الله بن عمر لا تدرى ما اسمك غدا قال وخذ

تضعونه فى صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والافالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

(الباب الثانى فى طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الامل)

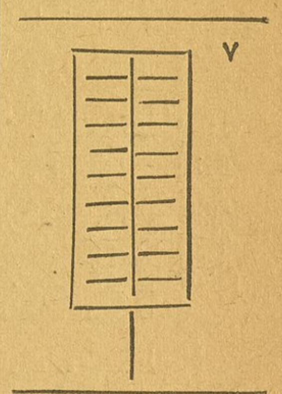
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال كن فى الدنيا غريبا أو عابر سبيل وعد نفسك فى أهل القبور قال أبو نعيم ولم يذكر خلاد و زهير وزائدة قوله فى الموالاة ووافقوه فى الباقى ورواه الحسن بن الحر وفضيل ابن عياض وجرير وأبو معاوية فى آخرين عن ليث ورواه الاعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه (وروى عن على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتين) كذا فى النسخ قال العراقى صوابه خصلتان (اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فان يصد) أى يمنع (عن الحق) أى عن قبوله وفى لفظ يضل بدل يصد (وأما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب و يبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان الا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية) أى مدبرة الى دارها (الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة) بوجهها (الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل) قال العراقى رواه بطوله ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الامل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف اه قلت روى ابن عدى من حديث جابر أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل ورواه ابن النجار من حديثه بلفظ أخوف ما أخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى فاما اتباع الهوى فيضل عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة الا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل قال العقيلى فيه يحيى بن مسلمة بن قعنب حدث بالمناكير وقد رواه ابن عساكر فى التاريخ من حديث على موقوفا وذكره الشريف الموسوى فى نهج البلاغة فى جملة خطبه ولفظه أيها الناس ان أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بامه يوم القيامة وان اليوم عمل لا حساب وغدا حساب ولا عمل ورواه الحاكم فى التاريخ والديلمى من حديث جابر بلفظ ان أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل فاما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مقبلة صادقة ولكل واحدة منهما بنون فان استطعتم ان تكونوا من بنى الآخرة ولا تكونوا من بنى الدنيا فافعلوا فانكم اليوم فى دار عمل ولا حساب وأنتم غدا فى دار حساب ولا عمل وروى ابن النجار من حديث على ان أشد ما أتخوف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فالحب للدنيا (وقالت أم المنذر) الانصارية رضى الله عنها (اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم اه قلت الذى تقدم انه من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب ذكرها الدارقطنى فى الاخوة وقال روى حديثها الطبرانى وفيه نظر اه قال الحافظ فى الاصابة حديثها أنها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس ألا تستحيون قالوا مم ذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبرانى من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منده ورواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن ثابت عن الوازع بن نافع نحوه قال الحافظ والطريقان ضعيفان (وقال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (اشترى اسامة بن زيد) الكلبى رضى الله عنهما حب رسول الله وابن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زيد بن ثابت) الانصارى رضى الله عنه

وروى على كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال ألا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ألا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وقال أبو سعيد الخدرى اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت

ولـيـدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهران اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيـده ماطرفت عيناى الاظننت أن شفرى لايلتقيان حتى يقبض الله روحى ولارفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الاظننت انى لاأسيغها حتى أغص (٢٣٨) بها من الموت ثم قال يا ابن آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يارسول الله ان الماء عنك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لاأبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فابعده فقال هل تدرون ماهذا

٧



قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها حدثنا أمر به أخذه فان أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنهشه ان أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج

(ولـيـدة) أى جارية (بمائة دينار الى شهر) قال (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهران اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى الاظننت ان شفرى) بضم الشين المعجمة وسكون الفاء وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب والجمع أشفار (لايلتقيان حتى يقبض الله روحى ولارفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الاظننت انى لاأسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك ابن عساكر فى التاريخ (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج) أى الى الخلاء (يهريق الماء فيتمسح بالتراب) أى يتيمم به (فاقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لاأبلغه) قال العراقى رواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الامل والبزار بسند ضعيف (وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الآخر فابعده فقال هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل) قال العراقى رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى قصر الامل واللفظ له والرامهرمزى فى الامثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى واسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا من رواية أبى المتوكل مرسلا اه قلت لفظ ابن المبارك عن أبى المتوكل الناجى هو الذى ساقه المصنف هنا وأما لفظ أحمد عن أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم غرز عودا ثم غرز الى جنبه آخر ثم غرز الثالث فابعده قال هل تدرون ماهذا هذا الانسان وهذا أجله وهذا أمله يتعاطى الامل فيختلجه الاجل دون ذلك وروى ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والديلمى من حديث أنس مثل الانسان والامل والاجل فمثل الاجل الى جانبه والامل امامه فبينما هو يطلب الامل امامه اذ أتاه الاجل فاختلجه (وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم) قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن اه قلت هو هكذا فى السنن بزيادة حتى يموت وقال حسن غريب ورواه كذلك الطبرانى والبيهقى والضياء كلهم من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه ورواه أبو نعيم فى الحلية عن الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن فراس حدثنا سليم بن قتيبة حدثنا عمر عن قتادة عن مطرف به فذكره (قال ابن مسعود) رضى الله عنه (هذا المرء وهذه الحتوف) أى المنايا المهلكة (حوله شوارع اليه) أى بارزة اليه مشرعة نحوه (والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايهما أمر به أخذه فان أخطأته الحتوف) ولم تصبه (قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله) بن مسعود رضى الله عنه (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التى حوله تنهشه ان أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج) قال العراقى رواه البخارى قلت قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد

حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ح وحدثنا سليمان حدثنا حفص بن عمر حدثنا قبيصة بن عقبة قالا حدثنا سفيان ح وحدثنا أبو اسحق بن حمزة حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي حدثنا أبو خيثمة حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى منذر الثوري عن الربيع بن خيثم عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا مربعا وجعل في وسط الخط خطا وجعل خطا خارجا من المربعة دارة وجعل حوله حروفا وخط حولها خطوطا فقال المربع الاجل والخط الوسط الانسان وهذه الدارة الخارجة الامل وهذه الحروف الاعراض والاعراض تصيبه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة والاجل قد حال دون الامل لفظ سليمان وقال يحيى بن سعيد هذه الخطوط التي الى جنبه الاعراض تنهشه من كل مكان ان أخطاه هذا أصابه هذا والخط المربع الاجل المحيط به والخط الخارج الامل قال الشيخ أبو نعيم حديث صحيح متفق على صحته لم يروه عن الربيع الا منذر (وقال أنس) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم) أي يكبر (ابن آدم ويبقى منه) خصلتان (اثنتان) استعارة يعني تستحكم في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشاب في شبابه (الحرص والامل) فالحرص فقره ولو ملك الدنيا والامل همه وتعبه وانما لم تكبرهاتان لان المرء جبل على حب الشهوات وانما تنال هي بالمال والعمر قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد صحيح اهـ قلت بل رواه بهذا اللفظ أحمد والشيخان تعليقا والنسائي كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس وفي لفظ للبخاري يكبر بدل يهرم (وفي رواية) يهرم ابن آدم (وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر) قال العراقي رواه مسلم بهذا اللفظ قلت وكذلك رواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس ولفظ الطيالسي يكبر ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية ورواه الطبراني من حديث سمرة وفي المقاصد للسخاوي وفي لفظ يشيب ابن آدم وتشب منه اثنتان وذكر صاحب البستان عن أبي عثمان النهدي قال بلغت نحوا من ثلاثين ومائة سنة وما من شئ الا وقد أنكرته الا أملي فاني أجده كما هو (وقال صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الامة) وهم الصحب والتابعون باحسان ومن داناهم من السلف (باليقين والزهد) أي بالثقة بالله في أمورهم والتجافي عن الدنيا بالزهد فيها (ويهلك) أي يكاد يهلك (آخر هذه الامة بالبخل والامل) أي بالاسترسال فيهما والمراد من ذلك ان الصدر الاول قد تحلوا باليقين والزهد وتخلوا عن البخل والامل وذلك من اسباب النجاة من العقاب وفي آخر الزمان ينعكس الحال وذلك من الاسباب المؤدية للهلاك قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ قلت وكذلك رواه أبو بكر بن لال في مساوى الاخلاق والخطيب في كتاب البخلاء وابن لهيعة لا يحتج به ثم ان المذموم من ذلك الاسترسال فيه لا قطع أصله واليه أشار المصنف بقوله (وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة) بكسر الميم آلة من حديد (يثير بها الارض) أي يخدمها (فقال عيسى) عليه السلام في نفسه (اللهم انزع منه الامل فاستجيب له (فوضع الشيخ المسحاة) وترك الشغل (واضطجع) على جنبه يستريح (فلبث ساعة) على ذلك (فقال) عيسى عليه السلام في نفسه (اللهم اردد اليه الامل) فاستجيب له (فقام) الشيخ (فجعل يعمل في الارض (فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل هكذا من حديث الحسن مرسلا اهـ قلت والشطر الاخير رواه أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود والخرائطي من حديث عائشة

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء

والطبرانى فى الاوسط من حديث الحكم بن عمير (وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل من رواية حوشب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى اسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب اه قلت ورواه ابن أبى الدنيا أيضا فى كتاب اليقين ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودى مانصه هو تابعى صغير وله رواية عن الحسن فى كتاب ابن أبى الدنيا أيضا اه قلت هذا التابعى الذى ذكره ذكر فى الحلية فى ترجمة محمد بن واسع من طريق عبد الواحد بن زياد قال سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب لاتبت وأنت شبعان ودع الطعام وأنت تشتهيه فقال حوشب هذا وصف اطباء أهل الدنيا قال ومحمد بن واسع يسمع كلامهما فقال نعم ووصف اطباء أهل الآخرة فقال مالك بخ بخ دواء للدين والدنيا وفى الصحابة اثنان يقال لهما حوشب كل منهما غير منسوب لاحدهما رواية فى مسند أحمد والثانى فى مسند الحسن بن سفيان والنوادر للحكيم فليحرر والله أعلم (الآثار قال مطرف بن عبد الله) بن الشخير رحمه الله تعالى (لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنوا بعيش ولاقامت بينهم الاسواق) رواه أبونعيم فى الحلية بلفظ وجدت الغفلة التى ألقاها على خلقه رحمة رحمهم بها ولو ألقى فى قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ماتهنالهم العيش (وقال الحسن البصرى) رحمه الله تعالى (السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطريق) رواه أبونعيم فى الحلية (وقال) سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (بلغنى ان الانسان خلق أحمق) أى قليل العقل (ولولا ذلك لم يهنه العيش) رواه أبونعيم فى الحلية (وقال) أبوعبد الله (سعيد بن عبد الرحمن) بن عبد الله بن جميل بن عامر بن خديم ابن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشى الجمحى المدنى قاضى بغداد زمن الرشيد روى عن هشام ابن عروة قال ابن معين ثقة مات سنة ست وسبعين ومائة روى له مسلم وأبوداود والنسائى وابن ماجه (انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وقال سلمان الفارسى) رضى الله عنه (ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى ربى لا أدرى الى الجنة يؤمر بى أو الى النار) رواه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبونعيم فى الحلية قال وحدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال بلغنا ان سلمان الفارسى كان يقول أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ولا يغفل عنه وضاحك ملء فيه لا يدرى أمسخط ربه أم مرضيه وأبكانى ثلاث فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدى رب العالمين حين لا أدرى الى النار انصرافى أم الى الجنة (وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبى أوفى) العامرى الحرشى البصرى العابد رحمه الله تعالى (بعد موته فى المنام فقلت أى الاعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وروى أبونعيم فى الحلية قال لقى سلمان عبد الله بن سلام فقال ان مت قبلى فاخبرنى ماتلقى وان مت قبلك فاخبرك قال فمات سلمان فرآه عبد الله بن سلام فقال كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير قال أى الاعمال وجدت أفضل قال وجدت التوكل شيأ عجيبا (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباء) رواه أبونعيم فى الحلية عن سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبيد بن آدم العسقلانى حدثنا أبو عمر بن النحاس حدثنا وكيع قال قال سفيان فذكره قال وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى حدثنا العباس بن اسمعيل حدثنا سهل حدثنا وكيع قال قال سفيان ليس الزهد فى الدنيا باكل الجشب ولبس الخشن انما الزهد فى الدنيا قصر الامل وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الاحوص بن الفضل بن غسان الغلابى حدثنا ابراهيم بن

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من دنيا تمنع خيرا لآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل (الآثار) قال مطرف ابن عبد الله لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما مامشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى أن الانسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الاحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا أدرى الى الجنة يؤمر بى أو الى النار * وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام قلت أى الاعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل

وقال الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس با كل الغليظ ولا لبس العباءة وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا أباسعيد ألا تغسل قميصك فقال الامر أعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم * وقال (٢٤١) بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائى لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار * وحكى انه جاء شقيق البلخى الى استاذله يقال له أبوهاشم الرمانى وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لوزات دفعها الى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل * وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لايدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من أمن أهوال القيامة فامامن لايداوى كلما الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما

سعد الجوهرى سمعت الحسن بن عبد الملك يقول (قال الثورى ليس الزهد فى الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الجشب انما الزهد قصر الامل وحدثنا أبو بكر الطلحى حدثنا الحسين بن جعفر حدثنا اسمعيل الطلحى قال قال وكيع كان سفيان يقول الزهد فى الدنيا قصر الامل (وسأل) أبومالك (المفضل بن فضالة) بن أبى أمية البصرى روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه (ربه أن يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وفيه اشارة الى ان المذموم منه انما هو الاسترسال فيه لا أصله (وقيل للحسن) البصرى (يا أباسعيد ألا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى حدثنا أبو الحسن بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنا سعدويه واسحق بن ابراهيم قالا حدثنا أبومعاوية عن الحسن قال قيل يا أباسعيد فذكره (وقال الحسن) البصرى (الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال انكم أصبحتم فى أجل منقوص وعمل محفوظ والموت فى رقابكم والنار بين أيديكم وما ترون والله ذاهب فتوقعوا قضاء الله فى كل يوم وليلة ولينظر امرؤ ما قدم لنفسه (وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (لو أملت ان أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع) أى بغتات المصائب (تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وحكى انه جاء شقيق البلخى) رحمه الله تعالى (الى استاذله يقال له أبوهاشم الرمانى) كان ينزل قصر الرمان بواسط اسمه يحيى بن دينار وقيل يحيى بن الاسود رأى أنس بن مالك قال أبو حاتم وكان فقيها صدوقا مات سنة ١٢٢ وقيل سنة ١٤٥ روى له الجماعة (وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها الى أخ لى وقال أحب ان تفطر عليها فقال) استاذه (ياشقيق وانت تحدث نفسك أنك تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فى خطبته ان لكل سفر زاد الامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى) يشير الى قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب (وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا) فيه لف ونشر مرتب (ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم) يشير الى قوله تعالى طال عليهم الامد فقست قلوبهم (وتنقادوا لعدوكم) اى ابليس (فانه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا وانما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لا يداوى كلما) أى جرحا (الا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى ويظهر عيبتى) كذا فى النسخ ولفظ الحلية عيلتى (وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا أبى ومحمد بن أحمد قالا حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثنى أبو عبد الرحمن حاتم بن عبد الله الازدى عن الحسين بن محمد الخزاعى عن

رجل من ولد عثمان ان عمر بن عبد العزيز قال فى بعض خطبته فذكره سواء بسواء (وكتب رجل الى أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام والسلام) رواه ابن أبي الدنيا فى قصر الامل (وكتب آخر الى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب وللبلى فى جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام) رواه أبو نعيم فى الحلية قال كتب عمر بن المنهال القرشى الى ابراهيم بن أدهم وهو بالرملة ان عظنى موعظة أحفظها عنك فكتب اليه أما بعد فان الحزن على الدنيا طويل فذكره وفيه بعد قوله بالرحيل واجتهد بدار الممر قبل الانتقال الى دار المقر (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (كان آدم عليه السلام قبل ان يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره) رواه أحمد فى الزهد قال حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا هشام هو الدستوائى عن الحسن قال كان آدم عليه السلام قبل ان يصيب الخطيئة فذكره ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه (وقال عبد الله بن سميط) بن عجلان الشيبانى البصرى ثقة مات سنة احدى وثمانين ومائة روى عن أبيه وعمه الاخضر بن عجلان وعنه عبد الرحمن بن مهدى وسيار وعبد الله بن عيسى الطفاوى وأبو داود الطيالسى ومحمد بن عبيد بن حساب روى له الترمذى (سمعت أبي) هو أبو همام سميط بالمهملة مصغرا أخو الاخضر روى عن أبي بكر الحنفى وزهير العامرى وعطاء وابن عمر وعنه ابنه المذكور وجعفر بن سليمان الضبعى وعبد الرحمن ابن مهدى ورياح بن عمرو القيسى وأبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العبادانى وابراهيم بن عبد الملك والصعق ابن حزن (يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد قال أخبرت عن سيار عن عبيد الله بن سميط قال سمعت أبي يقول فساق نحو ذلك (وقال أبو زكريا يحيى بن طلحة بن عبيد الله (التيمى) المدنى ثقة روى له الترمذى والنسائى وابن ماجه (بينما سليمان بن عبد الملك) بن مروان (فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتى بوهب بن منبه) اليمانى (فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا) رواه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا محمد بن أحمد ابن ابان حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عبيد حدثنا أبو عبد الله بن ادريس عن أبي زكريا التيمى قال بينما سليمان بن عبد الملك فساقه (وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف) صورته (سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانى أحذرك متحولك من دار مهلتك) وهى الدنيا (الى دار اقامتك وجزاء أعمالك) وهى دار الآخرة (فتصير فى قرار باطن الارض بعد ظاهرها

وكتب رجل الى أخ له أما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى اضغاث احلام والسلام وكتب آخر الى أخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص فى كل يوم منه نصيب وللبلاء فى جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره * وقال عبد الله بن سميط سمعت أبي يقول أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال أبو زكريا التيمى بينما سليمان ابن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فأتى بوهب ابن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن ابن يوسف سلام عليك فانى أحمد الله اليك لا اله الا هو أما بعد فانى أحذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى قرار باطن الارض بعد ظاهرها

فياتيك

فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك ويشهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع
وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من أهلها والسموات من سكانها فباحت
الاسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من
مفتضح ومستور وكم من
هالك وناج وكم من معذب
ومرحوم فياليت شعرى
ما حالى وحالك يومئذ ففى هذا
ماهدم اللذات وأسلى عن
الشهوات وقصر عن الامل
وأيقظ النائمين وحذر
الغافلين اعاننا الله واياكم
على هذا الخطر العظيم
وأوقع الدنيا والآخرة من
قلبي وقلبك موقعهما من
قلوب المتقين فانما نحن به
وله السلام * وخطب عمر
ابن عبد العزيز فحمد الله
وأثنى عليه وقال أيها الناس
انكم لم تخلقوا عبثا ولن
تتركوا سدى وان لكم
معادا يجمعكم الله فيه للحكم
والفصل فيما بينكم فخاب
وشقى غدا عبد أخرجه الله
من رحمته التي وسعت كل
شيء وجنته التي عرضها
السموات والارض وانما
يكون الامان غدا لمن خاف
واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا
بباق وشقوة بسعادة ألا
ترون انكم في اسلاب
الهالكين وسيخلف بعدكم
الباقون ألا ترون انكم في
كل يوم تشيعون غاديا ورائحا
الى الله عز وجل قد قضى
نحبه وانقطع أمله فتضعونه
في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وأيم الله انى لاقول مقالتى هذه ولا أعلم عند
أحد كم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ولكنها سنن من الله عادلة آمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على
وجهه وجعل يبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات

فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك) ويسألانك (ويشهرانك فان يكن الله معك) بان هداك للجواب (فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع) أي في لحدك (ثم تبلغك صيحة الحشر من القبور ونفخ الصور وقيام الجبار) جل جلاله (لفصل قضاء الخلائق وجلاء الارض من أهلها والسموات من سكانها) يوم يقول لمن الملك اليوم (فباحت الاسرار) أي ظهر ما كان مخفيا منها (وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعرى ما حالى وحالك يومئذ ففى هذا ماهدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الامل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة عن قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل ومحمد بن يوسف المذكور يحتمل ان يكون هو الفريابي أو الزبيدى الراوى عن أبي قرة وعبد الرحمن بن يوسف يحتمل ان يكون أخاه أو رجلا آخر فليحرر (وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقى غدا عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله انى لاقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحد كم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا سعدان بن نصر المخرمى حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنى رجل ان عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض واعلموا ان الامان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير وخوفا بامان أولا تدرون انكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلكم حتى يردوا الى خير الوارثين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو الحسن بن ابان حدثنا أبو بكر بن عبيد حدثنا اسحق بن اسماعيل حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا عبد الله بن الفضل التميمى قال آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان ما في أيديكم اسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ألا ترون انكم في كل يوم وليلة تشيعون غاديا أو رائحا الى الله تعالى وتضعونه في صدع من الارض ثم في بطن الصدع غير ممهد ولا موسد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب أسكن التراب وواجه الحساب فقير الى ما قدم امامه غنى عما ترك بعده أما والله انى لاقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسى قال ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ثم نزل فما خرج حتى أخرج الى حفرته

وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظار الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها

وقال أيضا حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال انكم لن تخلقوا عبثا وانكم لن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه فيحكم فيكم ويفصل بينكم وخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والارض ألم تعلموا انه لا يأمن غدا الا من حذر الله اليوم وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير وخوفا بأمان ألا ترون انكم في أنشاب الهالكين وستصير بعدكم للباقين وكذلك حتى تردون الى خير الوارثين ثم انكم تشيعون كل يوم غاديا ورائحا قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الارض في شق صدع ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد قد فارق الاحباب وباشر التراب ووجه للحساب مرتهن بما عمل غني عما ترك فقير الى ما قدم فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم أما والله اني لاقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي واستغفر الله وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا الا تمنيت ان يبدأ بي وبحاجتي يكون عيشه وعيشنا واحدا أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولا وكنت بأسبابه عالما ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال حدثنا عبد الله بن الهيثم بن عثمان حدثنا أبو وهب عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي حدثنا بشر أبو نصر قال خطبنا عمر ابن عبد العزيز بخناصرة فقال يا أيها الناس انكم لن تخلقوا عبثا فساقه بمثله وقال أبو نعيم أيضا حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا ابراهيم بن هانئ حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن أبي حبيب ان عمر بن عبد العزيز كتب الى بعض الاجناد أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته فان بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها تحق لهم ولايته وبها رافقوا أنبياءهم وبها نضرت وجوههم وبها نظروا الى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن والمخرج من كرب يوم القيامة ولن يقبل ممن بقي الا بمثل ما رضي به عمن مضى ولمن بقي عبرة فيما مضى وسنة الله فيهم واحدة فبادر بنفسك قبل ان يؤخذ بكظمك ويخاص اليك كما خاص الى من كان قبلك فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الامل أمله وذا السلطان سلطانه وكفى بالموت موعظة بالغة وشاغلا عن الدنيا ومرغبا في الآخرة فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده ونسأل الله خيره وخير ما بعده ثم ساقه بطوله وفيه كان لم يكن كل يوم تشيعون غاديا أو رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله وتغيبونه في صدع من الارض تدعونه غير متوسد ولا ممهد فارق الاحبة وخلع الاسلاب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيرا الى ما قدم غنيا عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موافاته وأيم الله اني لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي واستغفر الله وأتوب اليه (وقال القعقاع بن حكيم) الكناني المدني ذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة الا البخاري (قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لاحد عندي شيء) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال عبد الله بن ثعلبة) الحنفي رحمه الله تعالى من رجال الحلية حكى عنه حامد بن عمر البكراوي وغيره (تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا علي بن محمد حدثنا يوسف بن أبي عبد الله قال سمعت عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول فذكره (وقال أبو محمد) صدقة (الزاهد) رحمه الله تعالى (خرجنا بجنازة بالكوفة وخرج فيها داود) بن نصير

داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ماهو آت قريب واعلم يا أخى ان كل شئ يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان أهل الدنيا جميعا من أهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة

(الطائى) رحمه الله تعالى (فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ماهو آت قريب واعلم يا أخى ان كل شئ يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم واعلم ان أهل الدنيا جميعا من أهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق ح وحدثنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن الحسين حدثنا الحسين بن اسماعيل قالا حدثنا محمد بن يحيى الازدى حدثنا بشر بن مصلح حدثنا أبو محمد صدقة الزاهد قال خرجنا مع جنازة داود الطائى فى جنازة بالكوفة قال فقعد داود ناحية وهى تدفن فجاء الناس فقعدوا قريبا منه فتكلم فقال فذكره (وروى ان) أبا محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبى توبة فقال لى تقدم) فصل بنا وذلك لان معروفا كان لا يؤم انما يؤذن ويقيم ويقدم غيره قال (فقلت انى ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم) صلاة أخرى (غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك ان تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل) رواه ابن الجوزى فى طبقات النساك فقال أخبرنا يحيى بن على المدير أخبرنا يوسف بن محمد المهروانى أنبأنا محمد بن أحمد بن رزقويه حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق حدثنا جعفر بن محمد بن العباس البزاز حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى حدثنى السرى بن يوسف الانصارى قال أقام معروف الصلاة فذكره وروى أيضا بسنده الى محمد ابن منصور الطوسى قال كنا عند معروف الكرخى وجاءت امرأة سائلة فقالت اعطونى شيأ أفطر عليه فانى صائمة فدعاها معروف فقال يا أختى سر الله افشيتيه وتأملين ان تعيشى الى الليل (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فى خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفئ ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه ان الدنيا لاتسر بقدر ماتضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبى ومحمد بن أحمد قالا حدثنا أحمد بن محمد بن عمر حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا يعقوب بن اسماعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عمر بن محمد المكى قال خطب عمر بن عبد العزيز فقال ان الدنيا ليست بدار قراركم فساقه وفى آخره وتحزن طويلا وأبو بكر بن سفيان فى سياق السند هو ابن أبى الدنيا هكذا رواه فى كتاب القبور له (وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان يقول فى خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا) رواه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير ان أبا بكر كان يقول فى خطبته أين الوضاءة فذكره وأخرجه أبو نعيم أيضا فى ترجمة بنان الحمالى المصرى فقال حدثنا محمد بن عبيد الله بن المرزبان حدثنا على بن سعيد حدثنا بنان الصوفى حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير قال خطب أبو بكر الصديق رضى الله عنه أين الوضاءة فذكره وروى أبو نعيم أيضا من طريق عبد الله بن حكيم قال

يختصمون وروى أن معروفا الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبى توبة فقال لى تقدم فقلت انى ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك ان تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفئ ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه ان الدنيا لاتسر بقدر ماتضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا * وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه كان يقول فى خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا

خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال أما بعد فساقه وفيه ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل ان تنقضي آجالكم فيردكم الى أسوأ أعمالكم فان أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فانهاكم ان تكونوا أمثالهم الوحا الوحا النجا النجا ان وراءكم طالبا حثيثا مره سريع وروى الطبراني من طريق عمرو بن دينار قال خطبنا أبو بكر فذكر نحو حديث عبد الله بن حكيم وزاد ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم أين الملوك وأين الذين كانوا اثاروا الارض وعمروها قد نسوا ونسي ذكرهم فهم اليوم كلاشئ فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وأين من تعرفون من أصحابكم واخوانكم فقد وردوا على ما قدموا فحلوا الشقوة والسعادة ان الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوأ الا بطاعته واتباع أمره وانه لاخير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وروى أيضا من طريق نعيم بن نجيحة قال كان في خطبة أبي بكر أما تعلمون انكم تغدون وتروحون في أجل معلوم فذكر نحو حديث عبد الله بن حكيم وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له اتق الله يا عمر فساقه وفيه فان أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجزه

(فصل) ومن كلام علي رضي الله عنه بعد تلاوته الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ياله مراما ما أبعده وزورا ما أغفله وخطرا ما أفظعه لقد استخلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون أم بعديد الهلكى يتكاثرون يرتجعون منهم أجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا أحق بان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في أعقابهم جهالا تطؤن في هامهم وتثبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينهم وبينكم بوالك ونوائح عليكم أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا يفزعهم ورود الاحوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فشتتوا والافافترقوا وما عن طول عهدهم ولا عن بعد محلهم عميت أخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الاخاء والتعاطف فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا فكلا الغايتين مدت الى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجساد النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك

او

أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت وا كتحلت أبصارهم بالتراب
نخسفت وتقطعت الالسنة فى أفواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها وعاث فى كل
جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليه مستلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت اشجان
قلوب واقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلى وكم أكلت الارض من عزيز جسد
وانيق لون كان فى الدنيا غذى ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور فى ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان
مصيبة نزلت به ضنا بنضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبيناهو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه فى ظل عيش
غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب نخالطه بث لا يعرفه
ونجى هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء فلم يطفأ
ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الاهيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا أمد منها كل ذات داء
حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى
خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبرلهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله
فبيناهو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ بطنه
ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من
كبير كان يعظمه أو صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هى افظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على
عقول أهل الدنيا ومن كلامه رضى الله عنه فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة
ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع
والدعاء يسمع والحال هادية والاقلام جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا أو مرضا حابسا أو موتا خالسا
فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير
مطلوب قد أعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله وأقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت
عليكم عدوته وقلت عنكم نبوته فيوشك ان تغشاكم دواجى ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته
وغواشى سكراته وأليم ازهاقه ودجو اطباقه وجشوبة مذاقه فكان قد أتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق
نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب
محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزود فى منزل الزاد
ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها وأصابوا
غرتها وافنوا عدتها وأخلقوا جدتها أصبحت مساكنهم أجداثا وأموالهم ميراثا لا يعرفون من أتاهم ولا
يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غدارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع
لا يدوم رخاؤها ولا ينقضى عناؤها ولا يركد بلاؤها وقال رضى الله عنه فى خطبة له الا وانكم فى أيام أمل من
ورائه أجل فمن عمل فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله الا فاعملوا فى الرغبة كما تعملون
فى الرهبة وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق عبد الله بن عياش عن أبيه ان عمر بن عبد العزيز شيع
جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها
تأخرت عنها وتركتها فقال نعم نادانى القبر من خلفى يا عمر بن عبد العزيز الا تسألنى ما صنعت بالاحبة قلت
بلى قال خرقت الاكفان ومزقت الابدان ومصصت الدم وأكلت اللحم الا تسألنى ما صنعت بالاوصال
قلت بلى قال نزعت الكفين من الذراعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين والوركين من
الفخذين والفخذين من الركبتين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر وقال الا ان
الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابها يهرم وحيها يموت فلا يغرنكم اقبالها مع معرفتكم
بسرعة ادبارها والمغرور من اغتر بها أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها

أقاموا فيها أياما يسيرة غرتهم بصحتهم وغروا بنشاطهم فركبوا المعاصى انهم كانوا والله مغبوطين فى الدنيا بالاموال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه ماصنع التراب بابدانهم والرمل باجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم كانوا فى الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضدة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون فاذا مررت فنادهم ان كنت مناديا وادعهم ان كنت لابد داعيا ومر بعسكرهم وانظر الى تقارب منازلهم وسل غنيهم ما بقى من غناه وسل فقيرهم ما بقى من فقره وسلهم عن الالسنة التى كانوا بها يتكلمون وعن الاعين التى كانوا الى اللذات بها ينظرون وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والاجساد الناعمة ماصنع بها الديدان محت الالوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وابانت الاعضاء ومزقت الاشلاء أين حجالهم وقبابهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنوزهم والله مازودوهم فراشا ولا وضعوا هناك متكأ ولا غرسوا لهم شجرا ولا أنزلوهم من اللحد قرارا ليسوا فى منازل الخلوات والفلوات أليس الليل والنهار عليهم سواء أليس هم فى مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الاحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم نائية وأوصالهم متمزقة وقد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الافواه دما وصديدا ودبت دواب الارض فى أجسادهم ثم لم يلبثوا والله الا يسيرا حتى عادت العظام رميما قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة الى المضايق قد تزوجت نساؤهم وترددت فى الطريق أبناؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم فمنهم والله الموسع له فى قبره المتنعم بلذته ياساكن القبر غدا ما الذى غرك من الدنيا هل تعلم انك تبقى أو تبقى لك أين دارك الفيحاء وبهوك المطرد أين ثمرك الحاضر ينعه وأين رقاق ثيابك وأين طيبك وأين بخورك أين كسوتك لصيفك وشتائك اما رأيته قد نزل به الامر فما يدفع عن نفسه دخلا وهو يرشح عرقا ويتلمظ عطشا يتقلب فى سكرات الموت وغمراته جاء الامر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء جاء أمر الامير الاجل مالا يمتنع مثله هيهات هيهات يامغمض الوالد والاخ والولد وغاسله يامكفن الميت وحامله يامخليه فى القبر وراجع عنه ليت شعرى كيف كنت على خشونة الثرى ياليت شعرى باى خديك بدأ البلى يامجاور الهلكات صرت فى محلة الموتى ليت شعرى ما يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا وما يأتينى به من رسالة ربى ثم تمثل

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا * كما غر باللذات فى النوم حالم
نهارك يامغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
وتعمل فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

قال ثم انصرف فما بقى بعد ذلك الا جمعة وروى عن أبى صالح الشامى قال قال عمر بن عبد العزيز

أناميت وعز من لا يموت * قد تيقنت اننى سأموت
ليس ملك يزيله الموت ملكا * انما الملك ملك من لا يموت

وروى عن مفضل بن يونس قال قال عمر بن عبد العزيز لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها فبيناهم كذلك وعلى ذلك أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه بالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره فى الرخاء فيقدم لنفسه خيرا يجده بعد ما فارق الدنيا وأهلها قال ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء فقام وروى عن جعونة قال قال عمر بن عبد العزيز يا أيها الناس انما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا انكم لا تؤتون نعمة الا بفراق أخرى واية أكلة ليست معها غصة واية جرعة ليست معها شرقة وان أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف فى أيديكم حكمة وان اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن وان غدا آت بما فيه وأين يهرب من يتقلب فى يد طالبه انه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب انما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم فى غير هذه الدار انما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله وروى عن أبى الحسن المدائنى قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن

(بيان السبب فى طول الامل وعلاجه) اعلم ان طول الامل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيأ دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وانما يوافق البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه و يقدره مراده فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له (٢٤٩) سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا و يتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم و يفضى به شغل الى شغل بل الى أشغال الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوّف المسكين لا يدرى أن الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوّة و رسوخا و يظن انه يتصور أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها

فما قضى أحد منها لبانته * وما انتهى أرب الا الى أرب

وأصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبب من أحببت فانك مفارقه وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى ان يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن

عبيد الله بن عتبة يعزيه على ابنه أما بعد فانا قوم من أهل الآخرة اسكنا الدنيا أموات أبناء أموات والعجب لميت يكتب الى ميت يعزيه عن ميت والسلام روى عن عون بن معمر قال كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قيل قد مات فاجابه عمر أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخر لم تزل هذا وأمثال ذلك كثير فى تراجم السلف ومن طالع كتاب الحلية ظفر منها بالكثير

(الفصل الثانى فى بيان السبب فى طول الامل وعلاجه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان طول الامل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو انه اذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها وكل من كره شيأ دفعه عن نفسه) لا محالة (والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه و يقدره فى نفسه و يقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار واصدقاء ودواب) وملابس وضياع (وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه) وحبسا لديه (فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى أن تصير شيخا) فتتوب (فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له) وما يحتاج اليه فى معيشته (أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الذى يشمت بك) فتتوب (فلا يزال يسوّف و يؤخر ولا يخوض فى شغل الا و يتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم و يفضى به شغل الى شغل بل الى أشغال الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه) ولم يكن فى باله (فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف) وقد ورد ذلك فى بعض الاخبار بنحوه وتقدم للمصنف وقال العراقى هنالك لم أجد له أصلا (والمسوّف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوّة و رسوخا و يظن أنه يتصوّر أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها) والمنهمك فى تحصيلها (فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها) و راجع نفسه عنها (فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب الا الى أرب وأصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها) ولذا ورد حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى مفهومه ان بغضها رأس كل حسنة (والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم) ان روح القدس نفث فى روعى (أحبب من أحببت فانك مفارقه) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وقد تقدم غير مرة (وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشرة من رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى ان يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته و يستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن

ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد و كل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان
الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب و كهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له
ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا
يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما
موت نفسه فلم يألفه ولا يتصوران يألفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الاول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره
و يعلم انه لابدوان تحمل جنازته و يدفن (٢٥٠) فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لايدرى فتسويفه جهل
محض واذا عرفت أن
سببه الجهل وحب الدنيا
فعلاجه دفع سببه أما
الجهل فيدفع بالفكر
الصافى من القلب الحاضر
وبسماع الحكمة
البالغة من القلوب
الطاهرة وأما حب الدنيا
فالعلاج فى اخراجه من
القلب شديد وهو الداء
العضال الذى اعيا الاولين
والآخرين علاجه ولا
علاج له الا الايمان
باليوم الآخر وبما
فيه من عظيم العقاب
وجزيل الثواب ومهما
حصل له اليقين بذلك
ارتحل عن قلبه حب
الدنيا فان حب الدنيا فان
حب الخطير هو الذى يمحو
من القلب حب الحقير
فاذا رأى حقارة الدنيا
ونفاسة الآخرة استنكف
أن يلتفت الى الدنيا كلها
وان أعطى ملك الارض
من المشرق الى المغرب
وكيف وليس عنده من
الدنيا الاقدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الاكبر
الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم
كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا
فلينظر الانسان كل ساعة فى اطرافه واعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدأ
بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى فما على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما
سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض

ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت
بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة ومن صيف وشتاء
وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب
الدنيا دعواه) أى طلباه (الى طول الامل والى الغفلة من تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن ان الموت يكون
بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد
تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لا يقع واذا وقع لم
يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره و يعلم أنه لابدوان تحمل جنازته
و يدفن فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه) والثوب الذى يكفن فيه قد نسج وخرج من
عند القصار (وهو لايدرى) فتسويفه جهل محض (واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه
أما الجهل فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب
الدنيا فالعلاج فى اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال) الصعب (الذى اعيا الاولين والآخرين علاجه)
لشدة تعلقه بالقلب (ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب
ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل من قلبه حب الدنيا) اذ الدنيا والآخرة بمنزلة ضرتين ان أرضيت احداهما
أسخطت الاخرى (فان حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة
استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس عنده من
الدنيا الاقدر يسير ومع ذلك) فانه (مكدر منغص) متعب (فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع
الايمان بالآخرة) ايمانا يقينيا (فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده) كما ورد ذلك فى
الخبر وتقدم ذكره فى كتاب ذم الدنيا (ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب) الا ان يفرغ قلبه عن كل فكر سواه
ويجلس فى خلوة و يباشر ذكر الموت بجميع قلبه ولا أنفع فى ذلك (مثل النظر الى من مات من) النظر و(الاقران
والاشكال) والاتراب واحدا واحدا (وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا) و يتذكر مرضهم وأملهم
وركونهم الى الدنيا والجاه والمال ثم يذكر مصارعهم وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه (أما من كان
مستعدا) لمجيئه (فقد فاز فوزا عظيما وأما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر
الانسان كل ساعة فى اطرافه وأعضائه) نظر عبرة (وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لامحالة وكيف تتفتت
عظامها) حتى تصير نخرة (وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى) بعد ان تسيل على خده (فما
على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما
سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض

الا كبر فامثال هذه الافكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له *(بيان مراتب الناس فى طول الامل وقصره)*

اعلم ان الناس فى ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا فى عام قابل ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره وأما للغد فلا *قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لعلى لا أبلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشى انه كان يصلى ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال له

لا كبر فامثال هذه الافكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له) وفيما ذكرناه من خطب أمير المؤمنين ومن خطب عمر بن عبد العزيز مقنع للمتفكر والله الموفق

(الفصل الثالث فى بيان مراتب الناس فى طول الامل وقصره)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الناس فى ذلك متفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا قال الله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم) وهو سن سقوط القوة (وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ماهم) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال اه قلت بل رواه ابن المبارك فى الزهد عن أبى الدرداء موقوفا بلفظ نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر الا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ماهم ورواه الحكيم الترمذى عن مكحول مرسلا وأما حديث أبى هريرة فلفظه عند مسلم وابن ماجه قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال وعند ابن عساكر بلفظ فى اثنتين طول الامل وحب المال و روى أحمد والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم بلفظ على حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبى ورواه كذلك ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس وأما البخارى فلفظه لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين فى حب الدنيا وطول الامل (ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا فى عام قابل ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو) مدة (الشتاء فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره وأما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا للآجال غيركم) رواه أحمد فى الزهد عن سفيان نحوه (ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله) بن عمر (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح) تقدم قريبا (ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة و يقول لعلى لا أبلغه) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل من حديث ابن عباس وتقدم قريبا (ومنهم من يكون الموت نصب عينيه) لا يفارقه (كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع) روى الديلمى من حديث أنس اذكر الموت فى صلاتك فان الرجل اذا ذكر الموت فى صلاته لحرى ان تحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن انه يصلى صلاة غيرها واياك وكل أمر يعتذر منه و روى ابن ماجه من حديث أبى أيوب اذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودع وعند القضاعى من حديث ابن عمر صل صلاة مودع كانك لا تصلى بعدها وعند العسكرى فى الامثال من حديث سعد بن أبى وقاص وصل صلاتك وأنت مودع (وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وهو ضعيف (وكما نقل عن الاسود وهو حبشى) أى أسود اللون (انه كان يصلى ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال له

قائل ماهذا قال انتظر ملك الموت من أى جهة يأتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر الامل فى المبادرة الى العمل وكل انسان يدعى انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتنى باسباب ربما لا يحتاج اليها فى سنة فيدل ذلك على طول أمله وانما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء شكرا لله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه

(بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير) اعلم ان من له أخوان غائبان وينتظر قدوم احدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذى يقدم الى شهر أو سنة وانما يستعد للذى ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم تنتظر وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذى مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ماينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر

قائل ماهذا) الالتفات (قال انتظر ملك الموت من اى جهة يأتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر أثر قصر الامل فى المبادرة الى العمل وكل انسان يدعى أنه قصير الامل وهو كاذب) فى دعواه (وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتنى باسباب ربما لا يحتاج اليها فى سنته فيدل ذلك على طول أمله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح فانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه) اعلم ان العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حاله الغنى فى التوحيد لا التفات له الى ماض ولا مستقبل ولا الى الحال من حيث انه حال بل هو ابن وقته وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحال التى ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت والعارف قد مات فى حق الدنيا وفى حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة أيضا فضلا عن الدنيا بل قد ينغص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا ليزداد يقينا وهو معنى قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل يزداد وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا ليعلم أنه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها فتأمل ذلك

(الفصل الرابع فى بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير)

(اعلم) بصرك الله تعالى بنور توفيقه (ان من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما فى غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذى يقدم عليه الى شهر وسنة وانما يستعد للذى ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجىء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذى مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ماينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا) أى يكسبه الطغيان عن الحدود (أو فقرا منسيا) عن أمور الآخرة (أو مرضا مفسدا) لحاله (أو هرما مفندا) أى مورثا للفند محركة وهو ضعف الرأى والخطا فيه (أو موتا مجهزا) أى سريعا (أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة هل تنتظرون من الدنيا الا غنى الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم اه قلت وروى هناد بن السرى فى الزهد ومن طريقه صاحب الحلية قال حدثنا ابن المبارك عن شعبة عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى قال ماننتظر من الدنيا الا كلا محزنا أو فتنة

تنتظر (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس) أى فعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء (شبابك قبل هرمك) أى اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على مافرطت فى جنب الله (وصحتك قبل سقمك) أى اغتنم العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد (وغناك قبل فقرك) أى اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا فى الدنيا والآخرة (وفراغك قبل شغلك) أى اغتنم فراغك فى هذه الدار قبل شغلك باهوال القيامة التى أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الامكان لعلك تسلم من العذاب والهوان (وحياتك قبل موتك) أى اغتنم ماتلقى نفعه بعد موتك فان من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك فهذه الخمسة لايعرف قدرها الا بعد زوالها قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل باسناد حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عمرو بن ميمون الاودى مرسلا اهـ قلت ورواه أيضا الحاكم فى الرقاق والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبى فى التلخيص ورواه أحمد فى الزهد والنسائى فى المواعظ وأبونعيم فى الحلية والبيهقى عن عمرو بن ميمون مرسلا ولفظ الجميع اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك (وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان) من نعم الله تعالى كما فى رواية (مغبون فيهما) من الغبن بالسكون والتحريك قال الجوهرى فى البيع بالسكون وفى الرأى بالتحريك فيصح كل هنا اذ من لايستعملها فيما ينبغى فقد غبن ولم يحمد رأيه (كثير من الناس الصحة والفراغ) من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة شبه المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الارباح ومقدمات النجاح فمن عامل الله بامتثال أوامره ربح ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله ونبه بكثير على ان الموفق لذلك قليل رواه البخارى والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم ويروى نعمتان الناس فيهما مغبونون الصحة والفراغ (أى أنه لايغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما) وقال الحسن يقول ابن آدم نعمتان عظيمتان المغبون فيهما كثير الصحة والفراغ فهلا مهلا اثواءهنا قليل أخرجه العسكرى فى الامثال وقال الصحة عند بعضهم الشباب قال والعرب تجعل مكان الصحة الشباب (وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج) أى سار من أول الليل هذا اذا كان بالتخفيف أو معناه سار من آخره اذا كان بالتشديد (ومن أدلج بلغ المنزل) والمراد التشمير فى الطاعة والمعنى من خاف ألزمه خوفه السلوك الى الآخرة والمبادرة للعمل الصالح خوف القواطع والعوائق (الان سلعة الله غالية) أى رفيعة القدر (الان سلعة الله الجنة) قال الطيبى هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فان الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه فان تيقظ فى سيره وأخلص فى عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق اهـ وقال العلاء أخبران الخوف من الله هو المقتضى للسير اليه بالعمل الصالح المشار اليه بالادلاج وعبر ببلوغ المنزل عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن قلت وكذلك رواه الرامهرمزى فى الامثال والحاكم والبيهقى وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبى ورواه الحاكم أيضا وأبونعيم فى الحلية من حديث أبى بن كعب وقال الصدر المناوى فى تخريج المصابيح فى مسند الترمذى والحاكم يزيد بن سنان ضعفه أحمد وابن المدينى اهـ وقال ابن طاهر يزيد متروك والحديث لايصح مسندا وانما هو من كلام أبى ذر (وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه من حديث أبى بن كعب اهـ قلت ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وفى رواية تكرار ذلك مرتين فى كل كلمة ورواه الطبرانى من طريق أبى نعيم فى الحلية فقال حدثنا حفص بن عمر حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل

وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أى انه لايغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه

عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل فساقه وزاد يقولها ثلاثا والمراد بالراجفة النفخة الاولى والرادفة النفخة الثانية رواه عبد بن حميد عن أبي صالح وعن الحسن (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنس من الناس غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث زيد السلمي مرسلا اه قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب وروى البيهقي أيضا عن الوضين بن عطاء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحس من الناس بغفلة من الموت جاء فاخذ بعضادتي الباب ثم هتف ثلاثا يا أيها الناس يا أهل الاسلام أتتكم المنية راتبة لازمة جاء الموت بما جاء به جاء بالروح والراحة والكرة المباركة لاولياء الرحمن من أهل الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها لها الا ان لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت سابق ومسبوق (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد فيه لين اه قلت وكذلك رواه أبو يعلى في مسنده وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا يحيى بن بكير وسويد بن سعيد قالا حدثنا ضمام ابن اسمعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد انا النذير والى الموت المصير والساعة الموعد (وقال ابن عمر) رضي الله عنه (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا فيما مضى منه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل باسناد حسن والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه اه قلت ورواه الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ يا أيها الناس لم يبق من دنيا كم هذه الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وأما حديث أبي سعيد فقد رواه أحمد بلفظ صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر نهارا ثم قام فخطبنا فلم يترك شيأ قبل قيام الساعة الا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وجعل الناس يلتفتون الى الشمس هل بقي منها شئ فقال ألا انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وروى الخطيب من حديث عبد الله بن عمر وما بقي لامتي من الدنيا الا كمقدار الشمس اذا صليت العصر (وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل من حديث أنس ولا يصح اه قلت ورواه أيضا البيهقي في الشعب وفي مسنده يحيى بن سعيد العطار ضعفه ابن عدي ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية من حديث أبان عن أنس بلفظ مثل هذه الدنيا من الآخرة مثل ثوب والباقي سواء وقال غريب لم نكتبه الا من حديث ابراهيم بن أبي الاشعث وأبان بن أبي عياش لم تثبت صحبته لانس كان له حظ بالعبادة والحديث ليس من شأنه (وقال جابر) رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه) شبه حاله في خطبته وانذاره بقرب القيامة وتهالك الناس فيما يرديهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الاحاطة بهم بغتة بحيث لا يفوته منهم أحد فكما ان المنذر يرفع صوته وتحمر عيناه ويشتد غضبه على تغافلهم فكذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الانذار قال العراقي رواه مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الامل واللفظ له اه قلت ظاهره يقتضي أن صحابي الحديث هو جابر الانصاري كما هو المتبادر عند الاطلاق وليس كذلك بل هو جابر بن سمرة كما صرح به مسلم في روايته وقوله واللفظ له يشعر ان هذا السياق ليس عند أحد من الستة والامام اقتصر على ابن أبي الدنيا وقد رواه بهذا اللفظ ابن ماجه وابن حبان والحاكم مع زيادة بلفظ كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصابعه السبابة والوسطى ثم يقول أما بعد فان خير الامور كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولفظ مسلم في الجمعة بعد قوله صبحكم ومساكم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آنس من أصحابه غفلة أوغرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحتكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه

وقال ابن مسعود رضى الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدى الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر فى الموت وقال سحيم مولى بنى تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال أرحنى بحاجتك فانى أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج نفسى قال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى أعمال الخير للآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر ويحك بادرى قبل أن يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يرانى وكان الحسن يقول فى موعظته المبادرة المبادرة فانما هى الانفاس

ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله الخ وأما لفظ بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالوسطى والسبابة فانه روى هكذا من طرق فرواه أحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذى والدارمى وابن حبان من حديث أنس ورواه أحمد وهناد والطبرانى والضياء من حديث جابر بن سمرة ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث بريدة ورواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث سهل بن سعد ورواه البخارى وهناد من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى من حديث المستورد ورواه ابن ماجه وابن سعد من حديث جابر بن عبد الله (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك علامة تعرف قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) رواه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طرق عديدة وقد تقدم وقد روى نحوه من مرسل أبى جعفر المدائنى عند ابن المبارك فى الزهد ومن مرسل الحسن عند ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وقال السدى) هو محمد بن مروان بن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفى مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهذا هو المفسر ويعرف بالصغير روى عن يحيى بن عبيد الله والكلبى وعنه هشام بن عبد الله ومحمد بن عبيد المحاربى قال أبو حاتم هو ذاهب الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه البتة وأما السدى الكبير فهو أبو محمد اسمعيل بن عبد الرحمن كان يبيع الخمر بسدة الجامع بالكوفة والسدة هى الباب حجازى الاصل روى عن أنس وعنه شعبة والثورى قال ابن أبى حاتم كان أعلم بالقرآن من الشعبى مات فى امارة ابن هبيرة على العراق (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال (أى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل والبيهقى فى الشعب (وقال حذيفة) رضى الله عنه (ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل وان تصديق ذلك) فى (قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر قال فى الموت) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل هكذا وقال لمن شاء منكم ان يتقدم قال الموت أو يتأخر قال الموت والضمير راجع للنار أى ان البلايا الكبرى كثيرة والنار واحدة منها (وقال سحيم) المدنى (مولى بنى تميم) وقيل هو مولى بنى زهرة روى له النسائى (جلست الى عامر بن عبد الله) بن الزبير مدنى عابد ثقة روى عن أبيه وعن عدة من الصحابة وعن جماعة من التابعين (وهو يصلى فأوجز فى صلاته ثم أقبل على فقال أرحنى بحاجتك فانى أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) رحمه الله تعالى (فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما أبادر خروج نفسى) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا عبد الله بن سلمة بن سعيد قال لقى داود الطائى رجل فسأله عن حديث فقال دعنى فانى أبادر خروج نفسى (وقال عمر رضى الله عنه التؤدة فى كل شئ خير الا فى أعمال الآخرة) وهذا قد روى مرفوعا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ الا فى عمل الآخرة رواه الحاكم والبيهقى من رواية مصعب بن سعد عن أبيه وروى ابن سعد من طريق سليمان بن أبى حثمة عن أمه الشفاء بنت عبد الله قالت كان عمر اذا مشى أسرع وهذا محمود لمن يخشى من البطء فى السير تفويت أمر دينى ونحوه وعليه يحمل ما تقدم من قوله وهذا كما فى شرب السويق وتقديمه على الفتيت فلا يعارض ما ورد سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن (وقال المنذر) بن ثعلبة العبدى القطعى ويقال الطائى أبو النضر البصرى ثقة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه (سمعت مالك بن دينار) البصرى العابد الثقة (يقول لنفسه ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر ويحك بادرى قبل ان يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول فى موعظته المبادرة المبادرة فانما هى الانفاس

لو حبست عنكم أعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرأ أنظر الى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد أبو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدي رحالك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدبه الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لافضل العدة فالتقى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين اليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت ان ينزل به فيالها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وان ترديه أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت منكم حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي أيام قلائل وانما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل

لو حبست عنكم انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرأ أنظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس) أي نعد لهم الانفاس عدا (آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل هكذا ورواه صاحب كتاب المتفجعين من طريق عبد الواحد بن زيد قال سمعت الحسن يقول يا ابن آدم لقد أعذر الله اليك ان عمرك أربعين سنة تركض وترتع فبادر المهلة قبل حلول الاجل ونزول الموت وكانك بك قد لحقت بمن مضى من اخوانك فندمت على ما فرطت فيه أيام حياتك ثم يبكي ويقول المبادرة رحمكم الله المبادرة فانما هي الانفاس فساقه (واجتهد أبو موسى الاشعري) رضي الله عنه (قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت) الى السباق (فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها) أي من القوة (والذي بقي من أجلي أقل من ذلك قال) الراوي (فلم يزل على ذلك حتى مات) قال (وكان يقول لامرأته شدي رحالك فليس على جهنم معبر) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الامل (وقال بعض الخلفاء على منبره) هو أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما ذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهذا لفظه مع بعض اختلاف في السياق كما ننبه عليه (عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم) وسياق النهج واتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد أظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت ان ينزل به (وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه) وفي نسخة يحدوه (الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل) وفي نسخة يقدم (بالفوز أو الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته) ولفظ النهج بحذف الواوات (فان أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها) ولفظ النهج بتقديم الجملة الثانية على الاولى وفيه ليركبها (حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها وانه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار الا الموت ان ينزل به) هذه الجملة في سياق النهج مقدمة كما أشرنا اليها (فيالها حسرة على) كل (ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم) ولفظ النهج نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم (ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية) ولفظ النهج عن طاعة ربه غاية (ولا تحل به بعد الموت حسرة) ولفظ النهج ندامة ولا كآبة (انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم أنفسكم قال) أي (بالشهوات واللذات) فان النفوس تفتتن بها بمقتضى ميلها اليها (وتربصتم قال) أي (بالتوبة) أي سوفتم بها (وارتبتم قال أي شككتم) أي داخلكم الارتياب والشك (وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله قال) أي (الموت) أي فاجأكم (وغركم بالله الغرور) وهو كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان وبالدنيا لانها تغر وتضر وأما الشيطان فانه أقوى الغارين وأخبثهم (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (تصبروا وتشددوا فانما هي أيام قلائل وانما أنتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل

منكم فيجيب) الداعى (ولا يلتفت فانتقلوا بصالح مابحضرتكم) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (مامنكم من أحد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة) الى أهلها رواه الطبرانى وأبو نعيم من طريق الضحاك بن مزاحم عنه وقد تقدم (وقال أبو عبيدة) بكر بن الاسود ويقال ابن أبى الاسود (الناجى) الزاهد من بنى ناجية بن سامة بن لؤى روى عن الحسن وابن سيرين قال الذهبى متروك ومشاه بعضهم (دخلنا على الحسن) البصرى (فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حيا كم الله بالسلام وأحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم) وفى نسخة أيقنتم (فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون) أى تقفون (أتيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وابن حبان فى الالقاب وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه (وقال) أبو عبد الرحن (عاصم) بن سليمان (الاحول) البصرى ثقة مات بعد الاربعين من المائة روى له الجماعة (قال لى فضيل) بن مرزوق الاغر (الرقاشى) الكوفى أبو عبد الرحمن صدوق مات فى حدود سنة ستين روى له مسلم والاربعة (وأنا أسائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخاص اليك دونهم ولا تقول اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لا شئ فان الامر محفوظ عليك ولم ترشيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادرا كامن حسنة حديثة لذنب قديم) رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الامل وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا صالح بن زياد حدثنا سعيد بن عامر عن جسر قال كان الحسن يقول أيها المرء انك لا تدرى لعلك ان تكون الشخص المختطف انك لا تدرى باى ميتة تموت انك لا تدرى لعلك ان يحبس طعامك أوشرابك فى بطنك فيخرج به نفسك داو نفسك واحذر مصرعك بكرب الموت وشدته انك لا تدرى بما يأتيك به الموت بخير أو بشر ليكن الموت منك على بال أدب نفسك بتواتر نعم الله عليك وانت غير مستحق لها ثم يقبل على أصحابه فيقول الموت أول وارد عليك من الآخرة بخير يسترا وبشر يسوء ثم يبكى قال وحدثنا صالح بن زياد وعبد الله بن الهيثم قال حدثنا السهمى قال حدثنا أبو عبيدة الناجى عن الحسن قال يا ابن آدم طا الارض بقدمك فانها عن قليل قبرك انك لم تزل فى هدم عمرك منذ خرجت من بطن امك انما أنت عدد فاذا ذهب يوم فقد ذهب بعضك وكل بك ملكان كريمان يكتبان عليك ماتجنى على نفسك فاذا مت طويت صحيفتك ثم قلدتها فى عنقك ثم تلا وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لقد عدل عليك ثم جعلك حسيب نفسك وبهذا السند عن الحسن قال يا ابن آدم لا يلهيك أهلك الذين انت ضيف فيهم عن أهل لا تزايلهم ولا تلهك مساكن انما تمر بها عن مساكن انت خالد فيها يا ابن آدم لو رأيت رجلا نزل منزلا فى سفر لا يقيم فيه تجمع فيه المقام ألم تكن فى الناس ضحكة يا ابن آدم لكل أمر عدة وعتاد وعدة الآخرة وعتادها ثلاث صقل القلب وصحة البدن والسعة فى الدنيا فاذا فعل الله بك ذلك فقد أعذر اليك ولا معذرة لك ان لم تحسن يا ابن آدم انما تدخل القبر وحدك ليس عليك من الناس شئ ولا عليهم منك شئ ما أقل جدا لهم عنك فى ذلك الموطن فقد نفروالله يا أحمق منك أقرباؤك وأحباؤك كل امرئ منهم يقول نفسى نفسى يامسكين انما يكرمك اليوم منهم من أكرمك لهذه الروح التى فى جسدك فلو قد انتزع منك نبذوك عنهم وان تركت بينهم فروا من البيت الذى انت فيه قال وحدثنا عبد الله بن الهيثم عن سعيد بن عامر عن عبد الله بن المبارك قال قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لاخ له يا أخى أترضى حالك هذه للموت قال لا قال فهل انت مجمع على الانتقال الى حال ترضاها للموت قال مادعتنى نفسى الى ذلك بعد قال فهل بعد الموت دار فيها معتمل قال لا قال فهل تأمن الموت ان يأتيك على حالك هذه قال لا قال ما رأيت مثل هذه الحال رضى بها

منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح مابحضرتكم وقال ابن مسعود مامنكم من أحد أصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم وأهلا حياكم الله بالسلام وأحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لى فضيل الرقاشى وأنا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار فى لا شئ فان الامر محفوظ عليك ولم ترشيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادرا كامن حسنة حديثة لذنب قديم

(الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الاحوال عنده) اعلم انه لولم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولاهول ولاعذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه و يتكدر عليه سروره و يفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره و يعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لاتدرى متى يغشاك * وقال لقمان لابنه يابنى أمر لاتدرى متى يلقاك استعدله قبل أن يفجأك والعجب ان الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم فى سكرات الموت لايعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التى أدركها واما بالاستدلال باحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فاما القياس الذى يشهدله فهو أن كل عضو لاروح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ماسرى الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الابعض الالم فان كان فى الآلام مايباشر نفس الروح ولايلاقى غيره فما أعظم ذلك الالم وما أشده * والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن الاوقد حل به الالم فلو أصابته شوكة فالالم الذى يجده انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة وانما يعظم أثر الاحتراق لان أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فانما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم النزع يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من

عاقل قال وحدثنا عبدالله بن الهيثم حدثنا العتبى عن أبيه قال عاد الحسن عليلا فوجده قد افرق فقال يا أيها الرجل ان الله قد ذكرك فاذكره وقد أقالك فاشكره ثم قال ضربة سوط من ملك كريم فاما فرس جواد واما حمار عثور و بهذا السند قال الحسن ضرب الله ابن آدم بالامراض وضربه بالحاجة و بالعجز وجعل مصيره الى الموت وانه مع ذلك لوثاب وبهذا السند قال كتب الحسن الى فرقد أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله والاستعداد لما لاحيلة لاحد فى دفعه ولاينفع الندم عند نزوله فاحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسبق فان الدنيا ميدان مسابقة وان لى ولك من الله مقاما يسألنى فيه واياك عن الحقير الدقيق والجليل الجافى ولا آمن ان يكون فيما يسألنى واياك فيه عن وساوس الصدور ولحظ العيون واصغاء الاسماع وما أعجز عن وصفه

(الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته ومايستحب من الاحوال عنده)

(اعلم) وفقك الله تعالى (انه لولم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولاهول) ولاشدة (ولاعذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه و يتكدر عليه سروره و يفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان تطول فيه فكرته و يعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لاتدرى متى يغشاك وقال لقمان لابنه يابنى أمر لاتدرى متى يلقاك استعدله قبل ان يفجأك) أى يأتيك فجأة (والعجب ان الانسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندى مثلا فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور) بالامانى الباطلة (واعلم ان شدة الالم فى سكرات الموت لايعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التى أدركها واما بالاستدلال باحوال الناس فى النزع على شدة ماهم فيه فأما القياس الذى يشهدله فهو أن كل عضو لاروح فيه فلا يحس بالالم) وقد تقدم الكلام على ذلك فى تشريح الانسان (فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ماسرى الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الابعض الاثر فان كان فى الآلام مايباشر نفس الروح ولايلاقى غيره فما أعظم ذلك الالم وما أشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو أصابته شوكة فالالم الذى يجده انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة) فان قيل فما بال اثر الاحتراق بالنار يعم سائر البدن فالجواب ما أشار اليه المصنف بقوله (وانما يعظم اثر الاحتراق لان أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا و باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم وأما الجراحة فانما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك ألم الجرح دون النار فألم النزع يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من

الاعصاب

الاعصاب و جزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة و بشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب و يصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه و بلغ كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الاطراف فقد ضعفها و يود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى أعالى أجفانه وتتقلص الشفتان و يتقلص اللسان الى أصله وترتفع الانثيان الى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولاد قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها و يغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد مالم يغرغر وقال مجاهد فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكرته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن على هذه السكرة

الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة و بشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض) كما ورد كل ذلك فى الاخبار على ما سيأتى ذكرها (لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب و يصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوّشه وأما اللسان فقد أبكمه) وأخرسه (وأما الاطراف فقد ضعفها) وهد قوتها (و يودّ لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره) كخوار الثور العقير (وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى أعلى أجفانه وتتقلص الشفتان و يتقلص اللسان الى أصله وترتفع الانثيان الى أعالى موضعهما وتخضر أنامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أوّلا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه) حتى ينحشر الروح فى الصدر (ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم) واليه يشير قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى وقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون (فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها) وروى ابن ماجه عن أبى موسى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال اذا عاين (و يغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر اهـ قلت ورواه كذلك ابن زنجويه وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى كلهم من حديث ابن عمر ورواه أيضا ابن جرير من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث أبى أيوب بشير بن كعب ورواه ابن زنجويه وابن جرير عن الحسن بلاغا ورواه أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ مالم يغرغر بنفسه (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا عاين الرسل) المؤكلة بقبض الروح (فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته) قال ابن عمر وهل الحضور الا السوق كما رواه ابن جرير (ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت) روى ذلك من حديث عائشة بنحوه كما سيأتى (والناس انما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى ان يهوّن على هذه السكرة

يعني الموت فقد دخلت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وقال القرطبي لتشديد الموت على الانبياء عليهم السلام فائدتان احداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم وليس ذلك نقصا ولا عذابا بل هو كما جاء ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل والثانية ان تعرف الخلق مقدار ألم الموت وانه باطن وقد يطلع الانسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا بل يرى سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه فلما ذكر الانبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقا لاخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ماثبت في الحديث اه (وروى ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه) فيخبركم عن أحوال البرزخ (فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود وقد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث جابر بهذا اللفظ ورواه ابن أبي شيبة في مسنده وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن منيع والضياء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحدثوا عن بني اسرائيل فانه كان فيهم أعاجيب ثم أنشأ يحدثنا قال خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الاموات يخبرنا عن الموت ففعلوا فبينما هم كذلك اذ طلع رجل أسود اللون بين عينيه اثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم الى لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله ان يعيدني كما كنت ويقرب من ذلك ما رواه أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب ان رجلين من بني اسرائيل عبدا الله حتى سئما من العبادة فقالا لو خرجنا الى القبور فجاورناها لعلنا ان نراجع فجاورا القبور فعبدا الله فنشر لهما ميت فقال لهما لقد مت منذ ثمانين سنة واني لاجد ألم الموت بعد (وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الترمذي بلفظ لا أغبط أحدا بهون موت والباقي سواء والهون بالفتح الرفق وروى البخاري عنها قالت لا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم (وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فأعني على الموت وهونه علي) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث طعمة بن غيلان الجعفي وهو معضل سقط منه الصحابي والتابعي اه قلت رواه عن محمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن علي الجعفي حدثنا طعمة بن غيلان الجعفي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة طعمة من طبقة اتباع التابعين روى عن الشعبي وغيره وعنه السفيانان وذكره ابن حبان في الثقات اه قلت هو كوفي روى له النسائي في مسند علي (وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلا ورجاله ثقات اه قلت وفي بعض الاخبار انه قدر مائة ضربة وفي بعضها قدر ألف ضربة كما سيأتي وذكر المصنف في الدرة الفاخرة حديث لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف قال السيوطي في تخريجها لم أجده بهذا اللفظ لكن بنحوه ثم ذكر حديث الضحاك بن حمزة وسأذكره بعد (وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة) كانت (في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلا اه قلت شهر أشعري شامي صدوق كثير الارسال والاوهام روى له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة (ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات اه قلت ورواه كذلك البزار والطبراني من حديث سلمان ولفظه انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار وهو

يعني الموت فقد دخلت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت وروي أن نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أنه عليه السلام كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فأعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته

فى الموت فقال ماتجد قال أجدنى بخير وقد حضرنى اثنان أحدهما اسود والا آخر أبيض فقال صلى الله عليه وسلم أيهما أقرب منك قال الاسود قال ان الخير قليل وان الشر كثير قال فمتعنى منك يارسول الله فقال اللهم اغفر الكثير وانم القليل ثم قال ماترى قال خيرا بابى أنت وأمى أرى الخير ينمى وأرى الشر يضمحل وقد استأخر عنى الاسود قال أى عملك أملك بك قال كنت أسقى الماء ثم قال صلى الله عليه وسلم انى أعلم مايلقى مامنه عرق الاوهو يألم الموت على حدته وقد روى نحوه عن عطاء بن يسار رفعه فى أثناء حديث ومامن مؤمن يموت الاوكل عرق منه يألم على حدة رواه الحرث بن أبى اسامة بسند جيد وأما مرسل عبيد بن عمير فلفظه عاد النبى صلى الله عليه وسلم مريضا فقال مامنه عرق الاوهو يألم منه غير أنه قد اتاه آت فبشره ان ليس بعده عذاب رواه كذلك البيهقى فى الشعب وروى بونعيم فى الحلية فى أثناء حديث لواثلة بن الاسقع والذى نفسى بيده لاتخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله ورواه ابن أبى الدنيا عن أبى حسين البرجى مرفوعا نحوه (وكان على رضى الله عنه يحض) الناس (على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لالف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وفى نهج البلاغة للشريف الموسوى قال ومن كلامه رضى الله عنه فى وقت الحرب وأى امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء ورأى من أحد من اخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التى فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لايفوته المقيم ولايعجزه الهارب ان أكرم الموت القتل والذى نفس ابن أبى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من ميتة على الفراش (وقال الاوزاعى) رحمه الله تعالى (بلغنا ان الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وروى أبونعيم فى الحلية عن كعب قال لايذهب عن الميت ألم الموت مادام فى قبره وانه لاشد مايمر على المؤمن وأهون مايصيب الكافر (وقال شداد بن أوس) رضى الله عنه (الموت أفظع هول فى الدنيا والا آخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو ان الميت نشر فاخبر أهل الدنيا بالموت ماانتفعوا بعيش ولالذوا بنوم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وفيه فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ورواه أيضا عن وهب بن منبه بلفظ الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وغلى فى القدور ولو ان ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الارض لاوسعهم المائم هو أول شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن (وعن) أبى عبد الله (زيد بن أسلم) العدوى مولاهم المدنى ثقة عالم كان يرسل مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (عن أبيه) أسلم العدوى مولى عمر ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة روى له الجماعة (قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت عن محمد بن الحسين حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولفظه اذا بقى على المؤمن من ذنوبه شئ لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة وان الكافر اذا كان قد عمل معروفا فى الدنيا يهوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير الى النار فالمراد بابيه هو زيد بن أسلم والضمير راجع الى عبد الرحمن وفى سياق المصنف خطأ ولو قال عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه لاصاب (وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسى تخرج من ثقب ابرة) المراد بالبعض هو عمرو بن العاص فروى ابن سعد عن عوانة بن الحكم قال كان عمرو بن العاص يقول عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لايصفه فوصف لنا الموت ٧ قال يابنى الموت أجل من أن يوصف ولكن سأصف لك منه شيأ أجدنى كان على عنقى جبال رضوى وأجدنى كان فى جوفى شوك السلا وأجدنى كان نفسى تخرج من ثقب ابرة وروى ابن أبى الدنيا فى المحتضرين عن ابى زيد النميرى حدثنا محمد بن يحيى الكنانى عن عبد العزيز بن عمران

وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الاوزاعى بلغنا أن الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والا آخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فاخبر أهل الدنيا بالموت ماانتفعوا بعيش ولالذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسى يخرج من ثقب ابرة

---

٧ هكذا بالاصل ولعل فيه سقطا هو فلما نزل به قال له ابنه صف لنا الموت

الزهرى عن معاوية بن محمد بن عبد الله بن بحير عن أبيه قال لما احتضر عمرو بن العاص قال له ابنه يا أبتاه انك كنت تقول ليتنى ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجده وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت فقال يا بنى والله لكان جنبى فى تخت وكأنى أتنفس من سم ابرة وكان غصن شوك يمر به من قدمى الى هامتى وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو عاصم أخبرنا حيوة بن شريح عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة أخبره ان عمرو بن العاص لما حضره الموت قال له عبد الله ابنه يا أبا عبد الله أجزعا من الموت قال لا ولكن لما بعد الموت قال فقد كنت أسمعك تقول انى لأعجب ممن يدركه الموت ومعه عقله كيف لا يخبر به وقد جاءك الموت وعقلك معك قال نعم يا بنى كان السماء قد أطبقت على الارض وأنا بينهما وكان سفودا محمى ينزع من سحرى وكان روحى تجذب من خرق ابرة وما من عضو من اعضائى الا وهو يألم على ذى حدته ثم قال اى بنى انى كنت على حالات ثلاث كنت جاهليا لا أعرف الدين فلو مت على ذلك كانت النار ثم قذف الله الاسلام فى قلبى وأحببت رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا حتى لو ذهبت أصفه لم استطع ذلك لاجلالى اياه وكان لى محبا مقدما فلو مت على ذلك كانت الجنة ان شاء الله تعالى ثم أصابتنا بعده أمور ماندرى ما حالنا فيها ثم قال اللهم انى لست ببرىء فأعتذر ولست بقوى فانتصر يا بنى اذا حملتمونى فاسرعوا بى فانما هو خير تو ردونى اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ولا تتبعونى نائحة ولا بجمرة وسنوا على التراب سنا فاذا دفنتمونى فاجلسوا عند قبرى مقدار ما ينحر جزور ويقسم لحمه لكى اعلم ما أراجع به رسل ربى عز وجل (وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر) قال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح بلفظ وأخذة أسف للكافر ولابى داود من حديث عبيد بن خالد السلمى موت الفجأة اخذة أسف اه قلت حديث عبيد بن خالد رواه أيضا أحمد وابن ماجه وأما حديث عائشة فرواه أيضا البيهقى فى الشعب عن عبيد بن عمير قال سألت عائشة رضى الله عنها عن موت الفجأة أيكره قالت لاى شئ يكره سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال راحة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر وقال السخاوى فى المقاصد وفى الباب عن أنس وابن مسعود بينهما الزيلعى فى سورة طه من تخريجه (وروى عن) أبى عبد الله (مكحول) الشامى ثقة فقيه كثير الارسال مشهور مات سنة بضع عشرة ومائة روى له البخارى فى خبر القراءة ومسلم والاربعة (عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لوان شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الا مات) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه لوأن ألم شعرة وزاد وان فى يوم القيامة لساعة تضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد اه قلت عمرو بن شرحبيل كوفى ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين روى له الجماعة سوى ابن ماجه (ويروى لوان قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها الذابت) قال العراقى لم أجد له أصلا ولعل المصنف لم يورده حديثا فانه قال ويروى اه قلت بل روى أبو بكر المروزى فى الجنائز عن أبى ميسرة رفعه لوان قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء والارض لماتوا جميعا وان فى القيامة لساعة تضعف على شدة الموت سبعين ضعفا (وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك) رواه أحمد فى الزهد والمروزى فى الجنائز من طريق ابن أبى مليكة بلفظ ان ابراهيم عليه السلام لما لقى الله قيل له كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كانها تنزع بالسلا قيل له قد يسرنا عليك الموت (وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور) الحى (حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير) رواه أحمد فى الزهد (وروى عنه انه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب) رواه أيضا أحمد فى الزهد وروى أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن الحسن قال قيل لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كسفود دخل جوفى له شعب كثيرة

وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لوأن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الا مات ويروى لوأن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها الذابت وروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك اذا أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث (الاولى) شدة النزع كما ذكرناه *(الداهية الثانية)* مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه

تعلق كل شعبة منه بعرق من عروقي ثم انتزع من جوفي نزعا شديدا فقيل لقد هوّنا عليك وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أبي اسحق قال قيل لموسى عليه السلام كيف وجدت طعم الموت قال كسفود ادخل في جزة صوف فامتلخ قال يا موسى هوّنا عليك (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات الموت) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة اه قلت لفظ البخاري من حديثها أنه كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ورواه كذلك أحمد ورواه الترمذي عن قتيبة حدثنا الليث عن ابن الهاد عن موسى بن سرجس عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعنى على سكرات الموت أو منكرات الموت (وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم) قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس بلفظ واكرب ابتاه وفى رواية لابن خزيمة واكرباه اه (وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار) رحمه الله تعالى (يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وابقى ما أبقى) هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن حدثنا أبو الحسن بن أبان حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا خالد بن خراش حدثنا حماد بن زيد عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة ان عمر قال لكعب أخبرني عن الموت قال يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم وليس منه عرق ولا مفصل الا فيه شوك ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها فارسل عمر دموعه وأبو بكر بن سفيان هذا هو ابن أبي الدنيا وهكذا رواه في كتاب الموت عن خالد بن خراش وقد ساقه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من طريق ابن أبي الدنيا ثم أعقبه بقوله ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن خراش فاوهم انه من طريق أخرى وليس كذلك بل هو من طريق ابن أبي الدنيا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة) قال العراقي رويناه في الاربعين لابي هدبة ابراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك اه قلت ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس وأبو الفضل الطوسي في عيون الاخبار والقشيري في الرسالة وابراهيم بن هدبة قال الذهبي كذاب وقال الدارقطني متروك (فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبابه) وهم المتقربون الى الله تعالى (فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي) والمخالفات (ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع) من أعماق البدن ومن كل عضو عضو (كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن ابن مسعود وابن عباس قالا لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له بذلك فأذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله ثم قال يا ملك الموت أرني كيف تقبض انفاس الكفار

قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض فاعرض ثم نظر فاذا برجل اسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده الا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت فى الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فارنى كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال اعرض فاعرض ثم التفت فاذا هو رجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فى ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه وروى أيضا عن كعب أن ابراهيم عليه السلام رأى فى بيته رجلا فقال من أنت قال أنا ملك الموت فقال ابراهيم عليه السلام ان كنت صادقا فارنى منك آية أعرف انك ملك الموت قال له ملك الموت اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فاراه الصورة التى يقبض فيها المؤمنين قال فرأى من النور والبهاء شيأ لا يعلمه الا الله ثم قال اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التى يقبض فيها الكفار والفجار فرعب ابراهيم عليه السلام رعبا حتى أرعدت فرائصه وألصق بطنه بالارض وكادت نفسه تخرج وروى أيضا عن عبيد بن عمير قال بينما ابراهيم عليه السلام يوما فى داره اذ دخل عليه رجل حسن الشارة فقال يا عبد الله من أدخلك دارى قال أدخلنيها ربها قال ربها أحق بها فمن أنت قال ملك الموت قال لقد نعت الى منك أشياء ما أراها فيك قال أدبر فأدبر فاذا عيون مقبلة وعيون مدبرة واذا كل شعرة منه كأنها انسان قائم فتعوذ ابراهيم عليه السلام من ذلك وقال عد الى الصورة الاولى قال يا ابراهيم ان الله اذا بعثنى الى من يحب لقاءه بعثنى فى الصورة التى رأيت أولا (وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج أغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا) أى شدة وحرجا (فجاء داود) عليه السلام (فرآه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه) قال العراقى رواه أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه اهـ قلت لفظ أحمد كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع فخرج ذات يوم ورجع فاذا فى الدار رجل قائم فقال له من أنت قال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب فقال داود عليه السلام أنت اذا والله ملك الموت مرحبا بامر الله فزمل داود مكانه فقبضت نفسه حتى فرغ من شأنه فطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلى على داود فاظلت عليه حتى أظلت عليه الارض فقال لها سليمان اقبضى جناحا جناحا وغلبت عليه يومئذ المضرحية (وروى ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بدا الى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة) روى أبو حذيفة اسحق ابن بشر فى المبتدأ نحو ذلك فقال حدثنا محمد بن عبد الله البصرى وعامر بن عبد الله شيخ من أهل نهر تيرى يرفعانه الى كعب قالا قال كعب الاحبار ان عيسى عليه السلام مر ذات يوم بوادى القيامة وهى عشية يوم الجمعة عند العصر فاذا هو بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ أربعة وتسعين سنة فوقف عليها متعجبا منها وقال يا رب ائذن لهذه الجمجمة ان تكلمنى بلسان حى تخبرنى ماذا لقيت من العذاب وكم أتى عليها منذ ماتت وماذا عاينت وباى هيئة ماتت وماذا كانت تعبد قال فاتاه نداء من السماء فقال يا روح الله وكلمته سلها فانها ستخبرك فصلى عيسى ركعتين ثم دنا منها فوضع يده عليها فقال عيسى بسم الله وبالله فقالت الجمجمة خير الاسماء دعوت وبالذكر استعنت فقال عيسى أيتها الجمجمة النخرة قالت لبيك وسعديك سلنى عما بدا لك قال كم أتى عليك مذ مت قالت لا نفس بعد الحياة ولا روح تحصى السنين فاتاه نداء انها قد ماتت منذ أربعة وتسعين سنة فسلها قال فبما ذا مت قالت كنت جالسة ذات يوم اذ أتانى مثل السهم من السماء فدخل جوفى مثل

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج أغلق الابواب فأغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة

فهذه داهية يلقاها العصاة و يكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عنى فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله خيرا عنا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا (الداهية الثالثة) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك

الحريق وكان مثلى مثل رجل دخل الحمام فأصابه حره فهو يلتمس الروح مخافة على نفسه بان تهلك قال فأتانى ملك الموت ومعه أعوان وجوههم مثل وجوه الكلاب بادية أنيابهم زرق أعينهم كالهبان النار بأيديهم المقامع يضربون وجهى ودبرى فانتزعوا روحى فكشطوها عنى ثم وضعه ملك الموت على جمرة من جمار جهنم ثم لفه فى قطع مسح من مسوح جهنم فرفعوا روحى الى السماء فنعتهم السماء أن يدخل وأغلقت الابواب دونه فاتانى نداء ان ردوا هذه النفس الخاطئة الى مثواها ومأواها ثم ساق الخبر بطوله فى نحو ورقتين وقد رواه أبو نعيم فى الحلية من هذا الطريق وأورده بطوله وروى أبو نعيم أيضا عن كعب قال مر عيسى بجمجمة بيضاء فقال يارب هذه الجمجمة أحيها فأوحى الله اليه ان أشج بوجهك قال ففعل ثم حول وجهه فاذا شيخ متكئ على كازة من بقل ثم ساقه (فهذه داهية يلقاها العصاة و يكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة) أبو عبد الله القرشى المدنى مولى ابن عباس روى له الجماعة وأخرج له مسلم مقرونا بطاوس وسعيد بن جبير (عن ابن عباس) رضى الله عنه (ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وهو بعض سياق من الخبر السابق ذكره وروى نحوه من رواية كعب ومن رواية عبيد بن عمير وكل ذلك ذكر قريبا (ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب) بن الورد المكى العابد الثقة أبو عثمان قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب روى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا) قال (فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت فقال حدثنا عبد الكريم أبو يحيى حدثنا عبيد الله بن محمد ابن يزيد بن خنيس حدثنا أبى عن وهيب بن الورد قال بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله فى الدنيا فان كان صحبهما بطاعة قالا له جزاك الله عنا من جليس خيرا فرب مجلس صدق قد أجلستناه وعمل صالح قد أحضرتناه وكلام حسن قد أسمعتناه فجزاك الله عنا من جليس خيرا وان كان صحبهما بغير ذلك مما ليس لله رضا قلبا عليه الثناء فقالا لا جزاك الله عنا من جليس خيرا فرب مجلس سوء قد أجلستناه وعمل غير صالح قد أحضرتناه وكلام قبيح قد أسمعتناه فلا جزاك الله عنا من جليس خيرا قال فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا ورواه أبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه فقال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبان حدثنا أبو بكر بن عبيد هو ابن أبى الدنيا فساقه (الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم) أى انقادت (ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك

الموت باحدى البشريين اما أبشر ياعبدالله بالنار او أبشر ياولى الله بالجنة وعن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار) قال العراقى رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن على مرفوعا لايخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم الى اين مصيره الى الجنة أم الى النار وفى رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى ام من أهل النار وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت مايشهد لذلك ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث اه قلت وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف من حديث ابن عباس مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه) قال العراقى متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت اه قلت المتفق عليه انما هو الى قوله كره الله لقاءه هكذا رواه من رواية أنس عن عبادة بن الصامت ورواه كذلك الطيالسى وأحمد والترمذى والنسائى وابن حبان وقد روى هذا القدر أيضا من حديث عائشة رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى ومن حديث أبي موسى رواه الشيخان ومن حديث أبي هريرة رواه مسلم والنسائى ومن حديث معاوية رواه النسائى والطبرانى وأما تلك الزيادة فرويت عن عدة من الصحابة فمن ذلك مارواه أحمد والنسائى من حديث أنس بلفظ قالوا يارسول كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه فليس شئ أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه وان الفاجر اذا حضر جاءه ماهو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وروى عبد بن حميد من رواية أنس عن عبادة بن الصامت رفعه وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ قالت عائشة انا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأما الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره اليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ قالوا انما نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه اذا احضر فامان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله عز وجل للقائه أحب وأمان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه أكره (وروى ان حذيفة بن اليمان) رضى الله عنهما (قال لابن مسعود) كذا فى النسخ كلها وهو خطأ والصواب لابى مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصارى البدرى صحابى جليل وكان ملازما لحذيفة فى مرضه الذى مات فيه (وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود) كذا فى النسخ والصواب أبو مسعود (ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء) وهى النجمة التى تطلع قبل الفجر بقليل (فقال حذيفة) رضى الله عنه (أعوذ بك من صباح الى النار) وقال ابن أبي الدنيا حدثنى أبو الربيع بن تغلب حدثنا فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال لما مرض حذيفة مرضه الذى مات فيه قالوا له ماتشتهى فساق الحديث وفيه ثم قال أصبحنا قالوا نعم قال اللهم انى أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لاأفلح من ندم وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد ابن اسحق السراج حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم حدثنا حصين عن أبي وائل قال لما ثقل حذيفة أتاه ناس من بنى عبس فاخبرنى خالد بن الربيع العبسى قال أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا أى ساعة هذه فقلنا جوف الليل أو آخر الليل فقال أعوذ بالله من صباح الى النار ثم قال أجئتم معكم با كفان قلنا نعم قال فلا تغالوا باكفانى فانه ان يكن لصاحبكم عند الله خير فانه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها والا سلب سلبا وروى من طريق جرير عن اسمعيل عن قيس عن أبي مسعود قال لما أتى حذيفة بكفنه وكان مستندا الى أبي مسعود فاتى بكفن جديد فقال ماتصنعون بهذا الحديث وروى أيضا من طريق أبي اسحق

الموت باحد البشريين اما أبشر ياعدو الله بالنار أو أبشر باولى الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك انا المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح الى النار

ان صلة بن زفر حدثه ان حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعناله كفنا فساق الحديث وانما ذكرت هاتين الروايتين ليظهر ان الذى فى سياق المصنف هو أبو مسعود لا ابن مسعود (ودخل مروان) بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى أبو عبد الملك ويقال أبو القاسم و يقال أبو الحكم المدنى ولد بعد الهجرة بسنتين وقيل بأربع لم يصح له سماع من النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث الحديبية بطوله وهو عند البخارى وأبى داود والنسائى وكان كاتبا لعثمان وولى امرة المدينة لمعاوية والموسم وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية وكان الضحاك بن قيس قد غلب على دمشق وبايع بها لابن الزبير ثم دعا الى نفسه فقصده مروان فواقعه بمرج راهط فقتل الضحاك وغلب على دمشق وذلك فى أواخر سنة أربع وستين ومات بها فى رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين وكانت خلافته تسعة أشهر وقيل عشرة الا أياما ونقل عن عروة بن الزبير انه قال كان مروان لا يتهم فى الحديث روى له الجماعة الا مسلما (على أبى هريرة) رضى الله عنه وذلك حين مرض المرض الذى مات فيه (فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة) رضى الله عنه (اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة) رضى الله عنه (وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربى بجنة أم بنار) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت عن يحيى بن معين حدثنا معن حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال دخل مروان على أبى هريرة فى شكواه الذى مات فيه فقال شفاك الله فقال أبو هريرة اللهم انى أحب لقاءك فاحب لقائى فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات رحمه الله تعالى وأخرجه ابن الجوزى فى كتاب الثبات من هذا الوجه وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أحمد بن بندار حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحارث حدثنا عباس النرسى حدثنا عبد الوهاب بن الورد عن مسلم بن بشير بن عجل ان أبا هريرة بكى فى مرضه فقيل له ما يبكيك فقال أما انى لا أبكى على دنياكم هذه ولكن أبكى على بعد سفرى وقلة زادى وانى أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار لا أدرى أيهما يؤخذ بى (وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل اذا رضى عن عبد قال ياملك الموت اذهب الى فلان فائتنى بروحه لاريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث تميم الدارى باسناد ضعيف بزيادة كثيرة فيه ولم يصرح فى أول الحديث برفعه وفى آخره مادل على أنه مرفوع وللنسائى من حديث أبى هريرة باسناد صحيح اذا حضر الميت أرسل الله اليه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجى راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب راض غير غضبان الحديث اهـ قلت أما حديث تميم فقال ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت حدثنى محمد بن الحسين حدثنا عمرو بن جرير الاحمسى حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال كان تميم الدارى يحدثنا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ذات يوم يقول الله تبارك وتعالى لملك الموت انطلق ياملك الموت الى ولى فائتنى به فانى قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب فائتنى به لاريحه من هموم الدنيا وغمومها فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفى رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك الاذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الابيض والمسك الاذفر تحت ذقنه ويفتح له باب الى الجنة قال فان نفسه عند ذلك لتعلل بطرف الجنة مرة بازواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبى أهله اذا بكى وان أزواجه يبتهشن عند ذلك ابتهاشا قال وتنزو الروح نزوا ويقول ملك الموت أخرجى أيتها الروح

ودخل مروان على أبى هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر احدى البشريين من ربى بجنة أم بنار وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اذا رضى عن عبد قال ياملك الموت اذهب الى فلان فائتنى بروحه لاريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما

الطيبة الى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال وملك الموت أشد تلطفا به من الوالدة بولدها يعرف ان ذلك الروح حبيب الى ربه كريم على الله فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال وان روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وذلك قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال روح من جهد الموت وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم امامه أو قال مقابله فاذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد جزاك الله بي خيرا لقد كنت بي سريعا الى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فهنيئا لك اليوم فقد نجوت وأنجيت ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الارض التي كان يطيع الله عليها وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة فاذا قبضت الملائكة روحه اقامت الخمسمائة ملك عند جسده لاتقلبه بنو آدم بشق الا قلبته الملائكة قبلهم وعلته باكفان قبل أكفانهم وحنوط قبل حنوطهم ويقوم من باب بيته الى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ويصيح ابليس عند ذلك صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون ان هذا كان معصوما فاذا صعد ملك الموت بروحه الى السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفا من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من ربه فاذا انتهى ملك الموت الى العرش خرت الروح ساجدة لربها فيقول الله لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضوض وظل ممدود وماء مسكوب فاذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه وجاء الصيام فكان عن يساره وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه وجاء مشيه الى الصلوات فكان عند رجليه وجاء الصبر فكان ناحية القبر ويبعث الله عنقا من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة وراءك والله مازال دائبا عمره كله وانما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال فيأتيه من قبل رأسه فيقال له مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد له مساغا الا وجد ولي الله قد أحرزته الطاعة قال فيخرج عنه العذاب عندما يرى ويقول الصبر لسائر الاعمال أما انه لم يمنعني ان أباشره انا بنفسي الا اني نظرت ما عندكم فلو عجزتم كنت انا صاحبه فاما اذا أجزأتم عنه فانا ذخر له عند الميزان قال ويبعث الله اليه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة الا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها فيقولان له اجلس فيستوي جالسا في قبره فتسقط أكفانه في حقويه فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وحده لا شريك له والاسلام ديني ومحمد نبي وهو خاتم النبيين فيقولان له صدقت فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه ثم يقولان له انظر فوقك فينظر فاذا هو مفتوح الى الجنة فيقولان له هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفس محمد بيده انه لتصل الى قلبه فرحة لا ترتد أبدا فيقال له انظر تحتك فينظر تحته فاذا هو مفتوح الى النار فيقولان يا ولي الله نجوت من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه لتصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ويفتح له سبعة وسبعون بابا الى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله من قبره قال ويقول الله تعالى لملك الموت انطلق الى عدوي فائتني به فاني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي وأبى الا معصيتي فائتني به لانتقم منه اليوم فينطلق اليه ملك الموت في أكره صورة يراها أحد من الناس له ثنتا عشرة عينا ومعه سفود من نار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعهم سياط من نار تأجج فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق من عروقه ثم يلويه ليا شديدا فينزع روحه من اظفار قدميه فيلقيها في عقبيه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط ثم يجبذه جبذة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها في

ركبتيه

ركبتيه فيسكر عدوالله سكرة وتضرب الملائكة وجهه ودبره ثم كذلك الى حقويه ثم كذلك الى صدره ثم كذلك الى حلقه ثم يبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه ثم يقول ملك الموت أخرجي ايتها النفس اللعينة الملعونة الى سموم وحموم وظل من يحموم لابارد ولا كريم فاذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عنى شرا لقد كنت سريعا بى الى معصية الله بطيئا بى عن طاعة الله فقد هلكت وأهلكت ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الارض التى كان يعصى الله عليها وتنطلق جنود ابليس اليه فيبشرونه بانهم قد أوردوا عبدا من بنى آدم النار فاذا وضع فى قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فتدخل اليمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى ويبعث الله اليه حيات دهما فتأخذ بارنبته وابهام قدميه فتقوضه حتى تلتقى فى وسطه قال ويبعث الله اليه الملكين فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقال له لادريت ولا تليت فيضربانه ضربا يتطاير الشرار فى قبره ثم يعود فيقولان له انظر فوقك فينظر فاذا باب مفتوح من الجنة فيقولان عدو الله لو أطعت الله كان هذا منزلك قال فوالذى نفس محمد بيده انه لتصل الى قلبه عند ذلك حسرة لاترتد أبدا ويفتح له باب الى النار فيقال عدو الله هذا منزلك لما عصيت الله ويفتح له سبعة وسبعون بابا الى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله يوم القيامة الى النار قال السيوطى فى أمالى الدرة الفاخرة بعد ان أورده من طريق ابن أبى الدنيا هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى فى مسنده الكبير عن أحمد ابن ابراهيم الدورقى عن محمد بن بكر البرسانى عن أبى عاصم البصرى عن بكر بن خنيس عن ضرار عن يزيد عن أنس عن تميم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لملك الموت انطلق الى وليى فذكره بطوله قال الحافظ ابن حجر وهو شاهد لكثير مما ثبت فى حديث البراء المشهور لكن هذا عجيب السياق غريب الاسناد لانعرف أحدا روى عن أنس عن تميم الا من هذا الوجه ويزيد الرقاشى سيئ الحفظ جدا كثير المناكير كان لايضبط الاسناد ودونه من هو مثله أو أشد ضعفا اه قال السيوطى ومن شواهده حديث أبى هريرة وله طرق قلت وسيأتى حديث البراء وحديث أبى هريرة فيما بعد ان شاء الله تعالى وقول الحافظ ودونه من هو مثله أو أشد ضعفا يعنى ان رواته من بعد يزيد ضعفاء ضرار بن عمرو الملطى الراوى له عن يزيد قال الذهبى متروك والراوى عنه بكر بن قيس الكوفى قال الدارقطنى متروك وقال الحافظ فى تهذيب التهذيب كوفى عابد سكن بغداد صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان وهو من رجال الترمذى وابن ماجه وأبو عاصم البصرى فى سياق أبى يعلى هو العبادانى اسمه عبد الله بن عبيد الله او بالعكس ويقال ابن عبد بغير اضافة من رجال ابن ماجه لين الحديث وقال الذهبى روى عن الفضل الرقاشى له حديث منكر وعمرو بن جرير الاحمسى فى سياق ابن أبى الدنيا ويقال البجلى أبو سعيد قال الذهبى كذلك ومحمد بن الحسين شيخ ابن أبى الدنيا هو أبو الفتح الازدى الحافظ صاحب مناكير ضعفه البرقانى

(فصل) فى ضبط ألفاظ تقدمت فى الحديث قوله ضبابر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء قال ابن الاثير فى النهاية هى الجماعات فى تفرقة واحدتها ضبارة بالكسر مثل عمارة وعمائر وكل مجتمع ضبارة وقوله بطارف الجنة بضم المهملة وفتح الراء جمع طرفة وهى المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد وقوله ليبتهشن فى النهاية يقال للانسان اذا نظر الى شئ فاعجب واشتهاه وأسرع نحوه قد بهش اليه وفى الصحاح بهش اليه يبهش بهشا اذا ارتاح له وخف اليه وقوله تنزو الروح فى الصحاح ينزو الى كذا أى ينازع اليه ويسرع ويثب اليه وفى النهاية نحوه وقيل تنزو أى تنسل وقوله دائبا من الدؤب أى جاد اتعبا وقوله عنقا من العذاب أى طائفة منه وقوله كالصياصى بمهملتين وهى قرون البقر جمع صيصية بالتخفيف والسفود كتنور الحديدة التى يشوى بها اللحم والنحاس لالهب فيه والتأجج بجيمين التوقد وقوله دهما يحتمل ان يكون بضم أوله أى سودا فيكون جمع دهماء ويحتمل ان يكون بفتحه أى عددا كثيرا فيكون مفردا والجمع دهوم وقوله فتقوضه بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة فى الصحاح قوضت البناء نقضته من غير هدم وتقوضت الحلق والصفوف انتقضت وتفرقت وفى النهاية تقويض الخيام قلعها وازالتها وقوضت الحمرة جاءت وذهبت ولم تقر وأما حديث أبى هريرة الذى

عزاه العراقى للنسائى فسيأتى للمصنف فى بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكذا حديث البراء الذى أشار اليه الحافظ ابن حجر وتتكلم عليهما هنالك ان شاء الله تعالى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (لاراحة للمؤمن الافى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره) رواه أبو نعيم فى الحلية وقد رواه وكيع وأحمد كلاهما فى الزهد عن ابن مسعود من قوله بلفظ لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه قال السخاوى ورفعه بعضهم واستشهد له بحديث عائشة من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وكذا من شواهده ما عند أحمد من حديث عائشة انما المستريح من غفرله (وقيل لجابر بن زيد) أبى الشعثاء الازدى البصرى التابعى الثقة مشهور بكنيته مات سنة ثلاث وتسعين روى له الجماعة (عند الموت ماتشتهى قال نظرة الى الحسن) وهو البصرى (فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم الى النار أو الى الجنة) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن يونس حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا أبو عمير الحارث بن عمير قال قالوا لجابر بن زيد عند الموت أى شئ تريدان تشتهى قال نظرة الى الحسن أخبرنا محمد بن أحمد فى كتابه حدثنا محمد بن أيوب حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا حبيب بن الشهيد عن ثابت قال لما ثقل جابر بن زيد قيل له ماتشتهى قال نظرة من الحسن قال فاتيت الحسن فاخبرته فركب اليه فلما دخل عليه قال لاهله ارقدونى فجلس فمازال يقول أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب وقال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود الحنفى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنى صلت بن دينار حدثنى عروة صاحب الخمر انه شهد جابر بن زيد عند موته يتبرأ من قريب وزحاف ومن الاباضية قال وقيل ماتشتهى قال نظرة من الحسن فاعلم الحسن فجاءه فقال يا أبا سعيد قد نزل بى الموت فماتأمرنى فقال ليست بساعة صلاة ولا صيام ولكن عليك بحسن الظن بالله (وقال) أبو عبد الله (محمد بن واسع) البصرى العابد رحمه الله تعالى (عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار أو يعفو الله) رواه أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا سعيد بن عامر قال سمعت حزما يحدث قال قال محمد بن واسع يا اخوتاه تدرون أين يذهب بى والله الذى لا اله الا هو الى النار أو يعفو الله عنى وقال ابن الجوزى فى كتاب الثبات أخبرنا عبد الملك بن أبى القسم أنبأنا محمد بن على العمرى أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامى أخبرنا أبو سعيد محمد بن أحمد المروانى حدثنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الله بن يحيى حدثنا العتبى قال حدثنى محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضى فقال يا اخوتاه هبونى واياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم (وتمنى بعضهم ان يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب لخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهى من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكننا لانطول بذكره واعادته) هذه فصول نذكر فيها مايتعلق بمقدمات الموت وبمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته وماجاء فى ملك الموت وأعوانه ومن يحضر الميت من الملائكة وغيرهم

(فصل) فى نذير الموت قال القرطبى ورد فى الخبر ان بعض الانبياء قال لملك الموت أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون على حذر منك قال نعم والله لى رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته اذا قبضته ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فانا الرسول الذى ليس بعدى رسول وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير وروى أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد قال أما من مرض يمرضه العبد الا رسول ملك الموت عنده حتى اذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقال أتاك رسول يقطع اثرك من الدنيا وروى البخارى من حديث أبى هريرة عذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة يقال أعذر الامر أى بالغ فيه فلم يترك لصاحبه عذرا

(فصل) فيمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته روى عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد الزهد عن يوسف بن

وقال الحسن لاراحة للمؤمن الافى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر ابن زيد عند الموت ماتشتهى قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم الى النار أو الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب * لخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لانطول بذكره واعادته

يعقوب الحنفي قال بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال له ما أدري ما أثيبك اليوم الا انه هوّن الله عليك سكرات الموت وروى الطبراني وأبو نعيم من حديث ابن مسعود ان نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار وان المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وان الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت فيجزى بها وروى الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول الله تعالى اني لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقا في معاشه واقتارا في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي عليه شئ شددت عليه الموت حتى يفضي الي كيوم ولدته أمه وعزتي لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده وسعة في رزقه ورغدا في عيشه وأمنا في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي له شئ هوّنت عليه الموت حتى يفضي الي وليس له حسنة يتقي بها النار وروى ابن ماجه من حديث عائشة ان المؤمن ليؤجر في كل شئ حتى في الكظ عند الموت وروى ابن أبي الدنيا عن عمار بن نصر عن قتيبة قال سمعت شيخا يقول سمعت الضحاك بن حمزة يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت فقال أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف قال السيوطي في الامالي هو حديث ضعيف معضل والضحاك بن حمرة بضم الحاء المهملة وسكون الميم واسطي نزل الشام من اتباع التابعين أرسل عن أنس ضعفه يحيى بن معين والنسائي وغيرهما ووثقه ابن حبان وبقية مدلس وقد ابهم شيخه ويقرب منه ما رواه الحارث بن أبي اسامة من طريق ابن أبي داود عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار رفعه معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وما من مؤمن يموت الا وكل عرق منه يألم على حدته وأقرب ما يكون عدو الله منه في تلك الساعة ورواه ابن أبي الدنيا عن اسحق بن حاتم عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن مروان بن سالم عن أبي حسين البرجمي رفعه باطول منه وفيه وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الاحباء وروى أبو نعيم من حديث واثلة بن الاسقع والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وروى الخطيب من حديث أنس لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وروى أحمد في الزهد من حديث أنس ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت قال في الصحاح اكتنفوه أحاطوا به وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن الفضيل بن عياض انه قيل له ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت وابن آدم يضطرب من القرصة قال ان الملائكة توثقه وروى أحمد في الزهد عن ابن عباس قال آخر شدة يلقاها المؤمن الموت وروى أبو نعيم والمروزي والبيهقي في الشعب عن عمر بن عبد العزيز قال ما أحب ان يهوّن علي سكرات الموت لانه آخر ما يؤجر به المسلم وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال لم يلق ابن آدم شيئا قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت وروى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال ان أشد ما يلقى ابن آدم من أمر الآخرة الموت وروى عن زيد بن أسلم ان رجلا قال لكعب ما الداء الذي لا دواء له قال الموت قال زيد بن أسلم ان الموت دواؤه رضوان الله وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال أشد ما يكون من الموت على العبد اذا بلغت الروح التراقي فعند ذلك يضرب ويعلو نفسه قال السيوطي قد اختص الشهيد بان لا يجد من ألم الموت ما يجد غيره روى الطبراني من حديث أبي قتادة الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم القرصة وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان آخر من يموت ملك الموت يقال له يا ملك الموت مت فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والارض لماتوا فزعا ثم يموت وروى عن زياد النميري قال قرأت في بعض الكتب ان الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق

(فصل) فيما يتعلق بدواهي الموت الثلاثة روى ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس في قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قال أعوان ملك الموت من الملائكة وروى أبو الشيخ في تفسيره عن ابراهيم النخعي مثله وزاد ثم يقبضها ملك الموت منهم بعد وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب

ابن منبه قال ان الملائكة الذين يقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم فاذا توفوا النفس دفعوها الى ملك الموت وهو كالعاقب يعنى العشار الذى يؤدى من تحته وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال لما أراد الله تعالى ان يخلق آدم عليه السلام بعث ملكا من حملة العرش يأتى بتراب من الارض فلما هوى ليأخذ قالت الارض أسألك بالذى أرسلك ان لا تأخذ منى اليوم شيأ يكون للنار منه نصيب غدا فتركها فلما رجع الى ربه قال ما منعك ان تأتى بما أمرتك قال سألتنى بك فأرسل آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم فأرسل ملك الموت فقالت له مثل ذلك فقال ان الذى أرسلنى أحق بالطاعة منك فأخذ من وجه الارض كلها من طيبها وخبيثها فجاء به الى ربه فصب عليه من ماء الجنة فصار حمأ مسنونا فخلق منه آدم عليه السلام وروى أبو حذيفة اسحق بن بشير فى كتاب المبتدأ عن ابن اسحق عن الزهرى نحوه وسمى الملك المرسل اولا اسرافيل والثانى ميكائيل وروى ابن عساكر من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه وسمى المرسل أولا جبريل والثانى ميكائيل وروى ابن عساكر أيضا عن يحيى بن خالد نحوه وسمى الاول جبريل والثانى ميكائيل وقال فى آخره فسماه ملك الموت ووكله بالموت وروى ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الشعب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فاما جبريل فصاحب الجنود والريح وأما ميكائيل فصاحب القطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر وفى لفظ بما يؤمرون وروى أبو الشيخ فى العظمة عن الربيع بن أنس انه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذى يقبض الارواح قال هو الذى يلى أمر قبض الارواح وله أعوان على ذلك غير ان ملك الموت هو الرئيس وكل خطوة منه من المشرق الى المغرب قلت أين تكون أرواح المؤمنين قال عند السدرة وروى ابن أبى الدنيا عن ابن عباس فى قوله تعالى فالمدبرات أمرا قال ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم فمنهم من يعرج بالروح ومنهم من يؤمن على الدعاء ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلى عليه ويدلى فى حفرته وروى أيضا عن عكرمة فى قوله تعالى وقيل من راق قال أعوان ملك الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه من أسفل قدمه الى موضع خروج نفسه

(فصل) روى أبو نعيم عن الاعمش قال كان ملك الموت يظهر للناس فيأتى الرجل فيقول اقض حاجتك فانى أريد ان أقبض روحك فشكى فانزل الداء وجعل الموت وروى أحمد والبزار والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة كان ملك الموت يأتى الناس عيانا فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال يا رب عبدك موسى فقأ عينى ولولا كرامته عليك لشققت عليه قال له اذهب الى عبدى فقل له فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فأتاه فقال له ما بعد هذا قال الموت قال فالآن قال فشمه شمة فقبض روحه ورد الله اليه عينه فكان بعد يأتى الناس خفية وروى أبو حذيفة اسحق بن بشر فى المبتدأ عن ابن عمر قال قال ملك الموت يا رب ان عبدك ابراهيم جزع من الموت فقال قل له الخليل اذا طال به العهد من خليله اشتاق اليه فبلغه قال نعم يا رب قد اشتقت الى لقائك فاعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها وروى أبو الشيخ عن محمد بن المنكدر ان ملك الموت قال لابراهيم عليه السلام ان ربك يأمرنى ان أقبض نفسك بايسر ما قبضت نفس مؤمن قال فانى أسألك بحق الذى أرسلك ان تراجعه فى فقال ان خليلك سأل ان أراجعك فيه فقال آته وقل له ان ربك يقول ان الخليل يحب لقاء خليله فاتاه فقال له فقال امض لما أمرت به قال يا ابراهيم هل شربت شرابا قط قال لا فاستنكهه فقبض نفسه على ذلك

(فصل) روى ابن أبى شيبة فى المصنف عن عبد الله بن عيسى قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله أربعين سنة فى البر ثم قال يا رب قد اشتقت ان أعبدك فى البحر فأتى قوما فاستحملهم فحملوه وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله ان تجرى ثم قامت فاذا شجر فى ناحية الماء فقال ضعونى على هذه الشجرة فوضعوه وجرت بهم سفينتهم فاراد

ملك ان يعرج الى السماء فتكلم بكلامه الذى كان يعرج به فلم يقدر على ذلك فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه فأتى صاحب الشجرة فسأله ان يشفع الى ربه فصلى ودعا له الملك وطلب الى ربه ان يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت فأتاه حين حضر أجله فقال انى طلبت الى ربى ان يشفعنى فيك كما شفعك فىّ وان أكون أنا اقبض نفسك فمن حيث شئت قبضتها فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات وروى ابن عساكر فى تاريخه عن أبى زرعة قال قال لى نجيب بن أبى عبيد البشرى رأيت ملك الموت فى النوم وهو يقول قل لابيك يصلى على حتى أرفق به عند قبض روحه فحدثت أبى بما رأيت فقال يابنى لانا ملك الموت آنس منى بامك وروى ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال ذكرت حديثا رواه ابن عمر ما حق امرئ مسلم يبيت ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فدعوت بدواة وقرطاس لاكتب وصيتى فغلبنى النوم فنمت ولم أكتبها فبينا أنا نائم اذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الريح فقلت يا هذا من أدخلك دارى قال أدخلنيها ربها قلت من انت قال ملك الموت فرعبت منه فقال لاترع انى لم أومر بقبض روحك قلت فاكتب لى اذا براءة من النار قال هات دواة وقرطاسا فمددت يدى الى الدواة والقرطاس الذى نمت عنه وهو عند رأسى فناولته فكتب بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله استغفر الله حتى ملا ظهر الكاغد و بطنه ثم ناولنيه وقال هذا براءتك رحمك الله وانتبهت فزعا ودعوت بالسراج ونظرت فاذا القرطاس الذى نمت وهو عند رأسى مكتوب ظهره و بطنه استغفر الله استغفر الله

(فصل) قال القرطبى لا تنافى بين قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقوله توفته رسلنا تتوفاهم الملائكة وقوله الله يتوفى الانفس لان اضافة التوفى الى ملك الموت لانه مباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه لانهم يأخذون فى جذبها من البدن فهو قابض وهم معالجون والى الله لانه الفاعل على الحقيقة وقال الكلبى يقبض ملك الموت الروح ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

وفيه بيان علامة الخير والامر بتحسين الظن بالله والخوف منه و بيان ما يشاهد من أسرار الملكوت (اعلم) وفقك الله تعالى (ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر) يقال حضره الموت واحتضره اشرف عليه فهو فى النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (هو الهدء والسكون) أى عدم الانزعاج فى ظاهره من الجوارح (و) المحبوب (من لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة) أى بكلمتها وهى لا اله الا الله (و) المحبوب (من قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت) وفى نسخة ذرفت (عيناه و يبست شفتاه فهى من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به) قال العراقى رواه الحكيم والترمذى فى نوادر الاصول من حديث سلمان ولا يصح اه قلت وكذلك رواه الخليلى فى مشيخته ولفظهما ارقبوا الميت عند وفاته فاذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهى رحمة من الله قد نزلت به واذا غط غطيط البكر المخنوق وكمد لونه وازبد شدقاه فهو عذاب من الله قد نزل به وقد وردت فى رشح الجبين أحاديث أوردها السيوطى فى أمالى الدرة الفاخرة

(فصل) ومن علامات خاتمة الخير ما رواه الترمذى والحاكم من حديث أنس اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت وروى أحمد والحاكم من حديث عمرو بن الحمق اذا أحب الله عبدا عسله قالوا وما عسله قال يوفق له عملا صالحا بين يدى أجله حتى يرضى عنه جيرانه وروى ابن أبى الدنيا من حديث عائشة اذا أراد الله بعبد خيرا بعث اليه قبل موته بعام ملكا يسدده و يوفقه حتى يموت على خير أحايينه فيقول الناس مات فلان على خير أحايينه فاذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتهوع نفسه من الحرص على ان تخرج فهنالك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه واذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته بعام

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدء والسكون و من لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت عيناه و يبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به

شيطانا يضله و يغويه حتى يموت على شر أحايينه فيقول الناس قد مات فلان على شر أحايينه فاذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتبلع نفسه كراهية ان تخرج فهنالك كره لقاء الله وكره الله لقاءه قال ابن هبيرة فى الافصاح فى معنى هذا الحديث اعلم ان خروج الروح عند دعاء ملك الموت له من جنس دعاء الحاوى بالحية من جحرها وخروج الجسمين عند الدعاء على حد سواء فاما المؤمن فيتهوع نفسه أى يستدعى اخراجها اذ التهوع انما هو استدعاء القىء للبروز وأما الكافر فيتبلع روحه والتبلع رد الجسم الذى فى الفم فهو يريد الخروج الى الجوف اهـ وقال بعض العلماء الاسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة التهاون بالصلاة وشرب الخمر وعقوق الوالدين واذى المسلمين (واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال أبو سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله) قال ابن حبان وغيره أراد به من حضره الموت أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا على بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسنى أخبرنا الجلال أبو الفضل الحافظ أخبرتنى أم الفضل ابنة محمد قراءة قالت أخبرنا ابراهيم بن أحمد المقرى أخبرنا أحمد بن أبى طالب أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو الحسن الداودى أخبرنا أبو محمد السرخسى أخبرنا أبو اسحق الشاشى أخبرنا عبد بن حميد حدثنا عبد الله بن عمر وحدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن يحيى بن عمارة عن أبى سعيد رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن حبان من طرق عن عمارة بن غزية ورواه مسلم أيضا وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه النسائى من حديث عائشة ورواه العقيلى من حديث حذيفة بن اليمان ورواه النسائى أيضا وابن ماجه من حديث عروة (وفى رواية) من حديث (حذيفة) رضى الله عنه لقنوا موتاكم لا اله الا الله (فانها تهدم ماقبلها من الخطايا) هكذا قاله المصنف وقد تقدم والذى فى كتاب المحتضرين لابن أبى الدنيا أنه من حديث ابن مسعود وقد روى نحوه الديلمى من حديث أبى هريرة ولفظه فانها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان فقالوا كيف هى للاحياء قال اهدم واهدم وقد روى هذا الحديث بزيادات اخر روى ابن ماجه والحكيم والطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر لقنوا موتاكم لا اله الا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قالوا يارسول الله كيف هى للاحياء قال أجود وأجود وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود لقنوا موتاكم لا اله الا الله فان نفس المؤمن تخرج رشحا ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار وروى الديلمى من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة وجعلت السموات والارض فى كفة لرجحت بهن لا اله الا الله وروى ابن حبان من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانه من كان آخر كلامه لا اله الا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر وان أصابه قبل ذلك ما أصابه وروى الديلمى من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله ولا تملوهم فانهم فى سكرات الموت وروى الطبرانى فى الاوسط والصغير من طريق وصيف الانطاكى حدثنا سليمان بن سيف حدثنا سعيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رفعه لقنوا موتاكم لا اله الا الله وقولوا الثبات الثبات ولا قوة الا بالله *(تنبيه)* وقع للمصنف فى كتابه الدرة الفاخرة بلفظ لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله قال السيوطى فى أماليه ليس فى روايات هذا الحديث لفظ شهادة الا فى حديث ابن عباس وهو فى المعجم الكبير للطبرانى بسند رجاله ثقات لكنه من رواية ابن أبى طلحة ولم يسمع منه اهـ قلت ولفظه لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يارسول الله فمن قالها فى صحته قال تلك أوجب وأوجب الحديث (وقال عثمان) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة) رواه أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة ومسلم والنسائى وابن حبان وابن خزيمة وقد تقدم ورواه أبو يعلى بلفظ وهو

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفى رواية حذيفة فانها تهدم ماقبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة

يعلم

يعلم ان الله حق (وقال عبيد الله) وفي بعض النسخ عبد الله (وهو يشهد) وهذا قد رواه البيهقي من حديث معاذ بلفظ من مات وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة وروى الخطيب من حديث جابر من مات وهو يشهد ان لا اله الا الله فقد حل له ان يغفر له (وقال عثمان) رضي الله عنه (اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي حدثنا سليم بن عطاء الجزري حدثنا مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة قال عدنا مع عثمان مريضا فقال له عثمان قل لا اله الا الله فقالها فقال والذي نفسي بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطما فقلت أشيء تقول أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هذا هي للمريض فكيف هي للصحيح فقال هي للصحيح احطم (وقال عمر رضي الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا ترون ولقنوهم لا اله الا الله) هذا استدل به المصنف على قوله في الدرة الفاخرة وربما كشف للميت عن الامر الملكوتي وساق هذا الاثر وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن علي بن الجعد عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول قال قال عمر فساقه وقال أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز حدثنا القواريري حدثنا يزيد بن زريع أخبرنا يونس عن الحسن قال قال عمر رضي الله عنه أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون ويقال لهم وقال المروزي أيضا حدثنا سريج حدثنا هشيم أخبرنا يونس بمثله وقال أيضا حدثنا الثعلبي حدثنا وكيع عن سفيان عن برد عن مكحول قال قال عمر لقنوا موتاكم لا اله الا الله واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فانه يخيل اليهم أمور صادقة وقال أيضا حدثنا سريج حدثنا اسمعيل عن برد عن مكحول بمثله قال السيوطي في الامالي هذا أثر لا بأس به ورجال هذه الاسانيد ثقات الا ان الحسن ومكحولا لم يدركا عمر (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت) أي في حالة النزع لقبض الروح (فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص) بين به ان التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقى معه ذنب فنجاسة الذنوب عارضة والدافع لها قوي وانما سميت كلمة الاخلاص لان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب واسناده جيد الا ان في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمي في رواية الطبراني اسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف اه قلت وكذلك رواه الخطيب في التاريخ وابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي في مسند الفردوس ولفظهم فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحييه والباقي سواء ومما يناسب في الباب ما رواه الحاكم في تاريخه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله ولقنوهم عند الموت لا اله الا الله فانه من كان أول كلامه لا اله الا الله وآخر كلامه لا اله الا الله ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد قال البيهقي متن غريب لم نكتبه الا بهذا الاسناد وروى أبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن واثلة بن الاسقع رفعه أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع الحديث وروى الطبراني والبيهقي في كتابيه الشعب والدلائل عن عبد الله بن أبي أوفى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فيقال له لا اله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها في حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبي صلى الله عليه وسلم ونهضت معه حتى أتى الغلام فقال يا غلام قل لا اله الا الله قال لا أستطيع ان أقولها قال ولم قال لعقوق والدتي قال أحية هي قال نعم قال ارسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو أن نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعي فيه دفناه في هذه النار فقالت اذا

وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا يرون ولقنوهم لا اله الا الله وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص

كنت أشفع له قال فاشهدى الله واشهد ينا بانك قد رضيت فقالت قد رضيت عن ابنى فقال ياغلام قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أنقذه من النار وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربى قال حضرت رجلا الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله قال لا أقدر كنت أصحب قوما يأمرونى بشتم أبى بكر وعمر وروى أبو يعلى والحاكم بسند صحيح من حديث طلحة وعمر رضى الله عنهما انى لأعلم كلمة لا يقولها رجل حضره الموت الا وجد روحه لها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة وفى لفظ الا نفس الله عنه وأشرق لونه ورأى مايسره لا اله الا الله وروى أبو نعيم فى الحلية عن فرقد السبخى قال اذا حضر العبد الوفاة قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين خفف فيقول صاحب اليمين لا أخفف لعله يقول لا اله الا الله فأكتبها وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة وأبى سعيد معا من قال عند موته لا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله لا تطعمه النار أبدا وروى الحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص هل أدلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فايما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين يوما مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وان برئ برئ مغفورا له وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات وابن منيع فى مسنده من حديث أبى هريرة يا أبا هريرة ألا أخبرك بامر حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى قال لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت وسبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبريا ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان كنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت له منك الحسنى وأعذنى من النار كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى فان مت فى مرضك ذلك فالى رضوان الله والجنة وان كنت قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك وروى ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة لا اله الا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات تبارك الذى بيده الملك يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وروى سعيد بن منصور وابن أبى شيبة والمروزى عن أم الحسن قالت كنت عند أم سلمة فجاءها انسان فقال فلان بالموت فقالت انطلق فاذا رأيته احتضر فقل سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (وينبغى للملقن ان لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة) كما روى الديلمى من حديث أبى هريرة لقنوا موتاكم لا اله الا الله ولا تملوهم فانهم فى سكرات الموت وقد تقدم قريبا وروى أبو القاسم القشيرى فى أماليه من حديث أبى هريرة اذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا اله الا الله ولكن لقنوهم فانه لم يختم به لمنافق قط *(تنبيه)* وقع للمصنف فى الدرة الفاخرة ونهى عن الاكثار بها عليهم قال السيوطى فى أماليه ينبغى ضبط نهى بضم النون مبنيا للمفعول لا بالفتح مبنيا للفاعل معطوفا على قال لان النهى عن ذلك لم يرد فى الحديث وانما ذكره السلف والفقهاء اه قلت بل قد ورد فى ذلك من حديث أبى هريرة الذى عند الديلمى والذى عند القشيرى وقد ذكرا قبل ذلك

(فصل) ومن أظرف ماوقع فى ذلك ماقال البيهقى فى الشعب أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر محمد ابن عبد العزيز الواعظ يقول سمعت أبا جعفر محمد بن على الساوى وراق أبى زرعة يقول حضرت أبا زرعة وهو فى السوق يعنى بفتح السين وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين واستحيوا من أبى زرعة ان يلقنوه التوحيد فقالوا تعالوا نذكر الحديث فقال محمد بن مسلم حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح وجعل يقول ابن ابن ولم يجاوز فقال أبو حاتم حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر وسكت ولم يجاوز والباقون سكتوا فقال أبو زرعة وهو فى السوق حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابن أبى عريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة

وينبغى للملقن أن لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة

وانما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس فى قلبه شئ غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم فى حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر فى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا أن يتفضل الله تعالى بالقبول وأما حسن الظن فهو مستحب فى هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال أخبرنى كيف ظنك بالله قال أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه من الذى يخاف وقال ثابت البنانى كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يابنى ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يابنى قد كنت أحذرك

وتوفى أبو زرعة رحمه الله تعالى هكذا أخرجه السيوطى فى أمالى الدرة الفاخرة من هذا الوجه ورواه ابن الجوزى فى كتاب الثبات فقال أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت أخبرنا أبو على عبد الرحمن ابن محمد بن فضالة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان سمعت أباجعفر التسترى يقول حضرنا أبازرعة وكان فى السوق فساقه قلت والحديث أخرجه أحمد وأبو داود والطبرانى من هذا الوجه وأخرجه ابن منده من حديث أبى شيبة الخدرى وأنشد السيوطى لنفسه فى هذا المعنى

لقن أخاك لدى الممات شهادة * لا تسئمه ولا تلج وتبرم
من كان آخر ما يقول شهادة الا * خلاص يخلد فى الجنان ويرحم

(وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس فى قلبه غير الله) كما قال القائل احسبى ربى جل الله مافى قلبى غير الله (فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق) جل شأنه (كان قدومه بالموت على حبيبه غاية النعيم فى حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها) خائفا على فواتها (وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الامر فى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول) وقد روى الطبرانى من حديث معاذ من مات يقول لااله الا الله يقينا من نفسه دخل الجنة وروى أحمد والبيهقى من حديثه من مات وهو يشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة (وأما حسن الظن) بالله تعالى (فهو مستحب فى هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله) من ذلك (دخل) واثلة بالمثلثة (بن الاسقع) بالقاف بن كعب الليثى رضى الله عنه صحابى مشهور نزل الشام وعاش الى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين وروى له الجماعة (على مريض فقال اخبرنى كيف ظنك بالله قال أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى فكبر واثلة) رضى الله عنه (وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء) قال العراقى رواه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقى فى الشعب به جميعا اهـ قلت ورواه بالرفع فقط ابن أبى الدنيا والحكيم والطبرانى وابن عدى والحاكم وتمام بلفظ قال الله عز وجل فساقه ورواه الشيرازى فى الالقاب من حديث أنس وفى لفظ للطبرانى وابن حبان من حديث واثلة بلفظ انا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا فخير وان ظن شرا فشر وروى الجملة الاولى فقط الطبرانى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وروى أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال صلى الله عليه وسلم مااجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم فى كتاب الخوف والرجاء ورواه القشيرى فى الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى حدثنا سوار حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس فذكره وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن الحسن قال بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم لاأجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة ورواه أبو نعيم فى الحلية عن شداد بن أوس موصولا وروى ابن المبارك فى الزهد عن ابن عباس قال اذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله واذا كان حيا فخوفوه (وقال ثابت) بن أسلم (البنانى) التابعى العابد رحمه الله تعالى (كان شاب به حدة) أى نشاط الى اللهو واللعب (وكانت له أم تعظه كثيرا وتقول له يابنى ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه تقول له يابنى قد كنت أحذرك

مصرعك هـذا وأقول ان لك يوما فقال) الشاب (يا أمه ان لى ربا كثير المعروف وانى لارجو ان لا يعدمنى اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى محمد بن حيان حدثنا الحسن بن هرون حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ثابت قال كان شاب به رهق فكانت أمه تعظه فساقه وفى آخره قال ثابت رحمه الله حسن ظنه بالله فى حالته تلك (وقال جابر بن وداعة) بفتح الواو (كان شاب به رهق) محركة أى نشاط (فاحتضر) اى حضره الموت (فقالت له أمه يابنى توصى بشئ قال نعم خاتمى لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى فلما دفن رؤى فى المنام فقال اخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وان الله قد غفر لى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله (ومرض اعرابى فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بى فقالوا الى الله قال فما كراهتى ان أذهب الى من لا يرى الخير الا منه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله (وقال) أبو محمد (المعتمر بن سليمان) البصرى ثقة مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين روى له الجماعة (قال أبى) سليمان بن طرخان التيمى نزل فى التيم فنسب اليهم ثقة عابد مات سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين روى له الجماعة (لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به) رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابى حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق قال سمعت سوار بن عبد الله قال سمعت المعتمر يقول قال أبى فذكره (وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله عن ابراهيم النخعى بلفظ ان يلقنوا العبد بمحاسن عمله ورواه أيضا محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين ومما يليق ايراده فى الباب ما رواه الشيخان عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن وزاد فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين وروى ابن عساكر من حديث أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله ثمن الجنة وروى ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن مسعود قال والله الذى لا اله غيره لا يحسن أحد الظن بالله الا أعطاه الله ظنه وروى ابن المبارك وأحمد والطبرانى من حديث معاذ ان شئتم انبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة وما أول ما يقولون له قلنا نعم يا رسول الله قال فان الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتى وروى ابن أبى الدنيا فى حسن الظن والبيهقى فى الشعب وابن عساكر عن أبى غالب صاحب أبى امامة قال كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه فمرض الفتى فبعث الى عمه فأبى ان يأتيه فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه فاقبل عليه يشتمه ويقول أى عدو الله ألم تفعل كذا قال أرأيت أى عم لو ان الله دفعنى الى والدتى ما كانت صانعة بى قال كانت والله تدخلك الجنة قال فوالله لله ارحم بى من والدتى فقبض الفتى ودفنه عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه فتأخر قلت ما شأنك قال ملئ قبره نورا وفسح له مد البصر وروى ابن أبى الدنيا فيه والبيهقى فى الشعب عن حميد قال كان لى ابن أخت مرهق فمرض فارسلت الى أمه فاتيتها فاذا هى عند رأسه تبكى فقال يا خال ما يبكيها قلت ما تعلم منك قال أليس انما ترحمنى قلت بلى قال فان الله أرحم بى منها فلما مات انزلته القبر مع غيرى فذهبت أسوى لبنة فاطلعت فى اللحد فاذا هو مد بصرى فقلت لصاحبى وأنت ما رأيت قال نعم فليهنك ذاك قال فظننت انه بالكلمة التى قالها

(فصل) فى بيان ما يقرأ عند الميت وما يقال اذا مات وغمض روى ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والديلمى من حديث أبى الدرداء ما من ميت يقرأ عند رأسه يس الا هون الله عليه وروى ابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان من حديث معقل بن يسار اقرؤا على موتاكم يس قال ابن حبان أراد به من حضره الموت يقرأ عليه وروى ابن أبى شيبة والمروزى عن جابر بن زيد قال كان يستحب اذا حضر الميت ان يقرأ

مصرعك هذا وأقول ان لك يوما فقال يا أمه ان لى ربا كثير المعروف وانى لارجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه ربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يابنى توصى بشئ قال نعم خاتمى لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمنى فلما دفن رؤى فى المنام فقال أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى وان الله قد غفر لى* ومرض اعرابى فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بى قالوا الى الله قال فما كراهتى أن أذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال أبو المعتمر بن سليمان قال أبى لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه

عنده سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت وانه أهون لقبضه وأيسر لشأنه وكان يقال قبل ان يموت الميت بساعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لفلان بن فلان و برد عليه مضجعه ووسع عليه في قبره واعطه الراحة بعد الموت وألحقه بنبيه وتول نفسه وصعد روحه في أرواح الصالحين واجمع بيننا و بينه في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب و يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكرر ذلك حتى يقبض وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانت الانصار يقرؤن عند الميت سورة البقرة و روى الطبراني في الاوسط عن أبي بكرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وهو في الموت فلما شق بصره مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاغمضه فلما اغمضه صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان النفس اذا خرجت تبعها البصر وان الملائكة تحضر الميت فيؤمنون على ما يقول أهل البيت ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين واخلفه في عقبه في الفائزين واغفر لنا وله يوم الدين وروى الحاكم من حديث شداد بن أوس اذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فان الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت وروى المروزي عن بكر المزني قال اذا اغمضت ميتا فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله

(بيان الحسرة عند لقاء الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها)

وفيه بيان قطع الآجال كل سنة (قال اشعث بن أسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل) بفتح العين (وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال) اشعث (ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وأبو الشيخ في العظمة عن اشعث و روى أحمد في الزهد وأبو الشيخ في العظمة وابو نعيم في الحلية عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء وجعل له أعوانا يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحسن بن عمارة عن الحكم ان يعقوب عليه السلام قال لملك الموت ما من نفس منفوسة الا وأنت تقبض روحها قال نعم قال فكيف وأنت عندي ههنا والانفس في أطراف الارض قال ان الله سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي اطرافها شاء كذلك الدنيا عندي و روى الدينوري في المجالسة عن أبي قيس الاودي قال قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح قال ادعوها فتجيبني وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ وابو نعيم عن شهر بن حوشب قال ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه و بين يديه ملائكة قيام وهو يعرض اللوح لا يطرف فاذا أتوا على أجل عبد قال اقبضوا هذا وروى ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس انه سئل عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين واحد في المشرق وآخر في المغرب كيف قدر ملك الموت عليهما قال ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والبحور الا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء وروى جويبر في تفسيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال ملك الموت الذي يتوفى الانفس كلها وقد سلط على ما في الارض كما سلط أحدكم على ما في راحتيه ومعه ملائكة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاذا توفى نفسا طيبة دفعها الى ملائكة الرحمة واذا توفى نفسا خبيثة دفعها الى ملائكة العذاب وروى ابن أبي الدنيا وابو الشيخ عن أبي المثنى الحمصي قال ان الدنيا سهلها وجبالها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فيقبض الارواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب قيل فاذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق قال يدعوها فتأتيه الانفس وروى ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال قيل يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك فقال ان الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم فهل يفوته منها شئ (قال) الراوي وهو أشعث بن أسلم الذي تقدم ذكره (وهو) الذي (بشره بانه خليل الله عز وجل) هذا القول قد رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود وابن عباس قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل

(بيان الحسرة عند لقاء الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها) قال أشعث بن أسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال أدعو الارواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد دحيت له الارض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بانه خليل الله عز وجل

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك باعلم منك انما هى صحف أو كتب تلقى الى فيها أسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى فأتى بشئ كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له

ما

ملك الموت ربه ان يأذن له بذلك فأذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال الحمد لله وقد ذكر بتمامه قريبا (وقال سليمان بن داود عليه) وعلى أبيه (السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك باعلم منك انما هى صحف أو كتب تلقى الىّ فيها أسماء) رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن خيثمة قال أتى ملك الموت سليمان بن داود عليهما السلام وكان له صديقا فقال له سليمان مالك تأتى أهل البيت فتقبضهم جميعا وتدع أهل البيت الى جنبهم لا تقبض منهم أحدا قال لا أعلم بما أقبض منهما انما أكون تحت العرش فتلقى الىّ صكاك فيها أسماء وروى ابن عساكر عن خيثمة قال قال سليمان عليه السلام لملك الموت اذا أردت أن تقبضنى فاعلمنى بذلك قال ما أنا أعلم بذلك منك انما هى كتب تلقى الىّ فيها تسمية من يموت وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس ان ملكا استأذن ربه ان يهبط الى ادريس عليه السلام فأتاه فسلم عليه فقال له ادريس عليه السلام هل بينك وبين ملك الموت شئ قال ذلك أخى من الملائكة قال هل تستطيع ان تنفعنى عنده بشئ قال أما ان يؤخر شيأ أو يقدمه فلا ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت فقال اركب بين جناحى فركب ادريس عليه السلام فصعد الى السماء العليا فلقى ملك الموت وادريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك ان لى اليك حاجة قال علمت حاجتك تكلمنى فى ادريس وقد محى اسمه ولم يبق من أجله الا نصف طرفة عين فمات ادريس عليه السلام بين جناحى الملك وروى أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا عن معمر قال بلغنى ان ملك الموت لا يعلم متى يحضر أجل الانسان حتى يؤمر بقبضه وروى ابن أبى الدنيا عن ابن جريج قال بلغنا انه يقال لملك الموت اقبض فلانا فى وقت كذا فى يوم كذا (وقال) أبو عبد الله (وهب بن منبه) اليمانى رحمه الله تعالى (كان ملك من الملوك أراد ان يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له رأسه) أى قربه اليه (فساره) أى تكلم فى اذنه سرا (وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر ميتا كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حال شئت ان أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى واقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وقال) أبو عبد الله (بكر بن عبد الله المزنى) البصرى ثقة ثبت جليل مات سنة ست ومائة روى له الجماعة (جمع رجل من بنى اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى فأتى بشئ كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له

ما يبكيك فو الذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك و بدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه* و روى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا و جعل عليه بابين وثيقين و جمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره و رفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب اليه (٢٨١) الغلمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا الى مولاكم فقالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي و يرد المتقي عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الارض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء* قال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس و ينكح الازواج و يبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري

ما يبكيك فو الذي خولك) أي أنعم عليك به (ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك و بدنك قال فالمهلة) أي اعطني امهالا (حتى أفرقه) على من يستحقه (قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (و روى ان رجلا جمع مالا فاوعى) أي استكثر منه وحفظه (ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا و جعل عليه بابين وثيقين) أي محكمين (و جمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي سنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمة وقالوا ما شأنك فقال ادعوا الى مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من القرعة الاولى فوثب اليه الحرس فقال أخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان أتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم سببتني وقد كنت تدخل على السلطان بي و يرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات وتجلس مجالس الملوك بي وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت (وقال) أبو محمد (عطاء بن يسار) الهلالي المدني مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة أربع وتسعين روى له الجماعة (اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس و ينكح الازواج و يبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت الا انه قال وان اسمه قد نسخ في الموتى ومما يؤيد ذلك ما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح و يولد له وقد خرج اسمه في الموتى وروى ابن أبي الدنيا وابن جرير مثله من طريق الزهري عن عثمان بن المغيرة ابن الاخنس مرفوعا و رواه البيهقي في الشعب من طريق الزهري عن عثمان عن محمد بن المغيرة بن الاخنس ور واه ابن أبي حاتم بنحوه عن ابن عباس موقوفا و روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه

وسلم كان يصوم شعبان كله فسألته فقال ان الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة فاحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم وروى ابن جرير عن عمر مولى غفرة قال ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر الى مثلها فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه في الاموات وروى ايضا عن عكرمة قال في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وروى الدينوري في المجالسة عن راشد بن سعد رفعه قال في ليلة النصف من شعبان يوحي الله الى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة وروى ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال أول من يعلم بموت العبد الحافظ لانه يعرج بعمله وينزل برزقه فاذا لم يخرج له رزق علم انه ميت وروى أبو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة قال لله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق الا له فيها ورقة فاذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده فذلك قوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (مامن يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انقصت له أجلا وان لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت وأبو الشيخ في العظمة وروى سعيد بن منصور وأحمد في الزهد عن عطاء بن يسار قال مامن أهل بيت الا يتصفحهم ملك الموت في كل يوم خمس مرات هل منهم أحد أمر بقبضه وروى ابن أبي حاتم عن كعب قال مامن بيت فيه أحد الا وملك الموت على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد امر به يتوفاه وروى أحمد وأبو الشيخ في الزهد عن مجاهد قال ماعلى ظهر الارض من بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف به كل يوم مرتين وروى ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد الاعلى التيمي قال مامن أهل دار الا ملك الموت يتصفحهم في اليوم مرتين وروى أبو نعيم عن ثابت البناني قال الليل أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح الا وملك الموت قائم عليها فان أمر بقبضها قبضها والا ذهب وروى أبو الفضل الطوسي في عيون الاخبار وابن النجار في تاريخ بغداد من طريق ابراهيم بن هدبة عن أنس مرفوعا ان ملك الموت ينظر في وجوه العباد في كل يوم سبعين نظرة فاذا ضحك العبد الذي بعث اليه يقول عجبا بعثت اليه لاقبض روحه وهو يضحك وروى أبو الشيخ في العظمة وابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال يتصفح ملك الموت المنازل كل يوم خمس مرات ويطالع في وجه ابن آدم في كل يوم اطلاعة قال فمنها الزعرة التي تصيب الناس يعني القشعريرة والانقباض وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال مامن يوم الا وملك الموت ينظر في كتاب حياة الناس قائل يقول ثلاثا وقائل يقول خمسا وروى الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده كلاهما في الصحابة من طريق جعفر عن محمد عن أبيه عن الحرث بن الخزرج عن أبيه رفعه قال يقول ملك الموت يا محمد اني لاقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت ماهذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره ومالنا في قبضه من ذنب فان ترضوا بما صنع الله تؤجروا وان تسخطوا تأثموا وتوزروا وان لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر ومامن أهل بيت شعر ولا مدر ولا فاجر سهل ولا جبل الا وأنا أتصفحهم في كل يوم وليلة حتى لانا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن بقبضها قال جعفر بن محمد بلغني انه انما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة والحرث مجهول وكذا أبوه الخزرج لايعرف والحديث غريب وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلا وفيه عمرو ابن شمر وهو كذاب (وقال يزيد) بن أبان (الرقاشي) أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف مات قبل العشرين روى له البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن

وقال الحسن مامن يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فاذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انقصت له أجلا وان لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من أنت ومن

أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالذى لا يمنع منى الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط فى يده الجبار وارتعد

حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه اليه مستخذيا متذللا له فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلى حتى أحدث عهدا قال هيهات نقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى أين تذهب بى قال الى عملك الذى قدمته والى بيتك الذى مهدته قال فانى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الى كأنه يريدنى قال فماذا تريد قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى الى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائى قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالذى لا يمنع من الحجاب) جمع حاجب وهو البواب الذى يمنع الداخل من الدخول فى الدار ويحتمل ان يكون صيغة مبالغة من الحجب وفى بعض النسخ لا يمنع منى الحجاب (ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال) الراوى (فاسقط فى يد الجبار وارتعد) جسمه (حتى سقط منكبا لوجهه ثم رفع رأسه اليه مستخذيا) أى مستكينا (متذللا فقال له أنت اذا ملك الموت قال أنا هو فقال فهل أنت ممهلى) أى تعطينى المهلة (حتى أحدث عهدا) أى انابة ورجوعا (قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت) أى فرغت (ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى أين تذهب بى قال الى عملك الذى قدمته) بين يديك (والى بيتك الذى مهدته قال فانى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فالى لظى) وهى دركة من دركات جهنم (نزاعة للشوى) اطراف العظام (ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن صارخ) عليه (وباك قال يزيد الرقاشى) وهو الراوى لهذا الخبر (لو يعلمون سوء المنقلب) وما أعد الله لهم من الشدائد (كان العويل على ذلك أكثر) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت (وعن الأعمش) هو سليمان بن مهران الاسدى الكاهلى أبو محمد الكوفى ثقة حافظ ورع مولده أول سنة احدى وستين ومات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة (عن خيثمة) بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى الكوفى ثقة مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الى كأنه يريدنى قال فماذا تريد قال أريد ان تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى الى أقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان) عليه السلام (لملك الموت بعد ان أتاه ثانيا رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائى قال نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أمرت ان أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن خيثمة فذكره

(فصل) قال المصنف فى الدرة الفاخرة فى حال المحتضر وتزورعيناه قال السيوطى قال ابن أبى الدنيا حدثنى ابراهيم بن عبد الملك عن عبد الله بن الجراح الخراسانى عن جرير عن حصين قال بلغنى ان ملك الموت اذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس وروى الدينورى فى المجالسة عن سفيان الثورى قال ان ملك الموت اذا غمز وتين العبد انقطعت معرفته وانقطع كلامه ونسى الدنيا وما كان فيها فلولا انه يسقى من سكرات الموت لضرب من حوله بالسيف لشدة ما يعالج وقال المصنف أيضا فمنهم من يطعنه الملك بحربة قال القرطبى لم أر لهذه الحربة ذكرا فى الآثار الا فى أثر عن معاذ انتهى قال السيوطى فى الامالى وبالاسناد الى أبى نعيم قال حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فاذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الاموات قال السيوطى هذا موقوف فى معنى المرفوع لان مثله لا يقال بالرأى وقال فى شرح الصدور وروى ابن عساكر من طريق جرير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا ان لملك الموت حربة مسمومة طرف لها بالمشرق وطرف لها بالمغرب يقطع بها عرق الحياة قال ابن عساكر رفعه منكر قال السيوطى وعلى هذه الرواية اعتمد الغزالى فى الدرة الفاخرة ولم يقف عليها القرطبى فقال لم أجد لهذه الحربة ذكرا الا فى أثر معاذ اه وقال المصنف أيضا وعند استقرار النفس فى التراقى تعرض عليه الفتن قال السيوطى وشاهده مرسل عطاء بن يسار وأقرب ما يكون عدو الله منه تلك الساعة رواه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده وعند ابن أبى الدنيا من حديث أبى الحسين البرجمى وان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الاحباء وعند أبى نعيم فى الحلية من حديث واثلة بن

الاسقع وان الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع وقد تقدم كل ذلك قال وماذكره المصنف من ان جبريل يأتيه فيطرد عنه الشياطين ويقول يافلان الخ لم أره هكذا لكن ورد في اثر ان ملك الموت يطردهم ويلقنه الشهادة وفي حديث ان جبريل يحضر الميت على طهارة أما الاول فروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد بلغني انه انما يتصفحهم ملك الموت عند مواقيت الصلاة فاذا نظر عند الموت ان كان ممن يحافظ على الصلوات دنا منه الملك وطرد عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في ذلك الحال العظيم وهو حديث معضل وأما الثاني ففي المعجم الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قالت قلت يارسول الله هل يرقد الجنب قال ما أحب ان يرقد حتى يتوضأ فاني أخشى ان يتوفى فلا يحضره جبريل قال ومن الناس من اذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن أهله شاهده مارواه أبونعيم من طريق ابن المبارك عن ليث عن مجاهد قال مامن ميت يموت الا عرض عليه أهل مجلسه ان كان من أهل الذكر فمن أهل الذكر وان كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو ورواه أيضا ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والبيهقي في الشعب ورواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة وهو صحابي قال مامن ميت يموت حتى يمثل له جلساؤه عند موته ان كانوا أهل لهو فاهل لهو وان كانوا أهل ذكر فاهل ذكر وروى البيهقي في الشعب عن الربيع بن برة وكان عابدا بالبصرة قال أدركت الناس بالشام وقيل لرجل قل لا اله الا الله فقال اشرب واسقني وقيل لرجل بالاهواز يافلان قل لا اله الا الله فجعل يقول ده يازده دوازده وقيل لرجل ههنا بالبصرة يافلان قل لا اله الا الله فجعل يقول

يارب قائلة يوما وقد تعبت * كيف الطريق الى حمام منجاب

قال أبو بكر هذا رجل استدلته امرأة الى الحمام فدلها الى منزله فقاله عند الموت وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد بن علي قال ليس من ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيشخص الى حسناته ويطرق من سيئاته وروى عن الحسن في قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر فاذا رأى حسنة بهش واشرق واذا رأى سيئة غض وقطب وروى عن حنظلة بن الاسود قال مات مولى لي فجعل يغطي وجهه مرة ويكشفه أخرى فذكرت ذلك لمجاهد فقال بلغنا ان نفس المؤمن لاتخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(و) وفاة (الخلفاء الراشدين من بعده) رضي الله عنهم (اعلم) هداك الله تعالى بتأييده وأوصلنا واياك الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على اكباد ذوي الايمان اعلم (ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة) الاسوة بالكسر وبالضم القدوة (حيا وميتا وفعلا وقولا) يجب التأسي به في جميع الاحوال قال ابو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاءه اخوه تصافحه وتقول له ياعبد الله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (وجميع أحواله) صلى الله عليه وسلم (عبرة للناظرين) المتأملين (وتبصرة للمستبصرين اذلم يكن أحد) من المخلوقات (أكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه) وقد شهدت بذلك الآيات والاخبار الصحيحة (فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء موته وهل اخره لحظة بعد حصول منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام) وهم ملك الموت مع الاعوان كما تقدمت الاشارة لذلك (فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر) المطهر (الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه) وهو ما كان يجده صلى الله عليه وسلم من شدة الموت لانه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الاجر (وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره) من الرجال والنساء (وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)

(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذلم يكن أحد أكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه

مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا وندبراهيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ماوجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عندالله ذوالمقام المحمود) الذى يحمده الاولون والآخرون (والحوض المورود) كما وردت بذلك الاخبار وسيأتى ذكرها (وهو أوّل من تنشق الارض عنه) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن غريب ولفظه أنا أوّل من تنشق عنه الارض فاكسى الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وروى ابن أبى شيبة والطبرانى من حديث ابن عباس أنا أوّل من تنشق عنه الارض ولا فخر وهو صاحب الشفاعة يوم العرض روى أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد أنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر وروى مسلم وأبوداود من حديث أبى هريرة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأوّل من ينشق عنه القبر وأول شافع وأوّل مشفع و روى الطبرانى من حديث جابر فاذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معى وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم (فالعجب أنا لانعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات فما بالنا لانتعظ بمصرع) سيدنا (محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين) صلى الله عليه وسلم (لعلنا نظن أننا مخلدون) فى الدنيا (أونتوهم أنا مع سوء افعالنا عندالله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لاينجو منها الا المتقون فنحن للورود متيقنون وللصدور عنها متوهمون) روى ابن المبارك وأحمد كلاهما فى الزهد وابن عساكر عن بكر بن عبدالله المزنى قال لما نزلت هذه الآية وان منكم الا واردها ذهب عبدالله بن رواحة الى بيته فبكى فجاءت المرأة فبكت وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقطعت عبرتهم قال يا أهلاه فما الذى أبكاكم قالوا لاندرى ولكن قد رأيناك بكيت فبكينا قال أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية ينبئنى فيها ربى تبارك وتعالى انى وارد النار ولم ينبئنى انى صادر عنها فذلك الذى أبكانى و روى أبو نعيم فى الحلية عن عروة بن الزبير قال لما أراد ابن رواحة الخروج الى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وان منكم الا واردها فقد علمت انى وارد النار ولا أدرى كيف الصدر بعد الورود و روى ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأحمد وهناد معا فى الزهد وعبد بن حميد والحاكم والبيهقى فى البعث عن قيس بن أبى حازم قال بكى عبدالله بن رواحة فقالت امرأته ما يبكيك قال انى أنبئت انى وارد النار ولم أنبأ انى صادر و روى ابن أبى شيبة عن الحسن قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يقول الرجل لصاحبه هل أتاك انك وارد فيقول نعم فيقول هل أتاك انك خارج فيقول لا فيقول ففيم الضحك اذا و روى ابن المبارك وهناد عن أبى ميسرة أنه اوى الى فراشه فقال ياليت أمى لم تلدنى فقالت امرأته يا أبا ميسرة ان الله قد أحسن اليك هداك الى الاسلام فقال أجل ولكن الله قد بين انا واردون النار ولم يبين انا صادرون عنها و روى ابن المبارك عن الحسن قال قال رجل لاخيه يا أخى هل أتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك فما رؤى ضاحكا حتى مات (لا بل ظلمنا أنفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها) أى داخلها كما قاله ابن عباس وابن مسعود و روى ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين ان يدخلوها (كان على ربك حتما مقضيا) أى قسما واجبا (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أى على ركبهم ولا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب نزل به (فلينظر كل عبد الى نفسه أنه الى الظالمين أقرب أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ماوفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين) صلى الله عليه وسلم (فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى) لما ان الموت مكروه

مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللحق بشيرا وندبراهيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ماوجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عندالله ذوالمقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لانعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيآت فما بالنا لانتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن اننا مخلدون أونتوهم انا مع سوء أفعالنا عندالله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لاينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا أن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين أقرب أم الى المتقين فانظر الى نفسك بعد أن تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ماوفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من أمره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب الى جنة المأوى

بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة ولذا لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وأول ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجا فقد قرب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد قيل ان هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها احدى وثمانين يوما وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه السورة نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (قال ابن مسعود) رضي الله عنه (دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله) قال العراقي رواه البزار وقال هذا الكلام قد روي عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن بن الاصبهاني لم يسمع هذا من مرة وانما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة قلت وروي من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عون عن ابن مسعود ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الانصاري من رواية الحسن العرني عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العرني انما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط اه قلت أورده الواحدي في التفسير بسنده الى ابن مسعود قال نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلف الله عليكم وأحذركم الله اني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين الحديث بطوله وسيأتي قريبا ورواه ابن منيع في مسنده بلفظ أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم وأودعكم اليه واني أشهدكم اني لكم نذير مبين والباقي سواء (وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل) عليه السلام (عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل) عليه السلام (ان بشر حبيبي اني لا أخذله في أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض) أي من قبره (اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال) صلى الله عليه وسلم (الآن قرت عيني) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس من حديث طويل فيه من لامتي المصطفاة من بعدي قال ابشر يا حبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الانبياء والامم حتى تدخلها انت وامتك قال الآن طابت نفسي واسناده ضعيف اه قلت فيه عبد المنعم بن ادريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس وعبد المنعم وأبوه ضعيفان والحديث طويل جدا في ورقتين كبار سيأتي ذكره قريبا (وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على

هيئتها التى هى عليها اليوم وان الانصار عيبتى التى أويت اليها) أى موضع سرى (فاكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا و بين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه) أى لما فهم الرمز الذى أشار به النبى صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك فى مرض موته فاستشعر منه انه أراد نفسه فلذلك بكى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر) قال العراقى رواه الدارمى فى مسنده وفيه ابراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة اه قلت يعنى بذلك انه بهذا السياق والا ففى عدة مواضع من الصحيح للبخارى من رواية الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه صبوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى استريح فاعهد الى الناس قالت عائشة فاجلسناه فى مخضب لحفصة من نحاس وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير الينا ان قد فعلتن ثم خرج وهو عند النسائى فى سننه الكبرى من رواية عروة عن عائشة ورواه أحمد عن محمد ابن يحيى بن عبد الله عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة ورواه أيضا عن معاوية بن صالح عن يحيى بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر قال قال الزهرى فذكره وفى بعض سياقات البخارى بعد قوله ثم خرج الى الناس فصلى بهم وخطبهم وفى لفظ للبخارى والنسائى اهريقوا على بدل صبوا وروى صاحب كتاب المتفجعين هذا الحديث فقال حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحرانى الحافظ حدثنا أبو عمرو سعيد بن بزيع قال حدثنا ابن اسحق قال حدثنى يعقوب بن عتبة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فساق الحديث وفيه ثم اشتد وجعه فقال اهريقوا على سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فاعهد اليهم فاقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده حسبكم حسبكم قال الزهرى وحدثنى أيوب بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر فاول ما تكلم به ان صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فاكثر ثم قال ان عبدا من عباد الله عز وجل خيره الله بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده ففهمها أبو بكر رضى الله عنه وعرف ان نفسه يريد فبكى وقال نحن نفديك بانفسنا وابنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر انظروا هذه الابواب الشارعة فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل عندى فى الصحبة منه ورواه الدارمى مثله وأبو داود الحرانى حافظ ثقة وسعيد بن بزيع ما عرفت أحدا تكلم فيه وقد صرح فيه ابن اسحق بالتحديث وروى أحمد والشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين أيديكم فرط وانى عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه وأنا فى مقامى هذا وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض وانى لست أخشى عليكم ان تشركوا بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وروى مالك والشيخان والترمذى من حديث أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر رواه الطبرانى من حديث معاوية ورواه أحمد من حديث مويهبة أوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى والجنة فاخترت لقاء ربى والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس مرفوعا خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى و بين التعجيل فاخترت التعجيل ورواه

هيئتها التى هى عليها اليوم وان الانصار عيبتى التى أويت اليها فاكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا و بين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر

ابن السنى فى عمل يوم وليلة من حديث أبى المعلى بلفظ ان عبدا خيره الله بين ان يعيش فى الدنيا ماشاء ان يعيش فيها يأكل ماشاء ان يأكل منها وبين لقائه *(تنبيه)* هذا الاغتسال لم يكن سببه اغماء كما ظنه بعضهم وانما كان مقصوده النشاط والقوة وقد صرح بذلك فى قوله لعلى استريح وقوله فى رواية الدارمى من سبع آبار شتى أى متفرقة وهذه زيادة على رواية البخارى وغيره فيحتمل انها معينة ويحتمل انها غير معينة وانما يراد تفرقها خاصة فعلى الاول فى تلك الآبار المعينة خصوصية ليست فى غيرها وعلى الثانى الخصوصية فى تفرقها والله أعلم وقد تقدم للمصنف فى آخر كتاب الحج ذكر الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب من مائها ويغتسل وهى سبعة بئر أريس وبئر حاو بئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو بئر جمل وفى السابعة تردد وقد تقدم الكلام عليها وروى ابن ماجه فى السنن من حديث على باسناد جيد اذا أنامت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس (قالت عائشة) رضى الله عنها (فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أى نعم فناولته اياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت أليته لك فأومأ برأسه أى نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لااله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى) قال العراقى متفق عليه قلت فى رواية للبخارى ان من نعم الله على ان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ودخل على عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فاشار برأسه ان نعم وفى رواية له مر عبد الرحمن وبيده جريدة رطبة فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فأخذتها فنفضت رأسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها أحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وفى رواية له دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فامده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رأيته استن استنانا قط أحسن منه وفى حديث خرجه العقيلى انه صلى الله عليه وسلم قال لها فى مرضه ائتينى بسواك رطب فامضغيه ثم ائتينى به أمضغه لكى يختلط ريقى بريقك لكى يهون على عند الموت وروى البخارى أيضا من حديثها انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول لااله الا الله ان للموت سكرات وقد تقدم ذلك وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا سليمان بن سيف حدثنا سعيد بن بزيع عن ابن اسحق قال قال الزهرى حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره فلما حضر صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه بل الرفيق الاعلى من الجنة قلت اذا لا يختارنا وعرفت انه الذى كان يقول لنا ان الانبياء لا تقبض حتى تخير قال وحدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى ومحمد بن على بن ميمون قالا حدثنا القعنبى عن مالك عن هشام بن عروة عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت وهو مستند الى صدرها يقول اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى وروى أحمد من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبى تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه نفسه فيخير بين ان ترد اليه أو يلحق فكنت قد حفظت فانى لمسندته الى صدرى فنظرت اليه حتى مال عنقه فقلت قضى فعرفت الذى قال فنظرت اليه حتى ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وروى البخارى من حديثها انه صلى الله عليه وسلم لما حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى وفى لفظ اللهم أسألك أو أسأل الله الرفيق الاعلى مع

قالت عائشة رضى الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أى نعم فناولته اياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت أليته لك فأومأ برأسه أى نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لااله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى

فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ماتقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه (٢٨٩) بلغني انكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فيقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تؤثروا عليهم ألا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا

الاسعد جبريل وميكائيل واسرافيل رواه النسائي من حديث أبي موسى وصححه ابن حبان قال ابن حجر في شرح الشمائل ظاهره ان الرفيق مكان يوافق فيه المذكورين وفي النهاية هو جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل هو الله تعالى لانه تعالى رفيق بعباده وقيل حظيرة القدس وختم كلامه بهذه الكلمة لتضمنها التوحيد والذكر بالقلب واشارة الى ان من منع لسانه مانع من الذكر وقلبه مشغول به لم يضره ذلك أشار اليه السهيلي في الروض الانف وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا علي بن عثمان الفضيلي حدثنا أبو علي الخارق بن ميسرة حدثنا عثمان حدثنا حسين بن واقد عن أبي الزبير عن جابر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم على فرس أبلق عليه قطيفة من استبرق فقال عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته جزاك الله من رسول ونبي خيرا فقد بلغت الرسالة ونصحت للامة وجاهدت في السبيل وقضيت الذي عليك فهذه مفاتيح الدنيا قد أتيتك بها لك بما صنعت ولك الجنة بعد الموت أو اللحوق بالله عز وجل قال لا بل اللحوق بالله (وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه) عبد الله بن ضرار بن الازور (قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل) بن العباس (فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه) اى اجتمعوا (فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني انكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنع اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس) رضي الله عنه (يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا

والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغيرا النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يانبى الله ماعند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يانبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم أخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم أول الامام وأهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتى الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى الى من بعدى

والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) قال العراقى هو مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبو عبد الله ابن ضرار بن الازور تابعى روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفى ابنه سعيد ليس بالقوى اهـ قلت أسنده سيف بن عمر فى كتاب الفتوح هكذا وأورده الكاهانى فى الفجر المنير من طريقه قال الذهبى سعيد بن عبد الله بن ضرار عن أنس قال أبو حاتم ليس بقوى وعبد الله بن ضرار عن أبيه وغيره قال يحيى لا يكتب حديثه وروى البخارى من حديث أنس مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم ورواه أحمد ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر الا انى فرط لكم على الحوض وان بعد ما بين طرفيه مثل ما بين صنعاء وايلة كان الاباريق فيه النجوم وروى ابن أبى شيبة وابن جرير من حديث أبى هريرة الناس تبع لقريش فى هذا الامر خيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع لشرارهم وروى الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن عوف أوصيكم بالمهاجرين السابقين الاولين وبأبنائهم الا تفعلوا لا يقبل الله منكم صرفا ولا عدلا (وروى ابن مسعود) رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى) وهو عبارة عن غاية القرب (فقال ليهنك يانبى الله ماعند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يانبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها ثم انتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتى الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى الى من بعدى) قال العراقى رواه ابن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر هو الواقدى باسناد ضعيف الى ابن عون عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم اهـ قلت ورواه الطبرانى فى الدعاء والواحدى فى التفسير بسند واه جدا الى ابن مسعود بلفظ نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام الحديث وقد ذكر قريبا وفيه قلنا يارسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يارسول الله من يغسلك قال رجال أهل بيتى الادنى فالادنى قلنا يارسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شئتم فى ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يارسول الله من يصلى عليك قال اذا انتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان

أوّل من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا فصلوا وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال من أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابى ومن تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة فقلنا يارسول الله من يدخلك قبرك قال أهلى مع ملائكة ربى ورواه الطبرانى أيضا فى الكبير من حديث وهب بن منبه عن جابر وابن عباس فى حديث طويل سيأتى ذكره بعد ذلك وفيه فقال على يارسول الله اذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيما نكفنك ومن يصلى عليك ومن يدخلك القبر فقال ياعلى أما الغسل فاغسلنى انت وابن عباس يصب عليك الماء وجبريل ثالثكما فاذا أنتم فرغتم من غسلى فكفنونى فى ثلاثة أثواب جدد وجبريل يأتينى بحنوط من الجنة فاذا أنتم وضعتمونى على السرير فضعونى فى المسجد واخرجوا عنى فان أول من يصلى على الرب عز وجل من فوق عرشه ثم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم الملائكة زمرا زمرا ثم ادخلوا فقوموا صفوفا صفوفا لا يتقدم على أحد الحديث ورواه أيضا أبو يعلى فى مسنده مختصرا وسيأتى ما يتعلق بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه فى آخر هذا الباب (وقال عبد الله بن زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشى الاسدى ابن أخت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم واسم أمه قريبة بنت أبى أمية قال عياض فى المشارق زمعة بسكون الميم وضبطناه عن ابن بحر بفتح الميم حيث وقع وكلاهما يقال قال الحافظ فى الفتح ووقع فى الكاشف للذهبى انه اخو سودة أم المؤمنين وهو وهم يظهر صوابه من سياق نسبه قال البغوى كان يسكن المدينة وله أحاديث ويقال انه كان يأذن على النبى صلى الله عليه وسلم قتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين وبه جزم ابو حسان الزيادى روى له الجماعة (جاء بلال) رضى الله عنه (فى أوّل) شهر (ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلى بالناس) أى يومهم قال (فلم أر بحضرة الباب الا عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (فى رجال ليس فيهم أبو بكر) رضى الله عنه (فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر) واصطف الناس (فلما كبر) للصلاة (وكان رجلا صيتا) أى جهير الصوت (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير) لقرب الحجرة من المسجد (فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق) أى قلبه رقيق (اذا قام مقامك غلبه البكاء) أى لما يلاحظ من فقده صلى الله عليه وسلم وما كان يجد من أنسه وأنواره (فقال انكن صواحبات يوسف) عليه السلام جمع صاحبة اى فى اظهار خلاف ما فى الباطن اى فى التظاهر والتعاون على ما تردن وكثرة الحاحكن على ما تملن اليه وهذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهى عائشة على ان فى رواية البخارى انها قالت لحفصة انها تقول ما قالت أى فمر عمر فليصل بالناس فقالت ذلك فحينئذ قال ما قال وأقل الجمع اثنان (مروا ابا بكر فليصل بالناس) وفيه انه لا يقدم للامامة الا الأفضل القوم فقها وقراءة وورعا وغيرها وفى تكرير أمره بتقديمه الدلالة الظاهرة عند من له أدنى رفق بل ايمان على انه احق الناس بخلافته وقد وافق على ذلك على وغيره من أهل البيت ووجه الشبه بصواحبات يوسف ان زليخا استدعت النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهى ان ينظرن حسن يوسف فيعذرنها فى محبته وعائشة رضى الله عنها اظهرت ان سبب محبتها صرف الامامة عن أبيها وعدم استماعه القراءة ومرادها زيادة على ذلك وهى ان لا يتشاءم الناس به (قال) الراوى (فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر) بالناس سبع عشرة صلاة كما نقله الدمياطى (فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة) رضى الله عنهما (بعد) ذلك (ويحك ماذا صنعت بى والله لولا انى ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله انى لم أر أحدا أولى بذلك منك) قال العراقى رواه أبو داود باسناد جيد مختصرا دون قوله فقالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق الخ ولم يقل فى أول ربيع الاول وقال مروا من يصلى بالناس وقال يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين وفى رواية له فقال لالا لا ليصل للناس ابن أبى قحافة يقول ذلك مغضبا واما أخره من قول عائشة ففى الصحيح من حديثها فقالت عائشة يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مكانك لم يسمع الناس من البكاء فقال

* وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أوّل ربيع الاول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر يصلى بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب الا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين ابو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق القلب اذا قام فى مقامك غلبه البكاء فقال انكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بى والله لولا أنى ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت فيقول عبد الله انى لم أر أحدا أولى بذلك منك

قالت عائشة رضى الله عنها وماقلت ذالك ولا صرفته عن أبي بكر الارغبة به عن الدنيا ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة الامن سلم الله وخشيت
أيضا ان لايكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو حى أبدا الا أن يشاء الله فيحسدونه و يبغون عليه و يتشاءمون
به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ماتخوفت عليه من أمر الدنيا والدين *وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم
الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوايجهم مستبشرين
وأخلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالنساء
فبينا نحن على ذلك لم نكن
على مثل حالنا فى الرجاء
والفرح قبل ذلك قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرجن عنى هذا
الملك يستأذن على فخرج
من فى البيت غيرى
ورأسه فى حجرى فجلس
وتنحيت فى جانب البيت
فناجى الملك طويلا ثم
انه دعانى فاعاد رأسه فى
حجرى وقال للنسوة
ادخلن فقلت ماهذا
بحس جبريل عليه
السلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أجل
ياعائشة هذا ملك الموت
جاءنى فقال ان الله عز
وجل أرسلنى وأمرنى
أن لا أدخل عليك الا
باذن فان لم تاذن لى
أرجع وان أذنت لى
دخلت وأمرنى أن لا
أقبضك حتى تامرنى
فماذا أمرك فقلت اكفف
عنى حتى يأتينى جبريل
عليه السلام فهذه ساعة
جبريل قالت عائشة
رضى الله عنها فاستقبلنا
بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة مانحير اليه شيأ ومايتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك ان
الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام
ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أنه يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة فى أمتك
فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد

انكن صواحبات يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس انتهى قلت رواه الشيخان واللفظ للبخارى وفى روايتهما ان أبا
بكر رجل اسيف وفى حديث عروة عن عائشة عند البخارى فمروا عمر فليصل بالناس قالت قلت لحفصة قولى له ان
أبابكر اذا قام فى مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا أبابكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لأصيب
منك خيرا ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة فى هذا الحديث قال عاصم
والاسيف الرقيق الرحيم *(تنبيه)* فى الحديث السابق سدوا كل خوخة الا خوخة أبى بكر اشارة الى ان
أبابكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين
ثم اكد هذا المعنى بامره صريحا ان يصلى بالناس أبو بكر فروجع فى ذلك وهو يقول مروا أبابكر ان يصلى
بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة أبى بكر رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه
لدنيانا (قالت عائشة) رضى الله عنها (وماقلت ذلك ولاصرفته عن ابى بكر الارغبة عن الدنيا ولما فى الولاية من
المخاطرة والهلكة الا ماسلم الله وخشيت أيضا ان لايكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله
عليه وسلم وهو حى الا ان يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر أمر الله والقضاء قضاؤه
وعصمه الله من كل ماتخوفت عليه من أمر الدنيا والدين) رواه البخارى بلفظ فقالت لقد راجعته وما حملنى على
كثرة مراجعته الا انه لم يقع فى قلبى انه يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه لن يقوم احد
مقامه الا تشاءم الناس به (وقالت عائشة) رضى الله عنها (فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم) وهو يوم الاثنين (رأوا منه خفة فى اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين
واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) للنساء (اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على) أى يطلب الاذن بالدخول
على (فخرج من فى البيت) من النسوة (غيرى ورأسه فى حجرى فجلس) مستعدا للقاء الملك (وتنحيت فى
جانب البيت) اى صرت فى ناحية منه (فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فاعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن
فقلت) يارسول الله (ماهذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اجل ياعائشة (هذا
ملك الموت جاءنى فقال ان الله عز وجل ارسلنى) اليك (وامرنى ان لا ادخل عليك) الا باذن فان لم تأذن لى ارجع
وان أذنت لى دخلت وامرنى ان لا اقبضك حتى تأمرنى فماذا امرك فقلت اكفف حتى يأتينى جبريل عليه
السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها (فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا)
اى اندهشنا (وكأنما ضربنا بصاخة) بتشديد الخاء وهى المصيبة الشديدة (مانحير اليه شيأ) اى مانرجع
(ومايتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل) عليه السلام
(فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول كيف
تجدك وهو اعلم بالذى تجد منك ولكن أراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان
تكون سنة فى أمتك) أى اذا دخلوا على المريض فيقولون كذلك (فقال أجدنى وجعا قال أبشر فان الله
تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يامحمد

ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريدبك لا والله مااستأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا أن ربك متم شرفك وهو اليك
مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة أدنى فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام
ثم قال أدنى منى رأسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسك وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت
أخبرنى وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله أن يلحقك بي فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت ودنت ابنتها منه فشمهما قالت
وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك
اليك مشتاق ولم يتردد
عن أحد تردده عنك ولم
ينهنى عن الدخول على
أحد الا باذن غيرك
ولكن ساعتك أمامك
وخرج قالت وجاء جبريل
فقال السلام عليك
يا رسول الله هذا آخر
ما أنزل فيه الى الارض
أبدا طوى الوحى وطويت
الدنيا وما كان لى فى
الارض حاجة غيرك
ومالى فيها حاجة الا
حضورك ثم لزوم موقفى
لا والذى بعث محمدا بالحق
ما فى البيت أحد يستطيع
أن يحير اليه فى ذلك كلمة
ولا يبعث الى أحد من
رجاله لعظم ما يسمع من
حديثه ووجدنا واشفاقنا
قالت فقمت الى النبى
صلى الله عليه وسلم حتى
أضع رأسه بين ثديى
وأمسكت بصدره وجعل
يغمى عليه حتى يغلب
وجبهته ترشح رشحا ما
رأيته من انسان قط
فجعلت أسلت ذلك العرق
وما وجدت رائحة شئ
أطيب منه فكنت أقول له اذا فاق بابى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح
ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه الى أبى فمات رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمى عليه قال بل الرفيق الاعلى كأن الخيرة
تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول
الصلاة الصلاة

ان ربك اليك مشتاق ألم أعلمك الذى يريدبك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا
الا ان ربك يتم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء وأذن للنساء) فدخلن وفيهن ابنته فاطمة
رضى الله عنها (فقال يا فاطمة أدنى) أى اقربى منى (فأكبت عليه فناجاها) أى سارها بشئ (فرفعت رأسها
وعيناها تذرفان) أى تسيلان دموعا (وما تطيق الكلام) من شدة الحزن (ثم قال أدنى منى رأسك فاكبت عليه
فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام وكان الذى رأينا منها عجبا) من البكاء والضحك فى
ساعة واحدة (فسألناها بعد ذلك) أى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم (فقالت أخبرنى) أوّلا (وقال انى ميت
اليوم فبكيت) حزنا على فراقه (ثم قال ثانيا انى دعوت الله) تعالى (ان يلحقك بى فى أوّل أهلى وان يجعلك معى
فضحكت) فرحا للحوق به (وأدنت ابنتها) هى أم كلثوم (منه فشمها) وبرك عليها (قالت وجاء ملك الموت فسلم
واستأذن فاذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك
مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهه عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك
وخرج قالت وخرج جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحى
وطويت الدنيا وما كانت بى فى الارض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفى ولا والذى بعث
محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع ان يحير اليه فى ذلك كلمة) أى يعيدها (ولا يبعث الى أحد من رجاله
لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديى
وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه) أى يعتريه الغشيان (حتى يغلب) لشدة ما يحصل له من فتور الاعضاء
من تمام الحركة وفيه جواز الاغماء على الانبياء عليهم السلام قال ابن حجر فى شرح الشمائل لكن قيده الشيخ
أبو حامد من أئمتنا بغير الطويل وجزم به البلقينى قال السبكى ليس كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم
الظاهرة دون قلوبهم لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء أولى (وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان
قط فجعلت أسلت ذلك العرق) أى أزيله وامسحه (وما وجدت رائحة شئ أطيب منه فكنت أقول له اذا افاق)
من غشيته (بابى) أنت (وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن) أى
روحه (تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار) أى فالرشح من علامات الخير وقد تقدم
(فعند ذلك ارتعنا) أى خفنا (وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى) وهو عبد الرحمن بن أبى
بكر (بعثه الى أبى) لينظر الحال (فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء أحد) من أهلى (وانما صدهم
الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل) عليهما السلام (وجعل) صلى الله عليه وسلم (اذا أغمى عليه قال بل الرفيق
الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة) أى الزموها (انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا) أى مع الجماعة (الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة) قال العراقى
رواه الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين
اشتد الامر وأوحى الله الى ملك الموت ان اهبط الى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به

في قبض روحه وفيه دخول الملك واستئذانه وقبضه فقال ياملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع ان أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له مما أعد الله له وفيه أدن ياملك الموت فانته الى ما أمرت به الحديث وفيه قد دنا ملك الموت يعالج قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك الى ان قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر فيه عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه ادريس أيضا متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني أيضا من حديث الحسين بن علي ان جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء اسمعيل وان جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولا واستئذانه وقوله ان ربك يقرئك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب مني الآن نخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث قاله البخاري وابن حبان اه قلت وقد رواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني بطوله فقال حدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبراني حدثنا محمد بن أحمد حدثنا عبد المنعم بن ادريس ابن سنان عن أبيه عن وهب عن جابر بن عبد الله وابن عباس قالا لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال محمد صلى الله عليه وسلم يا جبريل نفسي قد نعيت قال جبريل عليه السلام الآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان ينادي بالصلاة جامعة فاجتمع المهاجرون والانصار الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال أيها الناس أي نبي كنت لكم فقالوا جزاك الله من نبي خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم وكالاخ الناصح المشفق أديت رسالات الله عز وجل وأبلغتنا وحيه ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته فقال لهم معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني فذكر حديثا طويلا فيه قيام عكاشة لطلب القصاص نحو ورقة كاملة وفيه فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فكان مريضا ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين فلما كان في يوم الاحد ثقل في مرضه فأذن بلال بالاذان ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يارسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال فقالت فاطمة يابلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه فدخل بلال المسجد فلما أسفر الصبح قال والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقام بالباب ونادى السلام عليك يارسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال فقال ادخل يابلال ان رسول الله اليوم مشغول بنفسه مر أبابكر يصلي بالناس فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول واغوثاه بالله وانقطاع رجائي وانقصام ظهري ليتني لم تلدني أمي اذ ولدتني لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم ثم قال يا أبابكر الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تصلي بالناس فتقدم أبو بكر الناس وكان رجلا رقيقا فلما نظر الى خلوة المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتمالك ان خر مغشيا عليه وضج المسلمون بالبكاء فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجيج الناس فقال ما هذه الضجة فقالوا ضجة المسلمين لفقدك يارسول الله فدعا النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وابن عباس واتكأ عليهما فخرج الى المسجد فصلى بالناس ركعتين خفيفتين ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال معشر المسلمين استودعتكم الله انتم في رجاء الله وأمانته والله خليفتي عليكم معاشر المسلمين عليكم باتقاء الله وحفظ طاعته من بعدي فاني مفارق الدنيا هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا فلما كان يوم الاثنين اشتد به الامر وأوحى الله الى ملك الموت عليه السلام ان اهبط الى حبيبي وصفيي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وارفق

به فى قبض روحه فهبط ملك الموت فوقف بالباب شبه اعرابى ثم قال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل فقالت عائشة لفاطمة رضى الله عنهما أجيبى الرجل فقالت فاطمة اجرك الله فى ممشاك ياعبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه ثم دعا الثانية فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ادخل فقالت عائشة لفاطمة رضى الله عنهما اجيبى الرجل فقالت فاطمة آجرك الله فى ممشاك ياعبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه ثم دعا الثالثة فذكر مثل الاولى والثانية ثم قال بعد قوله آدخل فلا بد من الدخول فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت ملك الموت عليه السلام فقال يافاطمة من بالباب فقالت يارسول الله ان رجلا يستأذن فى الدخول فاجبناه مرة بعد أخرى فنادى فى الثالثة صوتا اقشعر منه جلدى وارتعدت فرائصى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يافاطمة اندرى من بالباب هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرمل الازواج وموتم الاولاد هذا مخرب الدور وعامر القبور هذا ملك الموت صلى الله عليه ادخل يرحمك الله ياملك الموت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياملك الموت جئتنى زائرا أم قابضا قال جئتك زائرا وقابضا وأمرنى الله عز وجل أن لا أدخل عليك الا باذنك ولا أقبض روحك الا باذنك فان أذنت والا رجعت الى ربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل هذا الرحيل من الدنيا فبشرنى بمالى عند الله فقال أبشرك ياحبيب الله انى تركت أبواب السماء قد فتحت والملائكة قد قاموا صفوفا بالتحية والريحان يحيون روحك يامحمد فقال لوجه ربى الحمد فبشرنى ياجبريل قال أبشرك ان أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها قد اضطربت وأشجارها قد تدلت وحورها قد تزينت لقدوم روحك يامحمد قال لوجه ربى الحمد فبشرنى ياجبريل قال أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يامحمد قال لوجه ربى الحمد فبشرنى ياجبريل قال أنت أوّل شافع وأول مشفع فى القيامة قال لوجه ربى الحمد فبشرنى ياجبريل قال ياحبيبى عما تسألنى قال أسألك عن غمى وهمى من لقراء القرآن من بعدى ومن لصوّام شهر رمضان من بعدى من لحجاج بيت الله من بعدى من لامتى المصطفاة من بعدى قال أبشرك ياحبيب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الانبياء والامم حتى تدخلها أنت وأمتك يامحمد قال الآن طابت نفسى أدن ياملك الموت فانته الى ما أمرت فقال على يارسول الله اذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيم نكفنك فذكر الحديث الى قوله ثم ادخلوا افوجوا فوجا فصلوا على فوجا فوجا ولا يتقدم على أحد وقد تقدم ذكر ذلك قريبا ثم قال فقالت فاطمة رضى الله عنها اليوم الفراق فمتى ألقاك قال لها يابنية تلقانى يوم القيامة عند الحوض وأنا اسقى من يرد على الحوض من أمتى قالت فان لم القك يارسول الله قال تلقانى عند الميزان وأنا أشفع لامتى قالت فان لم ألقك يارسول الله قال تلقانى عند الصراط وأنا أنادى يارب سلم أمتى من النار فدنا ملك الموت عليه السلام فعالج قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الروح الى الركبتين قال النبى صلى الله عليه وسلم أوّاه فلما بلغ الروح الى السرة نادى النبى صلى الله عليه وسلم واكرباه فقالت فاطمة كربى لكربك ياابتاه فلما بلغ الروح الى الثندوة قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل عليه السلام وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت النظر الىّ ياجبريل فقال جبريل ياحبيبى ومن يطيق نفسه ان ينظر اليك وأنت تعالج سكرات الموت فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر بعد ذلك غسله وتجهيزه والصلاة عليه والدفن وتعزية فاطمة رضى الله عنها كما سيأتى ذلك فهذا السياق هو الذى أشار اليه العراقى وفيه اختلاف وأما حديث الحسين بن على فلفظه عند الطبرانى ان جبريل هبط على النبى صلى الله عليه وسلم يوم موته فقال كيف تجدك قال أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى مكروبا فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل يامحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال ائذن له فاذن له فاقبل حتى وقف بين يديه فقال ان الله أرسلنى لك وأمرنى ان أطيعك ان أمرتنى ان أقبض نفسك قبضتها وان كرهت تركتها قال وتفعل ياملك الموت قال نعم بذلك أمرت قال له جبريل ان الله قد اشتاق الى

لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امض لما أمرت به و روى البيهقى فى دلائل النبوة من حديث جعفر ابن محمد عن أبيه قال لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله قد أرسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك فقال أجدنى يا جبريل مغموما وأجدنى يا جبريل مكروبا ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت ثم قال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز و جل أرسلنى اليك وأمرنى ان أطيعك اذا حضرت اليك فان أمرتنى ان أقبض روحك قبضتها وان أمرتنى ان أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله تعالى قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئى من الارض انما كنت حاجتى من الدنيا فقبض روحه هكذا ساقه صاحب المواهب وفى سياقه نقص فالذى فى نسخ الدلائل فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد السماء قط ولم يهبط الى الارض قط يقال له اسمعيل موكل على سبعين ألف ملك كل ملك على سبعين ألف ملك والباقى سواء وقد ساقه الشامى فى سيرته على التمام وروى الطبرانى أيضا من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه ورأسه فى حجر على رضى الله عنه فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له على رضى الله عنه ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقرئك السلام قال فبلغنى ان ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده وروى الحاكم وابن سعد من طرق انه صلى الله عليه وسلم مات ورأسه فى حجر على قال الحافظ فى الفتح وهو غير معارض لحديث عائشة فى الصحيح مات صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى لان كل طريق من تلك الطرق لا يخلو عن شئ فلا يلتفت لذلك وروى البخارى من طريق عروة عن عائشة قالت دعا النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة فى شكواه التى قبض فيها فسارها بشئ فبكت ثم دعاها فسارها بشئ فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارنى انه يقبض فى وجعه التى توفى فيه فبكيت ثم سارنى فاخبرنى انى أول أهله يتبعه فضحكت ومن طريق مسروق عن عائشة اقبلت فاطمة تمشى كان مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بابنتى ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها ولابى داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت ما رأيت أحدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامها وقعودها من فاطمة رضى الله عنها وكانت اذا دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها واجلسها فى مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه تقبله قال صاحب المواهب اتفقت الروايات على ان الذى سارها به أولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت فى مرضه ذلك واختلفت فيما سارها به فضحكت ففى رواية عروة انه اخباره اياها انها أول أهله لحوقا به وفى رواية مسروق انه اخباره اياها انها سيدة نساء الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست فى حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لافشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى النبى صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الى ان جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة وانه عارضنى العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلى وانك أول أهل بيتى لحوقا بى وفى رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة ان عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت انى كنت لاظن ان هذه المرأة من أعقل النساء فاذا هى من اجن النساء ويحتمل تعدد القصة وفى رواية عروة الجزم انه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها أول أهله لحوقا به سببا لبكائها ولضحكها معا

باعتبارين فذكر كل من الراويين مالم يذكره الآخر وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخير ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها ان سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به وفي سياق المصنف وجبهته ترشح رشحا وفيه يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار رواه الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار ورواه في الاوسط بلفظ نفس المؤمن تخرج رشحا ولا أحب موتا كموت الحمار موت الفجأة وروح الكافر تخرج من اشداقه وفي رواية له قيل له وما موت الحمار قال روح الكافر تخرج من اشداقه وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث بريدة المؤمن يموت بعرق الجبين وتقدم حديث سلمان ارقبوا الميت عند موته ثلاثا ان رشحت جبينه الحديث وروى البيهقي في الشعب من طريق علقمة بن قيس حدثني ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال موت المؤمن برشح الجبين قال عبد الله ولا أحب موتا كموت الحمار وروى ابن أبي شيبة والبيهقي من هذا الوجه عن علقمة عن ابن مسعود من قوله ان نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر أو الفاجر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار وفي سياق المصنف فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة الخ روى ذلك من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة وما ملكت ايمانكم الصلاة وما ملكت ايمانكم رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن سعد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء ورواه ابن سعد أيضا والطبراني من حديث أم سلمة ورواه الطبراني أيضا من حديث ابن عمر (قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين) قال العراقي رواه ابن عبد البر انتهى قلت وجزم موسى بن عقبة عن الزهري بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وروى ابن سعد من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة ان دخول النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين (قالت فاطمة رضي الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة) أي بمصيبة شديدة (وقالت أم كلثوم) ابنة علي وأمها فاطمة رضي الله عنهم ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر ولدت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي عمر المدني في مسنده حدثني سفيان عن عمرو عن محمد بن علي ان عمر خطب الى علي ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها فقيل له انه ردك فعاوده فقال له علي ابعث بها اليك فان رضيت فهي امرأتك فارسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت مه لولا أنك أمير المؤمنين لطمت عينك وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده تزوج عمر أم كلثوم على مهر أربعين ألفا وقال الزبير ولدت لعمر ابنيه زيدا ورقية وماتت أم كلثوم وولدها في يوم واحد وذكر الدارقطني في كتاب الاخوة انه تزوجها بعد موت عمر عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها فتزوجها أخوه محمد ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده قال ابن سعد ولم تلد لاحد من بني جعفر (يوم اصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها) أي مثل هذه المقالة (مالقيت من يوم الاثنين مات فيه جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل عمر بعلي وفيه قتل) علي (أبي) رضي الله عنهم فمالقيت من يوم الاثنين هكذا روى عنها ولكن في قتل عمر اختلاف فروى سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة ان عمر أصيب يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وكذا قال أبو معشر وغيره عن زيد بن أسلم وزاد اسمعيل بن محمد بن سعد عن زيد انه دفن يوم الاحد مستهل سنة أربع وقال الليث وجماعة قتل يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة (وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس) أي دخلوا (حين ارتفعت الرنة) أي صوت البكاء (وسجي) أي غطي (رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان) أي افصاح (وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (فيمن كذب بموته و) كان (علي) رضي الله عنه (فيمن اقعد) وكان (عثمان) رضي الله

قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها مالقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان

فمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل

عنه (فمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجلا من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده الله عز وجل كما واعد موسى) عليه السلام (وهو آتيكم وفي رواية انه قال يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا وأما علي فانه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس) رضي الله عنهما (فان الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا) أي لم ينكفوا (الا بقول أبي بكر) رضي الله عنه (جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهرنا انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال العراقي هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلا انتهى قلت بل رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر بسند ضعيف وعزاه صاحب المواهب لابن المنير قال لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق النطق بالكلام ومنهم من أضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن أخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع النطق وكان علي ممن أقعد فلا يستطيع حرا كا واضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه وأما قول عمر المذكور فرواه البخاري عن عائشة ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قول أبي بكر له أيها الحالف على رسلك كما سيأتي وعزا الطبري في الرياض النضرة الى تخريج الحافظ أبي محمد حمزة بن الحرث عن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس عمر بن الخطاب قال فاخذ بقيام سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رأيته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا الحديث وذكر الطبري أيضا انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لارجو ان يقطع أيدي رجال وأرجلهم وروى أحمد من حديث عائشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة لعمر يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر ان أبا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين (وبلغ أبا بكر) رضي الله عنه (الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج) قبيلة من الانصار وكانت مساكنهم بالسنح قرب المدينة وكان أبو بكر قد تزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر الانصارية كذا نسبها ابن سعد وكان قد سكن بها هنالك وفي رواية عروة عن عائشة استأذن أبو بكر لما رأى من النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتي بنت خارجة فاذن له فجاء (ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين) قيل هو على حقيقته وأشار بذلك للرد على من زعم انه سيحيي فيقطع أيدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة أخرى فاخبرانه أكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذي مر على قرية وهذا أوضح الاجوبة وأسلمها وقيل أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره اذ يحيي ليسأل ثم يموت وقيل لا يجمع بين موتة نفسك وموتة شريعتك وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب أي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا آخر كذا في فتح الباري (فقد والله توفي رسول الله صلى

رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم وفي رواية أنه قال يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا * وأما علي فانه أقعد فلم يبرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث ابن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفذنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ) قال العراقي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي وأمي أنت والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ولهما من حديث ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها لفظ البخاري فيهما انتهى قلت وفي لفظ للبخاري عنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر فأثنى عليه وقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال فنشج الناس يبكون وروى الحافظ أبو محمد حمزة بن الحارث بسنده الى سالم بن عبيد الاشجعي قال أقبل أبو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشأ الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط قال الطبري في الرياض وأخرج الترمذي معناه بتمامه وروى أحمد من حديث عائشة سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا الحديث وفيه ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما حديث ابن عباس فسيأتي ذكره قريبا وروى ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر ان أبا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث قال أبو عبد الله القرطبي وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق رضي الله عنه فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت واضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الآية فرجع عمر عن مقالته التي قالها (وفي رواية ان أبا بكر) رضي الله عنه (لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان) أي تسيلان بالدموع (وغصصه ترتفع) جمع الغصة بالضم وهو ما يغص به الانسان من طعام أو غيظ على التشبيه ومعنى ترتفع أي تكثر (كقصع الجرة) الجرة بكسر الجيم ما تخرجه الابل من كرشها فتجتره (وهو مع ذلك جلد العقل والمقال) أي ثابت العقل فيهما (فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة) أي بحيث يتسلون بك (وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك) اذ خيرت بينه وبين الخلد (لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا) أي أفنينا (عليك ماء الشؤن) أي مدامع العيون (فأما ما لا نستطيع نفيه عنا) أي لا نقدر على ازالته (فكمد وادكار محالفان) أي ملازمان (لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت في الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بسند ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى

فكشف الثوب عن وجهه الحديث الخ انتهى قلت ولفظه جاء أبو بكر وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وفيه مالم ينقطع لموت أحد من الناس ولم يقل وهو النبوة وقال فعظمت عن الصفة والباقى سواء (تنبيه) تقبيله النبى صلى الله عليه وسلم قد قدمناه من حديث ابن عباس وعائشة عند البخارى وكذا عند غيره فروى أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة انه أتاه من قبل رأسه فقبل وجهه ثم قال وانبياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه وفى حديث ابن عمر عند ابن أبى شيبة فوضع فاه على جبين النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله و يبكى و يقول بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا وفى جزء ابن عرفة من حديث عائشة ان أبا بكر دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه فقال وانبياه واخليلاه واصفياه (وعن ابن عمر رضى الله عنهما (انه لما دخل أبو بكر رضى الله عنه البيت) أى حجرة عائشة (وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا) أى رفعوا اصواتا (سمعوا أهل المصلى) وهم خارج المدينة (كلما ذكر شيأ ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت) أى جهير الصوت (جلد) أى قوى (قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجدة من كل مخافة فالله فارجوا و به فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال أبو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع عليهما السلام (قد حضرا) وفاة (النبى صلى الله عليه وسلم) قال العراقى لم أجد فيه ذكر اليسع انتهى قلت هكذا أخرجه سيف بن عمر التميمى فى كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر حتى دخل عليه فلما رآه مسجى قال انا لله وانا اليه راجعون ثم صلى عليه فرفع أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جليد يقول فساقه وفيه بعد قوله فثقوا فان المصاب من حرم الثواب وفيه وعوضا من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع قد حضرا وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة بعد ان أورده وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف اه قلت هو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الازور روى عن أبيه وعن غيره وفيه وفى أبيه مقال وقد تقدم قريبا ثم قال العراقى وأما ذكر الخضر فى التعزية فانكر النووى وجوده فى كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب قلت بل قد رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح اه قلت وجدت بخط الشمس الداودى ما نصه قول الشيخ ان الحاكم لم يصححه صحيح لكنه مشعر بكونه لم يضعفه وليس كذلك فانه ساقه من رواية عباد بن عبد الصمد ثم قال وعباد ليس من شرط هذا الكتاب اه ثم قال العراقى ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين فى ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ونظره اليكم فى البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجز الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا صلى الله عليه وسلم جاء يعزينا عليه ورواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا اه قلت قال ابن أبى الدنيا فى الكتاب المذكور حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم فى المستدرك وهو الذى أشار اليه العراقى بقوله ولم يصححه ولا يصح أى لاجل عباد فانه ضعفه البخارى والعقيلى وقال أبو حاتم ضعيف جدا وقد أخرجه الطبرانى فى الاوسط

* وعن ابن عمر انه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيأ ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجو وبه فثقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبى صلى الله عليه وسلم

عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس ثم قال العراقي ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث
علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آت يسمع حسه ولا يرى شخصه قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ان في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي تدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام
وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي بن
الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر اهـ قلت روى هذا الحديث
من طرق منها قال ابن أبي حاتم في التفسير حدثنا أبي أنبانا عبد العزيز الاويسي حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي
عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه ان علي بن أبي طالب قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت
التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس
ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة فساقه وفيه فان المصاب من حرم
الثواب ولم يقل السلام عليكم ثم قال قال جعفر أخبرني أبي ان علي بن أبي طالب قال تدرون من هذا هذا الخضر
ورواه محمد بن منصور الجوار عن محمد بن جعفر بن محمد وعبد الله بن ميمون القداح جميعا عن جعفر بن محمد عن
أبيه عن علي بن الحسين سمعت أبي يقول لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه
ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة فساقه سياق ابن أبي الدنيا
قال ابن الجوزي تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف قال ورواه الواقدي وهو كذاب
ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر وابن أبي عمر مجهول قال الحافظ في الاصابة وهذا الاطلاق ضعيف فان
ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروى
وهذا الحديث فيه أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال أخبرني أبو محمد بن
القيم أنبانا أبو الحسن بن البخاري عن محمد بن معمر أنبانا سعيد بن أبي رجاء أنبانا أحمد بن محمد بن النعمان
أنبانا أبو بكر بن المقرى أنبانا اسحق بن أحمد الخزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن
جعفر قال كان أبي هو جعفر محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب انه دخل عليه نفر
من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبي القاسم قالوا بلى فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وفي آخره فقال جبريل يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل
البيت ورحمة الله في الله عزاء من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر
انتهى ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر وغيره
وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله الى أخيه
المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين وعاش سبعين سنة قال البخاري أخوه اسحق أوثق منه
انتهى ومنها ما أخرجه البيهقي في الدلائل قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو جعفر البغدادي حدثنا
عبد الله بن عبد الرحمن الصغاني حدثنا أبو الوليد المخزومي حدثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص
فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قلت هكذا أخرجه الحاكم وزعم
ان أبا الوليد المخزومي هو هشام بن اسمعيل الصغاني ثقة مأمون كذا قال وقال الداودي كما وجد بخطه والذي
أظن انه خالد بن اسمعيل وهو كذاب قلت أنس بن عياض مدني ثقة روى له الجماعة مات سنة مائتين عن ست

واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد (٣٠٢) أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد ان الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة فى الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وان الله تقدم اليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا فان الله قد عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت

وتسعين والراوى عنه أبو الوليد ان كان كما زعم الحاكم فهو دمشقى يكنى أبا عبد الملك ووفاته سنة ست عشرة فقد أدرك من عمره نحو اثنتى عشرة سنة وكون راويه عبد الله بن عبد الرحمن صغانيا يقوى انه هو وان كان هو خالد بن اسمعيل فهو مدنى قال ابن عدى كان يضع الحديث ولهم رجل آخر مسمى بهذا الاسم وروى عن عوف وهو مجهول قال الذهبي ولعله المخزومى وقال البيهقى أيضا أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الاحمسى حدثنا الحسين ابن حميد بن الربيع اللخمى حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيبان بن حاتم حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثى حدثنا الحسين بن على عن محمد بن على هو ابن الحسين بن على قال لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبريل فذكر قصة الوفاة بطوله وفيه فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله فى التعزية (واستوفى القعقاع بن عمرو) التميمى أخو عاصم (حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه) وكان القعقاع من الشجعان الفرسان قيل ان أبا بكر كان يقول لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل وله فى قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم وهو الذى غنم فى فتح المدائن ادراع كسرى وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى فارسلها سعد الى عمر قال ابن عساكر يقال ان له صحبة كان أحد فرسان العرب وشعرائهم شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق وله فى ذلك أشعار مشهورة وقال ابن السكن ويقال هو القعقاع بن عمرو بن معبد التميمى (فقال قام أبو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال أشهد أن لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد يا أيها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وان الله قد تقدم اليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم) رواه بطوله سيف بن عمر التميمى فى كتاب الفتوح له عن عمرو بن تمام عن أبيه عن القعقاع قال ابن أبي حاتم سيف متروك وأخرجه ابن السكن من طريق ابراهيم بن سعد عن سيف بن عمر عن عمرو عن أبيه وقال سيف بن عمر ضعيف قلت هو من رجال الترمذى وهو وان كان ضعيفا فى الحديث فهو عمدة فى التاريخ مقبول النقل (وقال ابن عباس) رضى الله عنه (لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت

الذى

الذي بلغني انك تقول مامات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا و يوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال) عمر رضي الله عنه (والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا) أي من الدهشة والحيرة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشهد أن الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى أبي بكر) رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع أحدا من الناس الا يتلوها وروى أبو نصر الوائلي في كتاب الابانة عن أنس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب يقول حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال أما بعد فاني قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا أي يكون آخرنا موتا فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ وقال صاحب المواهب ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه ورجع الى قوله قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا الى آخره وهو طويل ذكره أبو العباس العقاد في شرحه لبردة البوصيري ونقله الرشاطي في اقتباس الانوار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشعب لكنه ذكر بعضه (وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل لا يدرى من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن) رواه البيهقي في الدلائل وفيه ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو غسلوا النبي صلى الله عليه وسلم في ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص و يدلكونه بالقميص (وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون) وقد صح انه غسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا أنت فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه

الذي بلغني انك تقول مامات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال والله لكأني أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى أبي بكر * وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لا يدرى من هو غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغوا من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون

رواه البزار والبيهقي وروى البيهقي عن الشعبي قال غسل على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى أبو داود والحاكم وصححه عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر مايكون من الميت فلم أر شيأ كان طيبا حيا وميتا وفي رواية لابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وفتل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روى عن جعفر بن محمد قال كان الماء ينتقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم وكان علي يحسوه وأما ماروى ان عليا لما غسله امتص ماء محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علم الاولين والآخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت كفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية بيض أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم أما الحلة فانما تشبه على الناس انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن أبي بكر فقال لاحبسنها حتى أكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية في ثوبين وبردة حبرة فقالت قد أتى بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة أثواب سحولية جدد وقال الترمذي روى في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عائشة أصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال أبو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وروى أحمد من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة أثواب فقال ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل أو ممن بعده (فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظانا على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه) قال العراقي الذي وضع المفرشة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا ولمسلم والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس قال جعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء اهـ قلت في حديث عائشة المتقدم في التكفين دلالة ظاهرة على ان القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو أبقى مع رطوبته لافسد الاكفان قال وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب وقميصه الذي توفي فيه فضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقات اهـ والقطيفة التي فرشها شقران هي النجرانية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتغطى بها وروى أنه قال والله لا يلبسها أحد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا بأس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور وأجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهته ان يلبسها أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ونقل الزين المراغي في تحقيق النصرة عن ابن عبد البر أنه قال أخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة

(فصل) روى ابن ماجه من حديث ابن عباس قال لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النساء حتى اذا فرغوا دخل

فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه

الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفى رواية ان أوّل من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا وروى انه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن عباس فأمرهم أن يسألوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الزين المراغى فى تحقيق النصرة (فلم يترك بعد وفاته) صلى الله عليه وسلم (مالا) كما تقدم (ولا بنى) صلى الله عليه وسلم (فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة) كما تقدم (ففى وفاته) صلى الله عليه وسلم (عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة) روى ابن ماجه فى سننه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته عن المصيبة التى تصيبه بعدى فان أحدا من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى وروى بقى بن مخلد والباوردى وابن شاهين وابن قانع وأبو نعيم كلهم فى المعرفة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه رفعه من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها أعظم المصائب وقال أبو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان فى رسول الله اسوة حسنة ولله در القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم فان المرء غير مخلد
واذا أتتك مصيبة تشجى لها * فاذكر مصابك بالنبى محمد

وقال آخر

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف كما تقدم وذلك وقت دخوله المدينة فى هجرته حين اشتد حر الضحى ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء فعند ابن سعد فى الطبقات عن على توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وعنده أيضا عن عكرمة توفى يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده أيضا عن عثمان بن محمد الاخنسى توفى يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعاء وروى أيضا عن أبى بن عباس بن سهل بن سعد الانصارى عن أبيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الاربعاء وقد رثى صلى الله عليه وسلم بمراث كثيرة منها قول عمته صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها

ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقده * ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبى لذكر محمد * وما خفت من بعد النبى المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أضحى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله أمى وخالتى * وعمى وخالى ثم نفسى وماليا
ولو ان رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * سيبكى ويدعو جده اليوم نائيا

ومنها قول ابن عمه سفيان بن الحرث رضى الله عنه

أرقت فبت ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول * واسعدنى البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففى وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة

واضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل * وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول * ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ومنها قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

بطيبة رسم للرسول ومعهد * يبين وقد تعفو الرسوم وتهمد * ولا تمحى الآيات من ذات حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد * وأوضح آيات وباقي معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد * معارف لم تطمس على العهد آيها
أتاها البلا فالآي منها تجدد * عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها واراه في الترب ملحد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد * وبورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح منضد * تهيل عليه الترب أيد وأعين * تباكت وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * عشية علوه الثرى لا يوسد * وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد * يبكون من تبكي السموات موته * ومن قد بكته الارض فالناس أكمد
وقد عدلت رزية مالك * رزية يوم مات فيه محمد

ورثاه حسان أيضا بقوله

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت) رواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني حدثنا خلف بن هشام حدثنا خالد عن اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابي بكر في مرضه

اباوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال لها أبو بكر لا تقولي ذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظري يا بنية ثوبي هذين اغسليهما فكفنيني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد انما هما للمهل ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الحناط عن اسمعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما احتضر أبو بكر فساقه كما للمصنف وفي آخره هذه قراءة أبي بكر سكرة الحق بالموت ورواه ابن الجوزي من طريقه ورواه أحمد وابن جرير من هذا الوجه الا أنهما قالا تمثلت عائشة بهذا البيت * أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى * وفيه فقال أبو بكر ليس كذلك يا بنية ولكن قولي وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حدثنا محمد بن فضيل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت لما حضر أبو بكر قال في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت في ثلاثة أثواب سحول قال فنظر الى ثوب خلق عليه فقال اغسلوا هذا وزيدوا عليه ثوبين آخرين فقلت بل نشتري لك ثيابا جددا فقال الحي أحق بالجديد من الميت انما هي للمهلة قال وحدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قال أبو بكر في كم كفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت في ثلاثة أثواب قال فاغسلوا ثوبي هذين واشتروا الي ثوبا من السوق قالت انا موسرون قال يا بنية الحي أحق بالجديد من الميت انما هو للمهلة

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت

والصديد قال وحدثنا على بن مسهر عن عبيد الله عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال كفن أبو بكر فى ثوبين سحوليين ورداءله ممشق أمر به أن يغسل وقال أحمد فى الزهد حدثنا محمد بن مبشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ان أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال أى يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال فان مت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغدوان أحب الايام والليالى الى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحمد وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر رضى الله عنه قال أى يوم هذا قلنا يوم الاثنين قال فاى يوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا يوم الاثنين قال فانى أرجو ما بينى وبين الليل قالت وكان عليه ثوب به ردع من مشق قال اذا أنامت فاغسلوا ثوبى هذا وضموا اليه ثوبين جديدين وكفنونى فى ثلاثة أثواب فقلنا أفلا نجعلها جددا كلها قال لا انما هى للمهلة فمات ليلة الثلاثاء (وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه محمد بن محمد بن الفضل عن محمد بن على بن ميمون حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن القاسم بن محمد ان عائشة تمثلت وأبو بكر رضى الله عنه فى الموت فساقه هكذا رواه أبو عبيد فى فضائله وابن المنذر الا انهما قالا ثمال اليتامى بدل ربيع وفيه فقال أبو بكر بل جاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد قدم الحق وأخر الموت (ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى طبيبى وقال انى فعال لما أريد) رواه أحمد فى الزهد عن وكيع عن مالك بن مغول عن أبى السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا ألا ندعو لك الطبيب قال قد رآنى قالوا فاى شئ قال قال انى فعال لما أريد ورواه أبو نعيم من طريقه وقال ابن ابى شيبة فى المصنف حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن مالك عن أبى السفر قال دخل على أبى بكر ناس من اخوانه يعودونه فى مرضه فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى قالوا ماذا قال لك قال قال انى فعال لما أريد (ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك) الشطر الاول منه قد يأتى من حديث سلمان حدثه بذلك عند احتضاره والشطر الثانى رواه ابن ماجه وابن عساكر من حديث أبى بكر بلفظ من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى عهده فمن فعله طلبه الله حتى يكبه فى النار على وجهه وقد روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة روى الطبرانى من حديث أبى بكرة من صلى الصبح فهو فى ذمة الله يا ابن آدم لا يطلبنك الله بشئ من ذمته وفى لفظ فمن أخفر ذمة الله كبه الله فى النار على وجهه وروى أحمد من حديث ابن عمر من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله فلا تخفروا الله فى ذمته فان من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه وروى صاحب الحلية من حديث أنس من صلى صلاة الغداة فهو فى ذمة الله فاياكم ان يطلبكم الله بشئ من ذمته ورواه كذلك أبو يعلى والحكيم وروى صاحب الحلية من حديث جندب من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى ذمته وعند الطيالسى وأحمد ومسلم والترمذى بلفظ فلا يطلبنكم الله بشئ من ذمته فانه من يطلبه من ذمته بشئ يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم وعند ابن حبان بلفظ من صلى الغداة فهو فى ذمة الله فاتق الله يا ابن آدم ان يطلبنك الله بشئ من ذمته وروى الترمذى من حديث أبى هريرة من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشئ من ذمته ورواه ابن ماجه والطبرانى من حديث سمرة بلفظ فلا يطلبنكم الله وعند أحمد والرويانى من حديث سمرة مثله وفيه فلا تخفروا الله فى ذمته (ولما ثقل أبو بكر رضى الله عنه وأراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك) رواه صالح بن رستم عن ابن أبى مليكة عن عائشة بلفظ فقالوا يسعك ان تولى علينا عمر وأنت ذاهب الى ربك فماذا تقول له قال اجلسونى اجلسونى أقول وليت عليهم خيرهم وروى نحوه أبو عاصم

وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للارامل
فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى طبيبى وقال انى فعال لما أريد ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضى الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك

النبيل عن عبيد الله بن زياد عن يوسف بن ماهك عن عائشة ورواه سيف فى الفتوح عن عمرو بن محمد ومجالد عن
الشعبى نحوه أطول منه وفيه فقالوا ماذا تقول لربك قال أقول استخلفت عليهم خير ملك قال صاحب كتاب
المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة حدثنا أبو صالح الفراء حدثنا الهيثم بن جبلة عن مبارك عن الحسن قال لما احتضر
أبو بكر رضى الله عنه قال أيها الناس قد حضرنى من أمر الله تعالى وقضائه ما ترون وانه لابد لكم من رجل
يلى أمركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم ويقسم بينكم فيئكم فان شئتم اجتمعتم فامرتم فاستعملتم وان
شئتم ان اجتهد لكم رأيى فوالله لا آلوكم ونفسى خيرا قال فبكى الناس وقالوا أنت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال
فانى أختار لكم عمر بن الخطاب قال الحسن ودموعه تحدر من عينيه فاختار والله الذى لا اله الا هو خيارا
يتعرفون منه فى كل يوم يأتى عليهم المزيد فى دنياهم حتى قتل رضى الله عنه قال وحدثنا أبو يعلى محمد بن شداد
ابن عيسى المسمعى زرقان حدثنا أبو عبد الرحمن العتبى حدثنا أبو ابراهيم العامرى قال أوصى أبو بكر الصديق
عند وفاته هذا ما عاهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من الآخرة داخلا فيها وآخر يوم
من الدنيا خارجا منها انه قد ولى عمر بن الخطاب فان يعدل ويحسن فذلك ظنى به وأملى فيه وان خالف فعليه
ما اكتسب ولا أعلم الغيب وانما أردت الخير وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وقال أيضا حدثنا محمد
ابن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن
عوف عن أبيه انه دخل على أبى بكر فى مرضه الذى توفى فيه فأصابه مضيق فقال له عبد الرحمن أصبحت والحمد لله بارئا
قال له أبو بكر أترى ذلك قال نعم قال انى على ذلك لشديد الوجع وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من
وجعى انى وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك أنفه يريد ان يكون الامر له ورأيتم الدنيا قد
أقبلت ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الاذرى
ولان يقام أحدكم على حسك السعدان خير له من المكاثرة ولان يقدم أحدكم فتضرب رقبته فى غير حد خير له من
ان يخوض غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غدا فتصفحونهم عن الطريق يمينا وشمالا يا هادى الطريق انما هو
الفجر أو البحر فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس فى أمرك بين رجلين اما رجل
وافقك ما صنعت فهو معك واما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك ولم تزل صالحا مصلحا
مع انك لا تأسى على شىء من الدنيا قال أبو بكر أجل انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فذكر الحديث
بطوله وفى آخره قال يحيى قدم علينا علوان بعد وفاة الليث فسألته فحدثنى به كما حدثنا الليث حرفا حرفا وأخبرنى
ان اسمه علوان بن داود قلت ورواه الطبرانى مختصرا فقال حدثنا أبو الزنباع حدثنا سعيد بن عفير حدثنى علوان
ابن داود البجلى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال دخلت على أبى بكر فى مرضه الذى توفى فيه فسلمت
عليه فقال رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل فساقه الى قوله فى غمرة الدنيا قال الذهبى فى الضعفاء علوان بن داود
ويقال ابن صالح البجلى قال البخارى منكر الحديث وقال صاحب كتاب المتفجعين أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد
حدثنا محمد بن عبد الله بن السفر أبو عبيد حدثنا شهاب بن عباد حدثنا على بن المنذر القرشى حدثنى عثمان بن يزيد
الكنانى عن رجل من قريش عن معيقيب بن أبى فاطمة قال كنت ألى نفقة أبى بكر فدخلت عليه فى مرضه الذى
توفى فيه فوجدت عنده نسوة من بنى تيم بن مرة عوائد فهن فى جانب البيت وهو مستخل بطلحة بن عبيد الله وهو
يعاتبه فى عمر بن الخطاب فسمعت أبا بكر رافعا صوته يقول لا ولا كرامة ولا نعمة عين لو فعلت لجعلت أنفك فى
قفاك ولما أخذت من أهلك حقا ولا رفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله الذى يضعك أتيتنى وقد دلكت
عينك تريدان تفتننى عن دينى وتلفتنى عن رأيى قم لا أقام الله رجليك فلان بلغنى انك غمصته او ذكرته بسوء
لالحقنك بحمضات قنة حيث كنتم ترعون فلا تشبعون وتوردون فلا تردون وأنتم تجعون راضون ستعلمون
اذا فقدتموه وفارقتموه كيف تقتلون وأين تقتلون هو والله خير لكم وأنتم والله شرهم لهم فقام فخرج اذ قيل له
هذا عثمان وعلى بالباب فاذن لهما فدخلا فسلما وقالا كيف تجدك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

أجدنى وجعا وأظنها هى قالا بل العافية ان شاء الله قال أنا ميت فى مرضى هذا ثم ذكر لهما رؤيا رآها ثم قال فلعلكما تقولان فى عمر ما قال طلحة آنفا قالا وما قال قال زعم ان عمر أدنا كم بيتا وأقلكم عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى قال عثمان كذب طلحة وبئس ما قال عمر بحيث تحب من فضله وسابقته وقال على انك طلحة وبئس ما قال عمر من سابقته وفضله ولا نعلم الا خيرا وقد كان واليا معك تحتظى برأيه فدع عنك مخاطبة الرجال وامض لما أردت فان يكن ما أردت فله عمدت وان يكن ما لا يكون ان شاء الله فلا نعلمك أردت الا خيرا قال رحمكما الله ونهضا والتفت الىّ فقال يا ابن أبى فاطمة ما يقول الناس فى عمر قلت أحبه قوم وكرهه آخرون قال فمن أحبه أكثر أم من كرهه قلت بل من كرهه أكثر فوجم لها ثم قال قد يحب الشر ويكره الخير فلم ألبث ان قيل هذا عمر بالباب فندمت على ما فرط منى وكان عمر لى صديقا فاذن له فدخل فقال يا عمر خافك الناس كرهك الناس قال عمر نحها عنى يا خليفة رسول الله فلا حاجة لى بها قال اسكت لا سكت لكن بها اليك أعظم الحاجة قال له كيف تجدك قال أجدنى وجعا وأظنها هى وقص رؤياه عليه قال عمر ما أرى بك بأسا وما أتهمك على الله والخوف من الموت وان خير يوميك اليوم الذى تقدم فيه على ربك قال أبو بكر رضى الله عنه وددت انه كذلك فلم أبال متى مت قال فان كنت ترى أنك ميت فذم لى فى أهل دباء قال اليك عنى فطالما خاطبتنى فى أهل دباء ولم أرسوالك خاطبنى فيهم وما ترددت فى شئ ترددى فيهم ولكن احفظ عنى اذا جبت فلتطهر يدك فالك حتى يشبع من حبيت له فان نازعتك نفسك فى مشاركتهم فشاركهم غير مستأثر عليهم واياك والذخيرة فان ذخيرة لامام تهلك دينه وتسفك دمه وخرج عمر رضى الله عنه فالتفت الىّ فقال ما الحساب بيننا وبينك قلت بقيت لى عليك ثمانية عشر درهما أنت منها فى حل فقال مه لا تزودنى حراما يا عائشة ائتينى بثمانية عشر درهما فدفعها الىّ وخرجت فكان آخر العهد به رضى الله عنه (ثم أرسل الى عمر رضى الله عنه فجاء فقال انى موصيك بوصية اعلم ان لله حقا فى النهار لا يقبله فى الليل وان له حقا فى الليل لا يقبله فى النهار وانه لا يقبل النافلة حتى توفى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر أهل الجنة باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر أهل النار باسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجزه) رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا عبد الله بن ادريس عن اسماعيل بن أبى خالد عن زبيد قال لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل الى عمر فقال انى موصيك بوصية ان حفظتها فساقه وفيه ألم تران الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا وفيه وذكر أهل النار بسيئ ما عملوا وفيه فيكون المؤمن راغبا راهبا وفى آخره وان يعجزه والباقى سواء ورواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا مطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الموت دعا عمر فقال له اتق الله يا عمر واعلم ان لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل فساقه وفيه وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه فاذا ذكرتهم قلت انى لاخاف ان لا الحق بهم وان الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم باسوأ اعمالهم ورد عليهم أحسنه فاذا ذكرتهم قلت انى لارجو ان لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبا راهبا والباقى سواء (وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من أصحابه) عائدين (قالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال أبو بكر رضى الله عنه

ثم أرسل الى عمر رضى الله عنه فجاء فقال انى موصيك بوصية اعلم أن لله حقا فى النهار لا يقبله فى الليل وان لله حقا فى الليل لا يقبله فى النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يخف وان الله ذكر أهل الجنة باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار باسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذى عملوا فيقول القائل انا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على غير الحق فان حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتى فلا يكون غائب ابغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه وقال سعيد ابن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك فقال أبو بكر

من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدى العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر (٣١٠) وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور وجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل

(وفاة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بينى وبينه الا عبد الله ابن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول امرت قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا أو شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فامامن كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة ابن شعبة فقال عمر رضى الله عنه قاتله الله لقد كنت

من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع) أى موضع واسع (بين يدى العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى ذلك المكان) وهى هذه (اللهم أنت ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك جعلت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك ان أشاء ما يقربنى اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلنى من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحينى بعد الموت حياة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم ومن أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فانك ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر) رضى الله عنه (هذا كله فى كتاب الله عز وجل) أى معانيها منتزعة منه وما ذكره من الجزاء المترتب لقائل هذه الكلمات مثله لا يكون من قبل الرأى والله أعلم

(وفاة عمر رضى الله عنه)

(قال عمرو بن ميمون) بن مهران الجزرى أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل مات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة (كنت قائما غداة أصيب عمر) رضى الله عنه (ما بينى وبينه الا عبد الله بن عباس) رضى الله عنه (وكان) عمر (اذا مر بين الصفين) من صفوف الصلاة (قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا) أمرهم بتسوية الصف (حتى اذا لم ير خللا تقدم فكبر) للصلاة (قال وربما قرأ) فى صلاة الغداة (سورة يوسف أو سورة (النحل أو نحو ذلك) من السور الطوال (فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس) ويدخلون فى الصلاة (فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلنى أو) قال (أكلنى الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة) غلام المغيرة بن شعبة (وطار العلج) يريد به المذكور فانه كان مجوسيا (بسكين ذات طرفين) نصابها فى الوسط (لا يمر على أحد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا) فى المسجد (فمات منهم تسعة وفى رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين) من حاج العراق (طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه مأخوذ) اذ كثرت عليه الناس (نحر نفسه) بتلك السكين (وتناول عمر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه) للصلاة اذ كان قريبا منه (فامامن كان يلى عمر فقد رأى ما رأى وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر) رضى الله عنه (وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال) عمر (يا ابن عباس انظر من قتلنى قال فغاب) ابن عباس (ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت

أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس
أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت أى ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل
الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس فاتى بنبيذ فشرب منه فخرج
من جوفه ثم اتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير
المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة
فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا على ولا لي فلما أدبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا على الغلام
فقال يا ابن أخى ارفع
ثوبك فانه أبقى لثوبك
وأتقى لربك ثم قال يا عبد
الله انظر ما على من
الدين فحسبوه فوجدوه
ستة وثمانين ألفا أو
نحوه فقال ان وفى به مال
آل عمر فاده من أموالهم
والا فسل فى بنى عدى بن
كعب فان لم تف أموالهم
فسل فى قريش ولا
تعدهم الى غيرهم
وأد عنى هذا المال
انطلق الى أم المؤمنين
عائشة فقل عمر يقرأ
عليك السلام ولا تقل
أمير المؤمنين فانى لست
اليوم للمؤمنين أميرا
وقل يستاذن عمر بن
الخطاب أن يدفن مع
صاحبيه فذهب عبد الله
فسلم واستاذن ثم دخل
عليها فوجدها قاعدة
تبكى فقال يقرأ عليك
عمر بن الخطاب السلام
ويستاذن ان يدفن مع
صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعونى فاسنده رجل اليه
فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أهم الى من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر
فان أذنت فادخلونى وان ردتنى ردونى الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت
عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر
من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال
يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كهيئة التعزية له فان أصابت الامارة سعدا

أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت أى ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول أخاف عليه وقائل يقول لا بأس) به (فاتى) بالطبيب فامره (بنبيذ فشرب فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت) لنفوذ الجرح الصفاق (قال فدخلت عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا على ولا لى فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض) أى من طوله (فقال ردوا على الغلام) فردوه (فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك) عن الارض (فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك) روى أحمد وابن سعد والبيهقى عن الاشعث بن سليم عن عمته عن عمها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل ارفع ازارك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك اما لك فى اسوة (ثم قال) لولده عبد الله بن عمر (يا عبد الله انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا) درهما (ونحوه فقال ان وفى به مال آل عمر) هم أهله من أولاد وأزواج (فاده من أموالهم والا فسل فى بنى عدى ابن كعب) وهم عشيرته الادنون (فان لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدهم) أى لا تجاوزهم (الى غيرهم وادعنى هذا المال انطلق الى أم المؤمنين عائشة) رضى الله عنها (فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله) ابن عمر الى عائشة رضى الله عنها (فسلم) على الباب (واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل) من عندها (قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعونى فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين) قد (أذنت) ان تدفن مع صاحبيك (فقال الحمد لله الذى ما كان شئ أهم الى من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملونى) الى حجرتها (ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لى فادخلونى وان ردتنى ردونى الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة) رضى الله عنها (والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة) وسيأتى انه منعها من النوح والتعديد (واستأذن الرجال فولجت داخلا) معهم (فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا اوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر) الستة (الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد) بن أبى وقاص (وعبد الرحمن) بن عوف رضى الله عنهم (وقال يشهدكم عبد الله بن عمر) يعنى ولده (وليس له من الامر شئ) أى لا يستحق فى الامارة شيأ (كهيئة التعزية) له والتسلية (فان أصابت الامارة سعد) بن

أبي وقاص (فذاك) هو المظنون فيه (والا فليستعن به) أي برأيه ومشورته (أيكم أمر) أي جعل أميرا (فاني لم أعزله) عن الكوفة (من عجز) في رأيه (ولا من خيانة) في دينه وكان عمر قد أمره على الكوفة سنة احدى وعشرين ثم عزله (وقال اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا يؤخذ منهم الافضلهم عن رضا منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى) بجنازته الى حجرة أم المؤمنين عائشة (فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فى موضع هنالك مع صاحبيه الحديث) الخ وهو فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى الى على وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت امرى الى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة على وعثمان وعبد الرحمن فقال عبد الرحمن لهما أيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه وليحرص على صلاح الامة قال فاسكت الشيخان فقال اجعلاه الى والله على لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلى فقال لك من القدم فى الاسلام والقرابة ما قد علمت آلله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال لعثمان ارفع يدك فبايعه ثم بايع له على ثم ولج أهل الدار فبايعوه رواه بهذا السياق البخارى فقال حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن ميمون انه رأى عمر قبل ان يصاب بايام وقف على حذيفة وابن حنيف الى ان قال فاذا رأى خللا قال استووا فساقه وفيه قتلنى الكلب ولم يشك وفيه بسكين ذى طرفين ولم يذكر بعده الى ان قال فاما نواحى المسجد فانهم لا يدرون بل فقدوا صوت عمر ولم يقل فاما من كان يليه وفيه لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام وفيه فقال ابن عباس ان شئت ولم يقل فعلت وفيه فاستقى لبنا فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت ولم يذكر فيه قصة رد الغلام ولا وصيته فى قضاء الدين ولا وصيته بالمهاجرين وأهل الامصار والاعراب وقد رواه بهذه الزيادات البخارى والنسائى من طريق جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب قبل ان يصاب بثلاث أو أربع واقفا على ناقته على حذيفة وعثمان بن حنيف وهو يقول لعلكما حملتما الارض يعنى من الخراج ما لم تطق فساق الحديث وفيه فما أتت عليه ثلاث حتى أصيب قال وكان اذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة قام بين كل صفين فساقه كسياق المصنف وفيه مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من حاج العراق برنسا فاخذه وفيه فجال ابن عباس ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال آلصنع قال آلصنع قال قاتله الله وفيه والناس يقولون لا بأس عليك فاتى بنبيذ فشرب به فخرج من جرحه فعرف انه الموت فقال لابنه عبد الله انظر ما كان على من دين قال ستة وثمانون ألفا قال ان وفى الخ الى ان قال واذهب الى عائشة فساقه الى ان قال فلما جاء ابن عمر قال عمر اقعدونى فاسنده رجل الى صدره فقال لابن عمر ما لديك الخ وفيه وليس له من الامر شئ فمن استخلفوه فهو الخليفة بعدى فان أصابت سعدا والا فليستعن به الخليفة فانى لم أنزعه من ضعف ولا خيانة ثم ذكر قصة الغلام وقوله يا ابن أخى ارفع ازارك ثم ذكر وصيته بالمهاجرين وأهل الامصار والاعراب وأهل الذمة وفيه فلما توفى حمل فكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ حتى اذا دنا ابن عمر سلم على عائشة ثم قال استأذنك عمر فاذنت له وقالت له ادخله هذا آخر سياقها من طريق جرير وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى حدثنا شبابة ابن سوار حدثنى فرات بن السائب عن ميمون بن مهران قال لقيت ابن عمر بالمدينة فقلت انى لاحب ان أعلم كيف كان قتل عمر رضى الله عنه فقال صنع قين المغيرة مدية لها رأسان مقبضها فى وسطها فدخل المسجد صلاة الفجر وعمر رضى الله عنه معه درته يأمر الناس بتسوية الصفوف فطعنه تسع طعنات فقال عمر دونكم الكلب فقد قتلنى

فذاك والا فليستعن به أيكم أمر فانى لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه باهل الانصار خيرا الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصيه باهل الامصار خيرا فانهم رده الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا يؤخذ منهم الافضلهم عن رضامنهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام وان يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل لهم من ورائهم ولا يكلفهم الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فادخلوه فى موضع هنالك مع صاحبيه الحديث

فثار بالناس فجعل لا يدنو اليه أحد الا أهوى اليه فطعنه فطعن يومئذ ثلاثة عشر انسانا فمات منهم ستة فى المسجد واحتمل عمر رضى الله عنه الى بيته وأدخل الناس الى منزله فقال لى اى بنى أخرج الى الناس فسلهم أعن ملامنهم كان هـذا فلما ذكرت ذلك لهم قالوا معاذ الله وحاشا الله لوددنا انا فديناه بالآباء والابناء والله ما أتى علينا يوم قط بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا اليوم وكان أول من دخل عليه على بن أبى طالب وعبد الله ابن عباس فنظر اليه ابن عباس فبكى وقال ابشر يا أمير المؤمنين بالجنة فقال يا ابن عباس اتشهد لى بذلك فكأنه كاع فضرب على كاع منكبه وقال أجل فاشهد له وأنا على ذلك من الشاهدين فقال عمر بن الخطاب وكيف فقال ابن عباس كان اسلامك عزا و ولايتك عدلا ومنيتك شهادة فقال والله لا تغرو ابى من ربى وذنبى ثكلت عمر أمه ان لم يغفر له ربه ثم قال لى ضع رأسى بالارض ثكلتك أمك قال وحدثنا عبد الملك الميمونى حدثنا هوذة حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال لما طعن عمر رضى الله عنه جعل الناس يقولون انه لا بأس عليك فقال عمر للطبيب انظر فادخل يده فنظر فقال ما وجدت فقال قد بقى من وتينك ما تقضى منه حاجتك قال أنت أصدقهم وأخبرهم فقال له رجل قال ابن عون أراه ابن عباس والله انى لارجو ان لا تمس النار جلدك فنظر اليه نظرا شديدا حتى وثبنا له ثم قال ان علمك بذلك يا ابن فلان لقليل لو ان لى ما على الارض من شئ لافتديت به هول المطلع وقال الذهبى فى مناقب عمر روى الاعمش عن ابراهيم التيمى عن عمرو بن ميمون رأيت عمر يوم طعن وعليه ثوب أصفر فخر وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وروى يحيى بن أيوب عن يونس عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله ان ابن عباس أخبره انه جاء عمر حين طعن فاحتمله هو ورهط حتى ادخل بيته قال ثم غشى عليه فلم يزل فى غشيته حتى اسفر ثم أفاق فقال هل صلى الناس قلنا نعم قال لا اسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ وصلى وقال الحمد لله الذى قتلنى من لا يحاجنى عند الله بصلاة صلاها وكان مجوسيا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا و يستأذنه ان يدخل المدينة و يقول ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس انه حداد نقاش نجار فاذن له أن يرسله الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر قال فجاء الى عمر يناشده شدة الخراج فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تعمل فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالى ثم دعاه فقال ألم أحدث انك تقول لو شاء لصنعت الطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر أوعدنى العبد آنفا ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فخرج عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر فلما دنا منه عمر وثب فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهى التى قتلته ثم مال على أهل المسجد حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا ثم انخنس بخنجره فقال عمر قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلب عمر نزف الدم حتى غشى عليه قال ابن عباس فاحتملت عمر فى رهط حتى أدخلناه فلم أزل عنده ولم يزل فى غشية واحدة حتى أسفر ثم أفاق فنظر فى وجوهنا فقال أصلى الناس قلت نعم قال لا اسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ ثم صلى يعنى فى دمائه وكان أبو لؤلؤة مجوسيا وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال جئت من السوق وعمر يتوكأ على فمر أبو لؤلؤة فنظر الى عمر نظرة ظننت انه لولا مكانى بطش به فجئت بعد ذلك الى المسجد لصلاة الفجر فانى لبين النائم واليقظان اذ سمعت عمر يقول قتلنى الكلب فماج الناس ساعة ثم اذا قراءة عبد الرحمن بن عوف وقال ثابت البنانى عن أبى رافع قال كان أبو لؤلؤة عبد اللمغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقى عمر فقال يا أمير المؤمنين ان المغيرة قد أثقل على فكلمه فقال أحسن الى مولاك ومن نية عمر ان يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه فجاء فقام خلف عمر فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر مات منهم ستة وحمل عمر الى أهله وكادت الشمس ان تطلع فصلى عبد الرحمن بالناس باقصر سورتين وسقى عمر نبيذا فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا لا بأس عليك فقال ان يكن بالقتل باس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه و يقولون كنت وكنت فقال اما

والله وددت انى خرجت منها كفافا لاعلىّ ولالى وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى وأثنى عليه ابن عباس فقال لوان لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى فى هؤلاء الستة وأمر صهيبا ان يصلى بالناس وأجل الستة ثلاثا وروى الاوزاعى ومسعر عن سماك الحنفى عن ابن عباس قال دخلت على عمر حين طعن فقلت أبشر يا أمير المؤمنين والله لقد مصر الله بك الامصار وأوسع بك الرزق وأظهر بك الحق فقال وددت انى أنجو كفافا لا أجر ولا وزر وروى أبو عوانة عن داود بن عبد الله عن حميد بن عبد الرحمن الحميرى قال حدثنا ابن عباس قال أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال احفظ منى ثلاثا انى أخاف ان يدركنى الناس أما أنا فلم أقض فى الكلالة قضاء ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لى عتيق فقال له الناس استخلف فقال ان ادع الناس فقد تركه نبى الله صلى الله عليه وسلم وان استخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر وروى عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن كثير النواء عن أبى عبيد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال كنت مع على فسمعت الصيحة على عمر فقام وقمت معه حتى دخلنا على عمر البيت فقلت ما هذا الصوت قالت امرأة سقاه الطبيب نبيذا فخرج وسقاه لبنا فخرج فقال لا أرى ان تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقالت أم كلثوم واعمراه وكان معها نسوة يبكين معها وارتج البيت بكاء فقال عمر والله لوان لى ما على الارض من شئ لافتديت به من هول المطلع وقال ابن عباس والله انى لارجو أن لا تراها الامقدار ما قال الله تعالى وان منكم الا واردها ان كنت ما علمنا لامير المؤمنين وأمين المؤمنين وسيد المؤمنين تقضى بكتاب الله وتقسم بالسوية فاعجبه قولى فاستوى جالسا فقال أتشهد لى بهذا يا ابن عباس قال فكففت فضرب على رضى الله عنه كتفى فقال اشهد قلت نعم أنا أشهد وروى مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر من قتلنى قيل أبو لؤلؤة قال الحمد لله الذى لم يقتلنى رجل يخاصمنى بلا اله الا الله فوضعت رأسه على فخذى فقال ألصق خدى بالارض ففعلت فقال ويل عمر وويل أم عمر ان لم يغفر الله لى وقال يزيد بن هرون حدثنا حريز بن عثمان حدثنا حبيب بن عبيد عن المقدام بن معدى كرب قال دخلت حفصة على عمر فقالت يا صاحب رسول الله ويا صهر رسول الله ويا أمير المؤمنين فقال لابنه اجلسنى فلا صبر لى على ما أسمع وقال لها انى أحرج بمالى عليك من الحق ان تندبينى بعدها فاما عينيك فلا أملكهما انه ليس من ميت يندب بما ليس فيه الامقته الملائكة وروى حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال لما طعن عمر صرخت حفصة فقال يا حفصة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المعول عليه يعذب وجاء صهيب فقال واعمراه فقال ويلك يا صهيب أما بلغك ان المعول عليه يعذب وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا أبو أسامة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد حدثنى يحيى ابن أبى راشد البصرى قال لما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه يا بنى ادن منى فضع ركبتيك بين كتفى وضع راحتك اليمنى على جبينى واليسرى تحت ذقنى وراعنى فاذا مت فاغمض بصرى وغسلونى وأحسنوا غسلى وكفنونى فى ثوبين ولا تغالوا فى كفنى فان يكن ربى عز وجل راضيا عنى فلن يرضى لى بثيابكم حتى يكسونى من ثياب الجنة وان يكن على ساخطا فانه يسلبنى سلبا سريعا ويلبسنى شر الثياب فاذا حفرتم قبرى فاحفروا واقدر مضجعى فان يكن عنى راضيا فسيوسعه مد بصرى وان يكن على ساخطا فسيضيقه على حتى تختلف أعضائى فاذا احملتمونى فاسرعوا بى فانما هو خير تردونى اليه أو شر تلقونه عن أعناقكم ولا تمشين مع جنازتى امرأة ولا تتبعنى نائحة ولا تزكونى فربى أعلم بى فاذا وضعتمونى فى حفرتى فقولوا اللهم باسمك وعلى ملتك وملة رسولك وفى سبيلك أسلمه اليك الاهل والولد والمال والعشيرة فاغفر له اللهم وارحمه ثم اقرأ عليكم السلام حتى ألقاكم (وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر) قال العراقى رواه الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات انتهى قلت قال فيه حدثنا محمد بن عبد الحميد الواسطى حدثنا محمد بن رزق الله حدثنا حبيب بن ثابت حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمى عن ابن شهاب عن سعيد عن أبى بن كعب رفعه كان جبريل يذاكرنى أمر عمر فقلت

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر

له اذكر لى فقال لو جلست معك كما جلس نوح فى قومه ما بلغت فضائل عمر وليبكين الاسلام بعد موت عمر قال الذهبى فى نعم السمر ابن عامر رواه وحبيب مجهول لعل الآفة منه (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال وضع عمر على سريره) بعد ما كفن (فتكنفه الناس) أى أحاطوا حواليه (يدعون ويصلون) أى يترحمون (قبل ان يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى) من ورائى (فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فان كنت لارجو أو لاظن أن يجعلك الله معهما) قال العراقى متفق عليه قلت رواه من طريق ابن المبارك عن عمر بن سعيد بن أبى حسين عن ابن أبى مليكة سمعت ابن عباس يقول وضع عمر على سريره فتكنفه الناس فساقاه هكذا وروى أبو معشر نجيح عن نافع عن ابن عمر قال وضع عمر بين القبر والمنبر فجاء على حتى قام بين يدى الصفوف فقال رحمة الله عليك ما من خلق الله أحب الى من ألقى الله بصحيفته بعد النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى عليه ثوبه وروى يونس بن أبى يعفور عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه أن عليا قال فذكر نحوه وروى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن عليا دخل على عمر وهو مسجى فقال صلى الله عليك قال الذهبى اسناده صحيح وقال صاحب كتاب المتفجعين قيل لجعفر بن محمد أيصلى على غير النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا على كرم الله وجهه قد صلى على عمر رضى الله عنه

(وفاة عثمان رضى الله عنه)

(الحديث فى قتله مشهور) رواه سيف بن عمر التميمى وابن عائذ كلاهما فى كتاب الفتوح مفصلا ومجمله ما رواه محمد بن يحيى الذهبى قال حدثنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن عيسى بن سميع عن ابن أبى ذئب عن الزهرى قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبرى كيف قتل عثمان قال قتل مظلوما ومن خذله كان معذورا ولما ولى كره ولايته جماعة لانه كان يحب قومه ويوليهم فيجى منهم ما تنكره الصحابة فلا يعزلهم فلما كان فى الست حجج الاواخر استأثر ببنى عمه فولاهم وما أشرك معهم فولى ابن أبى سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان من قبل هنات من عثمان الى ابن مسعود وأبى ذر وعمار فكانت بنو هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها بحال ابن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابى ذر فى قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت عليه بحال عمار وجاء المصريون يشكون من عبد الله فكتب اليه كتابا يتهدده فيه فابى ان يقبل ما نهاه وضرب بعض من أتاه فقتله فخرج من مصر سبعمائة فنزلوا المدينة وشكوا صنيع ابن أبى سرح بهم فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة اليه تقول انصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال انما يسألونك رجلا بدل رجل وقد ادعوا قبله دما فاقض بينهم وانصف فقال لهم اختاروا رجلا أوليه فاشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر فولاه وكتب عهده وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبى سرح فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة اذا هم بعبد أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب فسألوه فقال وجهنى أمير المؤمنين الى عامل مصر فقيل له هذا محمد عامل مصر قال ليس هذا أريد فجىء به الى محمد فقال مرة أنا غلام عثمان ومرة قال أنا غلام مروان حتى عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فشقوها فاذا فيها كتاب من عثمان فجمع محمد الصحابة وفكه فاذا فيه اذا أتاك فلان وفلان ومحمد فاحتل قتلهم وابطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجىء الى متظلما ففزعوا وأزمعوا فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم جماعة ودفعه الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا والصحابة ثم فضوا الكتاب فلم يبق أحد الا حنق على عثمان وزاد ذلك غضبا الاعوان ابن مسعود وأبى ذر وعمار وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد ببنى تيم فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة

وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل قد أخذ بمنكبى فالتفت فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر فانى كنت لارجو أو لاظن أن يجعلك الله معهما

(وفاة عثمان رضى الله عنه)

الحديث فى قتله مشهور

والزبير وعمار وسعد وغيرهم ودخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له هذا الغلام والبعير لك قال
نعم قال فهذا كتابك قال لا والله قال فالخاتم خاتمك قال نعم قال كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم
به وعرفوا انه بخط مروان وسألوه أن يدفع اليهم مروان فابى وكان معه في الدار فخرجوا غضابا وعلموا انه
لا يحلف بباطل ولزموا بيوتهم فحاصره أولئك حتى منعوه الماء فاشرف يوما فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد
قالوا لا فسكت ثم قال الا أحد يسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من الموالي
حتى وصل الماء اليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال انما أردنا منه مروان فاما قتل عثمان فلا وقال لابنيه
اذهبا بسيفيكما حتى تكونا على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه وبعث اليه الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه
وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس عنه ويسألونه أن يخرج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر
ورمى الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر
مولى على خشى ابن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن فاستشار صاحبيه وتسوروا من دار حتى دخلوا
على عثمان بغتة والناس فوق البيوت لا يدرون ولم يكن مع عثمان سوى امرأته فقال لهما محمد مكانكما فان
معه امرأته فاذا أنا ضبطته فادخلا فتوجياه حتى تقتلاه ودخل فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك
لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وهربوا من حيث دخلوا وصرخت امرأته
وصعدت الى الناس وقالت قتل أمير المؤمنين فجاؤا فوجدوه مذبوحا وبلغ عليا وطلحة والزبير الخبر فخرجوا
وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وقال على كيف قتل أمير المؤمنين وانتم على الباب ولطم الحسن
وضرب صدر الحسين وشتم ابن الزبير وابن طلحة وولى مغضبا قال الحافظ الذهبي هو في بادئ الرأي صحيح الاسناد
لكن قال البخاري يقال ان ابن سميع ما سمع هذا الحديث من ابن أبي ذئب وقال صالح جزرة قال لي محمود بن بنت
محمد بن عيسى بن سميع هو في كتاب جدي عن اسمعيل بن يحيي التيمي عن ابن أبي ذئب وكان اسمعيل يضع
الحديث وروى قريش بن أنس حدثنا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد هو مولى أبي اسيد قال دخلوا
على عثمان والمصحف بين يديه فضربوه على يديه فجرى الدم على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال الذهبي
هذا اسناد صحيح وروى خالد بن عبد الله عن عمران بن حدير قال ان لا يكن عبد الله بن شقيق حدثني ان أول
قطرة قطرت من دم عثمان على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فان أبا حريث ذكر انه ذهب هو وسهيل
المري فاخرجوا اليه المصحف فاذا القطرة على فسيكفيكهم الله قال فانها في المصحف ما حكت (وقد قال عبد الله
ابن سلام) رضي الله عنه (أتيت أخي عثمان) رضي الله عنه (لاسلم عليه وهو محصور) في داره (فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال
يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى الى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد
برده بين ثديي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت ان أفطر عنده فقتل ذلك اليوم)
قال عبد الله بن أحمد حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم بن سعد
ان عثمان أعتق عشرين مملوكا ثم دعا بسراويل فشده عليه ولم يلبسه في جاهلية ولا اسلام وقال اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة وأبا بكر وعمر فقال اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ثم دعا بمصحف ففتحه
بين يديه فقتل وهو بين يديه وقال اسحق بن سليمان حدثنا أبو جعفر الرازي عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان
عثمان أصبح يحدث الناس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في المنام فقال افطر عندنا غدا فاصبح
صائما وقتل من يومه قال الذهبي هذا حديث صحيح ورواه ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع نحوه
ورواه عبد الملك بن عمير عن كثير بن الصلت عن عثمان وله طرق أخر بمعناه (وقال عبد الله بن سلام) رضي
الله عنه (لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين خرج ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله على تلك الحال ان لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى

وقد قال عبد الله بن سلام
أتيت أخي عثمان لاسلم
عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا أخي
رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الليلة في هذه
الخوخة وهي خوخة في
البيت فقال يا عثمان
حصروك قلت نعم قال
عطشوك قلت نعم فادلى
الى دلوا فيه ماء فشربت
حتى رويت حتى اني
لاجد برده بين ثديي وبين
كتفي وقال لي ان شئت
نصرت عليهم وان شئت
أفطرت عندنا فاخترت
أن أفطر عنده فقتل
ذلك اليوم رضي الله عنه
وقال عبد الله بن سلام
لمن حضر تشحط عثمان
في الموت حين خرج ماذا
قال عثمان وهو يتشحط
قالوا سمعناه يقول اللهم
اجمع أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ثلاثا قال والذي
نفسي بيده لو دعا الله أن
لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا
الى

يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم على قال فجىء بهما كأنهما جملان أو حماران فاشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالى قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان أصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى استعديك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى

يوم القيامة) رواه الليث عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الكريم بن الحرث ان عبد الله بن سلام قال لمن حضر عثمان وهو يتشحط فى الموت حين ضربه أبو رومان الاصبحى ماذا كان قول عثمان وهو يتشحط فى دمه قال سمعناه يقول فساقه (وقال ثمامة بن حزن) بن عبد الله بن مسلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (القشيرى) البصرى والد أبى الورد مخضرم وفد على عمر وله خمس وثلاثون سنة قال يحيى بن معين ثقة روى له مسلم والترمذى والنسائى وليس له فى الصحيح غير حديث النبيذ قال سألت عائشة عن النبيذ وروى له البخارى فى الادب المفرد (قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان) رضى الله عنه (فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم) أى حرضاكم (على فجىء بهما كأنهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان) رضى الله عنه (فقال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان أشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان أصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالى قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد) قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن والنسائى انتهى قلت ورواه الانصارى فى جزئه قال حدثنا هلال بن لاحق عن الجريرى عن ثمامة بن حزن قال شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم على فدعيا له كأنهما جملان أحمران فساقه وليس فيه ذكر تجهيز جيش العسرة ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن جده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وذكر فيه تجهيز جيش العسرة وزاد ولكن طال عليكم أمرى واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله وانى لا أخلعه حتى أموت أو أقتل (وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان) رضى الله عنه (حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى) وروى يحيى بن ميمون البغدادى عن الحرث بن عمير عن معمر بن عقيل حدثنا أبو خباب رجل شامى قال حدثتنى ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت كنت فى الدار اذ دخل القوم فساق الحديث وفيه فجاء رجل خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول اللهم لا تطالب بدمى غيرك وروى صاحب كتاب المتفجعين عن الكزبرانى عن عمرو بن عاصم الكلابى عن حفص بن أبى بكر عن هياج بن سريع عن مجاهد قال أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه وهو محصور فقال يا قوم لا تقتلونى فانى وال وأخ ومسلم فساق الحديث وفيه فلما أبوا قال اللهم انى لا أرى الا غادرا أو فاجرا اللهم فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا قال مجاهد فقتل الله أكثرهم فى تلك الفتنة وروى أيضا عن على بن عثمان الفضيلى حدثنا أبو مسهر حدثنا اسمعيل بن عياش ان عثمان رضى الله عنه دعا عليهم فقال اللهم ابدلنى بخير منهم وأبدلهم بشر منى اللهم خذ لى منهم بثارى اللهم انقل هذا الامر ممن خذله الى من نصره وروى أيضا عن حبيش بن موسى الضبى حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المدائنى عن سعيد بن مسلم بن بانك قال جعلوا يوجؤن عثمان رضى الله عنه والمصحف فى حجره وهو يقول

ولقد علمت لو أن علمى نافعى * ان الحياة من الممات قريب

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحرث بن محمد التميمي حدثني أبو الحسن علي بن محمد القرشي عن سعيد بن مسلم بن بانك عن أبيه ان عثمان رضي الله عنه قال متمثلا يوم دخل عليه

أرى الموت لا يبقي عزيزا ولم يدع * لعاد ملاذا في البلاد ومرتقى
يبيت أهل الحصن والحصن مغلق * ويأتي الجبال في شماريخها العلا

(وفاة علي كرم الله وجهه)

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة قد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حراء وقد تحرك الجبل أثبت حراء فانما عليك نبي وصديق وشهيد وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسائر من في الحديث المشهور فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم شهداء وقتل علي رضي الله عنه شهيدا وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك مستخلف مقتول ولابد لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون لابد من ان يكون وذلك درجات لهم رضي الله عنهم عند ربهم يزيدهم فضلا الى فضلهم وكرامة منه لهم وقد روينا عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشقى الناس احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا وأشار الى قرنه وتبتل هذه منها وأخذ بلحيته وعن جابر وسمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي انك مؤمن مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذا لحيته ورأسه وعن أبي سنان الديلي قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ستضرب ضربة ههنا وأشار الى صدغيه تسايل دما حتى تخضب لحيتك فيكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود وعن عبد الله بن سبع قال سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول ماينتظر الاشقى عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من دم هذا (قال الاصبغ) بن نباتة التميمي (الحنظلي) الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض روى له ابن ماجه (لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن النباح) وهو مؤذنه (حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك   ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم) عبد الرحمن رجل من بني مراد (فضربه) رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثني عبد الله بن يونس بن بكير قال حدثني أبي حدثني علي بن أبي فاطمة الغنوي قال حدثني الاصبغ الحنظلي فذكره وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين حدثنا الكرابي حدثنا حجاج بن أبي منيع حدثنا جدي عن الزهري قال لما انتشر أمر علي رضي الله عنه وكثر عليه اختلاف أصحابه اقبل رجل من الخوارج يقال له عبد الرحمن بن ملجم مشتملا على السيف وكان علي رضي الله عنه يتولى التأذين بنفسه فكان اذا أراد ان يقول حي على الصلاة اخرج رأسه من باب من طاق المسجد الى السوق واقبل الخارجي فقام عند الطاق من خارج فلما اخرج علي رأسه ضربه الخارجي ضربة أطار بها طائفة من قحفه وتنادى الناس قتل أمير المؤمنين واقبلوا نحوه وهو يحمل عليهم حتى أخذوه وانتزعوا السيف من يده وعاش علي رضي الله عنه يومه ذلك ومات في الليلة القابلة فقطعت يدا ابن ملجم ورجلاه وسملت عيناه ثم أدرج في بردين فاحرق وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا الفضل ابن دكين حدثنا قطر بن خليفة حدثني أبو الطفيل قال دعا علي الناس الى البيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فرده مرتين ثم أتاه فقال مايحبس أشقاها لتخضبن أو لتصفقن هذه يعني لحيته من هذا يعني رأسه ثم تمثل بهذين البيتين * اشدد حيازيمك للموت * الخ (فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه) وأمها فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقد تقدم ذكرها (فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين) عمر رضي الله عنه (صلاة الغداة) كما تقدم آنفا (وقتل أبي صلاة الغداة) وهذا القول عنها قد تقدم في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين حدثنا الكرابي حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سليمان بن كثير

عن

(وفاة علي كرم الله وجهه)
قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة أصيب فيها علي كرم الله وجهه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول
اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا
فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول مالي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة

عن حصين عن هلال بن يساف ان عليا رضى الله عنه كان يخرج الى المسجد قبل الفجر فيقول الصلاة حتى اذا أنار
الفجر صلى فبيناهو كذلك ابتدره رجلان احدهما ابن ملجم والآخر شبيب بن بجرة الاشجعي فضربه احدهما
على رأسه واخطأه الآخر فاخذ الضارب فسمعهم يقولون ليس عليه باس قال فعلى من كانوا يبكون لقد سقيت
سيفى السم شهرين ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين العرب لافنتهم فمات على رضى الله عنه من يومه وقتل ابن
ملجم لعنه الله تعالى قال وحدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا أبو اسامة حدثنا أبو طلق على بن
حنظلة بن نعيم عن أبيه قال لما ضرب ابن ملجم عليا رضى الله عنه قال احبسوه فانما هو جرح فان برئت امتثلت
أو عفوت وان هلكت قتلتموه فجعل عليه عبد الله بن جعفر وكانت أم كلثوم ابنة على تحته فقطع يديه ورجليه
وفقأ عينيه وجدعه وقال له هات لسانك فقال له اذ صنعت ما صنعت فانما تستقرض فى جسدك فاستعد للقصاص
فاما لسانى فدعه اذكر الله به فانى لا أخرجه اليك أبدا فشق لحييه فقطع لسانه وجعل يجعل المسمار فى عينيه
فقال انك لتكحلنى بملمول مضى وكانت ام كلثوم تبكى فقيل له ما على أمير المؤمنين من بأس فقال فام كلثوم على
اذا تبكى والله ما خاننى سيفى ولا ضعفت يدى قلت وأخرجه ابو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة عن محمد بن هرون بن
المجدر عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى عن أبى اسامة وفيه فجاءت أم كلثوم تبكى وتقول يا خبيث والله ما ضر أمير
المؤمنين فقال علام تبكين يا أم كلثوم والله ما خاننى سيفى ولا ضعفت يدى وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى
فى كتاب الشريعة وأخبرنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا أبو اسامة حدثنا أبو
جناب حدثنا أبو عون الثقفى قال كنت اقرأ على أبى عبد الرحمن السلمى وكان الحسن بن على يقرأ عليه قال أبو عبد
الرحمن فاستعمل أمير المؤمنين على رضى الله عنه رجلا من بنى تميم يقال له حبيب بن قرة على السواد وأمره ان
يدخل الكوفة من كان بالسواد من المسلمين فقلت للحسن بن على ان ابن عم لى بالسواد أحب ان يقر بمكانه فقال
تغدو على كتابك قد ختم فغدوت عليه من الغد فاذا الناس يقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين فقلت
للغلام أنت قربنى الى القصر فدخلت القصر فاذا الحسن بن على قاعد فى المسجد فى الحجرة واذا صوائح فقال ادن يا أبا
عبد الرحمن فجلست الى جنبه فقال لى خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلى فى هذا المسجد فقال لى يا بنى انى بت
الليلة أوقظ أهلى لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان فملكتنى عيناى فسنح لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك الاود واللدد قال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لى ادع
عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم من هو خير منهم وابدلهم بى شرا قال وجاء ابن البناج فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت
خلفه فاعتوره الرجلان فاما أحدهما فوقعت ضربته فى الطاق وأما الآخر فاثبتها فى رأسه قال ابن صاعد قال ابو
هشام قال أبو اسامة انى لاغار عليه كما يغار الرجل على المرأة الحسناء يعنى هذا الحديث لا تحدث به مادمت حيا
ورواه صاحب نهج البلاغة وفيه فقلت أبدلنى الله بهم خيرا وابدلهم بى شرا لهم منى ثم قال وهذا من افصح
الكلام (وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة) رواه محمود بن
محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين عن حنش بن موسى قال أخبرنا أبو الحسن المدائنى اخبرنى سعيد بن عبد العزيز
السلمى قال قال على فذكره وزاد فقال ابن ملجم ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله (وعن) أبى
جعفر (محمد بن على) بن الحسين بن على رضى الله عنه (انه) رضى الله عنه (لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق
الا بلا اله الا الله حتى قبض) رواه ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن يونس بن بكير عن أبيه عن أبى عبد الله الجعفى
عن جعفر بن محمد بن على ولم يقل عن أبيه وأما وصيته لبنيه فرواها أبو بكر بن ابى شيبة عن ابن فضيل بن غزوان
عن جعفر بن محمد قال اوصى على بن ابى طالب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة هذا ما أوصى به على بن ابى
طالب أوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ثم انى اوصيك يا حسن وجميع أهلى ومن بلغه وفاتى
بان تتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ثم انى أوصيكم بالجار فان نبى الله صلى

وعن شيخ من قريش ان عليا كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن على انه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض

الله عليه وسلم مازال يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه الله الله فى القرآن لا يسبق به غيركم الله الله فى الصلاة فانها عمود دينكم الله الله فى صيام رمضان فان الصبر على صيامه نجاة من النار الله الله فى الجهاد باموالكم وأنفسكم وقولوا للناس حسنا ائتلفوا ولا تختلفوا (ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنهما) ذلك من سم سقته زوجته (دخل عليه) أخوه (الحسين رضى الله عنه) فرآه قد جزع (فقال يا أخى لاى شئ تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخى اقدم على أمر لم أقدم على مثله) رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ لما اشتد بالحسن بن على جزع فدخل عليه رجل فقال يا أبا محمد ماهذا الجزع ماهو الا ان يفارق روحك جسدك فتقدم على ابويك على وفاطمة وعلى جديك النبى صلى الله عليه وسلم وخديجة وعلى اعمامك حمزة وجعفر وعلى اخوالك القاسم والطيب وابراهيم ومطهر وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب قال فسرى عنه وقال القشيرى فى الرسالة لما حضر الحسن بن على الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال اقدم على سيد لم أره وقال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحق بن اسمعيل حدثنى احمد بن عبد الجبار حدثنا سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال لما احتضر الحسن بن على قال اخرجوا فراشى الى صحن الدار قال فرفع رأسه الى السماء ثم قال انى احتسب نفسى عندك فانها أعز الانفس على وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا احمد بن الاسود الحنفى حدثنا محمد بن أبى صفوان الثقفى قال الاصمعى عن أبى هلال الراسبى قال لما احتضر الحسن بن على قال لقد سقيت السم ثلاث مرات مامنهن واحدة بلغت منى ما بلغت هذه لقد تقطعت كبدى قال وحدثنى هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان الكلابى حدثنا عبيد الله بن عمرو قال نعى الحسن بن على الى معاوية وابن عباس ببابه فحجب حتى أخذ الناس مجالسهم ثم اذن له فقال أعظم الله أجرك يا ابن عباس قال فيمن قال فى الحسن بن على قال اذا لا يزيد موته فى عمرك ولا يدخل عمله عليك فى قبرك وقد فقدنا من هو أعظم منه قدرا وأجل منه أمرا فاعقب الله عقبى صالحه وخرج ابن عباس وهو يقول

أصبح اليوم ابن هند شامتا * ظاهر النخوة ان مات حسن
ولقد كان عليه عمره * مثل رضوى وثبير وحضن
فارتع اليوم ابن هند آمنا * انما يقمص بالبعير السمن
واتق الله واظهر توبة * انما كان كشئ لم يكن

(وعن محمد بن الحسين) وفى بعض النسخ الحسن (قال لما نزل القوم) وهم عسكر عبيد الله بن زياد (بالحسين رضى الله عنه) وذلك بكربلاء (وايقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واتشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الاحسى من عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما) قال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا عبيد الله ابن محمد حدثنا محمد بن خلف حدثنا نصر بن مزاحم العطار عن أبى مخنف حدثنى سليمان بن ابى راشد عن حميد بن مسلم قال سمعت الحسين بن على رضى الله عنه وقد احاطوا به اللهم احبس عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض وان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا ومزقهم مزقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عليهم الولاة ابدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا وضارب حتى كفهم عنه ثم تعادوا عليه فقتلوه قال وحدثنا الكزبرانى حدثنا أبو ربيعة مهد بن عون العامرى حدثنا ابو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال لما خرجت جيوش ابن زياد مع عمر بن سعد الى الحسين رضى الله عنه توجه الحسين رضى الله عنه يريد الشام فلقيه خيولهم فنزل عند كربلاء فناشدهم الله والاسلام ان سيروا الى يزيد فاضع يدى فى يده فابوا عليه الا حكم ابن زياد قال حصين فحدثنى سعد بن عبيدة السلمى قال انى لانظر الى الحسين رضى الله عنه يكلمهم وانى لانظر اليه وعليه جبة من برود فلما كلمهم انصرف فرماه عمير الطهاوى بسهم فانى لانظر الى السهم بين كتفيه متعلقا فى جبته ورجع الى مصافه

وانهم

ولما ثقل الحسن بن على رضى الله عنه دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال يا أخى لاى شئ تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا أخى اقدم على أمر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واتشمرت حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء الاحسى من عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما

(الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين) لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال اقعدونى فاقعد فجعل يسبح الله تعالى و يذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان

وبكى حتى علا بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك و روى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع الا ماجربنا ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا و باستلذاذنا بعيشنا فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة وأصبحت الدنيا وقد وترتنا و أخلقتنا واستلأمت الينا أف للدنيا من دار ثم أف لها من دار و يروى ان آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد وانى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى الا وهو شر منى كما كان من قبلى خير امنى و يا يزيد اذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفى وفى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون اكفانى و يا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جديدى و وضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وارحم الراحمين

وانهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب على خمسة ومن بنى هاشم ستة عشر ومنهم حليف لهم من بنى سليم قال فحدثنى سعد بن عبيدة قال انا لمستنقعون فى الماء مع عمر بن سعد أتاه رجل فساره فقال قد ارسل اليك حوثرة بن بدر التميمى وأمره ابن زياد ان لم تقاتل بضرب عنقك فوثب الى فرسه يقاتلهم فجئ برأس الحسين رضى الله عنه الى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيب معه أرى أبا عبد الله قد شمط وانطلق ابنان لعبد الله بن جعفر فلجآ الى رجل من طيئ فذبحهما وجاء برؤسهما حتى وضعهما بين يدى ابن زياد فامر بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت قال حصين لبثوا شهرين اوثلاثة كانما يلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع وقال حدثنا أبو فروة حدثنا ابو الجواب حدثنا يونس بن أبى اسحق عن ابى اسحق عن عمرو بن بعجة قال اول ذل دخل على الاسلام قتل الحسين رضى الله عنه وادعاء معاوية زيادا

(الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين)

(لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال اقعدونى فاقعد فجعل يسبح الله تعالى و يذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علاه بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك) قال محمود بن محمد بن الفضل فى كتاب المتفجعين حدثنا احمد بن الاسود الحنفى حدثنا العتبى عن عقبة بن هرون عن مسلمة بن محارب عن داود بن ابى هند قال تمثل معاوية عند موته

هو الموت لامنجا من الموت والذى * نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

اللهم فاقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة يارب أين لذى خطيئة مهرب الا اليك قال داود فبلغنى ان ابن المسيب قال حين بلغه ذلك لقد رغب الى من لامرغوب اليه مثله كرماوانى لارجوله وقال حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا الوليد بن هشام بن قحذم قال لما احتضر معاوية جعل بناته يقلبنه وهو يقول انكن لتقلبن حوليا قلبيا ان نجا من عذاب الله غدا ثم تمثل

لا يبعدن ربيعة بن مكرم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال حدثنا مسلمة بن عبد الملك بن يزيد حدثنى عمى الوليد بن يزيد قال لما احتضر معاوية تمثل

بكى الحرث الجولان من فقد أهله * فحوران منه موحش متضائق

(و روى عن شيخ من قريش انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه) الذى توفى فيه (فرأوا فى جلده غضونا) أى تكسرا (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا أجمع الا ماجربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا) أى بنشاطنا (وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلقتنا واستلأمت الينا فاف للدنيا من دار ثم أف لها من دار) رواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين (و يروى ان آخر خطبة خطبها معاوية اذ قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد وانى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى الا وهو شر منى كما كان من قبلى خير امنى و يا يزيد) يعنى ولده (اذا وفى اجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد) أى اقصد (الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفى وفى وأذنى وعينى واجعل الثوب على جلدى دون اكفانى و يا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جديدى و وضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية وارحم الراحمين) قال ابن أبى الدنيا حدثنى هرون بن سفيان عن عبد الله السهمى حدثنا ثمامة بن كلثوم ان معاوية قال يا يزيد اذا وفى أجلى فول غسلى رجلا لبيبا فذكره الخ وفيه فخلوا

بين معاوية وارحم الراحمين وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن على بن ميمون العطار حدثنا أبو طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسى حدثنا خالد بن يزيد بن صالح المرى عن يونس بن حليس عن الضحاك بن قيس قال شهدت معاوية وهو يموت فقال لقد أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى فقال الا اكسوك قميصا قلت نعم فخلع قميصه وكسانى فلبسته ثم نزعته فدفعته الى رملة بنت معاوية وشهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قص من شعره واظفاره فاخذه ودفعه الى فجعلته فى صرة وختمت عليه ودفعته الى رملة ثم قال اذا مت فاجعلوا قميصى الذى كسانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلى جلدى وخذوا أظفاره وشعره فاحشوا بها أنفى وفمى وعينى ثم بكى وبكينا فلما مات معاوية فعلنا ذلك (وقال محمد بن عتبة) القاضى الشامى روى له ابن ماجه (لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى) موضع بمكة (وانى لم أل من هذا الامر شيأ) رواه ابن أبى الدنيا وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا على بن عثمان النفيلى حدثنا أبو مسهر حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المرى حدثنى أبى حدثنى سعيد بن حريث قال لما كانت الغداة التى مات معاوية فى ليلتها فزع الناس الى المسجد ولم يكن خليفة بالشام قبله مات فكنت فيمن أتى المسجد فلما ارتفع النهار وهم يبكون فى الخضراء وابنه يزيد غائب فى البرية وهو ولى عهده وخليفته يومئذ على دمشق الضحاك بن قيس الفهرى اذ قعقع باب النحاس الذى يخرج منه الى المسجد من الخضراء فزلف الناس الى المقصورة ودنوت فيمن دنا منهم الهافيبنا نحن كذلك خرج علينا رجل على يده اليسرى ثياب ملفوفة فاذا هو الضحاك بن قيس الفهرى فدنا من المنبر فاتكأ عليه بيده اليسرى ودنا الناس منه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس انى قائل لكم قولا فرحم الله امرأ وعى ما سمع منى ولم يزد فيه ولم ينقص تعلمون ان معاوية كان أحد العرب مكن الله له فى البر والبحر وأذاقكم معه الخفض والطمأنينة ولذاذة العيش وأهوى بيده الى فيه وانه قد هلك رحمة الله عليه وهذه أكفانه على يدى ونحن مدرجوه فيها ودافنوه واياها ومخلون بينه وبين ربه ثم هى والله البلايا بعده والملاحم والفتن وما توعدون الى يوم القيامة ثم دخل الخضراء ثم خرج لصلاة الظهر فصلى بنا الظهر ثم خرجوا بجنازة معاوية ودفنوه ومما يلحق به ولده يزيد وحفيده معاوية بن يزيد قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الكزبرانى حدثنا الحسن بن محمد بن أعين حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان عن أبيه قال قال عامر بن مسعود الجمحى كأنى لو سافى مجلس عند الكعبة اذ مر يزيد ينعى معاوية فقلت لاصحابى قوموا بنا الى ابن عباس وهو يومئذ بمكة وقد كف بصره فنكون أول من نخبره ونسمع ما يقول فأتيناه فاستأذنا عليه فدخلنا فاذا بين يديه خوان عليه الكفرى ولم يوضع الخبز فسلمنا وقلنا هل أتاك الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا يزيد ينعى معاوية فقال ارفع خوانك يا غلام ثم ظل واجما كئيبا مطاطئا رأسه لا يتكلم طويلا ثم رفع رأسه وقال

جبل تزعزع ثم مال بركنه * فى البحر لا ارتفعت عليه الابحر

ثم قال اللهم فانك أوسع لمعاوية اما والله ما كان مثل من كان قبله ولا يكون بعده مثله وان ابنه هذا من صالحى أهل بيته لقومه وما نحن وبنو عمنا هؤلاء الا كعضوى لقمان قتل صاحبنا غيرهم وقتل صاحبهم غيرنا فاغروا بنا وأغرينا بهم اما والله ما أغراهم بنا الا انهم لم يجدوا مثلنا وما أغرانا بهم الا انا لم نجد مثلهم وقد قال الاول أطامك لانى لم أجد مثلك فاتقوا الله يا معشر فتيان قريش ولا تقولوا ذهب جد بنى أمية ذهب لعمر الله جدهم وبقيت بقية هى أكثر مما مضى الزموا منازلكم وأدوا بيعتكم قرب خوانك يا غلام فانا لنتغدى اذ جاء رسول أمير مكة يقول يدعوك الامير للبيعة قال وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون قل له افرغ مما عندك فاذا سهل الممشى أتيتك فصنعت ما تريد فلما خرج الرسول قلنا يا ابن عباس أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر فقال انى قلت لكم آنفا تسمعون ولا تعون كم من شارب للخمر وشر منه من لا يشرب الخمر ستبايعونه على ما أراد حتى يصلب مصلوب قريش فرجع الرسول فقال انه لابد ان تأتيه قال يا نوار هات ثيابى ان كان لابد وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون امتنعوا مما قد أظلكم صبحكم أو مساكم بذلكم ثم قام وقمنا معه فاتينا الامير فبايعه وبايعناه وقال هشام ابن الكلبى عن عوانة لما احتضر يزيد بن معاوية قال

وقال محمد بن عتبة لما نزل بمعاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وأنى لم أل من هذا الامر شيأ

لعمرى لقد عمرت فى الملك برهة * ودانت لى الدنيا بوقع البواتر
فاضحى الذى قد كان قبل يسرنى * كحلم مضى فى المزمنات الغوابر
فياليتنى لم أغن فى الناس ساعة * ولم أغن فى لذات عيش مفاخر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة * من العيش حتى صار رهن المقابر

وقال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له اعهد قال لا أتزود مرارتها واترك لبنى أمية حلاوتها وكان ناسكا وقال ليتنى كنت حيضة ولم أعلم أن الله عز وجل خلق نارا يعذب بها من عصاه (ولما حضر عبد الملك بن مروان) بن الحكم بن أبى العاص الاموى (الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ويضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيأ فبلغ ذلك أبا حازم) سلمة بن دينار الاعرج المدنى التابعى (فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون مانحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه) رواه أبو الحسن المدائنى عن سعيد بن بشير عن أبيه ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة قال اشرفوا بى على الغوطة ففعلوا فرأى غسالا يلوى ثوبا فقال ياليت انى كنت غسالا لا أعيش الابما كسبت يوما يوما فبلغت كلمته أبا حازم فقال فساقه (وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه) الذى مات فيه (كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الآية) رواه ابن أبى الدنيا قال صاحب كتاب صفوة التاريخ يقال هو آخر كلام سمع منه وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا على بن عثمان النفيلى حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال دعا عبد الملك بن مروان بطعامه فوضع بين يديه ثم قال ائذنوا لابن هاشم خالد بن يزيد بن معاوية قالوا أولم يمت قال ائذنوا لابى عثمان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قالوا أولم يمت قال ائذنوا لابى زرعة روح بن زنباع قالوا أولم يمت وقد علم بموتهم ولكن أراد أن يتعظ فقال ارفعوا الطعام ثم انتحب مليا وقال

ذهبت لداتى وانقضت آثارهم * وغبرت بعدهم ولست بغابر
وغبرت بعدهم فاسكن مرة * بطن العقيق ومرة بالظاهر

فلم يحل عليه الحول وقال أيضا حدثنا محمد بن على بن بكر النحوى حدثنا عمر بن خالد العثمانى حدثنا شيبة بن الوليد عن عمه قال حضرت موت عبد الملك فلما دفناه قام عبد الرحمن بن خالد بن يزيد على قبره فبكى ثم قال أنت عبد الملك الذى كنت تعدنى فأرجوك وتوعدنى فاخافك أمسيت ومالك من الارض العريضة التى ملكتها بالسيف الاقيس مضجعك ولا من أموالك التى تملكتها بالغلبة الاثوبالك ان الذى يغتر بالدنيا بعدك لمغرور وكان الشعبى حاضرا فأعجبه وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا الاصمعى قال أثيرت صخرة أيام عبد الملك فوجدوا عليها مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لامر يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت عناء وحسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

فأخبر بذلك عبد الملك فجعل يبكى وقال أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد بن سليمان بن أبى شيخ حدثنا محمد بن الحكم الشيبانى عن عوانة قال لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير تلقاه أهل الكوفة بالنخيلة فاقبل على الهيثم بن الاسود وعمرو بن حريث يحدثهما فجعل عمرو يقول هذا منزل بناه زياد وهذه مقصورة بناها زياد وهذا بناه المختار فتمثل عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى البلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

وقال له الهيثم يا أمير المؤمنين رأيت ابن زياد فى هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه ثم رأيت المختار جالسا ورأس ابن زياد بين يديه ثم رأيت مصعبا جالسا فيه ورأس المختار بين يديه وهذا رأس مصعب بين يديك فوجم لها عبد الملك وقال أبو الحسن المدائنى عن أبى زكريا العجلانى كان عبد الملك يقول أخاف الموت فى شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه ختمت القرآن وفيه بويع لى بالخلافة فانا أخاف الموت فيه فمات فى شوال حين أمن الموت فى نفسه ووثق بالحياة وكان يقول لله در ابن قمئة حيث يقول

ولما حضرت عبد الملك ابن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيأ فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون مانحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ماهم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه كيف تجد يا أمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم الآية ومات

كأني وقد خلفت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

ويتمثل

رمتني سهام الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو انها نبل اذا لا تقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

فافنى وما أفنى من الدهر ليلة * ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

قال له الشعبي أفلا كما قال لبيد

باتت تشكى الى الموت مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزيدي ثلاثا تبلغي أملا * وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ التسعين قال

كأني وقد خلفت تسعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

فقال عبد الملك فأين قول الذي يقول

تطارحني يوم جديد وليلة * هما أبليا عظمي وكل امرئ بالي

وما الليالي لا تغير ن صورتي * وأبلين أعمامي وأبلين اخوالي

اذا ما سلخت الشهر أهللت مثله * كفى قاتلا سلخ الشهور واهلالي

وقال محمود بن محمد حدثني أحمد بن أبي طاهر حدثنا الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه قال دخل ارطاة بن سهية المري على عبد الملك فقال له أنشدني من شعرك فانشده

رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الارض ساقطة الحديد

وما تجد المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد

واعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد

فوجم لها عبد الملك وقال له وما أنت وذكري في شعرك قال ما أردت والله الا نفسي يا أمير المؤمنين أنا أبو الوليد فقال عبد الملك اني والله أبو الوليد وجمع أصابعه في صدره قال الزبير سرق أرطاة هذا المعنى من زبان بن منظور الفزاري قال زبان

لئن جمعت بالقرناء يوما * لقد متعت بالامل البعيد

وما عند المنية فوق نفسي * ولا نفس الاحبة من مزيد

خلقنا أنفسا وبني نفوس * ولسنا بالجبال ولا الحديد

وقال محمود حدثنا ابن الهيثم قال قال العتبي لما احتضر عبد الملك بن مروان تبطح على فراشه ثم قال يا دنيا ما أطيب ريحك ونسيمك يا أهل العافية لا تستقلوا شيأ منها حتى سمع كلامه من كان خارج القصر ثم أنشد

ومن يبق مالا عدة وصيانة * فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافره

ومن يك ذا عود صليب بعده * ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

ومما يلحق به سليمان بن عبد الملك بن مروان قال الواقدي حدثنا داود بن خالد عن سهيل بن أبي سهيل وكان خيارا غزاء عن رجاء بن حيوة قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وقد احتضر فوجدته قد ثقل واخذته غشية فحرفته الى القبلة فافاق فقال يا رجاء لم يأن لذلك بعد ثم كانت ثانية فذهبت لاحرفه فقال يا رجاء لم يأن لذلك بعد ثم أغمي عليه ثالثة فقال يا رجاء ان كنت تريد أن تحرفني الى القبلة فمن الآن اللهم تجاوز عن ذنوبي فاني أشهد أن لا اله الا أنت ثم مات وقال أبو الحسن المدائني عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما احتضر سليمان بن عبد الملك قال ان بني صبية صغار أفلح من كان له كبار فقال له عمر بن عبد العزيز أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فقال سليمان ان بني صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون ان بني صبية أطفال * أفلح من كان له رجال فقال عمر أفلح المؤمنون وتلا الآيات فقال سليمان اللهم اسألك منقلبا كريما ثم قضى وقال محمود بن محمد حدثنا محمد بن جبلة حدثنا عبد الله بن هانئ حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال خطب سليمان بن عبد الملك بدابق فقال في خطبته لست بضرع صغير ولا هم كبير قد سسنا وساسنا السائسون ثم نزل فما أتت عليه جمعة حتى مات (وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز) وابنة عمه (كنت أسمع عمر) رحمه الله تعالى (في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده

فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف الله ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فاسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لأرى خضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض رحمه الله

فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ) أي سكن صوته (فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد ابن اسحق حدثنا أبو كريب حدثنا ابن المبارك عن جرير بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت كنت أسمع عمر كثيرا يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة فقلت له يوما لو خرجت عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين لعلك تغفي فخرجت الى جانب البيت الذي كان فيه فسمعته يقول تلك الدار الآخرة الآية فجعل يرددها ثم أطرق فلبثت ساعة ثم قلت لوصيف له كان يخدمه ادخل فانظر قال فدخل فصاح فدخلت فاذا هو قد أقبل بوجهه الى القبلة وغمض عينيه باحدى يديه وضم فاه بالاخرى (وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (وروى انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (دعي له طبيب فلما نظر اليه قال الرجل قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر) رحمه الله تعالى (بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي الى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا أياما حتى مات) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا هشام بن عبد الله الرازي حدثنا أبو زيد الدمشقي قال لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي اليه طبيب فساق ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات من طريقه (وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا أمير المؤمنين ابشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فاسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات) وقال محمود بن محمد ابن الفضل حدثنا الميموني حدثني عبد الله بن كريم عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال كان أكثر دعاء عمر ابن عبد العزيز بالموت فقلت له لا تفعل فقد أحيا الله بك سننا وأمات بك بدعا فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين جمع الله شمله وأقر عينه قال رب توفني مسلما وألحقني بالصالحين قال الميموني وحدثني أبي عن عمه عمرو عن أبيه ميمون قال رأيت عمر بن عبد العزيز في مرضه وأكثر دعائه الموت فساقه نحوه وزاد فلما حضره الموت قال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين انا لا نصيب لك بدينارين الا كفنا غليظا فازدد على ذلك فقال جئني به يا مسلمة فنظر اليه ساعة ثم قال ان يكن عند ربي خير فان يرضى لي به حتى يبدلني خيرا منه وان كان علي ساخطا فأوشك أن يسلبه أعنف السلب ثم مالي كسوة الا النار أعوذ بالله من سوء القضاء (ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لأرى حضرة ما هم ناس ولا جن ثم قبض) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا الحرث بن بهرام حدثنا النضر حدثني الليث بن أبي رقية قال لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي قبض فيه قال أجلسوني فأجلسوه فساقه الا انه لم يقل ثلاث مرات ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين احتضر قال لمن عنده اخرجوا عني فاني أرى وجوها ليست بوجوه جن ولا انس فخرجوا فسمعوه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها الآية ثم دخلوا فوجدوه مغمض العينين مسجى موجها ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي أنبأنا أبو أحمد

محمد بن عبد الله بن جامع أنبأنا محمد بن سعيد الحرانى حدثنا هلال بن العلاء حدثنى أبى حدثنا عبد الرحمن بن عون الرقى عن عبيدة بن حسان قال لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال اخرجوا عنى فلا يبقى عندى أحد نفر جوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه انس ولا جان ثم قال تلك الدار الآخرة الآية ثم هدأ الصوت فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك فوجدوه قد قبض وغمض وسوى وقال حدثنا الميمونى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثنى فضالة بن أبى سعيد قال سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول يا أهل الشام انه قد بلغنى عنكم أحاديث وما أنا بالراجى لخيركم ولا بالآمن لشركم ولقد مللتمونى ومللتكم فار احكم الله منى وأراحنى منكم ثم نزل عن المنبر فاعلاه حتى مات قال وحدثنى الميمونى حدثنا الواقدى حدثنى محمد ابن سلمة عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القارى ان عمر بن عبد العزيز أوصى بشعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظفار من أظفاره ان يجعل فى كفنه ففعلوا وقال الميمونى حدثنى عبد الله بن كريم عن أبى المليح قال أراد أهله أن يأخذوا ماءه ليروه الباذدق الطبيب فابى عليهم حتى أخذوه فى طست ثم جعل فى زجاجة فاتوا به الباذدق وهو لا يعرفه وقد غدا الناس عليه بمياه مرضاهم فجعل يصف لكل انسان ما يعالج به فلما نظر الى ماء عمر قال سبحان الله يا غلام ان فى هذا الماء لعجبا هذا ماء رجل نقب الحزن عن كبده قال محمد بن محمد وحدثنا محمد بن جبلة حدثنا يحى بن بكير حدثنا الليث عن يحى بن سعيد قال كان من دعاء عمر بن عبد العزيز رب رضنى بقضائك و بارك لى فى قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيرا ولا لما أخرت تعجيلا حتى مات وانه ليقول لقد أصبحت ومالى فى الامور هواء الا مواقع قضاء الله فيها ومما يلحق به جماعة من هذا البيت قال محمود بن محمد حدثنا محمد بن جبلة حدثنا ابن عائشة ان هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر الى أهله وحشمه يبكون عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما احتمل ما أعظم منقلبك يا هشام ان لم يغفر لك ربك الغفور الرحيم وقال أبو الحسن المدائنى عن عمرو بن مروان قال لما أحيط بالوليد بن يزيد وعلم انه مقتول وضع المصحف فى حجره وقال يوم كيوم عثمان فقتلوه واحتز وارأسه قال وحدثنى عالية السوداء عن فاطمة بنت عبد الملك قالت دخلت على يزيد ابن الوليد وهو يموت فسألته عن وجعه فاومأ الى أرنبته فقلت يا يزيد الحق من ربك فلا تكن من الممترين فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان آخر ما كلمنى به حتى فارق الدنيا قال محمود وحدثنا الحسن بن بشر بن الاخنس الاسدى عن عبد الصمد عن عبيد بن الضحضح الاسدى قال كنت مع مروان بن محمد ببوصير حين لحقته خيول المسودة فدعوه بالامان فلم يقبل وشد عليه ثوبه وجعل يحمل وهو يقول

أذل الحياة وهول الممات * وكلا أراه وخيما وبيلا

فان كان لابد احداهما * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

الى أن قتله رجل من أهل الكوفة يقال له أبو رمانة وعلى الجيش عامر بن اسمعيل المسلى مضت بنو أمية وشرع المصنف فى بنى العباس قال أبو الحسن المدائنى عن بكر بن عبد الله قال دخلت على أمير المؤمنين أبى العباس فلقينى الطبيب فقال أصبح أمير المؤمنين صالحا فقلت يا أمير المؤمنين قد بشرنى الطبيب بصلاحك فقال كيف يكون صالحا من هذا حاله ورفع يده اليمنى بيده اليسرى فتناثر لحمها على النطع قال وجعل يقول اللهم انى ابرأ اليك مما صنع يحى بن محمد باهل الموصل ومما صنع عبد الله بن على بنهر ابى نطرس ومما صنع داود بن على بكداء والطائف وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا محمد بن موسى بن داود العمى حدثنى على بن محمد بن سليمان النوفلى حدثنى أبى قال شهدت موت أبى جعفر المنصور فدخلت عليه أنا ومحمد بن عون بن عبيد الله بن الحرث بن نوفل فوجدناه قلقا وقال اذا كان غدا نقلنى الفراشون نحو الطائف فما أحب ان أقيم عليلا فى الحرم كأنه استوبأها ورجا ان نقلته تكسبه عافية ثم غدونا عليه فانا الوقوف على بابه اذ خرج أبو العنبر الخادم وجيبه مشقوق وعلى رأسه التراب وهاج فدخلنا فاذا هو على سريره مكشوف الوجه فدفناه ببئر ميمون وقال محمد بن موسى العمى حدثنى على بن محمد العمى حدثنى أبى قال شهدت موت المنصور فقال له عيسى بن ماهان جدر بيعة

اعهد لابنك المهدى فقال تريدونى على مثـل ماعمل عبـد الملك بن مروان حسبى ماجنيت على نفسى ويكفينى ماتقلدت من هذا الامر ومافى عنقى ثم مات وقال العمى عن عبيد الله بن سعد عن صالح صاحب المصلى عن على ابن يقطين قال تغـدينا مع المهدى فى وقت الضحى ثم نهض الى رواق ينام فيـه وتنحينا فنمنا فانتبهنا ببكائه فدخلنا فزعين وسألناه عن ذلك قال قام على باب البهو شيخ لو كان بين ألف انسان عرفته فقال

كانى بهذا البهو قدباد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله * وصار عميد القصر من بعد بهجة
ومـلك الى رمس عليه جنادله * فلم يبق الاذكره وحديثه * تنادى بليـل معولات ثواكله

قال فسلمناه فلم يلبث الاقليلا حتى خرج للصيـد فاتبـع طريدة فسقط وأقبل فرسه عائدا فنظرناه فاذا هو ميت وقال صاحب صفوة التاريخ كان سبب موت المهدى فيما حكى ان جارية حسناء أهدت الى طائفة من جواريه طبقا فيه قطائف مسمومة فمر بالجام عليه فدعا بها فاخذ قطيفة منها فعضها وابتلع منها القمة ثم ردها وقال احـذروا ان تأكلوا منه شيأ فانه مسموم ودعا بكلب فاطعمه باقى القطيفة التى أكل منها فمات الكلب من ساعته فاشير على المهدى ان يشرب من السمن ما أمكنه و يتقيأ ففعل وسكن عنه بلا قذف بعض ما كان يجده وصلى باصحابه الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة ثم التفت اليهم فقال استودعكم الله واليه أرغب فى حسـن الخلافة عليكم وأعظم الله أجركم فى خليفتكم فارتاعوا لذلك وقالوا نرجو أن يكون يومنا قبـل يومك فقال حـدثنى المنصور ان أباه محمد بن على حدثه عن أبيه عن عبد الله بن عباس انه لما نزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم نعيت الى نفسى قال المهدى فكنت منذ سمعت هذا الحديث أتجنب قراءة هذه السورة فى العلة فلما بليت فى يومى هذا باكل هـذا الطعام ثم صليت بكم الظهر فانسيت جميع ما أنزل الله بعد أم الكتاب خلا هذه السورة فقرأتها وتطيرت ثم صليت الركعة الثانيـة فوالله ما انطلق لسانى بغيرها ثم كانت حالى فى العصر والمغرب والعشاء مثل حالى فى الظهر فعلمت ان نفسى قد نعيت الى فلما انتصف الليل مات (وحكى عن هرون الرشيـد) انه انتقى أكفانه بيـده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عنى ماليـه هلك عنى سلطانيه) وكانت وفاته بطوس سنة ١٩٣ وروى على بن محمد النوفلى عن أبى جامع المروزى عن أبيـه قال كنت فيمن جاء باخى رافع بن الليث الى الرشيد فادخلناه اليه وهو على سريره والمرآة فى يده وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ما أشد ما قد أثرت فى العلة ثم نظر الى أخى رافع فقال انى لارجو كما فاتنى أن لا يفوتنى أخوك والله لو لم يبق من أجـلى الا أن أحرك شفتى بقتلك لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فقال لاتشحذ مداك وفصله عضوا عضوا وعجل لا يحضرنى أجلى وعضو من أعضائه فى جسده ففصله حتى جعله أشلاء ثم قال اعدد ما فصلت منه فاذا أربعة عشر عضوا فرفع يديه فقال اللهم كما أمكنتنى من ثارك فكنى من أخيه ثم مات بعد ساعة وقال العمى حدثنى كهلان عن أبى الخطاب قال أخبرنى من شهد موت الرشيد قال لما اشتد به الوجع قال لعمر بن سادر اخرج الى العـراق وامض منها الى الاهواز فاقبض أموال جبريل بن بختيشوع ومال فرج الزنجى ومال هرون بن أبان فارجو أن يكون عوضا من الاموال التى أنفقناها فى سفرنا هذا واعلم انى فى أثرك لابد لى من أن أنحدر الى البصرة فاطلب أحمد بن عيسى الطالبى فاقتله ثم اعبر الى عمان فاطلب بدم عيسى بن جعفر بن سليمان فانه لم يطل دم رجل من أهل البيت قط ومات بعد أربع ليال (وفرش) عبد الله (المأمون) بن الرشيد (رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه) وكانت وفاته سنة ٢١٩ (وكان المعتصم) بالله أبو اسحق محمد بن هرون (يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير ما فعلت ما فعلت) وكان قد استخلف عند موت أخيه المأمون وتوفى سنة ٢٢٧ وكانت خلافته تسع سنين وعمره ثمانية وأربعون سنة (وكان المنتصر) بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل أبى الفضل جعفر بن المعتصم (يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة) وكانت ولايته فى الليلة التى قتل فيها أبوه المتوكل ووفاته سنة ٢٤٨ ومدة خلافته ستة أشهر (وقال عمرو بن العاص) رضى الله عنه (فى الوفاة وقد نظر الى صـناديق

وحكى عـن هـرون الرشـيد انه انتـقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيـه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قـد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمرى هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عنـد موته فقيل له لا بأس عليـك يا أمير المؤمنـين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق

لبنيه من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا) رواه هشام بن الكلبي عن صالح بن كيسان وقال أبو الحسن المدائني أخبرني اسحق بن أيوب قال لما حضر عبد الله بن عبد الملك بشر بمجيء مال له كان بمصر فقال مالي وله ليته كان بعرا حائلا بنجد (وقال الحجاج) بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي (عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي) وهذا لما كان فيه من سوء السيرة وثقل الوطأة وقبح السياسة وعسف الرعية والتهاون بالدماء وشدة الاقدام على سفكها على ما قد عرف وشهر وأحصي من قتل صبرا سوى من قتل في عساكره وبعوثه فوجدوا مائة وخمسين ألفا ومات في حبسه خمسون ألفا من الرجال وثلاثون ألفا من النساء وكان حبسه فضاء مكشوفا ليس فيه سقف يظل ولا شئ يستر من شمس ولا مطر ولا حر ولا قر وكان هلاكه لاربع بقين من رمضان سنة ١٩٥ من ثلاث وخمسين سنة بواسط ولما أتى الوليد بن عبد الملك نعيه وجم لذلك وقال يرحمك الله أبا محمد والله لا شفعن لك عند الله يوم القيامة (فكان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها) رواه أبو نعيم في الحلية (ولما حكي ذلك للحسن) البصري رحمه الله تعالى (قال أقالها قيل نعم قال عسى) أي ان يغفر له أي نظرا الى حسن ظنه بالله عز وجل قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا عبيد الله محمد حدثنا علي بن الجعد أخبرنا الماجشون عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز ما أساء الاعلى كلمة بلغني ان الحجاج قالها عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تغفر لي قال وحدثنا علي بن عثمان النوفلي حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال قال عمر بن عبد العزيز ما حسدت أحدا على شئ قط الا الحجاج حسدته على اثنتين حبه للقرآن واعطائه عليه وقوله عند موته اللهم ان الناس يزعمون انك لا تغفر لي فاغفر لي قال وأخبرنا حبش بن موسى أخبرنا المدائني عن جويرية ان الحجاج قال عند الموت اللهم اغفر لي فان هؤلاء يزعمون انك لا تغفر لي فبلغت الحسن كلمته قال أوقالها قالوا نعم قال عسى قال وحدثنا عبد الله بن الهيثم قال أخبرنا الوليد بن هشام قال لما احتضر الحجاج جعل يقول لئن كنت على ضلالة لبئس حين المنزع ولئن كنت على هدى لنعم حين المجزع

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف)

رضي الله عنهم أجمعين ذكر فيه من الصحابة معاذا وسلمان وبلالا رضي الله عنهم ونحن نزيد بعون الله تعالى ما وصل الينا من غيرهم قال (لما حضر معاذا) بن جبل رضي الله عنه (الوفاة قال اللهم اني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار) كذا في النسخ وفي بعضها لكري الانهار أي حفرها واجرائها (ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر) رواه أحمد في الزهد فقال حدثنا شجاع بن الوليد عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل قال لما حضره الموت انظروا أصبحنا فأتي فقيل له لم تصبح فقال انظروا أصبحنا فأتي فقيل له لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له قد أصبحت فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها الى النار مرحبا بالموت مرحبا زائر مغب حبيب جاء على فاقة اللهم اني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه (ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك) رواه أبو نعيم في الحلية قال حدثنا أبو جعفر اليقطيني حدثنا الحسين بن عبد الله القطان حدثنا عامر بن سيار حدثنا عبد الحميد ابن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن الحرث بن عميرة قال قال معاذ حين طعن واشتد به النزع نزع الموت فنزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق فذكره ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا شيبان عن الاعمش عن شهر بن حوشب عن الحرث بن عميرة الزبيدي قال اني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت فهو يغمى عليه مرة ويفيق فسمعته يقول عند افاقته اخنق خنقك فوعزتك اني أحبك ورواه ابن الجوزي من طريقه وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع قال لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل

فبنيه من يأخذها بما لها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى

(بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين)

لما حضر معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم اني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم أن قلبي يحبك

واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من شاء منكم اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال وانا ستجداني ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأته فهلكت وطعن هو في ابهامه فجعل يمسها بفيه و يقول انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك في الصغير حتى هلك و رواه أبو نعيم بالسند السابق من طريق الحرث بن عميرة قال طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وابو مالك الاشعرى في يوم واحد فقال معاذ انه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم اللهم آت آل معاذ النصيب الاوفر من هذه الرحمة فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذى كان يكنى به وأحب الخلق اليه فرجع من المسجد فوجده مكروبا فقال يا عبد الرحمن كيف أنت فاستجاب له فقال يا أبت الحق من ربك فلا تكن من الممترين فقال معاذ وأنا ان شاء الله ستجدني من الصابرين فامسكه ليلة ثم دفنه من الغد (ولما حضرت سلمان) رضى الله عنه (الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما) قال العراقى رواه أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم اهـ قلت رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن شعيب التاجر حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى حدثنا جرير عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال دخل سعد على سلمان يعوده فقال ابشر أبا عبد الله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض قال كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب كذا رواه الدامغانى عن جرير عن الاعمش عن ابى سفين عن جابر وقال أبو معاوية وغيره عن الاعمش عن أبى سفيان عن أشياخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله ابن شيرويه حدثنا اسحق بن راهويه أخبرنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبى سفيان عن أشياخه ان سعد بن أبى وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفى رسول الله وهو عنك راض فقال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله عهد الينا فقال ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب وهذه الاساود حولى وانما حوله مطهرة أو اجانة ونحوها فقال له سعد اعهد الينا عهدا نأخذ به بعدك فقال اذكر ربك عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند يدك اذا أقسمت رواه مورق العجلى والحسن البصرى وسعيد بن المسيب وعامر بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبى حدثنا زكريا الساجى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلى ان سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب قال فلما مات نظروا فى بيته فلم يروا الا كافا ووطاء ومتاع قوم نحوا من عشرين درهما وممن رواه عن الحسن السرى بن يحيى والربيع بن صبيح والفضل بن دلهم ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن حدثنا أبو محمد محمد بن الحسن بن كوثر حدثنا بشر بن موسى حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنى السرى بن يحيى عن الحسن قال لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكى فقيل له يا أبا عبد الله ما يبكيك أليس فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال والله ما بى جزع الموت ولكن رسول الله عهد الينا عهدا ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبى حدثنا زكريا الساجى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا ما يبكيك أبا عبد الله فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحديث عامر بن عبد الله حدثناه أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب قال أخبرنى أبو هانئ عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عامر بن عبد الله عن سلمان الخير انه حين حضره الموت عرفنا به

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما

بعض الجزع فقالوا ما يجزعك أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازي حسنة وفتوحا عظاما فقال يحزنني ان حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم عهد الينا حين فارقنا فقال ليكف المؤمن كزاد الراكب فهذا الذي أحزنني قال فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا قال عبد الله بن عامر دينارا واتفق الباقون على بضعة عشر درهما ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثناه عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان فقلت له لم تبكي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا ان يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب الى هنا سياق الحلية وروى الطبراني من طريق علي بن بذيمة قال بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهما وقال صاحب الحلية حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن حدثنا علي بن حجر حدثنا حماد بن عمر عن سعيد بن معروف عن سعيد بن سوقة قال دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون فاطلنا الجلوس عنده فشق عليه فقال لامرأته ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر فقالت هو ذا قال القيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ثم انضحي حول فراشي فانه الآن يأتيني قوم ليسوا بانس ولا جن ففعلت وخرجنا ثم أتيناه فوجدناه قد قبض وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا شيبان عن فراس عن الشعبي قال حدثتني الجزل عن امرأة سلمان بقيرة قالت لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علية لها أربعة أبواب فقال افتحي هذه الابواب يا بقيرة فان لي اليوم زوارا لا أدري من أي هذه الابواب يدخلون علي ثم دعا بمسك له ثم قال أديفيه في تور ففعلت ثم قال انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فترينني على فراشي فاطلعت فاذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه أو نحوا من هذا (ولما حضر بلالا) رضي الله عنه (الوفاة) وذلك بداريا من دمشق (قالت امرأته واحزناه قال) بلال (بل واطرباه غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه) رواه ابن أبي الدنيا فقال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال قال بلال حين حضرته الوفاة غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه قال تقول امرأته وا ويلاه قال يقول هووا فرحاه قلت سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي روى له مسلم والاربعة وقد أسند عن عدة من التابعين ونذكر هنا بعض الصحابة الذين أقاويلهم على شرط المصنف * عامر بن فهيرة رضي الله عنه قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر عمن سمى من رجاله ان جبار بن سلمى طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فانفذه فقال عامر فزت ورب الكعبة * عمار بن ياسر رضي الله عنه قال الطبراني حدثنا الحسن بن علي المعمري حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء حدثنا أبو معشر حدثنا جعفر بن عمرو الضمري عن ابي سنان الدؤلي قال رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه * محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا ضيحة لبن * سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه قال ابن سعد أخبرنا معن حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد قال لما كان يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر سعد بن الربيع فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع ما شأنك قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال اذهب اليه فاقرأه مني السلام واخبره اني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وانه قد أنفذت مقاتلي واخبر قومك انه لا عذر لهم عند الله ان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد منهم حي * عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب حدثنا ابراهيم بن سعد عن محمد ابن اسحق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال لما تجهز الناس للخروج الى مؤتة قال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم فقال ابن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع يقذف الزبدا * أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا * حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه وقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه

ثم

ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم ان هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت اليه المستعربة في مائة ألف فاقاموا ليلتين ينظرون في أمورهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فسمع ابن رواحة فقال يا قوم ان الذي تكرهون الذي خرجتم له تطلبون الشهادة ومانقاتل الناس بعدة ولاقوة ولا كثرة مانقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبي حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد حدثني الحكم بن عبد السلام ان جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس يا عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينتهشه ولم يكن ذاق طعاما قبل ذلك بثلاث فرمى بالضلع ثم قال وأنت مع الدنيا فتقدم فقاتل فاصيبت أصبعه فجعل يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت * يانفس الا تقتلي تموتي
هذا حياض الموت قد صليت * وماتمنيت فقد لقيت * ان تفعلي فعلهما هديت
وان تأخرت فقد شقيت

ثم قال يانفس الى أي شئ تتوقين الى فلانة فهي طالق ثلاثا والى فلان وفلان غلمان له والى معجف حائط له فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يانفس مالك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه * طائعة أو لتكرهنه * فطالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الا نطفة في شنة * قد أجلب الناس وشدوا الرنة وقتل ابن رواحة في هذا اليوم رضى الله عنه * عمير بن الحمام قتل ببدر رضى الله عنه قال أحمد في الزهد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قوموا الى جنة عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يارسول الله الا رجاء أن أكون من اهلها قال فانك من أهلها قال فاخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال ان أنا حييت حتى آكل تمراتي انها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل * أبو سفيان بن الحرث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن ابن اسحق قال لما حضر أبا سفيان الوفاة قال لاهله لاتبكوا على فاني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت ورواه محمود بن محمد بن الفضل عن أحمد بن ربيع حدثنا أبو نعيم هو الفضل بن دكين وفيه فما قارفت خطيئة منذ أسلمت * خبيب بن عدى رضى الله عنه قال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم أخبرنا ابن شهاب قال أخبرني ابن أسيد بن جارية عن أبي هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا فاسر منهم خبيب فلما خرجوا به ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين فركع ركعتين قال والله لولا ان تحسبوا ان مابي جزع لزدت وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قتلوه وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا الحسن بن علي الطوسي حدثنا محمد بن عبد الكريم حدثنا الهيثم بن عدى حدثنا ثور بن يزيد حدثنا خالد بن معدان قال قال سعيد بن عامر بن جذيم سمعت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال ما أحب اني في أهلي وولدى وان محمدا يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد * زيد بن الدثنة رضى الله عنه أسر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا أنشدك الله أتحب أنك الآن في أهلك وان محمدا مكانك قال والله ما أحب ان محمدا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي * ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه قال ابن سعد أخبرنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس ان ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما وقد انهزم القوم فقال اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر اليك مما صنع هؤلاء ثم قال بئس ماعودتم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل * عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان أعرج فلم يشهد بدرا فلما حضرت أحد أراد الخروج فمنعه بنوه وقالوا قد عذرك الله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

ان بنى يريدون ان يحبسونى عن الخروج والله انى لارجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة فقال أما أنت فقد عذرك الله وقال لبنيه لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فتركوه قالت امرأته كانى أنظر اليه موليا قد أخذ درقته وهو يقول اللهم لا تردنى الى حزبى وهى منازل بنى سلمة فقتل هو وابنه خلاد * عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز عن الصنابحى قال دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله لئن استشهدت لاشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله ما حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا سوف احدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار انفرد باخراجه مسلم * أبو الدرداء رضى الله عنه قال أحمد حدثنا زيد بن يحيى الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثنا اسمعيل ابن عبيد الله ان أبا مسلم الخولانى قال جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ورواه أحمد أيضا عن الوليد بن جابر عن اسمعيل بن عبد الله عن أم الدرداء ان أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول فساقه نحوه وزاد ثم يقول ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة * خالد بن الوليد رضى الله عنه قال ابن سعد حدثنا الواقدى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه ان خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة قال لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا اموت على فراشى حتف انفى فلا نامت عين الجبناء * حرام بن ملحان رضى الله عنه قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا اسحق عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حراما خاله أخا أم سليم يوم بئر معونة قال لهم حرام تؤمنونى أبلغكم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم قالوا نعم فجلس يحدثهم وأومؤا الى رجل منهم من خلفه فطعنه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة * أبو بكرة الثقفى رضى الله عنه قال ابن أبى الدنيا حدثنا أبى أخبرنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنى عتبة بن عبد الرحمن قال لما ثقل أبو بكرة بكت ابنته فقال لا تبكى قالت يا أبتاه ان لم أبك عليك فعلى من أبكى قال لا تبكى فوالذى نفسى بيده ما فى الارض نفس أحب الى أن يكون خرجت من نفسى هذه ولا نفس هذا الذباب ثم أقبل على حمران فقال ألا أخبرك لماذا خشيت والله ان يجىء أمر يحول بينى وبين الاسلام * عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال أبو عبد الله المرزبانى حدثنا أحمد بن محمد الجوهرى حدثنا الغزى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الدارع حدثنا الوليد ابن هشام القحذمى أخبرنى عبد الله بن المغيرة عن المطيعى عن أبيه عن عروة قال أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت قد لحق فلان بالحجاج ولحق فلان بالحجاج فقال

فرت سلامان وفرت النمر * وقد نلاقى معهم فلا نفر

فقلت له قد أخذت دار فلان ودار فلان * فقال

اصبر عصام انه شرباق * قد شق أصحابك ضرب الاعناق

* وقامت الحرب بنا على ساق *

فعرفت انه لا يسلم نفسه فغاظنى فقلت انهم والله ان يأخذوك يقطعوك اربا اربا فقال

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى جنب كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

فعرفت انه لا يمكن من نفسه * عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه لما أسروه وأرادوا قتله بكى وقال انما أبكى اذ ليس لى الا نفس واحدة يفعل بها هذا فى الله عز وجل كنت أحب ان تكون لى انفس بعدد كل شعرة فى هذا * انس بن مالك رضى الله عنه قال ابن ابى الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنا فهد بن حيان حدثنا حفص بن عبد الملك قال سمعت أنس بن سيرين يقول شهدت أنس بن مالك وحضره الممات فجعل يقول لقنونى لا اله الا الله فلم

يزل يقولها حتى قبض * طلحة رضى الله عنه قال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جبلة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد قال المارى طلحة جعل يقول دم شيخ ذهب ضياعا اللهم خذ لعثمان حتى يرضى ثم قال ندمت ندامة الكسعى لما * شريت رضا بنى حزم برغمى * الزبير رضى الله عنه قال أبو الحسن المدائنى عن سعيد بن بشير قال قال الزبير بن العوام لما طعنه عمرو بن جرموز ماله قاتله الله يذكر بالله و ينساه ثم أنشد

اري الموت اعداد النفوس ولا ارى * بعيدا غدا ما اقرب اليوم من غد

المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال المدائنى عن يعقوب بن عوف عن عبد الملك بن نوفل بن المغيرة قال لما احتضر المغيرة ابن شعبة قال اللهم هذه يدى بايعت بها رسولك وجاهدت بها فى سبيلك فاغفر لى ما يعلمون من ذنوبى وما لا يعلمون عائشة رضى الله عنها قال محمود بن محمد حدثنا الميمون حدثنا سريج بن يونس حدثنا اسمعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى قال حضرت عائشة رضى الله عنها فقالت انى قد أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثا ولا أدرى ما حالى عنده فلا تدفنونى معه فانى أكره أن أجاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أدرى ما حالى عنده ثم دعت بخرقة من قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ضعوا هذه على صدرى وادفنوها معى لعلى أنجو بها من عذاب القبر * عمرو بن العاص رضى الله عنه قال المدائنى عن الاسود بن شيبان عن أبى نوفل بن عقرب قال لما احتضر عمرو بن العاص وضع يده موضع الغل فى عنقه وقال اللهم انك أمرتنا فتركنا ونهيتنا فارتكبنا ولا يسعنا الا مغفرتك الواسعة فكانت هجيراه حتى مات وقال محمود بن محمد بن الفضل حدثنا أبو صالح المعافى بن مدرك حدثنا ضمرة عن السرى عن الحسن قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لمواليه البسوا السلاحكم فلبسوه ثم جاؤه فقال أتستطيعون ان تدفعوا عنى قالوا لا قال الحسن وقد علم ولكنه أراد أن يوبخ نفسه فقال اللهم انك أمرتنا بأشياء فتركناها ونهيتنا عن أشياء فارتكبناها ثم جمع يديه الى عنقه وقال ألا انى أشهد أن لا اله الا الله فلم يزل يرددها حتى مات قال الحسن كيف اذا جاء بلا اله الا الله وقد قتل أهل لا اله الا الله قال وحدثنا محمد بن جبلة حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة عن عبد الله بن عمرو أنه قال لعمرو بن العاص أبيه عند الموت وقد جزع لا تجزع أبا عبد الله فقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهدت فى سبيل الله فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة ان لا اله الا الله قال وحدثنا عبيد الله بن محمد حدثنى أبو يحيى محمد بن عبد الحميد الميمونى حدثنا هشام بن الكلبى عن صالح بن كيسان قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال والله لوددت انى كنت عبدا حبشيا أرعى عنزا خصيبات اللهم انى لست ببرىء فاعتذر ولا اقوى فانتصر ولا حول لى ولا قوة الا بك وأنا معتصم بلا اله الا الله وقبض على يديه وشدهما حتى خرجت نفسه * سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال محمود حدثنا محمد بن جبلة حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى قال لما حضرت سعد بن ابى وقاص الوفاة قال ائتونى بجبتى فاتى بجبة من صوف خلقة فقال كفنونى فيها فانى لقيت بها المشركين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * معاذ بن جبل رضى الله عنه قال محمود حدثنا هلال بن العلاء حدثنى عمرو بن عثمان حدثنا سفيان سمعت عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما احتضر معاذ قال لاحدثنكم حديثا ما كتمتكموه الا لكيلا تتكلوا فاما الآن فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه دخل الجنة * عبد الله بن عامر بن كريز العبشمى له رواية قال محمود حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا مصعب الزبيرى قال لما احتضر عبد الله بن عامر بن كريز وهو بماله بعرفة خرج اليه ابن الزبير وابن عباس وكانا صديقيه فقال وهو يجود بنفسه ان أخوى صائمان فلا تغفلوا افطارهما فقال ابن الزبير لو ألهاك عن الجد شئ لالهاك عنه الموت ولقد مات وان طعامه بين يدى اضيافه ما شغله عنهم ما به وأوصى ان يدفن بماله بعرفة لئلا يبيعه ولده فيعير وا ببيعهم قبر أبيهم * عنبسة بن ابى سفيان رضى الله عنه يقال له رؤية وقال ابو نعيم اتفق الائمة على انه تابعى روى له مسلم والاربعة قال محمود حدثنى هلال بن العلاء حدثنى ابو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن سالم بن سعد عن عمرو بن اوس قال دخلت على عنبسة بن أبى

سفيان وهو فى النزع فجعل يقول ما أحب انك وذاك ثم قال لاحدثنك حديثا حدثتنيه اختى ام حبيبة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى لله اثنتى عشرة ركعة صلاة نهار كل يوم بنى الله له بيتا فى الجنة * الوليد
ابن عقبة بن أبي معيط اخو عثمان لامه رضى الله عنه قال محمود حدثنا حبيش بن موسى أخبرنا هشام بن الكلبي
عن عوانة قال لما احتضر الوليد بن عقبة قال اللهم ان كان أهل الكوفة صدقوا على فلا تلق روحى روحا ولا ريحانا
وان كانوا كذبوا على فاجعل ذلك كفارة لذنوبى * سعيد بن العاص رضى الله عنه قال محمود حدثنا أبو جعفر محمد
ابن على النحوى حدثنى عمر بن خالد العثمانى عن شيبة بن الوليد عن عمه قال لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة
قال لبنيه أيكم يكفل لى بثلاث قال قال له عمرو الاشدق أنا قال دينى اقضه وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدنته
الافى كريم سددت خلته أو لئيم وقيت عرضى منه قال على دينك يا أبت قال بقيت اثنتان قال وما هما قال بناتى
لا تزوجهن الا الاكفاء ولو بفلق خبز الشعير قال افعل قال بقيت واحدة أشدهن على ان فقد اخوانى وجهى
فلا يفقدون معروفى يا بنى ثلاثة ضقت بهم كافأتهم ذرعا رجل اغبر وجهه فى التردد للتسليم على ورجل ضاق بى مجلس
فتزحزح لى ورجل نزل به مهم من الامور فبات متململا على فراشه يقلب أمره ظهر البطن فلما اصبح رآنى موضعا
لحاجته فلن أكافئه ولو خرجت من جميع ما أملك * شرحبيل بن السمط رضى الله عنه قال محمود حدثنا النفيلى
حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما احتضر شرحبيل بن السمط قال لبنيه قوموا فالعبوا فان الله يؤثر
قضاءه على يتمكم * أبو رفاعة العدوى رضى الله عنه قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا سعيد بن عامر عن
جويرية بن أسماء قال كان أبو رفاعة العدوى رضى الله عنه من الصحابة فكان كلما صلى قال اللهم ارزقنى
شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها وتختلنى بها عن نفسى ختلا فغزا سجستان مع عبد الله بن سمرة فطرقه
العدو وهو نائم فى المسجد فذبحوه قلت وقبره بيبهق كما قاله مسلم وغيره ثم شرع المصنف فى ذكر أقاويل التابعين
من بعدهم من الصلحاء عند الموت فقال (وقيل فتح عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى (عينه عند الوفاة وضحك
وقال لمثل هذا فليعمل العاملون) رواه القشيرى فى الرسالة (ولما حضر ابراهيم) بن يزيد (النخعى) رحمه الله
تعالى (الوفاة بكى قيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار) رواه محمود بن محمد فى كتاب
المتفجعين قال حدثنا حبيش أخبرنا المدائنى عن قيس بن الربيع قال بلغنى ان ابراهيم النخعى حين احتضر بكى
فقيل له ما هذا الجزع فقال انما انتظر مبشرا يبشرنى بالجنة أو بالنار وددت انها تلجلج فى صدرى الى يوم القيامة
(ولما حضر ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمى المدنى روى له الجماعة (الوفاة فبكى فقيل له
ما يبكيك فقال والله ما أبكى لذنب أعلم انى أتيته ولكنى أخاف انى أتيت شيأ حسبته هينا وهو عند الله عظيم)
رواه ابن أبي الدنيا هكذا وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر حدثنا جعفر بن محمد الفريابى
حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار حدثنا عفيف بن سالم عن عكرمة عن محمد بن المنكدر انه جزع عند الموت فقيل له لم
تجزع قال أخشى آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فأنا أخشى أن يبدو لى من
الله ما لم أحتسب (ولما حضر عامر بن عبد قيس) العنبرى البصرى الزاهد (الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما أبكى
جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء) رواه أبو
نعيم فى الحلية فقال حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا خالد بن يزيد العمرى حدثنا
عبد العزيز بن أبي رواد عن علقمة بن مرثد قال مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقيل له ما يبكيك وقد كنت وقد
كنت وقد كنت فيقول مالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى والله ما أبكى حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن
لبعد سفرى وقلة زادى وانى أمسيت فى صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدرى الى أيهما أصير قال وحدثنا أبى حدثنا
ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنى أبو حميد أحمد بن محمد الحمصى حدثنا يحيى بن سعيد بن عطاء عن علقمة بن مرثد
قال كان عامر بن عبد قيس يقول ما أبكى على دنيا كم رغبة فيها ولكن أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء
(ولما حضرت فضيلا) بن عياض رحمه الله تعالى (الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه وقلة زاداه)

وقيل فتح عبد الله بن
المبارك عينه عند الوفاة
وضحك وقال لمثل هذا
فليعمل العاملون ولما
حضر ابراهيم النخعى
الوفاة بكى فقيل له
ما يبكيك قال انتظر من
الله رسولا يبشرنى
بالجنة أو بالنار ولما
حضر ابن المنكدر
الوفاة بكى فقيل له
ما يبكيك فقال والله ما
أبكى لذنب اعلم انى
أتيته ولكن أخاف انى
أتيت شيأ حسبته هينا
وهو عند الله عظيم ولما
حضر عامر بن عبد القيس
الوفاة بكى فقيل له ما
يبكيك قال قال ما أبكى
جزعا من الموت ولا حرصا
على الدنيا ولكن أبكى
على ما يفوتنى من ظمأ
الهواجر وعلى قيام الليل
فى الشتاء ولما حضرت
فضيلا الوفاة غشى عليه
ثم فتح عينيه وقال وابعد
سفراه وأقلة زاداه

رواه

رواه ابن أبي الدنيا (ولما حضرت ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيرا غريبا) أي في هيت وكان خرج غازيا (قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان) قال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر بن يوسف حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا أبو اسامة الكلبي حدثنا الحسن بن الربيع قال سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصر يقول له يا أبا عبد الرحمن قل لا اله الا الله فقال له يا نصر قد ترى شدة الكلام علي فاذا سمعتني قد قلتها لا تردها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاما فانما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك (وقال) أبو محمد (عطاء بن يسار) الهلالي المدني مولى ميمونة روى له الجماعة (تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما أمنتك بعد) وقد جرى نحو ذلك للامام أحمد كما سيأتي عند ذكره (وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن) البصري رحمه الله تعالى (على رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا أوله لجدير ان يتقى آخره وان أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله) رواه أبو نعيم في الحلية وروى نحو ذلك عن الاحنف بن قيس قال اذا مرت به جنازة رحم الله عبدا أجهد نفسه لمثل هذا رواه محمود بن محمد وهذه أقاويل جماعة من التابعين على شرط المصنف * علقمة بن قيس رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن علي الجارود حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن الاشعث عن الحكم عن ابراهيم عن علقمة انه قال لا تنعوني كنعي الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدا واغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وان استطعتم أن يكون آخر كلامي لا اله الا الله * عمرو بن عتبة ابن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبة جديدة بيضاء فقال ما أحسن الدم يتحادر على هذه فخرج فتعرض للقصر فاصابه حجر فشجه فتحادر عليها الدم ثم مات منها ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده ويقول انها صغيرة وان الله عز وجل ليبارك في الصغير * الحسن البصري رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا بقية عن أبان ابن محر عن الحسن انه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا زودنا منك كلمات ينفعنا الله عز وجل بهن قال اني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا ودعوني وما توجهت له ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به واعلموا ان خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون وقال الحسن بن دينار كان الحسن يغمى عليه ثم يفيق فيقول صبرا واحتسابا وتسليما لامر الله حتى قضى رحمه الله وقال محمود بن محمد حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا أبو عامر عن صالح بن رستم قال لما احتضر الحسن جعل يقول نازلة صبر واستسلام اللهم بخير والى خير * محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثنا هارون بن أبي يحيى انه حدث عن الحسن بن دينار ان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى كان يقول وهو في الموت في سبيل الله نفسي أعز الانفس علي * الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن سرية للربيع قالت لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى اليوم لقي أبي الخير رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه * مطرف ابن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثنا خالد بن يزيد حدثنا روح ابن المسيب عن عبد الله بن سلم العبدي قال قال مطرف لما حضره الموت اللهم خر لي فيما قضيته علي من أمر الدنيا والآخرة وأمرهم أن يحملوه الى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت * سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال ابن الجوزي في كتاب الثبات أخبرنا أحمد بن اسمعيل أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي حدثنا هارون بن عيسى حدثنا أبو

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما آمنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا أوله لجدير ان يتقى آخره وان أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله

عبد الرحمن القرنى حدثنا حرملة بن عمران حدثنا ابن ذكوان ان الحجاج بعث الى سعيد بن جبير فاصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره و يقوم ليله فقال له الرسول والله انى أذهب بك الى من يقتلك فاذهب أى الطريق شئت فقال له سعيد انه سيبلغ الحجاج انك أخذتنى فان خليت عنى خفت أن يقتلك ولكن اذهب بى اليه فذهب به فلما دخل قال له الحجاج ما اسمك قال سعيد بن جبير فقال بل شقى بن كسير فقال أمى سمتنى فقال شقيت قال الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج أما والله لابدلنك من دنياك نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك اليك ما اتخذت الها غيرك فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى ان قال ما تقول فى قال أنت بنفسك أعلم قال بث فى علمك قال اذا أسوءك ولا أسرك قال بث قال نعم ظهر منك جور فى حد الله وجراءة فى معاصيه بقتلك أولياء الله قال والله لاقطعنك قطعا قال اذا تفسد على دنياى وأفسد عليك آخرتك والقصاص امامك قال الويل لك قال الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار قال اذهبوا به فاضربوا عنقه قال سعيد فانى أشهدك انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما ذهبوا به ليقتل تبسم فقال الحجاج مم ضحكت قال من جراءتك على الله عز وجل فقال اضجعوه للذبح فاضجع فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض قال اقلبوا ظهره الى القبلة فقرأ سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه على وجهه فقرأ سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فذبح فبلغ ذلك الحسن فقال اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقى الا ثلاثا حتى وقع الدود فى جوفه فهلك * خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنى سعيد بن خيثم عن محمد ابن خالد الضبى قال لم نكن ندرى كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض فثقل فجاءته امرأته فجلست تبكى فقال ما يبكيك الموت لابد منه فقالت الرجال بعدك على حرام فقال ما كل هذا أردت منك انما كنت أخاف رجلا واحدا وهو أخى محمد وهو رجل فاسق يتناول الشراب فكرهت أن يشرب الشراب فى بيتى بعد ان كان القرآن يتلى فيه كل ثلاث * طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه قال دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده فقال له أبو كعب شفاك الله قال استخير الله قال الاشج وحدثنا أبو ادريس عن ليث قال حدثت طلحة بن مصرف فى مرضه الذى مات فيه ان طاوسا كان يكره الانين فما سمع طلحة يئن حتى مات * زبيد اليامى رحمه الله تعالى قال عبد الله بن أحمد حدثنى أبو سعيد الاشج حدثنى المحاربى عن سفيان قال دخلنا على زبيد اليامى نعوده فقلنا شفاك الله فقال استخير الله * أبو الجلد رحمه الله تعالى قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المرى سمعت أبا عمران الجونى قال أوصانى أبو الجلد بان ألقنه لا اله الا الله فكنت عند رأسه وقد أخذه كرب الموت فجعلت أقول له يا أبا الجلد قل لا اله الا الله قال لا اله الا الله بها أرجو نجاة نفسى لا اله الا الله ثم قبض * مكحول الشامى رحمه الله تعالى قال القشيرى فى الرسالة كان الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك فقيل له فى ذلك فقال ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وأؤمله * محمد بن واسع رحمه الله تعالى قال العتبى حدثنى محمد بن عبد الله مولى الثقفى قال دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضى فقال يا اخوتاه هبونى واياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم * ثابت البنانى رحمه الله تعالى قال أحمد حدثنا على بن مسلم حدثنا جعفر حدثنا محمد بن ثابت البنانى قال ذهبت ألقن أبى وهو فى الموت فقلت يا أبت قل لا اله الا الله فقال يا بنى خل عنى فانى فى وردى السادس أو السابع * مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال ابن أبى الدنيا حدثنى أحمد بن عبد الله المكى حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال لولا انى أكره ان أصنع مالم يصنعه أحد قبلى لاوصيت أهلى اذا أنا مت تقيدونى وتجمعوا يدى الى عنقى فتنطلقوا بى على تلك الحال حتى ادفن كما يصنع بالعبد الآبق زاد فى رواية فاذا سألنى ربى قلت أى رب لم أرض لك نفسى طرفة عين قط قال وحدثنى أسيد بن عاصم حدثنا ابن خالد حدثنا حزم قال دخلنا على مالك بن دينار وهو فى مرضه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه الى السماء ثم قال اللهم انك تعلم انى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لبطن ولا لفرج

*أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى قال محمود بن محمد حدثنا علي بن عثمان النفيلي عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال حضرت أبا مسلم الخولاني الوفاة وهو بارض الروم فعاده أمير الجيش فقال له يا أبا مسلم هل لك من حاجة أتوصيني بوصية قال نعم تدعو بقناة وخرقة وتعقد لي لواء على كل من مات بارض الروم ففعل الامير ذلك قال فظننا انه أحب ان يبعث عليهم يوم القيامة *سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد ابن جبلة حدثنا محمد بن اسحق سمعت سوار بن عبد الله يقول سمعت المعتمر يقول قال أبي حين حضره الموت يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وانا حسن الظن به وهذا قد تقدم للمصنف قريبا * حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى قال ابن أخي سمي في جزئه حدثنا جعفر الخواص حدثنا ابن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا حاتم بن سليمان حدثنا عاصم بن فرقد قال دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت فقال له بعض اخوانه أتجد كربا شديدا فبكى ثم قال ان ذاك ثم قال ينبغي للمؤمن أن يسئل عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله عز وجل * أبو بكر عبد الله بن أبي مريم رحمه الله تعالى قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد ابن ابراهيم حدثنا عبد الصمد بن سعيد قال سمعت أبا أيوب يقول سمعت يزيد بن عبد ربه يقول عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له رحمك الله لو جرعت جرعة ماء فقال بيده لا ثم جاء الليل فقال اذا فقلت نعم فقطرنا في فيه قطرة ماء ثم مات * سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال محمود حدثنا عبد الملك الميموني عن عمرو بن ميمون قال احتضر سعيد بن المسيب وكان له ثمانون دينارا فجعلها في يده وجعل يقول اللهم انما كنت أصون بها ديني وعرضي *عبد الله بن ادريس الاودي الكوفي رحمه الله تعالى قال الخطيب في التاريخ حدثني محمد بن علي الصوري حدثنا عبد الرحمن بن عمر المصري حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا الفضل بن يوسف الجعفي سمعت حسين بن عمرو العنقزي قال لما نزل بابن ادريس الموت بكت ابنته فقال لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة * عبد الله بن عبد العزيز العمري المدني رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا حدثني ابن زيد النميري حدثنا أبو يحيى الزهري قال قال عبد الله بن عبد العزيز العمري بنعمة ربي أحدث اني لم أصبح الا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي وبنعمة ربي احدث لوان الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها الا ان ازيل قدمي عنها ما أزلتها * علي بن صالح بن حي رحمه الله تعالى قال أبو علي بن شاذان أخبرنا أحمد بن كامل حدثنا عيسى بن اسحق الانصاري حدثنا أحمد بن عمران البغدادي حدثنا يحيى بن آدم قال قال الحسن بن حي قال لي أخي علي في الليلة التي توفي فيها اسقني ماء وكنت قائما اصلي فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت يا أخي هذا ماء قال قد شربت الساعة قلت ومن سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك قال أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحه ورواه كذلك أبو محمد الخلال في كرامات الاولياء وابن منده في كتاب الاحوال وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا علي ابن عثمان النفيلي حدثنا عبد الله بن موسى قال مات علي بن صالح بن حي وانا غائب فلما قدمت أتيت الحسن بن صالح أخاه اعزيه وأنا أبكي فقال لي لا تبك حتى أحدثك انه لما احتضر واشتد عليه استسقى فجئته بقدح من ماء فقلت له ألا تشرب قال لا قد سقيت قلت ومن سقاك قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الملائكة صفوف فاردت ان استثبت عقله فقلت وكيف صفوف الملائكة فقال هكذا بعضها فوق بعض ورفع يديه فجعل اليمنى فوق اليسرى * أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى قال الخطيب أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد بن نصر أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال سمعت الحماني يقول لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت اخته فقال لها ما يبكيك انظري الى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة

(فصل) في ذكر أقوال جماعة من المحتضرين على غير ترتيب في طبقاتهم أبو عطية بن قيس المذبوح رحمه الله تعالى قال ابن المبارك في الزهد أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم حدثني حماد بن سعيد عن أبي عطية المذبوح قال لما حضر أبا عطية الموت جزع وقال انما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي * عبيد الله بن الحسن رحمه الله تعالى

قال محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين حدثنى عبيد الله بن محمد حدثنا خالد بن خداش عن معاذ قال دخلت على عبيد الله بن الحسن أعوده فقلت أراك بحمد الله صالحا فقال

لا يغرنك عيش ساكن * قد توافى بالمنيات السحر

فلما كان السحر سمعت الواعية عليه رجل من بنى يربوع قال محمود حدثنى عبيد الله بن محمد حدثنى أبو عدنان الهيثم بن الجون أخبرنا الهيثم بن عدى أخبرنا ابن شبرمة قال احتضر رجل من بنى يربوع وكان له بنى يحبه فنظر اليه وهو يجود بنفسه فبكى ثم قال

ألا ليت شعرى عن بنى بعدما * عهدلى فى قبلة القبر مضجع * وعن وصل أقوام أتى الموت دونهم

أيرعون ذاك الامر أم سيضيع * وما يحفظ الابناء الاموفق * من القوم مرضى الامانة مقنع

قال ابن شبرمة فرأيت والله ابنه ضائعا ما يلتفت اليه أحد من اخوانه *رجل من بنى ضبة وبالسند المتقدم الى أبى عدنان قال أخبرنا الهيثم بن عدى عن ابن عياش عن شيخ من ضبة قال حضرت منا رجلا يجود بنفسه وابن له يسمى معمرا يدب بين يديه فنظر اليه مليا وتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول لامرأته

وانى لاخشى ان أموت فتنكحى * ويقذف فى أيدى المراضع معمر

فحالت ستور دونه وولــيدة * ويشغلها عنه خلوق ومجمر

قالت كلا قال فوالله ما لبثت ان انقضت عدتها أن تزوجت شابا من الحى فرأيت معمرا على ما وصف *رجل من الصدر الاول قال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين حدثنا داود المحبر حدثنا الحسن بن دينار قال سمعت الحسن يقول احتضر رجل من الصدر الاول فقال لابنه اقعد عند رأسى فاقنى لا اله الا الله فنعم الزاد هى للآخرة *زياد بن أبيه رحمه الله تعالى قال المدائنى عن حباب بن موسى عن قيس الارقط قال طعن زياد فى أصبعه فاقام خمس عشرة ليلة اذا جهده ذلك الموضع وضع أصبعه فى خل حامض فيجد لذلك راحة وجاءه الهيثم بن الاسود بعهده على الحجاز فاعلم بذلك فقال وما أصنع به ليت لى بما جاء به الهيثم شربة من ماء أسيغها وقال له شريح لو قطعت أصبعك فقال اذا أقطع قلبى انما أجد الوجع فى قلبى فقال لهم شريح ما نكفنه به فقال زياد خففوا عليكم فقد تقارب منى سلب عاجل أو كسوة فاخر ومات *أبو شعيب صالح بن زياد رحمه الله تعالى قال محمود حدثنى أبو محمد عمرو بن عبيد بن عمر الهوزنى قال دخلت على أبى شعيب صالح بن زياد اعوده فوجدته فى النزع فقال ألا ابشرك رأيت ههنا شخصا فانكرته فقلت من أنت قال أنا ملك الموت فقلت ارفق بى فقال بهذا أمرت *مالك بن أنس الامام رحمه الله تعالى قال الحرث بن أبى اسامة حدثنا محمد بن سعد أخبرنا ابن أبى ادريس قال اشتكى مالك أياما يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت فقال تشهد ثم قال لله الامر من قبل ومن بعد *أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال ابن شاذان حدثنا محمد بن عبد الله بن عمرويه قال سمعت عبد الله بن أحمد يقول لما حضرت أبى الوفاة جلست عنده وبيدى الخرقة لاشد بها لحييه فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا بعد لا بعد ففعل هذا مرة وثانية فلما كان فى الثالثة قلت يا أبت أى شئ هذا قد لهجت به فى هذا الوقت تغرق حتى نقول قد قضيت ثم تعود فتقول لا بعد لا بعد فقال لى يا بنى ما تدرى قلت لا قال ابليس لعنه الله قائم حذائى عاض على أنامله يقول لى يا أحمد قد فتنى فاقول له لا بعد حتى أموت *آدم بن أبى اياس العسقلانى رحمه الله قال الخطيب فى التاريخ أخبرنا أحمد بن عبد الواحد حدثنا اسمعيل بن سعيد المعدل حدثنا أبو على الكوكبى حدثنا أبو على المقدسى قال لما حضرت آدم بن أبى اياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجى ثم قال بحبى لك الا رفقت بى فى هذا المصرع كنت أؤملك لهذا اليوم كنت أرجوك ثم قال لا اله الا الله ثم قضى *عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك *قال محمود حدثنا محمد ابن جبلة حدثنا سعيد بن عفير قال كان عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر مقيما بحلوان وخليفته على مصر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فكان ابن خديج يرسل اليه كل يوم باخبار مصر وما يحدث فيها وموت من يموت فيها وأمره أن يختار الرسول حسن الوجه والاسم فاغفل يوما فارسل رجلا فقال له عبد العزيز ما اسمك قال أبو طالب

قال

قال اسألك عن اسمك قال مدرك قال فتغير وجه عبد العزيز وتطير ومرض فلما احتضر قال أروني اكفاني فجاؤه بها فنظر اليها ثم حول وجهه وقال اف لك من دنيا ما أشد غرورك وأقل كثيرك وأقصر طويلك ومات فاخرج بجنازته وحولها مجامر العود ولبس نساء اخوانه السواد وخرجن صارخات عليه وذلك لحسن آثاره عندهم * محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قال أبو الحسن المدائني عن عمر بن مساور الاهوازي أخبرني جماعة من موالي محمد بن سليمان بن علي وخاصته انه لما حضره الموت جعلوا يلقنونه الشهادة وهو يقول ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن * لقيت بنفخ لاحسينا ولاحسن * ذو الرمة الشاعر قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم عن أبي اليقظان جويرية بن أسماء قال مات ذو الرمة بالبادية فقال وهو يكيد بنفسه

يارب قد أسرفت نفسي وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثاري
يارب فاغفر ذنوبا قد أحطت بها * يوم الحساب وزحزحني عن النار

قال وحدثنا أحمد بن الاسود حدثنا الجمحي أخبرنا الزنادي قال لما احتضر ذو الرمة قيل له كيف تجدك قال أجدني أجد ما لا أجد أيام الكذب فازعم اني أجد فاقول

كاني غداة البين يا أم مالك * أجود بنفس قد تدانى حمامها

* جرير الشاعر قال الاصمعي حدثنا عباد بن كسيب العنبري قال احتضر جرير ببادية المردة فدخل عليه اخوانه يعودونه فقال

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبي * وان مرضت فهم أهلي وعوادي
لو ان ليثا أبا شبلين أوعدني * لم يسلموني لليث الغابة العادي
ان يجر طير بامر فيه صالحة * أو بالفوات فقد أحسنتم زادي

* ابو الدقيش * قال محمود حدثني أحمد بن الاسود حدثني الجمحي قال قيل لابي الدقيش وقد احتضر ما تشتهي فقال اشتهي ما لا أجد وأجد ما لا اشتهي * بكر بن المعتمر رحمه الله تعالى قال محمود حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا العتبي قال لما حضرت بكر بن المعتمر الوفاة رأوه مسرورا فقيل له في ذلك فقال ما أخرج الى سلطان غير سلطان ربي عز وجل * هدبة بن الخشرم الشاعر قال محمود حدثني محمد بن موسى حدثني ابن السكيت حدثني ابن الاعرابي قال لما قدم هدبة بن الخشرم ليقتل قال له ابن حسان بن ثابت أنشدني أبياتا قال على هذه الحال قال نعم فانشده

ألا علاني قبل نوح النوائح * وقبل فراق الروح بين الجوانح * وقبل غد يا لهف نفسي على غد
اذا راح أصحابي ولست برائح * اذا راح أصحابي تفيض دموعهم * وغودرت في لحد على صفائح
يقولون هل أصلحتم لاخيكم * وما اللحد في الارض الفضاء بصالح

* مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال محمود حدثني ابن الهيثم حدثني العتبي عن أبيه قال لما احتضر مسلمة بن عبد الملك جعل يبكي فقيل له ما هذا الجزع فقال والله ما أجزع من الموت واني لواثق ولكن بعد ثلاثين غزاة أموت على الفراش كما تموت النساء * عبد الله بن الفضل بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب رحمه الله تعالى قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن محرز بن جعفر قال دخلت على عبد الله بن الفضل بن ربيعة وهو يكيد بنفسه وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال أبكي لشيئات وراء هذا الستر لولاهن لهان علي الموت اني لمؤمن بالله تائب الى الله وان الله لغفور رحيم قلت والذي ترجوه لمغفرة ذنبك فارجه لجبر بناتك فقال صدقت جزاك الله خيرا * اياس بن قتادة العبشمي رحمه الله تعالى قال أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن فائد عن أشياخ من بني تميم ان اياس ابن قتادة العبشمي نظر يوما في المرآة فرأى بياض الشعر في رأسه ولحيته فقال ما بعد هذا الا التشاغل بامور الآخرة هذا وداع من الدنيا فاقبل على الاجتهاد والعبادة فخرج يوم جمعة من المسجد فنظر الى السماء فقال مرحبا بك قد كنت انتظر مجيئك ثم التفت الى من حوله فقال اذا أنا مت فاحملوني الى ملحوب فادفنوني بها ثم سقط ميتا فحمل الى ملحوب فقبره بها * زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى * قال المدائني لما رمي زيد بن علي قال لابنه عيسى بن زيد

ابني اما أهلكن فلا تكن * دنس الفعال مبيض الاثواب

واحذر مصاحبة اللئام فانما * يردي الكرام فسولة الاصحاب

* ارطاة بن سهية الشاعر * قال محمود حدثني أبو محمد اليقطيني حدثني أبو السكن الطائي حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن مهنب قال لما احتضر ارطاة بن سهية جعل يردد هذه الابيات

يقول الفتى ثمرت مالي وانما * لوارثه قد يثمر المال كاسبه * يحاسب فيه نفسه في حياته

ويتركه نهبا لمن لا يحاسبه * فكلوا طعمه وخالسه وارثا * شحيحا ودهرا تعتريه نوائبه

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

* ابراهيم بن هانئ صاحب أحمد بن حنبل رحمه الله * قال الدارقطني سمعت أبا بكر النيسابوري يقول حضرت ابراهيم بن هانئ يوم وفاته فدعا ابنه اسحق فقال هل غربت الشمس قال لا ثم قال يا أبت رخص لك في الافطار في الفرض وأنت متطوع قال امهل ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت نفسه * وكيع بن أبي سود قال محمود حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا ابن أبي شيخ قال لما احتضر وكيع بن أبي سود قال لولده لو قدمت لقد جاءكم قوم قد حفوا شواربهم وحكوا جباههم وشمروا ازرهم فبكوا على وقالوا اقضوا ما على أبيكم من الدين فلا تطيعوهم فان على أبيكم من الذنوب ما ان غفرها الله له كان الدين من أيسرها وان لم يغفرها لم تخدعوا عن أموالكم * أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء رحمه الله تعالى * قال ابن الجوزي لما احتضر عزل أكفان نفسه وأوصى أن لا يكفن بغيرها ولا يخرق عليه ثوب ولا يقعد لعزاء * أبو حكيم الحيري رحمه الله تعالى * قال ابن الجوزي حدثني أبو الفضل بن ناصر عن جده أبي حكيم الحيري انه كان قاعدا ينسخ فوضع القلم من يده وقال ان كان هذا موتا فوالله انه موت طيب فمات * أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى * قال ابن الجوزي حدثت عنه انه لما احتضر بكى أهله فقال لهم لي خمسون سنة أدفع عنه فدعوني أتهنا بلقائه * الامام أبو حامد الغزالي مصنف الكتاب رحمه الله * قال ابن الجوزي قال أخوه أحمد لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى وقال على بالكفن فاخذه وقبله وتركه على عينيه وقال سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الاسفار * أبو بكر بن حبيب رحمه الله تعالى من مشايخ ابن الجوزي قال لما احتضر شيخنا أبو بكر ابن حبيب قال له أصحابه أوصنا قال أوصيكم بثلاث بتقوى الله عز وجل ومراقبته في الخلوة واحذروا مصرعي هذا فقد عشت احدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا ثم قال لبعض أصحابه انظر هل ترى جبيني يعرق فقال نعم فقال الحمد لله هذه علامة المؤمن ثم بسط يده عند الموت وقال

ها قد مددت يدي اليك فردها * بالفضل لا بشماتة الاعداء

* أبو الوقت عبد الاول بن عيسى راوي البخاري رحمه الله قال ابن الجوزي حدثني أبو عبد الله التكريتي قال لما احتضر عبد الاول أسندته الى فكان آخر كلمة قالها باليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين * أبو محمد بن الخشاب رحمه الله تعالى قال ابن الجوزي دخلت عليه في مرض موته وهو ساكن غير منزعج فقال لي عند الله أحتسب نفسي ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى في ذكر أقاويل المحتضرين من السادة الصوفية فقال (وقال الجريري) وهو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين نسب الى جده جرير مصغرا من أكابر أصحاب الجنيد وصحب سهلا التستري (كنت عند الجنيد) أبي القاسم (في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز) أي أول يوم من السنة العجمية وأصله أنوروز أي النهار الجديد (وهو يقرأ القرآن نختم فقلت له في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهوذا تطوى صحيفتي) نقله القشيري في الرسالة وقال أبو نعيم في الحلية سمعت عبد المنعم بن عثمان يقول سمعت أبا سعيد بن الاعرابي يقول سمعت أبا بكر العطار يقول حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لاصحابنا فكان قاعدا يصلي ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله وثقل عليه حركتهما فمد رجليه وقد تورمتا فرآه بعض أصدقائه فقال ما هذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري لو اضطجعت قال يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه الله أكبر فلم

وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة يوم النيروز وهو يقرأ القرآن نختم فقلت له في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهوذا تطوى صحيفتي

وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر
ادبرت كؤس للمنايا عليهم * فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذى الشكر همومهمو جوالة بمعسكر (٣٤١) * به أهل ود الله كالانجم الزهر

يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله تعالى (وقال) أبو محمد (رويم) بن أحمد البغدادى رحمه الله تعالى (حضرت وفاة أبي سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى (وهو يقول في) آخر نفسه (حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر أدبرت كؤس للمنايا عليهم * فاغفوا) أى اعرضوا (عن الدنيا كاغفاء ذى السكر * همومهم جوالة بمعسكر * به أهل ود الله كالانجم الزهر * فاجسامهم فى الارض قتلى بحبه *) وفى بعض النسخ تبلى بدل قتلى (وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى *) أى تقطعها بسرعة لى نحو العلى حتى لم يبق فى قلوبهم حجاب يحجبها عنه لاعراضهم عن الدنيا (فما عرسوا) أى ما نزلوا أى فى سفرهم (الا بقرب حبيبهم * وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر) أى أحوالهم فى الدنيا مع مولاهم هى التى حملتهم على حنين قلوبهم اليه وقت الارتحال ولم يجدوا المآ هم فيه من نزع الروح والاهوال ألما لاعراضهم عن الدنيا نقله القشيرى فى الرسالة (وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه) اشتياقا للقاء ربه نقله القشيرى فى الرسالة وفيه اشارة الى كمال حال الخراز فى دوام شغله بالله وأنسه به فى سائر أحواله (وقيل لذى النون) المصرى رحمه الله تعالى (عند موته ماذا تشتهى قال) اشتهى (أن أعرفه) فوق معرفتى له (قبل موتى بلحظة) رواه القشيرى فى الرسالة والمعنى ان ذا النون رأى نفسه مقصرا عن القيام بحق معرفته فعد معرفته كلا معرفة فطلب أن يستغرق فى جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك (وقيل لبعضهم وهو فى النزع قل الله) أى اذكره بلسانك (فقال الى متى تقولون لى قل الله (وأنا محترق بالله) فلست بغافل عنه فلا احتاج الى من يذكرنى به نقله القشيرى فى الرسالة وهذا يدل على كمال حضوره مع الله شديد المراقبة له (وقال بعضهم كنت عند) أبى على (ممشاد الدينورى) رحمه الله تعالى وجماعة (فقدم) عليهم (فقير) من الفقراء أرباب الاحوال (وقال السلام عليكم) فردوا عليه السلام فقال لهم (هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه فاشاروا اليه بمكان) عينوه له (وكان ثم عين ماء فجدد) ذلك (الفقير الوضوء) منها (وركع ماشاء الله ومضى الى ذلك المكان) الذى أشاروا اليه (ومد رجليه ومات) نقله القشيرى فى الرسالة وابن خميس فى مناقب الابرار وابن الملقن فى الطبقات وهذا من خرق العوائد وهو مستثنى من عموم خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله فيطلع الولى على ذلك وفائدة هذه الحكاية انه كان فى مجلس الدينورى من ينكر خرق العوائد فاتى الله به جهارا مرتبا على سؤال وجواب ليرجع اليه من ينكره وينتفع به ويتقوى به من ينظره (وكان أبو العباس) أحمد بن محمد (الدينورى) رحمه الله تعالى صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريرى وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة يعظ ويتكلم على لسان أهل المعرفة ثم ذهب الى سمرقند فمات بها بعد الاربعين وثلاثمائة (يتكلم) للرجال والنساء (فى مجلسه) بنيسابور (فصاحت امرأة) ممن حضرن مجلسه لسماع الوعظ (تواجدا) بما سمعته منه من الحكم ومقامات القرب الى الله تعالى فكره منها ذلك بحضرة الرجال (فقال لها موتى) ان كنت صادقة مغلوبة (فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه) ورجعت الى الله بالاضطرار أن لا يفضحها وأن يميتها التسلم من نسبتها الى التكلف لاحوال الفقراء فاجاب الله دعاءها (وقالت قدمت ووقعت ميتة) رحمها الله تعالى نقله القشيرى فى الرسالة قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان أبو العباس فذكره (ويحكى عن فاطمة) ابنة محمد (أخت أبى على) أحمد بن محمد (الروذبارى) البغدادى ثم المصرى وكانت من العارفات وهى والدة أبى العباس أحمد بن عطاء لها كلام حسن روى عنها اخوها وعاشت بعده (قالت لما قرب أجل) أخى (أبو على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه) وكان قد أغمى عليه (وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول) لى (يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى) وان لم تسألها وأعطيناك درجة الاكابر وان لم تردها وهذا الان المحتضر قد يكشف

فاجسامهم فى الارض قتلى بحبه
وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم
وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر
وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذى النون عند موته ما تشتهى قال ان أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو فى النزع قل الله فقال الى متى تقول الله وأنا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه قال فأشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان أبو العباس الدينورى يتكلم فى مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه
وقالت قدمت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة أخت أبى على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها

ثم أنشأ يقول وحقك لا نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى أراكا أراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من حياكا وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار ألا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحي من الله أن أوصي بهم الى غيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول كيف أشكو الى طبيبي ما بي * والذي أصابني من طبيبي

قيل

له من الامور الملكوتية فيرى ما لا يراه الغير كما تقدم (ثم أنشأ يقول

وحقك لا نظرت الى سواك * بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتور لحظ * وبالخد المورد من جناكا)

نقله القشيري في الرسالة وابن الملقن في الطبقات وابن حسين في مناقب الابرار وزادوا ثم قال يا فاطمة الاول ظاهر والثاني اشكال أي أول البيتين ظاهر اذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى ان لا يلتفت الى غيره والثاني منهما فيه اشكال على من لم يعرف المراد به ويتوهم انه راجع الى ربه وفي بعض نسخ الرسالة بعد البيت الثاني

فلو قطعتني في الحب اربا * لما حن الفؤاد الى سواكا

(وقيل للجنيد) قدس سره عند النزع (قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره) نقله القشيري في الرسالة يشير الى أن الذكر يكون عن الغفلة عن المذكور وانا لم أغفل عنه طرفة عين فكيف أذكره وهو مقام الاستغراق قال القشيري في الرسالة سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته ماذكرتك الا عن غفلة ولا قبضتني الا على فترة (وسأل) أبو محمد (جعفر بن) محمد بن (نصير) البغدادي المعروف بالخلدي صحب الجنيد وانتمى اليه وصحب النوري وسمنون مات ببغداد سنة ٣٤٨ (بكران الدينوري خادم الشبلي) رحمه الله تعالى (ما الذي رأيت منه) أي عند وفاته (فقال) بكران (قال) لي الشبلي (على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل أعظم منه) لاجل براءة الذمة (ثم قال) لي (وضئني للصلاة ففعلت) أي وضأته (فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك) بالبناء للمفعول (على لسانه) أي لم يطق التكلم (فقبض على يدي وادخلها في لحيته) لأخللها (ثم مات فبكى جعفر) السائل (وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة) وفيه دلالة على كمال فضيلة الشبلي وتعظيمه للشريعة وثباته عليها عند الموت ورواه القشيري في الرسالة فقال سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي فساقه ورواه ابن الملقن في الطبقات الا أنه سمى خادمه بكير الدينوري (وقيل لبشر بن الحرث) الملقب بالحافي قدس سره (لما احتضر وكان يشق عليه كأنك) يا أبا نصر (تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد) رواه القشيري في الرسالة وقد روي عن سفيان الثوري انه لما احتضر قال كنا نتمناه فاذا هو شديد (وقيل لصالح بن مسمار) البصري العابد سكن الجزيرة (الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحي من الله ان أوصي بهم الى غيره) تعالى (ولما احتضر أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد (الداراني) رحمه الله تعالى (أتاه أصحابه فقالوا) له (ابشر فانك تقدم على رب) كريم (غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير) وهذا مقام من غلب على قلبه الخوف فلم يطمئن (ولما احتضر الواسطي) هو أبو بكر محمد بن موسى صحب الجنيد والنوري (قيل له أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم) وهي كلمة جامعة للخيور كلها فان مراد الحق من عبده أن يكون له خاصة فلا يضاف الا اله ولا ينتسب الا اليه وهذا هو التوحيد الخالص (واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال) لها (ما يبكيك فقالت عليك أبكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيد) قدس سره (دخلت على) استاذي (السري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول

كيف أشكو الى طبيبي ما بي * والذي بي أصابني من طبيبي)

وهو مثل قول الصديق رضي الله عنه لما قيل له الا ندعو لك الطبيب قال قد رآني وقول حذيفة رضي الله عنه لما

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لاقرار له * مما جناه الهوى والشوق والقلق

يارب ان يك شئ فيه لى فرج

فامنن على به مادام بى رمق * وحكى ان قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لااله الاالله فانشأ يقول

ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحجج
لاأتاح الله لى فرجا
يوم ادعو منك بالفرج

وحكى ان أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى كنت فى وردى ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لولم يقرب أجلى ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم ابن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل سخى رفيق ثم طفئ ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وانى لا أعلم أنى صدقت الله فى شئ من عملى فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله فى شئ من عمله

قيل له ذلك قال الطبيب أمرضنى (فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق * كيف القرار على من لاقرار له
مما جناه الهوى والشوق والقلق * يارب ان يك شئ فيه لى فرج * فامنن على به مادام بى رمق

وحكى ان قوما من أصحاب) أبى بكر (الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لااله الاالله فانشأ يقول

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج * وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحجج * لاأتاح الله لى فرجا * يوم أدعو منك بالفرج)

قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليلته هذه البيتين فساقهما ولم يذكر البيت الثالث (وحكى ان أبا العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمى من أقران الجنيد (دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى) الذى التزمته فما أمكننى قطعه لرد السلام (ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات) نقله القشيرى فى الرسالة بلفظ وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فابطأ فى الجواب ثم رد وقال اعذرنى فلقد كنت فى وردى ثم مات (وقيل للكتانى) أبى بكر محمد بن على البغدادى من أصحاب الجنيد مات بمكة سنة ٣٢٢ (لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لولم يقرب أجلى ما أخبرتكم وقفت على باب قلبى أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب) بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمرو ابن مخزوم المخزومى أحد أجداد بنى مخزوم قدم منبج وسكنها ساق ابن العديم ترجمته فى تاريخ حلب مبسوطة ووالده المطلب روى له البخارى فى جزء القراءة والاربعة وهو صدوق كثير التدليس والارسال وأخوه عبد الله بن المطلب مدنى روى له النسائى (حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل سخى رفيق ثم طفئ) رواه الزبير بن بكار فى أنساب قريش قال سمعت القاسم بن محمد بن المعتمر بن عياض بن حميد بن عوف الزهرى يحدث أبى بمنى سنة أربع وتسعين ومائة قال حدثنى حميد بن معيوف الهمدانى عن أبيه معيوف بن يحيى قال كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب المخزومى عند موته بمنبج فاغمى عليه ولقى شدة فقال بعض من حضره اللهم هون عليه فافاق وقال من المتكلم فقال المتكلم أنا فقال هذا ملك الموت يقول لى انى بكل سخى رفيق وقد أخرجه محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين فقال حدثنا أحمد بن الاسود الحنفى حدثنا الزبير بن بكار فساقه وقد عرفت بهذا ان المعتمر فى سياق المصنف ليس هو التيمى كما يظن به عند بادئ الرأى وليس له رواية فى هذه القصة وانما هى لحفيده وقال محمود أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا مصعب الزبيرى قال مات ابن للمطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب يقال له الحرث أبو الحكم وعبد العزيز وكان موته بمكة ففجع أبوه من قابل فلما أتى قبره قال يا بنى "أتيتك زائرا ومشتاقا فلم أرك" وشهق شهقة فخر ميتا فدفن الى جنبه (ولما حضرت) أبا محمد (يوسف بن اسباط) الشيبانى الزاهد (الوفاة شهده حذيفة) المرعشى وكان بينهما توادد (فوجده قلقا) أى مضطربا (فقال حذيفة يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله كيف لا أقلق ولا أجزع وانى لا أعلم انى صدقت الله فى شئ من عملى فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله فى شئ من عمله) وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق موسى بن طريف قال سمعت يوسف بن اسباط يقول لى أربعون سنة ما حاك فى صدرى شئ الا تركته

وعن المغازلي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هـذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بي

ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا إله الا الله لا أحسن غيره ولما حضر الثوري الوفاة قيل له قل لا إله الا الله فقال أليس ثم أمر ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فاني لي أوان الجواب

(وعن) أبي أحمد (المغازلي) له ذكر في الرسالة (قال دخلت على شيخ من أصحاب هـذه القصة وهو عليل) محتضر (وهو يقول) مخاطبا لربه (يمكنك أن تعمل بي ما تريد فارفق بي) طلب من الله تعالى أن يرفق به في قبض الروح (ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى بك وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي) وهو يشير الى مقام الاستغراق بالله فلا يرى شيأ سواه من النعيم ولفظ القشيري في الرسالة ما فعل الله بك وصنع فقال منذ ثلاثين سنة الخ وفي بعض النسخ فقالوا ابشر فقد فعل الله بك وصنع وزاد في آخره وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي (وقيل لرويم) بن محمد البغدادي (عند الموت قل لا إله الا الله فقال لا أحسن غيره ولما حضر) أبا الحسين (النوري) بضم النون (الوفاة قيل له قل لا إله الا الله فقال أليس ثم أمر) ولفظ الرسالة أليس ثم أعود قال القشيري سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول كان سبب وفاة أبي الحسين النوري انه سمع هذا البيت

لا زلت أنزل من ودادك منزلا * تتحير الالباب عند نزوله

فتواجد النوري وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقي أصوله مثل السيوف فكان يمشي عليها ويعيد البيت الى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه فمات وقد تقدم للمصنف ذلك في كتاب الوجد والسماع (ودخل أبو يحيى) اسماعيل (المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي تحت عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يغوى بابليس عابد * فكيف وقد أغوى صفيك آدما)

رواه البيهقي في مناقبه (ولما حضر) أبا حامد (أحمد بن خضرويه) البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبي وكان كبيرا في الفتوة (الوفاة سئل) عن مسئلة (فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو بالشقاوة فاني لي أوان الجواب) ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول كنت جالسا عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا أدري بالسعادة أم بالشقاوة اني لي أوان الجواب قال وكان عليه سبعمائة دينار وغرماؤه عنده فنظر اليهم وقال اللهم انك جعلت الرهون وثيقة لارباب الاموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم اللهم فادهم عني قال فدق داق الباب وقال أين غرماء أحمد فقضى عنه ثم خرجت روحه مات سنة أربعين ومائتين ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت منصور بن عبد الله فساقه مثله ومما ذكره القشيري من أحوال المحتضرين قال حكى عن عبد الله بن منازل انه قال ان حمدون القصار أوصى الى أصحابه ان لا يتركوه حال الموت بين النسوان وقيل لما حضر بعضهم الوفاة قال يا غلام أشدد كتافي وعفر خدي ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر أعتذر به ولا قوة انتصر بها أنت لي أنت لي ثم صاح صيحة ومات فسمعوا صوتا استكان العبد لولاه فقبله وقال بعضهم كنت عند ممشاد عند مماته فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة عني فقيل له قل لا إله الا الله فحول وجهه الى الجدار وقال أفنيت كلي بكلك * هذا جزاء من يحبك وقيل لابي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة قل لا إله الا الله فقال هذا شيء قد عرفناه وبه نفني ثم أنشأ يقول

تسربل

تسربل ثوب التيه لما عرفته * وصد ولم يرض بأن لك عبده

وقيل للشبلي عند وفاته قل لا إله إلا الله فقال قال سلطان حبه * أنا لا أقبل الرشا فسلوه فديته * لم بقتلي تحرشا قلت هذا قد رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال أنبأنا ابن ناصر عن ابن المبارك بن عبد الجبار عن أبي علي الحسن بن غالب قال سمعت أبا الحسن السوسنجردي يقول قالت أخت الشبلي كان أخي ينزع وأنا عنده فقلت يا أخي قل لا إله إلا الله فقال ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا ثم مات رحمه الله تعالى ثم قال القشيري سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول لما مرض يحيى الاصطخري جلسنا حوله فقال له رجل منا قل أشهد أن لا إله إلا الله فجلس مستويا ثم أخذ بيد واحد منا وقال قل أشهد أن لا إله إلا الله ثم أخذ بيد الآخر حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات قال وسمعت بعض الفقراء يقول لما قرب وفاة أحمد بن نصر قال له واحد قل اشهد أن لا إله إلا الله فنظر اليه فقال له بالفارسية بي حرمتي مكن أي لا تترك الحرمة وقال بعضهم رأيت فقيرا يجود بنفسه غريبا والذباب يقع على وجهه فجلست أذب عن وجهه ففتح عينه وقال من هذا أنا منذ كذا وكذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق الى الآن جئت أنت توقع نفسك مرعاك الله قال وسمعت منصورا المغربي يقول دخل يوسف بن الحسين على ابراهيم الخواص عائدا له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال للخواص أتشتهي شيأ قال نعم قطعة كبد مشوي قال القشيري لعل الاشارة فيه انه أراد اشتهي قلبا يرق لفقير وكبدا يشتوي لغريب لانه كالمستخفي ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده قال وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول سمعت أبا بكر الرقي يقول كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة فقال الهي كم تبقيني ههنا فما بلغ الصلاة الاولى حتى مات قال وحكى عن أبي علي الروذباري انه قال رأيت بالبادية شابا حدثا فلما رآني قال ما يكفيه شغفي بحبه حتى أعلني ثم رأيته يجود بروحه فقلت قل لا إله إلا الله فانشأ يقول

أيا من ليس لي منه * وان عذبني بد * ويا من نال من قلبي * منالا ماله حد

أجرني من تجنيك * فقد أقلقني الجهد * اذا لم يرحم المولى * الى من يشتكي العبد

قال وسمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سمعت أبا الحسن الطرسوسي يقول سمعت علوش الدينوري يقول سمعت المزني الكبير يقول كنت بمكة فوقع بي انزعاج فخرجت أريد المدينة فلما وصلت الى بئر ميمونة اذا أنا بشاب مطروح فعدلت اليه وهو ينزع فقلت له قل لا إله إلا الله ففتح عينه فانشأ يقول

أنا ان مت فالهوى حشو قلبي * وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من ارادة السفر فرجعت الى مكة قال وقيل لبعضهم أتحب الموت قال القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره قلت رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد ربه بن صالح قال دخل على مكحول في مرضه الذي مات فيه فقيل له أحسن الله عاقبتك يا أبا عبد الله فقال كلا الالحاق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره اه ثم قال وحكى عن الجنيد انه قال كنت عند أستاذي ابن الكرنبي وهو يجود بنفسه فنظرت الى السماء فقال بعد ثم نظرت الى الارض فقال بعد يعني انه أقرب اليك من ان تنظر الى السماء أو الى الارض بل هو وراء المكان قال وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا كنا في جنازة فتى سمع قائلا يقول

كبرت همة عبد * طمعت في ان يراكا

فشهق شهقة ثم مات وقد تقدم في كتاب السماع ورواه ابن الملقن في الطبقات وزاد بيتا

أوما حسب لعين * ان ترى ماقد رآكا

قال القشيري وسمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول قال الوجيهي كان

سبب موت بنان الحمال انه ورد على قلبه شئ فهام على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة بنى اسرائيل فى الرمل ففتح عينه وقال ارتع فهذا مربع الاحباب وخرجت روحه وقال أبو يعقوب النهرجورى كنت بمكة فجاءنى فقير ومعه دينار فقال اذا كان غدا أموت فاصلح لى بنصف هذا قبرا والنصف لجهازى فقلت فى نفسى كأنه أصابته فاقة الحجاز فلما كان بالغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الارض فقلت هو ذا يتماوت فذهبت اليه فحركته فاذا هو ميت فدفنته كما أمر وقيل لما تغيرت الحال على ابى عثمان الحيرى مزق ابنه أبو بكر قميصا ففتح أبو عثمان عينه وقال ان خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن وحكى أبو على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لاضعه فى التراب ليرحم الله غربته ففتح عينه وقال يا أبا على أتذللنى بين يدى من ذللنى فقلت يا سيدى احياة بعد موت فقال بلى أنا حى وكل محب لله حى لانصرنك غدا بجاهى يا روذبارى ورواه ابن الملقن فى الطبقات ولفظه قدم علينا فقير فى يوم عيد فى هيئة رثة فقال هل عندك مكان نظيف يموت فيه فقير غريب فقلت له كالمتهاون به أدخل ومت حيث شئت فدخل فتوضأ وصلى ركعات ثم اضطجع فمات فجهزته والباقى سواء قال ويحكى عن على بن سهل الاصبهانى انه قال أترون انى أموت كما يموت الناس مرض وعيادة انما ادعى فيقال لى يا على فاجيب فكان يمشى يوما فقال لبيك ومات قال وسمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزنى الكبير يقول لما مرض أبو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا اله الا الله فتبسم الى وقال اياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه الا حجاب العزة وانطفأ من ساعته وكان المزنى يأخذ بلحيته و يقول حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة واخجلتاه منه وكان يبكى اذا ذكر هذه الحكاية وقال أبو الحسين المالكى كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل موته بثمانية أيام انا أموت يوم الخميس وقت المغرب وادفن يوم الجمعة بعد الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسين فانسيته الى يوم الجمعة فلقينى من خبرنى بموته فخرجت لاحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال سألت من حضر وفاته فقال انه غشى عليه ثم أفاق ثم التفت الى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذى أمرت به لا يفوتك والذى أمرت به يفوتنى فدعا بماء وجدد وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤى فى المنام بعد موته وقيل له كيف حالك فقال لا تسأل لكن تخلصت عن دنياكم الوضرة قلت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال سمعت على بن هرون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه انه غشى عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر الى ناحية من باب البيت فساقه وفيه بعد قوله يفوتنى فدعنى أمضى لما أمرت به والباقى سواء قال القشيرى وسمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن قيس يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت رجلا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت ان الاحباء أحياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول بلغنى انه قيل لذى النون عند النزع أوصنا قال لا تشغلونى فانى متعجب من محاسن لطفه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سئل أبو حفص فى حال وفاته ما الذى تعظنا به فقال لست أقوى على القول ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل حتى أحكى عنك فقال الانكسار بكل القلب على التقصير هذا كله سياق القشيرى فى الرسالة ومما نقلته من طبقات ابن الملقن قال الحسين بن الفضل حضرت أبا الحسين النورى وهو فى الموت فقلت له ألك حاجة أو فى نفسك شهوة فرفع رأسه الى وقد انكسر لسانه فقال اى والله أشتهى شهوة كبيرة قلت وما هى قال اشتهى أرى الله تعالى ثم تنفس عاليا كالواجد بحاله وفارق الدنيا قال وقال الجنيد دخلت على السرى وهو فى النزع فجلست عند رأسه ووضعت خدى على خده فدمعت عيناى فوقع دمعى على خده وقال لى من أنت قلت خادمك الجنيد فقال مرحبا فقلت أوصنى بوصية انتفع بها قال اياك ومصاحبة الاشرار وأن تنقطع

عن

عن الله بصحبة الاغيار ولما حضرته الوفاة قلت له ياسيدى لا يرون بعدك مثلك قال ولا أخلف عليهم بعدى مثلك قال وقيل لحبيب العجمى فى مرض الموت ماهذا الجزع الذى ما كنا نعرفه منك فقال سفرى بعيد بلا زاد و ينزل بى فى حفرة من الارض موحشة بلا مؤنس وأقدم على ملك جبار قد قدم الى العذر و يروى انه جزع جزعا شديدا عند الموت فجعل يقول أريد سفرا ما سافرته قط أريد ان أسلك طريقا ما سلكته قط أريد أن أزور سيدى ومولاى ما رأيته قط أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط أريد أن أدخل تحت التراب وأبقى الى يوم القيامة ثم أقف بين يدى الله تعالى فاخاف أن يقول لى يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتنى فى ستين سنة لم يظفر الشيطان فيها بشئ فماذا أقول وليس لى حيلة أقول يارب هوذا قد أتيتك مقبوض اليدين الى عنقى قال الراوى فهذا رجل عبد الله ستين سنة مشتغلا به ولم يشتغل من الدنيا بشئ قط فكيف حالنا وقال ابن الجوزى فى كتاب الثبات أخبرنا عمر بن ظفر أخبرنا جعفر بن أحمد حدثنا عبد العزيز بن على أخبرنا أبو الحسن بن جهضم أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى حدثنى يوسف بن الحسين قال قال فتح بن شخرف دخلت على ذى النون المصرى عند موته فقلت كيف تجدك فقال

أموت وما ماتت اليك صبابتى * ولا رويت من صدق حبك أوطارى
مناى المنى كل المنى أنت لى منى * وأنت الغنى كل الغنى عند اقتارى
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى * وموضع آمالى ومكنون اضمارى
و بين ضلوعى منك ما لا أبثه * ولم أبد باديه لاهل ولا جار
سرائر لا تخفى عليك خفيها * وان لم أبح حتى التنادى باسرارى
فهب لى نسيما منك احيا بروحه * وجد لى بيسر منك يطرد اعسارى
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن * من العلم فى أيديهم عشر معشار
فابصارهم محجوبة وقلوبهم * تراك باوهام حديدات ابصار
الست دليل الركب ان هم تحيروا * وعصمة من أمسى على جرف هار

قال الفتح بن شخرف فلما ثقل قلت له كيف تجدك فقال

ومالى سوى الاطراق والصمت حيلة * ووضعى على خدى يدى عند تذكارى
وان طرقتنى عبرة بعد عبرة * تجرعتها حتى اذا عيل تصبارى
افضت دموعا جمة مستهلة * اطفى بها حرا تضمن أسرارى
ولست أبالى فائتا بعد فائت * اذا كنت فى الدارين يا واحدى جارى

وأورده ابن الملقن فى الطبقات من كتاب بهجة الاسرار لابن جهضم وفيه زيادة أبيات منها بعد البيت الرابع

تحمل قلبى فيك ما لا أبثه * وان طال سقمى فيك أو طال اضرارى
ولى منك فى الاحشاء داء مخامر * وقد هد منى الركن وانبث أسرارى

ومنها بعد البيت الثامن

حلت لها القدر المطرق والتقى * على قدر والهم يجرى بمقدار

ومنها قبل البيت الاخير

فيا منتهى سؤل المحبين كلهم * ابحنى محل الانس مع كل زوار

وقال ابن جهضم بسنده الى عبد الجبار قال صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء فرفع رأسه وفتح عينيه ونظر الى السماء وقال قد طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك فما أتى عليه الجمعة حتى مات وقال صاحب مصارع العشاق بسنده الى أبى اسمعيل الموصلى وكان من أصحاب الفتح بن سعيد شهد فتح العيد ذات يوم بالموصل و رجع بعد ما تفرق الناس و رجعت معه فنظر الى الدخان يفور من نواحى المدينة فبكى ثم قال قد قرب الناس قربانهم فليت شعرى ما فعلت فى قربانى عندك أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحت به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه الى السماء وقال علمت طول حزنى وغمى وترددى فى أزقة الدنيا ففى متى تحبسنى أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحت به وجهه فافاق

فماعاش بعدذلك أياما حتى مات وقال ابن الجوزى فى كتاب الثبات أخبرنا ابن ناصر أخبرنا أحمد بن احمد حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا أبى اخبرنا ابو عبد الله محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم الطوسى قال دخلت عليه قبل موته باربعة أيام فقال تعال ابشرك بماصنع الله باخيك من الخير قد نزل بى الموت وقد من الله تعالى على انه ليس عندى درهم يحاسبنى عليه اغلق الباب ولا تأذن لاحد على حتى أموت واعلم انى أخرج من الدنيا وليس ادع ميراثا غير كسائى ولبدى وانائى الذى أتوضأ فيه وكتبى وكانت معه صرة كان فيها نحو ثلاثين درهما فقال هذا لابنى اهداه له قريب له ولا أعلم شيأ احل لى منه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال أنت ومالك لابيك فكفنونى منها فان اصبتم لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر وابسطوا على جنازتى لبدى غطوا عليها بكسائى وتصدقوا بانائى اعطوه مسكينا يتوضأ منه ثم مات فى اليوم الرابع وقال أبو الحسن بن جهضم فى بهجة الاسرار أخبرنا احمد بن محمد بن على حدثنى عثمان بن سهل قال دخلت على عمرو بن عثمان المكى فى علته التى توفى فيها فقلت له كيف تجدك فقال أجد سرى واقفا مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام وقال الخطيب أخبرنا احمد بن على المحتسب حدثنا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا الحسن على ابن ابراهيم البغدادى يقول سمعت أبا عبد الخالق باذى يقول حضرنا يوسف بن الحسين وهو يجود بنفسه فقال اللهم انى نصحت خلقك ظاهرا وغششت نفسى باطنا فهب لى غشى لنفسى لنصحى لخلقك ثم خرجت روحه وقال ابن الجوزى قال أبو الوفاء بن عقيل ونقلته من خطه قال بعض أصحاب عبد الصمد الزاهد حضرته عند موته وهو يقول ياسيدى لليوم خبأتك ولهذه الساعة اقتنيتك حقق حسن ظنى بك (فهذه أقاويلهم) عند سفرهم للآخرة (وانما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم) من خوفهم ورجائهم وحبهم للقاء الله تعالى (فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب) للقاء الله تعالى (فتكلم كل واحد على مقتضى حاله) بما أقامه الله فيه (والكل صحيح بالاضافة الى أحوالهم) وبالله التوفيق

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان الجنازة) بالفتح والكسر أفصح وقال الاصمعى بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير وروى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال بالكسر السرير وبالفتح الميت نفسه (عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز) أى السرر (يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون) أى لا يقدرون الموت على أنفسهم قريبا (ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا) كانوا (يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا و يقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها وكان قد) حمل عليها (ولعله فى غد أو بعد غد) وما أقرب ذلك اذ كل آت قريب (يروى عن أبى هريرة) رضى الله عنه (انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر) أى لاحقون بكم قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغنى عن أبى هريرة انه كان اذا مر بجنازة قال روحى فانا غادون أو اغدى فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول و يبقى الآخر لاعقل له (وكان) أبو عبد الله (مكحول الدمشقى) فقيه الشام رحمه الله تعالى (اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له) هذا القول روى عن أبى هريرة كما ذكر قبل هذا وعن أبى الدرداء أيضا رواه ابو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربى حدثنا أبو الهيثم بن خارجة حدثنا اسمعيل بن عياش عن شرحبيل ان أبا الدرداء كان اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون أو روحوا فانا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا يذهب بالاول فالاول و يبقى الاخير لا حلم له ورواه صاحب كتاب المتقعين فقال حدثنا محمد بن جبلة حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا اسمعيل عن شرحبيل بن مسلم عن أبى الدرداء انه كان اذا رأى جنازة قال روحى فانا غادون

فهذه أقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى أحوالهم

(الباب السادس فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم الا مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون أنهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الا و يقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد او بعد غد و يروى عن أبى هريرة انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له

موعظة

وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم مادمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت الآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه وأقاربه الا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الى ماشاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال ابو عمرو بن العلاء

موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا يذهب الاوّل ويبقى الآخر لا فكرة له ولا حلم (وقال) أبو يحي (أسيد بن حضير) بالتصغير فيهما ابن سماك بن عتيك الانصارى الاشهلى أحد النقباء رضى الله عنه مات سنة عشرين أو اثنين وعشرين (ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه) رواه ابن المبارك فى الزهد وأحمد فى مسنده من طريق فاطمة ابنة الحسين بن على عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أسيد من أفاضل الناس وكان يقول لو انى أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين اقرأ القرآن أو حين أسمعه يقرأ واذا سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شهدت جنازة وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسى بسوى ما هو مفعول بها وما هى صائرة اليه (ولما مات أخو مالك بن دينار) البصرى الزاهد رحمه الله تعالى (خرج مالك فى جنازته) وهو يبكى (ويقول والله لا تقر عينى حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلم مادمت حيا) رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب القبور (وقال) سليمان بن مهران (الاعمش) رحمه الله تعالى (كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا عمرو الاودى حدثنا وكيع عن الحسن بن صالح عن الاعمش قال ان كنا لنشهد الجنازة فلا ندرى من نعزى لحزن القوم (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البنانى) رحمه الله تعالى (كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الحرث وعبد الله بن أبى زياد قالا حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ثابت قال كنا نتبع الجنازة فما نرى الا متقنعا باكيا أو متقنعا متفكرا (فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه) نسأل الله التوفيق وقد روى صاحب كتاب المتفجعين عن الميمونى عن أحمد بن حنبل عن سفيان قال رأى ابن مسعود رجلا يضحك فى جنازة فقال اتضحك مع الجنازة لا أكلمك أبدا ذكر سفيان اسناده فقال قال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من بنى عبس يقال له أبو بكر قال الميمونى حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى قال سمعت أبى يذكر ذلك عن يزيد بن عبد الله عن بعض أصحابه قال رأى عبد الله رجلا يضحك فى جنازة فقال تضحك وأنت تتبع الجنازة والله لا أكلمك أبدا وقال الميمونى حدثنا أحمد بن حنبل قال سمعت وكيعا يقول أبو بكر الذى روى عنه حسن هو صاحب لنا وكان معنا وقد رأيته يقال له يزيد بن عبد الله حدثنى عنه أصحابنا ان ابن مسعود رأى رجلا يضحك فى جنازة فقال له تضحك فى الجنازة والله لا أكلمك أبدا ومن طريق ضمرة بن حبيب عن عمه المهاصر قال موطنان لا ينبغى لمؤمن ان يضحك منهما القرد حين يراه ومطلعه الى القبر (ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى و) نسينا (اليوم الآخر و) نسينا (الاهوال) العظيمة (التى بين أيدينا فصرنا نلهو) ونلعب (ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا) ولا يهمنا (فنسأل الله تعالى اليقظة) والانتباه (من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت) يحكى انه (نظر ابراهيم الزيات) رحمه الله تعالى (الى أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة) كل منها أعظم من الآخر الهول الاوّل (وجه ملك الموت قد راى) فقد وردت الاخبار بان كل ميت يراه بصورته فيذهل من مشاهدتها (و) الهول الثانى (مرارة الموت وقد ذاق) وناهيك بها مرارة لا تدخل تحت الوصف (و) الهول الثالث (خوف الخاتمة) بان يسلب الايمان (وقد أمن) منه (وقال أبو عمرو بن العلاء) بن عمار بن العريان المازنى النحوى القارئ ثقة من علماء العربية واختلف فى اسمه على أقوال فقيل زبان وقيل العريان وقيل يحي وقيل جزء والاوّل أشهر والثانى أصح عند الصولى مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة روى

جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لاتدري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآنه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق

له البخاري معلقا وأبو داود في كتاب القدر له وابن ماجه في التفسير له (جلست الى جرير) بن الخطفي واسمه عطية بن حذيفة (وهو يملي على كاتبه شعرا) فيكتبه (فاطلعت جنازة فامسك) عن الاملاء (وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات)

الروعة المخافة والثلة جماعة الغنم والمغار الاغارة وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود الحنفي قال أنشدنا نصر بن قديد الليثي لعروة بن اذينة الليثي

نراع اذا الجنائز قابلتنا * ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة لمغار سبع * فلما غاب عادت راتعات

قال وحدثنا أحمد بن الاسود قال سمعت ابن عائشة يقول سمعت سفيان بن عيينة يتعجب لبيتي لبيد

ونحدث فزعات لدى كل روعة * ونسرع نسيانا ولم يأتنا أمن
وانا ولا كفران لله ربنا * لكالبدن ماتدري متى يومها البدن

(فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لايدرى حقيقتها ولذلك روى عن) أبي ذر (عمر بن ذر) بن عبد الله بن زرارة الهمداني بسكون الميم المرجي الكوفي ثقة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له (انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته) أي لم يحضروها (فحضرها هو وصلى عليها فلما ادلي في قبره) أي انزل (وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق النضر بن اسمعيل قال شهدت عمر بن ذر في جنازة وحوله الناس فلما وضع الميت على شفير القبر بكى عمر ثم قال أيها الميت أما أنت فقد قطعت سفر الدنيا وطوبى لك ان توسدت في قبرك خيرا (ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه) وانهماكه في الفجور (فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه واحد فحملتها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد المذكور قد نزل) من صومعته (ليصلي على فلان) الفاسق (فخرج أهل البلد) يهرعون اليه (فصلى الزاهد وصلوا عليه) موافقة له (وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه) وسألوه عن ذلك (فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس) من ذلك (فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف) بين الناس (كان طول نهاره في الماخور) أي بيت الخمر (مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء) الاول انه (كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه) أي يغيرها (ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق) من الشرب وغيره

والثانى انه كان أبدا لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق فى اثناء فكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملاها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخاله فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا

(بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشانك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا الا والقبر أفظع منه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فاستأذنته أن أستغفر لها فابى على فادركنى مايدرك الولد من الرقة

(والثانى انه كان أبدا لايخلو بيته عن يتيم أو يتيمين) يكفلهم (وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريدان تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره) وأخبر الناس بذلك (وعن) أبى الصهباء (صلة بن اشيم) العدوى البصرى الزاهد (وقد دفن أخاله فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا)

هذا السياق مزال عن أصله وقد رواه أبو نعيم فى الحلية على أصله فقال حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن سهل بن الصباح حدثنا حميد بن مسعود حدثنا جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال مات أخ لنا فصبرنا عليه فلما وضع فى قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى يافلان بن فلان انك

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا

قال فبكى وأبكى الناس وقال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا أحمد بن الاسود حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا جعفر بن سليمان عن هشام بن حسان عن الحسن قال كنا فى جنازة فلما دفن الميت قام صلة بن اشيم العدوى على القبر فقال

ان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا

وقال أيضا حدثنا أحمد بن الاسود حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن قيس قال وقف عسعس بن سلامة على قبر فقال

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا

فقيل يا أبا صفرة فى هذا الموضع قال نعم انتهى وقال أحمد فى الزهد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت ان أخا لصلة بن اشيم مات فجاء رجل وهو يطعم فقال يا أبا الصهباء ان أخاك مات فقال هلم فكل فقد نعى الينا فقال والله ماسبقنى اليه أحد فمن نعاه قال يقول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون

(بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور)

(قال الضحاك) بن مزاحم الهلالى أبو القاسم أو أبو محمد الخراسانى المفسر صدوق كثير الارسال مات بعد المائة روى له الاربعة (قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على ما يفنى ومن لم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور) رواه البيهقى فى الشعب عن الضحاك مرسلا وقد تقدم فى كتاب الزهد والفقر وقال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن الضحاك بن مزاحم قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال فساقه وفيه وترك أفضل زينة الدنيا وفيه وعد نفسه من الموتى (وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة) رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن عبد الله بن محمد ابن عمر بن على عن أبيه قال قيل لعلى ماشأنك أبا حسن جاورت المقبرة فذكره وروى أبو نعيم فى الحلية من ترجمة زيد بن أسلم قال سكن رجل المقابر فعوتب فى ذلك فقال جيران صدق ولى فيهم عبرة (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا الا والقبر أفظع منه) روى ذلك من حديث عثمان وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب آداب الصحبة وسيأتى له ذكر أيضا (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال مايبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فاستأذنته ان أستغفر لها فابى على فادركنى مايدرك الولد من الرقة) قال العراقى تقدم فى آداب الصحبة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب انتهى قلت حديث الاستئذان بزيارة قبر الام قد ورد من طرق من حديث أبى هريرة وبريدة بن الحصيب وابن مسعود فحديث أبى هريرة قال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا محمد بن عبيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه

فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى ان استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى ان أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقد رواه كذلك أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حبان وحديث بريدة بن الحصيب رواه ابن أبى شيبة أيضا فقال حدثنا محمد بن عبيد الله الاسدى عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذع قبر فجلس اليه فجعل يحرك يده ورأسه كهيئة المخاطب وأجلس الناس حوله فقام وهو يبكى فتلقاه عمر وكان من أجرأ الناس عليه فقال بابى أنت وأمى يارسول الله ما الذى أبكاك قال هذا قبر أمى سألت ربى الزيارة فاذن لى وسألته الاستغفار فلم يأذن لى فذكرتها فرقت نفسى فبكيت قال فلم ير يوما كان أكثر باكيا منه يومئذ وقال محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين حدثنى محمد بن على بن ميمون حدثنا الفريابى حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة قال أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم رسم قبر فجلس وجلس الناس عنده فجعل يحرك يده ورأسه كالمخاطب وقام يبكى فقال له عمر ما يبكيك يانبى الله قال استأذنت ربى عزوجل فى زيارة قبر أم محمد فاذن لى وسالته الاستغفار لها فابى على قلت هكذا هو فى سياق السند عن سليمان بن بريدة قال ولعله سقط لفظ عن أبيه والله أعلم وحديث ابن مسعود رواه الحاكم ولفظه ان القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب وانى استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فيه واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ونزل على "ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين" فاخذنى ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذى أبكانى وقال ابن أبى شيبة حدثنا يزيد بن هرون عن حماد بن زيد حدثنا فرقد السبخى حدثنا جابر بن زيد حدثنا مسروق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى نهيتكم عن زيارة القبور فانه قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها تذكركم وقد تقدم الكلام على شئ من ذلك فى كتاب آداب الصحبة (وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أوّل منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد) قال العراقى رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة انتهى قلت ورواه كذلك حسان بن السرى وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد والبيهقى وقال محمود بن محمد فى كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن جبلة والميمونى قالا حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف الصاغانى حدثنى عبد الله بن بحير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان انه كان اذا وقف على القبر بكى حتى تبل الدموع لحيته فقيل له انك تذكر الجنة والنار فلا نراك تبكى وتبكى من القبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده شر منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه قال عثمان فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت قال استغفروا لصاحبكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل ورواه أبو نعيم فى الحلية مختصرا فقال حدثنا فاروق الخطابى حدثنا أبو مسلم حدثنا على بن عبد الله المدينى حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد الله بن يحيى عن هانئ مولى عثمان بن عفان قال كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته (وقيل ان عمرو بن العاص) رضى الله عنه (نظر الى المقبرة) يوما (فنزل) عن دابته (وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه) فهل له من سبب (فقال) نعم (ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب الى الله بهما) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لى) ويروى نحوه مرفوعا من حديث أبى الحجاج الثمالى والبراء ابن عازب وغيرهما وأقرب السياق اليه حديث البراء وقول عبيد بن عمير كما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى فى بيان كلام القبر للميت (وقال أبو ذر) الغفارى رضى الله عنه (ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان أبو الدرداء) رضى الله عنه (يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال

اجلس الى قوم يذكرونى معادى واذاقمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد لا يأتى القبور ليلا و يقول يا أهل القبور ومالى اذا دعوتكم لا تجيبونى
ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكانى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر * وقال عمر بن عبد العزيز

لبعض جلسائه يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبور وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول أيها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الارض باعماله ليت شعرى باى أعمالك استبشرت وباى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا أماه ليتك كنت بى عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من أين تجيبه ان أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان أجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك

أجلس الى قوم يذكرونى معادى واذاقمت لم يغتابونى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان) أبو عبد الله (جعفر بن محمد) بن على بن الحسين رحمه الله تعالى (يأتى القبور ليلا و يقول يا أهل القبور ومالى اذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابى وكانى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (لبعض جلسائه يافلان) كذا فى النسخ وفى الحلية أبا فلان (لقد أرقت الليلة أتفكر) قال فيم أمير المؤمنين قال (فى القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثالثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به) ولفظ الحلية بناحيته (ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام و يجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح و بلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد ابن أحمد بن أبان حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن سفيان حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عمرو بن جرير حدثنى أبو السريع الشامى قال قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه فساقه وزاد بعد قوله مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مزاحم ويحك أخرج هذا الرجل عنا فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولى فليته لم يل قال فخرج الرجل فجاءت فاطمة تصب على وجهه الماء وتبكى حتى أفاق من غشيته فرآها تبكى فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فذكرت به مصرعك بين يدى الله تعالى للموت وتخليك من الدنيا وفراقك لنا فذلك الذى أبكانى فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم مال ليسقط فضمته الى نفسها فقالت بابى أنت يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك فى قلوبنا فلم يزل على حاله تلك حتى حضرته الصلاة فصبت على وجهه ماء ثم نادته الصلاة يا أمير المؤمنين فأفاق فزعا قلت أبو بكر بن سفيان فى سياق السند هو ابن أبى الدنيا وهكذا أورده بهذا السياق كله فى كتاب القبور له (وكان يزيد) بن أبان (الرقاشى) البصرى التابعى رحمه الله تعالى (يقول أيها المقبور فى حفرته المتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الارض باعماله ليت شعرى باى أعمالك استبشرت وباى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور بلفظ قال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا ورواه الخطيب فى التاريخ وزاد ثم يبكى يزيد و يقول فطوبى لمن كان أنيسه صالحا والويل لمن كان أنيسه عليه وبالا وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى اسحق الحميسى قال كان يزيد الرقاشى يقول فى قصصه يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون قال فبكى حتى سقطت أشفار عينيه (وقال) أبو عبد الرحمن (حاتم) بن يوسف (الاصم) مولى المثنى المحاربى رحمه الله تعالى (من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان بكر) بن محمد (العابد) رحمه الله تعالى حكى عن مالك بن دينار له ذكر فى الحلية (يقول) لامه (يا أماه ليتك كنت بى عقيما ان لابنك فى القبر حبسا طويلا وبعد ذلك منه رحيلا) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من أين تجيبه ان أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان أجبته من قبرك منعتها) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (وكان الحسن بن صالح) بن حى بن حيان بن شفى الهمدانى الثورى الكوفى العابد مولده سنة مائة ومات سنة تسع وستين روى له البخارى فى الادب المفرد ومسلم والاربعة (اذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك) رواه ابن أبى الدنيا

وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلائي وما بيني وبينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها وروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين

في كتاب القبور وروى أبو نعيم من طريق يحيى بن يونس قال كان الحسن بن صالح ينظر الى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه (وكان عطاء السلمي) البصري العابد رحمه الله تعالى (اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا أهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن قال سمعت عبد الخالق بن عبد الله العبدي قال كان عطاء اذا جن عليه الليل خرج الى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال يا أهل القبور متم فوا موتاه ثم يبكي ويقول يا أهل القبور عاينتم ما عملتم فوا عملاه فلا يزال كذلك حتى يصبح قال وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد ابن ابراهيم حدثنا سيار بن حاتم حدثني بشر بن منصور قال كنت أسمع عطاء السلمي كل عشية بعد العصر يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر وبالسند الى أحمد بن ابراهيم قال حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن حدثني أبي عن حماد بن زيد قال كان عطاء لا يتكلم فاذا تكلم قال عطاء غدا هذه الساعة في القبر قال وحدثنا محمد بن أحمد بن النضر حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا محمد بن مخزوم حدثنا محمد بن الحسين حدثنا الصلت بن حكيم حدثنا العلاء بن محمد البصري قال شهدت عطاء السلمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صلى عليها كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق فاذا نظر الى الجنازة خر مغشيا عليه (وقال سفيان) الثوري (من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي العابد (قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد روى عن ابن عيينة قال الذهبي صاحب مناكير (تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلائي وما بيني وبينك شئ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وقال ميمون بن مهران) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز (خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم أقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور قال حدثني محمد بن الحسين حدثني أبو منصور الواسطي حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي حدثنا خالد بن صفوان عن ميمون بن مهران قال خرجت مع عمر بن عبد العزيز فذكره الا أنه قال ثم أقبل علي فقال يا أيوب وفيه ثم بكى حتى غشي عليه ثم أفاق فقال انطلق بنا فوالله ما أعلم أحدا والباقي سواء وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريقه فقال حدثنا محمد بن أحمد بن أبان حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن سفيان وهو ابن أبي الدنيا نسبه الى جده (وقال) أبو محمد (ثابت) بن أسلم (البناني) رحمه الله تعالى (دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ كنت في مقبرة فحدثت نفسي اذ هتف بي هاتف يا ثابت ان تراهم ساكتين فكم فيهم من مغموم فالتفت فلم أر أحدا وروى صاحب الحلية عن ابن السماك قال لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها (وروى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين) هكذا في نسخ الكتاب ولعل الصواب ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن وهي والدة عبد الله المحض وانما لقب بذلك لمكان أمه فاطمة بنت الحسين

ابن

فغطت وجهها وقالت وكانوار جاء ثم أمسوار زية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه
سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من
الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت اقام الفرزدق على قبرها فقال
أخاف وراء القبران لم تعافني
أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى
الى النار مغلول القلادة ازرقا
وقد انشدوا في اهل القبور
قف بالقبور وقل على ساحاتها
من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها
قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد
* لا يستبين الفضل في درجاتها لوجاوبوك لاخبروك بالسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها اما المطيع فنازل في روضة *
الى ماشاء من دوحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوى الى حياتها وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها
ومرداد الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول

ابن علي بن أبي طالب ووالده هو الحسن المثنى بن الحسن السبط (فغطت وجهها وقالت

وكانوار جاء ثم أمسوار زية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا) وكان وفاة الحسن المثنى في زمن الوليد بن عبد الملك وعمره خمس وثلاثون سنة وكان قد شهد الطف مع عمه الحسين وأثخن بالجراح فحماه أسماء بن خارجة الفزاري وهو من أخواله وكان عبد الرحمن بن أحمد بن الاشعث قد دعا اليه وبايعه فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى مات وكان الحسن قد خطب الى عمه الحسين احدى بناته فابرز اليه فاطمة وسكينة فقال يا ابن أخي اختر أيتهما شئت فاستحيا الحسن وسكت فقال الحسين قد زوجتك فاطمة فانها أشبه الناس بأبي (وقال أبو موسى التميمي) البصري اسرائيل بن موسى ثقة روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي (توفيت) النوار (امرأة الفرزدق) غالب بن ناجية بن عقال بن صعصعة التميمي الشاعر المشهور (فخرج في جنازتها وجوه البصرة) أي رؤساؤها (وفيهم الحسن) البصري رحمه الله تعالى (فقال له الحسن يا أبا فراس) وهي كنية الفرزدق (ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام على قبرها فقال

أخاف وراء القبران لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا * اذا جاءني يوم القيامة قائد

عنيف وسواق يسوق الفرزدقا * لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا)

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق حجاج بن نميلة قال شهدت الحسن والفرزدق عند قبر فقال الحسن للفرزدق ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة فسكت الحسن قال لبطة بن الفرزدق فرأيت أبي في النوم بعد موته فقال لي يا بني نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين حدثنا محمد بن موسى العمي حدثنا محمد بن عبد المنعم بن ادريس حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه وعوانة قالا بلغ الفرزدق سنا حتى قارب المائة فاصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به البصرة فأتى برجل من بني قيس بن ثعلبة يتطبب فسقاه القار الابيض فجعل يقول ويحكم أتعجلون الى القار في الدنيا قبل الآخرة فمات وصلى عليه بلال بن أبي بردة قال وحدثنا أحمد بن الاسود الحنفي حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي عن الاصمعي قال لما احتضر الفرزدق أوصى وأعتق رقيقه ثم أنشأ يقول

أروني من يقوم لكم مقامي * اذا ما الامر جل عن الخطاب

الى من تفزعون اذا حثوتم * بايديكم علي من التراب

فقالت جارية ممن كان أعتق نفزع الى الله تعالى فقال يا فاعلة أمحوا اسمها من العتق (وقد أنشدوا في أهل القبور) أبياتا سيذكر بعضها منها قول بعضهم

(قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها * ومن المكرم منكم في قعرها

قد ذاق برد الامن من روعاتها * أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها

لوجاوبوك لاخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها * أما المطيع فنازل في روضة

يفضي الى ماشاء من دوحاتها * والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوى الى حياتها

وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (على امرأة تبكي على قبر وهي تقول

عدمت الحياة ولانلتها * اذا كنت في القبر قد ألحدوكا فكيف اذوق طعم الكرى * وأنت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول اتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر قال فنوديت من بينها ما أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر قال فرجعت وأنا باك *(أبيات وجدت مكتوبة على القبور)* (وجد مكتوبا على قبر) تناجيك أحداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ووجد على قبر آخر مكتوبا أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب عمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني ذو والميراث يقتسمون مالي

عدمت الحياة ولانلتها * اذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى * وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه) رواه القشيري في الرسالة وقيل كان ذلك سبب توبته (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه الله تعالى (مررت بالمقبرة فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها ما أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر * تروح وتغدو بنات الثرى
فتمحو محاسن تلك الصور * فيا سائلي عن أناس مضوا * أمالك فيمن ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك) وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال كنا نخرج مع مالك بن دينار زمن الحطمة فنجيء الموتى فنجهزهم ثم يخرج على حمار قصير وعليه عباءة مرتديا بها قال فيقول فيعظنا في الطريق حتى اذا أشرف على القبور وأحس بنا أقبل بصوت له محزون يقول

ألا حي القبور ومن بهنه * وجوه في التراب أجنهنه
فلو ان القبور أجبن حيا * اذا لاجبنني اذ زرتهنه
ولكن القبور صمتن عني * فعدت حزينا من عندهنه

قال فاذا سمعنا صوته جئنا اليه فيقول انما الخير في الشباب انما الخير في الشباب قال ثم يجمعهم فيصلي عليهم هذه (أبيات وجدت مكتوبة على القبور) فمن ذلك (وجد مكتوب على قبر

تناجيك أحداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت)

اورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

أيا غانم أما ذراك فواسع * وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره * اذا كان فيه جسمه يتهدم)

نقله ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (وقال ابن السماك) محمد بن صبيح البغدادي الواعظ (مررت بالمقابر فاذا قبر مكتوب) عليه ما صورته

(عمر أقاربي جنبات قبري * كأن أقاربي لم يعرفوني * وذوو الميراث يقتسمون مالي
وما يألون ان جحدوا ديني * وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيا لله أسرع ما نسوني)

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن محمد بن عصمة بن أبي الصهباء قال قال محمد بن السماك لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشد تفاوتهم فيها (ووجد على قبر مكتوب) ما صورته

(ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس * فكيف تفرح بالدنيا ولذتها
يا من يعد عليه اللفظ والنفس * أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا * وأنت دهرك في اللذات منغمس

* وما يألون ان جحدوا ديني وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيا لله أسرع ما نسوني ووجدوا على قبر مكتوبا لا ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا * وأنت دهرك في اللذات منغمس

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس * كم أخرس الموت فى قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس * قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس)
رواه بن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى)

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر طبيب مكتوب) ما صورته

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار لقمان الى رمسه * فاين ما يوصف من طبه
وحذقه فى الماء مع جسه * هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه)

أورده ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووجد على قبر آخر مكتوب

يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل * فليتق الله ربه رجل
أمكنه فى حياته العمل * ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل)

كذا فى كتاب القبور لابن أبى الدنيا وقال ابو نعيم فى الحلية حدثنا فاروق حدثنا هشام بن على السيرافى حدثنا قطن بن حماد بن واقد حدثنا أبى حدثنا مالك بن دينار قال أتيت على قبر فاذا عليه مكتوب

يا أيها الركب سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا * حثوا المطايا وارخوا من أزمتها
قبل الممات وقضوا ما تقضونا * كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فسوف كما كنا تكونونا

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن سليمان بن يسار الحضرمى قال كان قوم يسيرون يوما بالمقابر اذ سمعوا من قبر قائلا يقول

أيها الركب سيروا * من قبل ان تسيرونا *
فكما كنتم كنا فغيرنا * ريب المنون وسوف كما كنا تكونونا

قلت وجدت فى رحلة الامام أبى سالم العياشى انه أمر بعضهم ان يكتب على قبره

اذا أمسى فراشى من تراب * وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنونى أخلائى وقولوا * هنيأ قد قدمت على كريم

وقد كتبتهما على قبر زوجى أم الفضل زبيدة ابنة المرحوم ذى الفقار الدمياطى رحمهما الله تعالى وأمرا آخر أن يكتب على قبره

ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكى عليا

وروى ابن عساكر فى التاريخ عن صدقة بن يزيد قال نظرت الى ثلاثة أقبر على شرف من الارض بناحية اطرابلس أحدها مكتوب عليه

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بان المنايا بغتة ستعاجله
وتسلبه ملكا عظيما ونخوة * وتسكنه البيت الذى هو آجله

وعلى القبر الثانى

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بان اله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده * ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

وعلى القبر الثالث

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدث تبلى الشباب منازله
وتذهب حسن الوجه من بعد ضوئه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله

فنزلت قرية بالقرب منها فقلت لشيخ بها قد رأيت عجبا قال وماذاك قلت هذه القبور قال حديثها أعجب مما رأيت عليها قلت حدثنى قال كانوا ثلاثة اخوة واحد يصحب السلطان ويؤمر على الجيوش والبلدان وآخر تاجر موسر مطاع فى تجارته وآخر زاهد قد تخلى وتفرد لعبادة ربه فحضرت العابد الوفاة فاتاه أخوه صاحب السلطان وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه بلادنا وأتاه التاجر فقالا له توصى بشئ قال والله مالى مال أوصى فيه ولا على دين أوصى به ولا أخلف من الدنيا عرضا ولكن أعهد اليكما عهدا فلا تخالفاه اذا مت فادفنانى على نشز من الارض

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته
ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف
فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس
ووجد على قبر آخر مكتوبا
وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى
رأت عيناى بينهم مكانى
ووجد على قبر طبيب مكتوبا
قد قلت لما قال لى قائل
قد صار لقمان الى رمسه
فاين ما يوصف من طبه
وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع من غيره
من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا
يا أيها الناس كان لى أمل
قصر بى عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل
أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى
كل الى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور المقصرين سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الوفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذلم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخالي في الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الي من الدنيا ومافيها ثم قال ألم ترحيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على ان أصليهما أحب الي من الدنيا ومافيها

واكتبا على قبري وكيف يلذ العيش البيتين ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلكما تتعظان ففعلا ذلك فلما كان اليوم الثالث أتى أخوه صاحب السلطان القبر فلما أراد الانصراف سمع من داخل القبر هدة أرعبته وأفزعته فانصرف مذعورا وجلا فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال أي أخي ما الذي سمعت من قبرك قال تلك هدة المقمعة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره فاصبح فدعا أخاه وخاصته فقال اني أشهدكم اني لا أقيم بين ظهرانيكم أبدا فترك الامارة ولزم العبادة وكان مأواه البراري والجبال وبطون الاودية فحضرته الوفاة فحضره أخوه فقال يا أخي ألا توصي قال مالي مال ولا علي دين ولكن أعهد اليك يا أخي اذا أنامت فاجعل قبري الى جنب قبر أخي واكتب عليه وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثا فلما مات فعل أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من اتيانه القبر أراد أن ينصرف فسمع وجبة من القبر كادت تذهل عقله فرجع مرهوبا فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال كيف أنت قال بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير قال فكيف أخي قال مع الائمة الابرار قال فما أمرنا قبلكم قال من قدم شيأ وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك فاصبح الاخ الثالث معتزلا للدنيا وفرق ماله وأقبل على طاعة الله وأنشأ ابن له في المكاسب حتى أتت اباه الوفاة فقال يا أبت ألا توصي فقال يابني مالي مال فاوصي فيه ولكن أعهد اليك اذا أنامت أن تدفنني مع عميك وان تكتب على قبري وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثا ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا هاله فانصرف مهموما فلما كان الليل رأى أباه في منامه فقال يابني أنت عندنا عن قليل والامر جد فاستعد وتأهب لرحيلك وطول سفرك وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن الى المنزل الذي أنت له قاطن ولا تغتر بما اغتر به البطالون من طول آمالهم فقصروا في أمر معادهم فندموا عند الموت وأسفوا على تضييع العمر فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الاسف على التقصير أنقذهم أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر قال الشيخ فدخلت على الفتى صبيحة رؤياه فقصها علي وقال ما أرى الامر الذي قال أبي الا وقد أظلني ولا أحسب بقي من أجلي الا ثلاثة أشهر أو ثلاثة أيام لانه أنذرني بالمبادرة ثلاثا فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم ثم استقبل وتشهد ثم مات من الليل (فهذه أبيات كتبت على قبور المقصرين سكانها عن الاعتبار قبل الموت) لاجل أن يعتبر بها قارئها ويترحم على الاموات (والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون عن مكانهم مالم يلحق بهم) ولذلك قال داود الطائي لما سأله رجل النصيحة ان عسكر الموتى ينتظرونك كما في الحلية (وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها) أي بأجمعها (لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور) التي كانت غائبة عنهم (فانما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ويستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذلم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخالي في الله فيما يرى النائم فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الي من الدنيا ومافيها ثم قال ألم ترحيث كانوا يدفنونني فان فلانا قد قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على أن أصليهما أحب الي من الدنيا ومافيها) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس انه كان مر على المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة فسمع قائلا يقول هذا يونس بن حلبس قد هجر تجيئون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه قال سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم عليكم فلا تردون قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات قلت هو يونس بن ميسرة بن حلبس تابعي ثقة وقد نسب الى جده وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه وروى ابن عساكر من طريق الاوزاعي قال مر يونس بن حلبس بمقابر باب توما وقائد يقوده وكان مكفوفا فقال السلام

عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم فكأنا قد صرنا الى ما صرتم اليه فرد الله الروح في رجل منهم فاجابه فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات فقال والى أين يرحمك الله قال الى الجمعة أفما تعلمون انها حجة مبرورة متقبلة قال ما خير ما قدمتم قال الاستغفار وقد غلقت رهوننا فلا في حسنة نزيد ولا من سيئة ننقص وروى صاحب كتاب المتفجعين من طريق قتادة قال كان العلاء بن زياد يقول لينزل أحدكم نفسه انه قد حضره الموت فاستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل ومن طريق الاصمعي قال كان حماد بن سلمة اذا نعي اليه أحد من اخوانه صلى ركعتين وترحم على الميت وقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر الحمد لله الذي أعطانيهن بعده

(بيان أقاويلهم عند موت الولد)

أعم من أن يكون ذكرا أو أنثى اعلم انه (حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه) ولا يشتد به حزنه (لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر) فتقدم هذا وتأخر هذا (وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر) وهذا معنى قول داود الطائي لمن طلب منه النصيحة عسكر الموتى ينتظرونك (واذا اعتقد هذا قل جزعه و) سكن (حزنه) قال صاحب كتاب المتفجعين حدثنا عبد الله بن الهيثم حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال اتى الحسن رجلا يعزيه عن ابنه فرأى الجزع قد بلغ منه فقال كان ابنك يغيب عنك قال نعم قال فهبها غيبة غابها عنك فكأنك عليه قد قدمت (لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما تعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الي من ان أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله) أي بعد موتي وذلك لان الوالد اذا مات ولده قبله يكون أجر مصابه بفقده في ميزان الاب واذا مات الوالد قبله يكون أجر المصيبة في ميزان الابن وهذه تسلية عظيمة في موت الاولاد وفيه رد على العز ابن عبد السلام في ذهابه الى أنه لا أجر في المصيبة لانها ليست من كسب العبد بل في الصبر عليها قال العراقي لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب الي من فارس أخلفه خلفي انتهى قلت بل روى ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميدي مرسلا بلفظ لان أقدم سقطا أحب الي من مائة مستلئم رواه كذلك أبو عبيد في الغريب والبيهقي في الشعب والمستلئم المتسلح وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضا أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة ويزيد بن عبد الملك ضعيف قاله الذهبي في الكاشف (وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب) والسقط بالتثليث الولد يسقط قبل تمامه (وقال زيد بن أسلم) العدوي مولاهم أبو عبد الله المدني العالم الثقة روى له الجماعة (توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك الاجر في الآخرة مثل ذلك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة) كانت جالسة (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان) رواه مسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه الا دخلت الجنة قالت امرأة واثنان قال واثنان وعند ابن حبان أيضا لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي المتفق عليه لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم وقد تقدم في كتاب النكاح (وليخلص الوالد الدعاء لولده بعد الموت) فانه أرجى دعاء وأقرب به الى الاجابة (وقف محمد بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس أحد الاشراف وهو أخو جعفر وعبد الله وعلي واسحق (على قبر ولده فقال اللهم اني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (ووقف أبو سنان) ضرار بن مرة

في سفر فسبقه الولد الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه لاسيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كان له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقرب به الى الاجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني أصبحت أرجوك له وأخاف عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان

الشيبانى الكوفى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له مسلم والترمذى والنسائى (على قبر ابنه فقال اللهم انى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فانك أجود وأكرم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ووقف اعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب له ماقصر فيه من طاعتك) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر) بن عبد الله بن ذر الهمدانى الكوفى العابد (بعد ماوضع فى لحده فقال ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى اللهم وماوعدتنى عليه من الاجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ماعلينا بعدك من خصاصة ياذر ومابنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا محمد ابن كناسة قال لما مات ذر بن عمر الهمدانى وكان موته فجاءة جاء أباه أهل بيته يبكونه فقال مالكم انا والله ماظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق ولا أخطئ بنا ولا أريد غيرنا ومالنا على الله معتب فلما وضعه فى قبره قال رحمك الله يابنى والله لقد كنت بى بارا ولقد كنت عليك حدبا ومابى اليك من وحشة ولا الى أحد بعد الله فاقة ولا ذهبت لنا بعز ولا أبقيت علينا من ذل ولقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ماصرت اليه فليت شعرى ياذر ماقيل لك وماذا قلت ثم قال اللهم انك وعدتنى الثواب بالصبر على ذر اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك اللهم انى قد وهبت ماجعلت لى من أجر على ذر لذر صلة منى فلا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك أرحم منى به اللهم انى قد وهبت لذر اساءته الى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم فلما ذهب لينصرف قال ياذر انصرفنا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك قال وحدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة ح وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن أبى عمر العدنى حدثنا سفيان بن عيينة قال لما مات ذر بن عمر بن ذر قال عمر بن ذر شغلنا ياذر الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك اللهم انى قد وهبت لذر مافرط فيه من حقى فهب له ماقصر فيه من حقك قال وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن على بن المثنى حدثنا عبد الصمد بن يزيد سمعت عمرو بن جرير الهجرى صاحب محمد ابن جابر يقول لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه الآن يضيع الشيخ لانه كان بارا بوالديه فسمعها الشيخ فبقى متعجبا انى أضيع والله حى لا يموت فسكت حتى واراه التراب ثم وقف على قبره ليسمعهم فقال رحمك الله ياذر وماعلينا بعدك من خصاصة ومالى الى أحد بعد الله حاجة ومايسرنى ان أكون المقدم قبلك ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك لقد شغلنى الحزن بك عن الحزن عليك فياليت شعرى ماذا قيل لك وماذا قلت يعنى منكرا ونكيرا ثم رفع رأسه فقال اللهم انى قد وهبت حقى فيما بينى وبينه له اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له قال فبقى القوم متعجبين مما جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له (ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال مارأيت مثل هذه النضارة وماذاك الا من قلة الحزن فقالت ياعبد الله انى لفى حزن مايشركنى فيه أحد قال فكيف قالت ان زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الاضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وماشعرنا به الا متشحطا فى دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردنى الدهر) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء ويشبه هذه القصة مارواه صاحب كتاب المتفجعين عن حبش بن موسى قال أخبرنا المدائنى قال حدثنى رجل من أهل الجزيرة من الازد قال كان رجل يجالسنا باحسن مجالسة فربما أخذته غشية حتى يغلب ثم يفيق فقلت له يوما ماهذا الذى نراه بك قال أنا رجل من أهل الموصل وكان لى ابن من أنفس الاولاد فلما استعرض

على قبر ابنه فقال اللهم انى قد غفرت له ماوجب لى عليه فاغفر له ماوجب لك عليه فانك أجود وأكرم ووقف اعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب له ماقصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ماوضع فى لحده فقال ياذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى اللهم وما وعدتنى عليه من الاجر فى مصيبتى فقد وهبت له فى ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ماعلينا بعدك من خصاصة ياذر ومابنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال مارأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت ياعبد الله انى لفى حزن مايشركنى فيه أحد قال فكيف قالت ان زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الاضحى وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وماشعرنا به الا متشحطا فى دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردنى الدهر كما ترى

يحيى بن محمد بن على أهل الموصل فقتلهم هربت أنا وابنى الى جبل من جبال الموصل فلجأنا الى غار فيه فاقمنا حتى بلغ الجوع منا فقلت لابنى لو خرجت فالتمست لنا زادا وأخفيت شخصك فخرج من الغار فابطأ عنى يومين فلما كان اليوم الثالث سمعت حس رجل عليه خف يطؤ به وطأ شديدا فقلت هذا رجل من المسودة من أصحاب يحيى بن محمد قد ظفر بابنى وقد جاء به ليدله على فانتضيت سيفى فلما أدخل رجليه ضربتهما بسيفى فقطعتهما فسقط وهو يقول قتلتنى يا أبت فاقام ساعة ينزف ثم مات وكان ابنى فى خروجه من الغار وجد خفا ملقى فلبسه فى كلما ذكرته أصابنى هذا الذى ترون وقال أيضا حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الاعرابى ان اعرابيا من اعراب بنى سعد حبس فى دوار سجن اليمامة فى تهمة فمات فى السجن فدفع الى أمه فلما نظرت اليه قالت يا بنى خرجت من دار البلاء الى دار البلى (فامثال هذه المصائب ينبغى ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ماهو أعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الاكثر) وأحسن ما يتسلى به قول بعضهم

أرى ولد الفتى ضرا عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما * فاما أن يخلفه عدوا
واما أن يربيه يتيما * واما أن يوافيه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

اعلم ان (زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين) خاصة (محبوبة) أى مرغوب اليها (لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد) كما رواه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم (وقد روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير ان لا تقولوا هجرا) بضم فسكون اى قبيحا أو فحشا وكان سبب النهى عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر ثم لما انمحت آثار الجاهلية واستحكم الاسلام وصاروا أهل يقين وتقوى أذن لهم فى الزيارة ولكن بشروط يأتى ذكرها للمصنف بعد وقال القاضى الفاء متعلق بمحذوف أى نهيتكم عن زيارتها مباهاة بتكاثر الاموات فعل الجاهلية وأما الآن فقد جاء الاسلام وهدم قواعد الشرك فزوروها فانها تورث رقة القلب وتذكر الموت والبلى اه ونعم الدواء هى لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه فان انتفع بالاكثار منها فذاك والا اكثر من مشاهدة المحتضر بن فليس الخبر كالعيان وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قد أذن النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارتها بعد النهى وعلله بانها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن اذنا عاما فى زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذى ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر والعلة موجودة فى ذلك كله وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين اه وقال المناوى فى شرح الجامع الصغير نهيتكم خطاب رجال فلا تدخل فيه الاناث على المختار عند أصحابنا فلا يندب لهن لكن يجوز على الكراهة ثم الزيارة بمجرد هذا القصد يستوى فيها سائر القبور ولا يخص قبر دون قبر قال السبكى متى كانت الزيارة بهذا القصد لا يشرع فيها قصد قبر بعينه ولا تشد الرحال لها وعليه يحمل ما فى شرح مسلم من منع شد الرحال لزيارة القبور وكذا بقصد التبرك الا للانبياء فقط اه وقال بعضهم استدل به على حل زيارة القبور ذهب الزائر ذكرا أم أنثى والمزور مسلما أم كافرا قال النووى وبالجواز قطع الجمهور وقال صاحب الحاوى لا يجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط اه قال العراقى هذا الحديث رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو يعلى غير ان لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدعان بن ربيعة بن النابغة قال البخارى لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات اه قلت ورواه أيضا ابن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن ربيعة بن النابغة عن أبيه عن على قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ثم قال انى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها تذكركم الآخرة أما لفظ أحمد وأبى يعلى انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة وقد روى هذا الحديث من طرق عن بريدة وعائشة

فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ماهو أعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الاكثر

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا

وابن مسعود وأنس وابن عباس وأبى سعيد وواسع بن حبان وأم سلمة فحديث بريدة عند مسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها زاد الترمذى فانها تذكركم الآخرة وهو عند الحاكم بزيادة ولتذكركم زيارتها خيرا وعند أبى داود بزيادة فان فى زيارتها تذكرة وحديث عائشة رواه الحاكم فى معجم شيوخه وابن النجار بلفظ الترمذى وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجه والحاكم بلفظ فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وحديث أنس رواه الحاكم وابن النجار كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدالى ألا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا وحديث ابن عباس عند الطبرانى بلفظ فزوروها ولا تقولوا هجرا وحديث أبى سعيد وواسع بن حبان عند الحاكم بلفظ فان فيها عبرة وحديث أم سلمة عند الطبرانى بلفظ فان لكم فيها عبرة وروى الطبرانى فى الصغير من حديث زيد بن ثابت زوروا القبور ولا تقولوا هجرا (وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفى هذا اليوم قال أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار كما أوردنا من قبل) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الاخنسى متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كان معه قريبا من ألف راكب وفيه انه لم يأذن له فى الاستغفار ورواه مسلم من حديث أبى هريرة استأذنت ربى ان أستغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنت ان أزور قبرها فاذن لى اهـ قلت روى ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا محمد بن عبيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى ان أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى ان أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وروى أيضا من طريق مسروق عن عبد الله رفعه انى نهيتكم عن زيارة القبور فانه قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فانها تذكركم (وقال ابن أبى مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله وأبو مليكة بالتصغير اسمه زهير بن عبد الله بن جدعان التيمى المدنى تابعى جليل أدرك ثلاثين من الصحابة روى له الجماعة (أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور بسند جيد اهـ قلت ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فقال حدثنا عيسى بن يونس عن ابن جريج عن عبد الله بن أبى مليكة قال توفى عبد الرحمن بن أبى بكر بالحبشى قال ابن جريج الحبشى على اثنى عشر ميلا من مكة فدفن بمكة فلما قدمت عائشة أتت قبره فقالت

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك مازرتك (ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر) أى الفحش من القول (على رؤس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ولا يخلون فى الطريق عن تكشف) للعورة (وتبرج) أى تزين (وهذه عظائم والزيارة سنة) مستحبة (فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة) أى حقيرة (ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء) والاستغفار (وترك الحديث على رأس القبر) الا ما أهم (وقال أبوذر) الغفارى رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والحاكم باسناد جيد قلت رواه الحاكم من طريق موسى النبى عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى بن سعيد عن أبى مسلم الخولانى عن ابن عمير عن أبى ذر وزاد فى آخره يوم القيامة يتعرض لكل خير ثم قال رجاله ثقات قال الذهبى لكنه منكر ويعقوب واه ويحيى لم يدرك أبا مسلم فهو منقطع اهـ ورواه البيهقى كذلك وقال هذا متن منكر وفيه يعقوب بن ابراهيم أظنه المدنى المجهول والشطر الاول من الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ زر القبور فانها تذكر الموت وروى ابن ماجه وابن منيع بلفظ زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة

وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفى هذا اليوم قال أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار كما أوردنا من قبل * وقال ابن أبى مليكة أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر * وقال أبوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله

(وقال

(وقال ابن أبي مليكة) عبد الله بن عبيد الله التيمي التابعي (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا واسناده حسن اهـ قلت لفظ ابن أبي الدنيا فسلموا عليهم وصلوا عليهم وقد رواه الديلمي من حديث عائشة متصلا بلفظ زوروا اخوانكم وسلموا عليهم وصلوا فان لكم فيهم عبرة (وعن نافع عن ابن عمر) رضي الله عنه (انه كان لا يمر بقبر أحد الا وقف عليه وسلم عليه) قال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا يحيى بن آدم عن زهير عن موسى بن عقبة انه رأى سالم بن عبد الله لا يمر بليل ولا نهار بقبر الا سلم عليه ونحن مسافرون معه يقول السلام عليكم فقلت له في ذلك فاخبرنيه عن أبيه انه كان يصنع ذلك قال وحدثنا حفص بن غياث عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم وقد مات بعض ولده قال دلوني على قبره فيدلونه عليه فينطلق فيقوم عليه ويدعوله (وعن جعفر بن محمد) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عن أبيه) محمد بن علي (ان) جدته (فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ورضي عنها (كانت تزور قبر عمها) أي عم أبيها (حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه (في الايام فتصلي وتبكي عنده) وروى البيهقي في الشعب عن الواقدي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الشهداء باحد في كل حول واذا بلغ رفع صوته فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم أبو بكر كل حول يفعل مثل ذلك ثم عمر ثم عثمان وكانت فاطمة رضي الله عنها تأتيه وتدعو وكان سعد بن أبي وقاص يسلم عليهم ثم يقبل على أصحابه فيقول ألا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام (وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه) وفي لفظ والديه (أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا) بهما قال العراقي رواه الطبراني في الصغير والاوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك اهـ قلت وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة ورواه أيضا البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع في كل جمعة مرة وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان روى عنه محمد بن المثنى وغيره لكن قال مجهول ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه قال أحمد كذاب يضع الحديث وقال أبو حاتم ليس بالقوي وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدة أخبار منها مارواه الحكيم وابن عدي من حديث ابن عمر من زار قبر أبويه أو أحدهما احتسابا كان كعدل حجة مبرورة ومن كان زوّارا لهما زارت الملائكة قبره وروى أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافعي من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعا من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها (وعن ابن سيرين) محمد رحمه الله تعالى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وهو مرسل صحيح الاسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد ابن جحادة عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن أبي جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف اهـ قلت ورواه ابن عساكر من حديث أنس وقال فيه يحيى بن عقبة كذبه ابن معين ولفظه ان الرجل يموت والداه أو أحدهما وانه لعاق لهما فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله برا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري) أي من زارني في قبري فقصد البقعة نفسها ليس بقربة كذا ذكره السبكي في شفاء السقام وحمل عليه ما نقل عن مالك من منع شد الرحل لمجرد زيارة القبر من غير ارادة اتيان المسجد للصلاة فيه (وجبت له شفاعتي) أي حقت وثبتت ولزمت قال السبكي يحتمل كون المراد له بخصوصه بمعنى ان الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم ويكون افرادهم بذلك تشريفا وتنويها بحسن الزيارة او المراد ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تناله الشفاعة وفائدته البشرى بانه يموت مسلما وعليه يجب اجراء اللفظ على عمومه اذ لو أضمر فيه شرط الوفاة على الاسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى اذ الاسلام وحده كاف في نيلها وعلى الاولين يصح هذا الاضمار والحاصل ان أثر الزيارة اما الموت على الاسلام مطلقا لكل زائر واما شفاعة تخص

* وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي

وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب الاحبار مامن فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى

الزائر اخص من العامة وقوله شفاعتي في الاضافة اليه تشريف لها اذ الملائكة وخواص البشر يشفعون فللزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب أسرار الحج قال ابن القطان وفيه عبد الله بن عمر العمري قال أبو حاتم مجهول وموسى ابن هلال البصري قال العقيلي لا يصح حديثه ولا يتابع عليه وقال السبكي بل حسن أو صحيح وقال الذهبي طرقه كلها لينة ولكن يتقوى بعضها ببعض وقال ابن حجر حديث غريب أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال في القلب من سنده شئ وأنا ابرأ الى الله من عهدته قال ابن حجر وغفل من زعم ان ابن خزيمة صححه وبالجملة قول ابن تيمية موضوع غير صواب (وقال صلى الله عليه وسلم من زارني بالمدينة) أي في حياتي أو بعد وفاتي (محتسبا) أي ناويا بالزيارة وجه الله تعالى وثوابه وقيل له محتسبا لاعتداده بعمله فجعل حال مباشرته الفعل كانه معتد به (كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة) هكذا في النسخ بالواو والصحيح أو أي شهيدا للبعض وشفيعا لباقيهم أو شهيدا للمطيع شفيعا للعاصي وأو فيه بمعنى الواو أو للتقسيم كما تقرر وجعلها للشك لم يرده عياض قالوا وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج بل عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة الى قبره ميتا كهي اليه حيا رواه البيهقي من حديث أنس وقد تقدم في كتاب أسرار الحج (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (مامن فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة يحفون بالقبر) أي بقبره صلى الله عليه وسلم (يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا) الى السماء (وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا) تم عمر الدنيا و (انشقت الارض) بين فيها (خرج) صلى الله عليه وسلم (في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن كعب انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب مامن فجر فذكره الا انه قال في آخره فيقودونه بدل فيوقرونه ورواه كذلك ابن النجار في تاريخ المدينة والقرطبي في التذكرة (فالمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم) عليه بالخصوص فيقول السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته أو هو مع غيره فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي أو يقول ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون كما في حديث عائشة عند الترمذي أو يقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لكم أنتم سلفنا ونحن بالاثر كما في حديث ابن عباس عند الترمذي أيضا أو يقول السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم كما في معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال اذا مررت بالقبور قد كنت تعرفهم فقل السلام عليكم أصحاب القبور واذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقل السلام على المسلمين * (تنبيه) * روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي جري الهجيمي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام يا رسول الله قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى فهذا يشعر بان السنة في السلام على الموتى بتقديم الصلة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال لهم السلام عليكم دار قوم مؤمنين فيحتاج الى الجمع حتى ان بعضهم قال ان هذا أصح من حديث النهي وذهب آخرون ان السنة ما دل عليه حديث النهي وقد أجاب ابن القيم في البدائع بان كلا من الفريقين انما أتوا من عدم فهم مقصود الحديث فان قوله صلى الله عليه وسلم عليك السلام تحية الموتى ليس تشريعا منه واخبارا عن أمر شرعي وانما هو اخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على ألسنة الناس في الجاهلية فانهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في اشعارهم كثير والاخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلا عن الاستحباب فتعين المصير الى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من تقديم لفظ السلام حيث يسلم على الاموات قال فان تخيل متخيل في الفرق ان السلام على الاحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت قلنا والسلام على الميت يتوقع جوابه أيضا كما ورد به الحديث (وأن لا يمسح القبر ولا يمسه) بيده أو بثوبه (ولا يقبله) بفمه (فان ذلك من عادة النصارى) وكذا السجود عليه

أو اليه وكل ذلك بدعة منكرة انما يفعلها الجهال كما قاله السبكي (قال نافع كان ابن عمر) رضي الله عنه (رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي) صلى الله عليه وسلم (السلام على أبي بكر) رضي الله عنه (السلام على أبي) رضي الله عنه (و ينصرف) رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال حدثنا أبو معاوية عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر انه كان اذا أراد ان يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه ثم يلوي وجهه وكان اذا قدم من سفر أتى المسجد ففعل ذلك قبل أن يدخل منزله وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا خلاد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال سمعت نافعا يقول كان عبد الله اذا قدم المدينة أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على أبي بكر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على عمر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم يقول يا أبتاه يا أبتاه ورواه حماد بن زيد عن أيوب مثله (وعن أبي امامة) بن سهل بن حنيف رضي الله عنه (قال رأيت أنس بن مالك) رضي الله عنه (أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشبيلي اه قلت ان كان هو عبد الله بن محمد بن أبي يحيى لقبه سحبل واسم أبيه سمعان فهو ثقة وهو الظاهر فانه ينسب الى جده روى له البخاري في الادب المفرد وأبو داود ومات سنة اثنتين وستين ويحتمل أن يكون هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني وهو أحد الضعفاء المشهورين اتهمه أبو داود بالكذب وقد روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه وهذا هو الذي استقر عليه رأي السيوطي في أمالي الدرة ولم يذكر الذي قبله وقرأت في مشارق الانوار للقاضي عياض ما لفظه وأما عبد الله بن سمعان فاكثر الناس يقولونه مفتوحا وكذلك ضبطه الشيوخ وسمعناه من كافتهم وحكى ابن مكي انه غلط وان صوابه بالكسر وحكى القاضي الحافظ أبو علي ان شيخه أبا بكر بن عبد الباقي كان يقول بكسر السين اه قلت وهو هكذا بفتح السين بخط الحافظ الذهبي في الديوان وقال فيه تركوه وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وقد رواه كذلك في الاستذكار وهذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة وروى نحو ذلك من حديث أبي هريرة ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم عليه و يقعد عنده الا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده رواه أبو الشيخ والديلمي (وقال سليمان بن سحيم) أبو أيوب المدني صدوق روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك و يسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وأورده أيضا عياض في الشفاء وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ورواه البيهقي بلفظ ما من عبد يسلم علي عند قبري الا وكل الله بها ملكا يبلغني وكفي أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته قال صاحب المواهب ولا شك ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم من حياة سائرهم فان قال سقيم الفهم لو كان حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه أحدها ان ذلك اعلام بثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند وجود ملزومه أو ملزوم ملزومه فوصف الحياة لازم ثابت دائما لان ملزوم ملزومه ثابت دائما وهذا من نفاثات سحر البيان في اثبات المقصود باكمل أنواع البلاغة وأكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

* قال نافع كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي و ينصرف

* وعن أبي امامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك و يسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام

وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين فقلت

أليس قد مت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع

كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبى بكر بن عبد الله المزنى فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى يوم الاثنين قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤنى فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك

وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة مرفوعا وفى لفظ آخر من حديثهما من عبد مر على قبر رجل يعرفه فى الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام رواه كذلك ابن أبى الدنيا فى القبور والصابونى فى المائتين (وقال رجل من آل عاصم الجحدرى) منسوب الى جحدر قبيلة من ربيعة بن نزار (رأيت عاصما) المذكور (فى منامى بعد موته بسنتين) وفى نسخة بسنتين (فقلت أليس قدمت قال بلى فقلت فأين أنت قال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نحن نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون سائر الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الشعب (وكان محمد بن واسع) البصرى الزاهد رحمه الله تعالى (يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى يوم الاثنين قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الشعب (وقال الضحاك) بن مزاحم الهلالى المفسر (من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الشعب وفى شرح الصدور للسيوطى قال السبكى عود الروح الى الجسد فى القبر ثابت فى الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى أن البدن يصير حيا بها كحالته فى الدنيا أو حيا بدونها وهى حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلى فهذا أى ان البدن يصير بها حيا كحالته فى الدنيا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التى نشاهدها بل يكون لها حكم آخر وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا نشك ان ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى وقال ابن القيم فى مسئلة تزاور الارواح وتلاقيها ان الارواح قسمان منعمة ومعذبة فاما المعذبة فهى فى شغل عن التزاور والتلاقى وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقها الذى هو مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة وقال اليافعى مذهب أهل السنة ان أرواح الموتى ترد فى بعض الاوقات من عليين أو من سجين الى أجسادهم فى قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصا ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال وتختص الارواح دون الاجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت فى عليين أو سجين وفى القبر يشترك الروح والجسد وقال ابن القيم الاحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام فى حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت فى ذلك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت (وقال) أبو محمد (بشر ابن منصور) السليمى الازدى البصرى ثقة عابد روى له مسلم وأبو داود والنسائى مات سنة ثمانين (لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان) أى المقبرة (فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأمسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤنى فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك

هديه

هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فماتركتها بعد ذلك) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الشعب (وقال بشار بن غالب النجرانى رأيت) أم اسمعيل (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية (العابدة) المتوفية فى سنة ١٣٥ (فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار بن غالب هداياك تأتينا على اطباق من نور مخمرة) أى مغطاة (بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وفى قولها فاستجيب لهم اشارة الى ان الدعاء للميت ينفع اذا استجيب فيمنع الاطلاق ولكن قد يقال ان الدعاء للميت مستجاب كما أطلقوا اعتمادا على فضل الله الواسع وقد أثنى الله على القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث) أى طالب الغوث (ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا ومافيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبد الواحد حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل اهـ قلت لفظ الديلمى ما الميت فى قبره الاشبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال وان هدية الاحياء للاموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم ورواه البيهقى فى الشعب قال وقال أبو على الحسين بن على الحافظ هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك لم يقع عند أهل خراسان وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن أبى التياح قال كان مطرف يبدو فاذا كان يوم الجمعة أدلج وكان ينور له فى سوطه فاقبل ليلة حتى اذا كان عند المقابر هوّم وهو على فرسه فرأى كان أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا هذا مطرف أتى يوم الجمعة قلت وتعلمون عندكم يوم الجمعة قالوا نعم ونعلم مايقول فيه الطير قلت ومايقولون قالوا يقولون سلام سلام يوم صالح يقال هوّم الرجل اذا طاطا رأسه من النعاس وروى أيضا عن الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبى جزعت جزعا شديدا فكنت آتى قبره فى كل يوم ثم انى قصرت عن ذلك فرأيته فى النوم فقال يابنى ما أبطأ بك عنى قلت وانك لتعلم بمجيئى قال ماجئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتينى فأسر بك ويسر من حولى بدعائك قال فكنت آتيه بعد كثيرا وروى أيضا عن سفيان قال كان يقال الاموات أحوج الى الدعاء من الاحياء الى الطعام والشراب وروى البيهقى عن أبى الدرداء هاشم بن محمد قال سمعت رجلا من أهل العلم يقول انه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك قال فقلت أزور التراب فرأيته فى منامى فقال يابنى مالك لا تفعل كما كنت تفعل فقلت أزور التراب فقال لا تقل ذلك يابنى فوالله لقد كنت تشرف على فيبشرنى بك جيرانى ولقد كنت تنصرف فما أزال أراك حتى تدخل الكوفة وروى ابن أبى الدنيا والبيهقى عن عثمان بن سودة وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما ماتت كنت آتيها فى كل جمعة فادعو لها واستغفر لها ولاهل القبور فرأيتها ليلة فى منامى فقلت يا أمه كيف أنت فقالت يابنى ان الموت لشديد كربه وأنا بحمد الله فى برزخ محمود افترش فيه الريحان واتوسد فيه السندس والاستبرق فقلت ألك حاجة قالت نعم قلت ماهى قالت لا تدع ماتصنع من زيارتنا والدعاء لنا فانى آنس بمجيئك يوم الجمعة اذا أقبلت من أهلك زائرا فابشر ويبشر بذلك من حولى من الاموات وقال الحافظ أبو طاهر السلفى سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسى بالاسكندرية يقول سمعت والدتى تقول رأيت أمى فى المنام بعد موتها وهى تقول يابنتى اذا جئتينى زائرة فاقعدى عند قبرى ساعة أتملى من النظر اليك ثم ترحمى على فانك اذا ترحمت على صارت الرحمة بينى وبينك كالحجاب ثم شغلتنى وقال الحافظ ابن رجب أنبأنى على بن عبد الصمد بن أحمد البغدادى عن أبيه قال أخبرنى قسطنطين بن عبد الله الرومى سمعت أسد بن موسى يقول كان لى صديق فمات فرأيته فى المنام وهو يقول سبحان الله جئت الى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وأنا ماجئت الى ولاقربتنى قلت له ومايدريك قال لما جئت الى قبر صديقك فلان رأيتك قلت كيف رأيتنى والتراب عليك قال

هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهى قالوا الدعوات التى كنت تدعو لنابها قلت فانى أعود لذلك فاتركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجرانى رأيت رابعة العدوية العابدة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا ومافيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار

مارأيت الماء اذا كان فى الزجاج ما يتبين قلت بلى قال فكذلك نحن نرى من يزورنا (وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث) وفى نسخة حين (وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لى لرأيت انه سيضربنى به) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور (ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له) بالتثبت قال الحكيم فى نوادر الاصول الوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت الدفن مدد للميت بعد الصلاة لان الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت الدفن مدد للعسكر وذلك ساعة شغل الميت لانه يستقبل هول المطلع وسؤال الفتانين (وقال سعيد بن عبد الله الاودى) من بنى أود بن سعد العشيرة وفى بعض النسخ الازدى فان كان كذلك فهو سعيد ابن عبد الله بن ضرار بن الازور وضرار بن الازور أسدى ويقال فى الازدى الاسدى وسعيد ضعيف كما تقدم (شهدت أبا أمامة) صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه (وهو فى النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب) أى لا يستطيع الجواب (ثم ليقل يا فلان بن فلانة) المرة (الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة) المرة (الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون) وفى لفظ لا تشعرون (فيقول) وفى لفظ فليقل (له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما) وفى لفظ يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه (فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما) وفى لفظ ولكن الله حجيجه دونهم (فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه الى حواء) أى فليقل يا فلان بن حواء قال العراقى رواه الطبرانى بسند ضعيف اهـ قلت لعله لمكان سعيد بن عبد الله ان كان هو ابن ضرار فقد قال أبو حاتم انه ليس بقوى نقله الذهبى هكذا رواه الطبرانى فى الكبير وفى كتاب الدعاء وابن منده فى كتاب الروح وابن عساكر والديلمى ورواه ابن منده من وجه آخر عن أبى أمامة قال اذا مت فدفنتمونى فليقم انسان عند رأسى فليقل يا صدى بن عجلان اذكر ما كنت عليه فى الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ورواه ابن عساكر من وجه آخر عن أبى امامة رفعه اذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع فليقل يا فلان بن فلانة فانه يستوى قاعدا فليقل يا فلان ابن فلانة فانه سيقول له أرشدنى يرحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله باعث من فى القبور فان منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول قم ما تصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجهما دونه ومما ورد فى الاخبار والآثار من التلقين ما رواه البزار عن على بن أبى طالب قال اذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير القبر فاذا أدلى فى قبره فقل بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عبدك نزل بك وأنت خير منزول به خلف الدنيا خلف ظهره فاجعل ما قدم عليه خيرا مما خلف فانك قلت وما عند الله خير للابرار وروى ابن أبى شيبة عن قتادة ان أنسا دفن ابناله فقال اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وأبدله دارا خيرا من داره وروى سعيد بن منصور عن أنس انه كان اذا وضع الميت فى قبره قال اللهم جاف الارض عن جنبيه وصعد روحه وتقبله وتلقه منك بروح وروى ابن ماجه والبيهقى فى السنن عن ابن المسيب قال حضرت ابن عمر فى جنازة ابنته فلما وضعها فى اللحد قال بسم الله وفى سبيل الله فلما أخذ فى تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى الكثيب عليها قام جانب القبر ثم قال اللهم جاف الارض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضوانا ثم قال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبى شيبة عن مجاهد انه كان يقرأ بسم الله وفى سبيل الله اللهم افسح له فى قبره ونور له فيه وألحقه بنبيه وروى الحكيم عن عمرو بن مرة قال كانوا يستحبون اذا وضع الميت فى اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم وروى

* وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لى لرأيت انه سيضربنى به ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودى شهدت أبا امامة الباهلى وهو فى النزع فقال ياسعيد اذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال الرجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه الى حواء

ابن أبي شيبة عن خيثمة قال كانوا يستحبون اذا دفنوا الميت أن يقولوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد ما سوى عليه فيقول اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسئلة منطقه ولا تفتنه في قبره بما لا طاقة له به وروى سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا اذا سوى على قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل لا اله الا الله ثلاث مرات يا فلان قل ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ثم ينصرف وقال أبو بكر الآجري يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره وروى ابن سعد في الطبقات قال قال لي النزال بن سبرة اذا أدخلتني قبري فقل اللهم بارك في هذا القبر وفي داخله وروى ابن أبي شيبة عن أنس انه كان اذا سوى على الميت قبره قام عليه فقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه أو قال فزد في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه (ولا باس بقراءة القرآن على القبر) وفي نسخة القبور قال السيوطي في شرح الصدور وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم قال الزعفراني سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به وقال النووي في شرح المهذب يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الاصحاب زاد في موضع آخر وان ختموا القرآن على القبر كان أفضل انتهى وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكناني السمنودي الشافعي عرف بابن القطان المتوفى في سنة ٨١٣ وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فاجاب ومنها وهل يصل ثواب القراءة للميت أم لا فاجاب عنها في رسالة سماها القول بالاحسان العميم في انتفاع الميت بالقرآن العظيم وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار * قال رحمه الله تعالى اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثيرون منهم يصل وبه قال الامام أحمد بعد ان قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عنه انه يصل الى الميت كل شئ من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك ونقل ذلك عن جماعة من السلف ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيرا وقرأ عنده ختمة وقال أرجو أن تدوم فكان الامر كذلك وقد أفتى القاضي حسين بان الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للاذان وتعليم القرآن قال النووي في زيادات الروضة ظاهر كلامه صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى المستأجر أو ميته لكن المستأجر لا ينتفع بان يقرأ الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب اجابة وأكثر بركة وقال في كتاب الوصية الذي يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين في عود فائدتها الى الميت وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة اذا أهدى الثواب الى القارئ وعبارة الروضة اذا أوصل الثواب الى القارئ انتهى وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارئ والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة وقال عبد الكريم الشالوسي القارئ ان نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير وان قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير وقال القرطبي وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي

ولا باس بقراءة القرآن على القبور

شقه النبي صلى الله عليه وسلم باثنين ثم غرس على قبر نصفا وعلى قبر نصفا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا رواه الشيخان قالوا ويستفاد من هذا غرس الاشجار وقراءة القرآن على القبور واذا خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن وقال النووى استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا اذا وصل النفع الى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فان قراءة القرآن من انسان أعظم وانفع من التسبيح من عود وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر فى حال الحياة فالميت كذلك قال ابن الرفعة الذى دل عليه الخبر بالاستنباط ان بعض القرآن اذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه اذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته وأقر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وما يدريك انها رقية واذا نفعت الحى بالقصد كان نفع الميت بها أولى لان الميت يقع عنه من العبادات بغير اذنه ما لا يقع من الحى نعم يبقى النظر فى ان ما عدا الفاتحة من القرآن الكريم اذا قرئ وقصد به ذلك هل يلتحق به انتهى نعم يلتحق به فروى ابن السنى من حديث ابن مسعود انه قرأ فى اذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت فى اذنه قال قرأت أفحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى فرغت من آخر السورة فقال صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا قرأ بها على جبل لزال ومثل ذلك ما جاء به فى القراءة بالمعوذتين والاخلاص وغير ذلك وفى الرقية بالفاتحة دليل على صحة الاجارة والجعالة لينتفع بها الحى فكذلك الميت ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار اقرؤا على موتاكم رواه أبو داود وحديث اقرؤا يس على موتاكم رواه النسائى وابن ماجه وابن حبان وحديث يس ثلث القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له فاقرؤها على موتاكم رواه أحمد وأول جماعة من التابعين القراءة للميت بالمحتضر والتأويل خلاف الظاهر ثم يقال عليه اذا انتفع المحتضر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحى الحاضر يسمع كالحى الحاضر كما ثبت فى الحديث انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان (وروى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى) الانصارى أبو جعفر البغدادى فيه لين وقال أبو داود ضعيف روى له البخارى فى خبر القراءة خلف الامام مات سنة سبع وثلاثين ومائتين (معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا أبا عبد الله ما تقول فى مبشر بن اسمعيل الحلبى) أبى اسمعيل الكلبى مولاهم صدوق مات سنة مائتين بحلب روى له الجماعة (فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيأ قال نعم قال أخبرنى مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج) نزيل حلب مقبول روى له الترمذى (عن أبيه) العلاء بن اللجلاج الشامى يقال انه أخو خالد ثقة روى له الترمذى ولابيه اللجلاج صحبة عاش مائة وعشرين خمسين فى الجاهلية وسبعين فى الاسلام قال أبو الحسن بن اسمعيل اللجلاج والد العلاء غطفانى واللجلاج والد خالد عامرى (انه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر) رضى الله عنه (يوصى بذلك فقال له أحمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ) وهكذا أورده القرطبى فى التذكرة وعند الطبرانى من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال قال لى أبى يا بنى اذا وضعتنى فى لحدى فقل بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ثم سن على التراب سنا ثم اقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة وخاتمتها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك هكذا هو عند الطبرانى وكانه سقط منه فانى سمعت أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الصحبة للجلاج لا للعلاء واما قول ابن عمر فقد روى مرفوعا رواه البيهقى فى الشعب عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مات أحدكم فلا تحبسوه واسرعوا به الى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة ورواه الطبرانى كذلك الا انه قال عند رأسه بفاتحة الكتاب والباقى سواء (وقال محمد بن أحمد المروزى) هكذا فى النسخ والصواب أحمد بن محمد المروزى كنيته أبو بكر والمروزى نسبة الى مرو الروذ مدينة بخراسان بينها وبين مرو الشاهجان خمس مراحل وأما محمد بن أحمد المروزى يكنى

روى عن على بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا أبا عبد الله ما تقول فى مبشر بن اسمعيل الحلبى قال ثقة قال كتبت عنه شيأ قال نعم قال اخبرنى مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ *وقال محمد بن المروزى

أباز يدفهومن أئمة الشافعية حدث عن الفربرى مات سنة ٣٧١ (سمعت أحمد بن حنبل) رحمه الله (يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم) كذا أورده عبد الحق الازدى فى كتاب العاقبة عن أبى بكر أحمد بن محمد المروزى على الصواب وروى النسائى والرافعى فى تاريخه وأبو محمد السمرقندى فى فضائل سورة الاخلاص من حديث على من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطى من الاجر عدد الاموات قال الشمس بن القطان ولقد حكى لى من أثق به من أهل الخير انه مر بقبور فقرأ قل هو الله أحد واهدى ثوابها لهم فرأى واحدا منهم فى المنام وأخبره بان الله تعالى غفر له ولسائر القبور نخصه ثواب رأس واومن سورة قل هو الله أحد وتقسم الباقون باقيها ببركة سورة قل هو الله أحد وفى العاقبة لعبد الحق قال حدثنى أبو الوليد اسمعيل بن أحمد عرف بابن افريد وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوليد مات أبى رحمة الله عليه فحدثنى بعض اخوانه ممن يوثق بحديثه نسيت أنا اسمه قال لى زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبا من القرآن ثم قلت يافلان هذا قد أهديته لك فماذا لى قال فهبت على نفحة مسك غشيتنى وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نحو نصف الطريق (وقال أبو قلابة) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشى البصرى يكنى أبا محمد وأبو قلابة لقب صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد روى له ابن ماجه مات سنة ست وسبعين ومائتين وله ست وثمانون سنة (أقبلت من الشأم الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر) من القبور التى هنالك (فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم) تعملون (ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وروى صاحب كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة حدثنا محمد بن قدامة حدثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن مياس قال خرجت الى الظهر ثم صليت ركعتين ثم جئت الى قبر فاتكأت عليه فأخذتنى نعسة الشيوخ فسمعت صوتا من القبر أعل عنى فقد آذيتنى انكم تعملون ولا تعلمون وانا نعلم ولا نعمل والله لوددت انى خيرت بين الدنيا وبين ركعتيك اذا كنت اختار ركعتيك هكذا قال عن مياس وأخاله تحريفا وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والبيهقى فى الدلائل من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى عثمان النهدى عن ابن ميناء قال دخلت الجبانة فصليت ركعتين خفيفتين ثم اضطجعت الى قبر فوالله انى انبهان اذ سمعت قائلا فى القبر يقول قم فآذيتنى انكم لتعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل فوالله لان أكون صليت مثل ركعتيك أحب الى من الدنيا وما فيها قلت وابن ميناء هو الحكم انصارى مدنى صدوق من أولاد الصحابة روى له مسلم وأبو داود فى كتاب فضائل الانصار له والنسائى وابن ماجه وليس له عندهم الا حديث واحد وروى ابن أبى الدنيا أيضا والبيهقى فى الشعب عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال كنت بالمقبرة فصليت قريبا من قبر ركعتين خفيفتين لم أرض اتقانهما ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمنى فقال ركعت ركعتين لم ترض اتقانهما قلت قد كان ذلك قال تعملون ولا تعلمون ونعلم ولا نستطيع ان أعمل لان أكون ركعت مثل ركعتيك أحب الى من الدنيا بحذافيرها وهذا السياق أشبه بسياق المصنف وقد تقدم شئ من ذلك بعد ذكر الابيات التى كتبت على القبور وروى القرطبى فى التذكرة من حديث أنس انك لتتصدق من بيتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة فى أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادى ياصاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا اليك هذه الهدية فاقبلها قال فيدخلها اليه فى قبره ويفسح له فى مدخله وينور له فيه قال فيقول جزى الله عنى أهلى خير الجزاء قال فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لى ولدا ولا أحد يذكرنى بشئ فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة قلت هو عند الطبرانى فى الاوسط بلفظ مامن أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون بعد موته الا أهداها لهم جبريل على طبق من نور ثم يقف على شفير القبر فيقول ياصاحب القبر العميق هذه هدية أهداها

سمعت احمد بن حنبل يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم تنبهت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا اهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال

اليك أهلك فاقبلها فيدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى اليهم شئ وروى ابن أبي الدنيا فى كتاب القبور عن عمرو بن جرير قال اذا دعا العبد لاخيه الميت أتاه بها الى قبره ملك فقال يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق وروى أيضا عن بعض المتقدمين قال مررت بالمقابر فترحمت عليهم فهتف بى هاتف نعم فترحم عليهم فان فيهم المهموم والمحزون وقال الحافظ ابن رجب روى جعفر الخلدى قال حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الانبارى سمعت أبي يقول رأى بعض الصالحين أباه فى النوم فقال له يا بنى لم قطعتم هديتكم عنا قال يا أبت وهل تعرف الاموات هدية الاحياء قال يا بنى لولا الاحياء لهلكت الاموات وروى ابن النجار فى تاريخه عن مالك بن دينار قال دخلت المقبرة ليلة الجمعة فاذا أنا بنور مشرق فيها فقلت لا اله الا الله نرى ان الله عز وجل قد غفر لاهل المقابر فاذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين الى اخوانهم من أهل المقابر قلت بالذى أنطقك الا اخبرتنى ماهو قال رجل من المؤمنين قام فى هذه الليلة فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال اللهم انى قد وهبت ثوابها لاهل المقابر من المؤمنين فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور فى المشرق والمغرب قال مالك فلم أزل أقرؤها فى كل جمعة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى يقول لى يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذى أهديته الى أمتى ولك ثواب ذلك ثم قال لى وبنى الله لك بيتا فى الجنة فى قصر يقال له المنيف قلت وما المنيف قال المطل على أهل الجنة وقال السيوطى فى شرح الصدور فصل فى قراءة القرآن للميت أو على القبر اختلف فى وصول ثواب القراءة للميت فجمهور السلف والائمة الثلاثة على الوصول وخالف فى ذلك امامنا الشافعى رضى الله عنه مستدلا بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وأجاب الاولون عن الآية بوجوه أحدها انها منسوخة بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية أدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء الثانى انها خاصة بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام فاما هذه الامة فلها ما سعت وما سعى لها قاله عكرمة الثالث ان المراد بالانسان هنا هو الكافر فاما المؤمن فله ما سعى وما سعى له قاله الربيع بن أنس الرابع ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل الخامس ان اللام بمعنى على أى ليس على الانسان الا ما سعى قلت وقد أورد ابن القطان فى الرسالة المذكورة هذه الاجوبة وقال القول بالنسخ روى عن ابن عباس قال فجعل الولد الطفل فى ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الابناء والابناء فى الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا وذكر القول الثالث ونقل عن القرطبى ان كثيرا من الاحاديث يدل على هذا القول ونقل عنه أيضا انه قال ويحتمل أن يكون قوله الا ما سعى خاصة بالسيئة لما فى الحديث وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها له حسنة قال ابن القطان وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقينى بالخشابية بجامع عمرو بن العاص هل تضعف هذه الحسنة أيضا قلت وينبغى ان تضعف لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فقال نعم وتضعف من جنس ما هم به ثم قال ومن المفسرين من قال المراد بالانسان أبو جهل أو عقبة بن أبي معيط او الوليد ابن المغيرة قال ومنهم من قال الانسان بسعيه فى الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب وأسدى لهم الخير وتردد اليهم فصار ثوابه لهم بعد موته من سعيه وهذا حسن ومنهم من قال الانسان فى الآية للحى دون الميت ومنهم من قال لم ينف فى الآية انتفاع الرجل بسعى غيره له وانما نفى عمله بسعى غيره وبين الامرين فرق ثم نقل عن الزمخشرى ما لفظه فان قلت أما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان أحدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا مصدقا فكذلك كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تبعا له وقائما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه فهو فى حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم قال والصحيح من الاجوبة ان قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى عام مخصوص لما تقدم من الادلة وكذا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وكذا اذا مات الانسان انقطع

عمله الامن ثلاث هذا كله كلام ابن القطان ثم قال السيوطي واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فانه لافرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة وبالاحاديث الواردة فيه وهي وان كانت ضعيفة فمجموعها يدل على ان لذلك أصلا وبان المسلمين مازالوا في كل مصر يجتمعون و يقرؤن لموتاهم من غير نكير فكان ذلك اجماعا ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في المسئلة قال القرطبي وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام يفتي بانه لا يصل الى الميت ثواب مايقرأ فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له انك كنت تقول انه لا يصل الى الميت ثواب مايقرأ أو يهدى اليه فكيف الامر قال له كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك وانه يصل اليه ذلك ثم قال السيوطي ومن الوارد في قراءة القرآن على القبور ماتقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعا كلاهما وأخرج الخلال في الجامع عن الشعبي قال كانت الانصار اذا مات لهم ميت اختلفوا الى قبره يقرؤن له القرآن وأخرج أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه من دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والهاكم التكاثر ثم قال اني جعلت ثواب ماقرأت من كلامك لاهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له الى الله تعالى وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الانصاري في مشيخته عن سلمة بن عبيد قال قال حماد المكي خرجت ليلة الى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت قامت القيامة قالوا لا ولكن رجل من اخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ سنة وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات وقال القرطبي في حديث اقرؤا على موتاكم يس يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره قال السيوطي و بالاول قال الجمهور و بالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدم ذكره و بالتعميم في الحالين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا وقال القرطبي وقيل ان ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع معا و يلحقه ثواب مايهدى اليه من القرآن وان لم يسمع كالصدقة والدعاء اه *(تنبيه)* سئل ابن القطان هل يكفي ثواب أو يتعين مثل ثواب فاجاب في الرسالة المذكورة مالفظه ولا يشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب بل تكفي النية قبل القراءة و بعدها خلافا لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القبلية نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير و يكفي للقارئ ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب وقال النووي المختار أن يدعو بالجعل فيقول اللهم اجعل ثوابها واقعا لفلان وقال في الاذكار الاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ماقرأته الى فلان وليس ثواب على تقدير المثل بل لو قال مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الاقوال في قوله تعالى ليس كمثله شئ نعم ان قيل للقارئ ثواب قراءته وللمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقدير وهو خلاف ظاهر مختار النووي وخلاف الائمة المهدين فانهم حين يهدون يقولون اجعل ثواب والاصل عدم التقدير و ينقدح في قوله اجعل ثواب احتمالان أن يكون للمهدى له وللقارئ مثلها الثاني أن يكون للمهدى وهو القارئ والمهدى له مثلها والله أعلم (فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت) وهل يقدم الدعاء لنفسه ثم للميت أو بالعكس الظاهر الثاني اذ الدعاء للميت مستجاب لامحالة قياسا على دعاء الغائب ثم يكون الدعاء لنفسه فهو احرى أن يستجاب نظرا لكرم الله تعالى وسعة فضله (و) لا يغفل أيضا (عن الاعتبار به وانما يحصل الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه) بعد ان كانت مجموعة (وكيف يبعث عن قبره) بعد ذلك التفرق (وانه على القرب سيلحق به) فتصور هذه الثلاثة من أعظم مايعتبر به الزائر من الميت وفي اثناء ذلك تصورات كثيرة لاتحصى (كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذلي) رحمه الله (قال كانت عجوز في) بني (عبد القيس متعبدة) أي كثيرة العبادة (فكان اذا جاء الليل

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل

تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني أنها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت

ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكأني انظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للانفس وأشد تلفها للابدان بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ماذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت وأن لايذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا عليه وأن يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه وقال أنس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام

تحزمت) أي شدت حزامها لتستعين به على القيام (ثم قامت الى المحراب تصلي) عامة الليل (واذا جاء النهار خرجت الى القبور فتكون عامة النهار) هنالك (فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى) أي النظر اليها (واني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيالها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للانفس وأشد تلفها للابدان) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور (بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ماذكره عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته) وتبدل حليته عما كان عليها (لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان) أي يبستا (وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن) أي ارتفع (فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وروى أبو نعيم في الحلية نحوا منه من طريق أبي حازم الخناصري الاسدي قال قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة والناس رائحون الى الجمعة ثم ساق الحديث وفيه فلما ان بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم الى مقبلا فدنوت من المحراب فلما ان صلى بالناس التفت الي فقلت له تالله لقد كنت عندنا بالامس بخناصرة أمير العبد الملك بن مروان وكان وجهك وضيأ وثوبك نقيا ومركبك وطيئا وطعامك شهيا وحرسك شديدا فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين فقال لي يا أبا حازم اناشدك الله الا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة قلت له نعم سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان بين أيديكم عقبة كؤدا لا يجوزها الا كل ضامر مهزول قال أبو حازم فبكى أمير المؤمنين بكاء عاليا حتى علا نحيبه ثم قال يا أبا حازم أفتلومني ان أضمر نفسي لتلك العقبة لعلي ان أنجو منها وما أظنني منها بناج (ويستحب الثناء على الميت وان لايذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم) أي المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقرابة أو صهارة أو جوار أو صداقة أو نحو ذلك (فدعوه) أي اتركوه من الكلام فيه بما يؤذيه لو كان حيا (ولا تقعوا فيه) أي لاتتكلموا في عرضه بسوء ولا بشئ من أخلاقه الذميمة فغيبة الميت أفظع من غيبة الحي لانه يرجى استحلاله بخلافه وتخصيص الصاحب للاهتمام وبيان انه بذلك أحرى والا فالكف عن مساوي الاموات مطلقا مطلوب قال العراقي رواه أبو داود باسناد جيد اهـ قلت ويوجد في بعض نسخ المتن بدون واو (وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات) أي المسلمين كما دل عليه لام العهد فالكفار سبهم قربة (فانهم افضوا) أي وصلوا (الى ماقدموا) من خير وشر والله هو المجازي ان شاء عفا وان شاء عذب فلا فائدة في سبهم ويستثنى منه مافيه مصلحة شرعية كسب أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم وكجرح المجروح من الرواة حيا وميتا لابتناء أحكام الشرع على بيان حالاتهم قال العراقي رواه البخاري من حديث عائشة اهـ قلت ورواه كذلك أحمد والنسائي ورواه ابن النجار بلفظ الى ما كسبوا (وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من أهل الجنة تأثموا وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ماهم فيه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائي من حديثها باسناد جيد مقتصرا على الجملة الاولى بلفظ هلكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائي والطبراني اهـ قلت وروى النسائي أيضا عن صفية بنت شيبة قالت ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم هالك بسوء فقال لا تذكروا هلكاكم الا بخير وفي الباب عن عمر بن الخطاب رفعه اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا وروى الديلمي من حديث عائشة الميت يؤذيه في قبره مايؤذيه في بيته (وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه (مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه شرا فقال) صلى الله

عليه وسلم (وجبت ومروا باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال وجبت فساله عمر) رضى الله عنه (عن ذلك فقال ان هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله فى الارض) قال العراقى متفق عليه قلت وكذلك رواه الطيالسى وأحمد والنسائى ولفظهم جميعا من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الارض أنتم شهداء الله فى الارض أنتم شهداء الله فى الارض وروى الطبرانى من حديث سلمة بن الاكوع أنتم شهداء الله فى الارض والملائكة شهداء الله فى السماء (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم انى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى منه) قال العراقى رواه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل مامن عبد مسلم يموت فتشهد ثلاثة أبيات من جيرانه الادنين بخير الا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبادى على ماعلموا وغفرت له ما أعلم اهـ قلت ورواه ابن النجار بلفظ اذا مات المؤمن وقال رجلان من جيرانه ماعلمنا منه الا خيرا وهو فى علم الله غير ذلك قال الله تعالى للملائكة اقبلوا شهادة عبدى فى عبدى وتجاوزوا عن علمى فيه

(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان الناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة) وآراء مختلفة (قد اخطؤا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم) المحض (وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهم طوائف من العرب الذين انكروا الاحياء والاعادة بعد الموت وهم الذين أخبر الله عنهم انهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين وقال فى بعض هذه الطائفة وضرب لنا مثلا ونسى خلقه الآية وهؤلاء من العرب فى الجاهلية غير من مال منهم الى النصرانية فتنصر من عرب الشام من قضاعة وغسان وبعض ربيعة وغيرهم من تهود منهم من ملوك حمير وبنى كنانة وبنى كندة وغيرهم من تمجس منهم لقربهم من الفرس كبنى زرارة بن عدس ومنهم من غلاة الامامية المنصورية أصحاب منصور العجلى كفروا بالقيامة وبالاحياء بعد الموت واستحلوا المحارم والمحرمات ومنهم المعمرية صنف من الخطابية زعموا ان الدنيا لا تفنى وانكروا الاعادة والاحياء بعد الموت (وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام فى القبر الى أن يعاد فى وقت الحشر) وهو مذهب الجهمية والخوارج قالوا ان احياء الاموات لا يكون الا فى القيامة وينكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير والى هذا القول ذهب ضرار وبشر المريسى والنجارية وقال ضرار ان منكرا هو العمل السيئ ونكيرا هو النكير من الله عز وجل على صاحب الفعل المنكر ويقرب من ذلك قول من زعم من المعتزلة ان احياء الاموات ورد أهل القبور انما يكون بين النفختين لان الله عز وجل قال ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون قالوا فجائز أن يكونوا معذبين بين النفختين وأن يكونوا منعمين بينهما وهذا قول أبى الهذيل وبشر بن المعتمر واتباعهما من القدرية ومنهم من شك فى وقت الاحياء بعد الموت وقبل القيامة وقال يجوز أن يكون احياء الميت بعد دخول القبر ويجوز أن يكون بعده ولم يقطعوا على وقته وهذا قول الجبائى واتباعه من القدرية (وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هى الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا) والقائلون بهذا أصناف منهم من قال ان الاحياء يكون فى القيامة دون القبر الا أن عذاب القبر لاهل العذاب صحيح ثابت على الوجه الذى يشعر به الميت وهو ميت وشبه الميت فى ذلك بالنائم والمغلوب على عقله وهذا القول حكاه الكعبى عن غسان القاضى قال أبو منصور التميمى وغلط الحاكى عنه فان غسانا كان من أصحابنا وقوله فى هذه المسألة كقولنا وانما يصح هذا القول على مذاهب الكرامية

وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء الله فى الارض وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثنى القوم عليه الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم انى قد قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى

*(الباب السابع فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر الى نفخة الصور)

(بيان حقيقة الموت)

اعلم أن الناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطؤا فيها فظن بعضهم ان الموت هو القدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب مادام فى القبر الى أن يعاد فى وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هى الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا

الذين زعموا ان الميت يصح أن يكون فيه علم بالالم وغيره ولا أعلم أحدا قال بمثل هذا من أصحاب الحديث الا محمد ابن جرير الطبرى ومنهم من زعم ان الاحياء يكون فى القيامة وان الميت فى قبره قد يحدث الله فيه الالم وهو لا يشعر فاذا حشر وجد ذلك الالم فى وقته الذى حشر فيه وشبهوه بسكران نام فى الشمس فاثرت فيه وهو لا يشعر بذلك فاذا أفاق وجد ألم ذلك فى نفسه وكذلك المغشى عليه اذا ضرب فى حال الغشى (وكل هذه ظنون فاسدة) وآراء (مائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط) وانتقال من دار الى دار وليس بعدم محض ولا فناء صرف (وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة) وهذا قول أهل السنة والجماعة وفقهاء الحجاز والعراق ومتكلمى الصفاتية (ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها تبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن تعاد الروح الى الجسد) قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كل جسد روحان احداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة انها اذا كانت فى الجسد كان الانسان مستيقظا فاذا خرجت من الجسد نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة انها اذا كانت فى الجسد كان حيا فان فارقته مات فاذا رجعت اليه حيي وهاتان الروحان فى باطن الانسان لا يعرف مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك فهما كجنينين فى بطن امرأة واحدة وقال بعض المتكلمين الذى يظهر ان الروح بقرب القلب قال ابن عبد السلام ولا يبعد عندى أن تكون الروح فى القلب قال ويدل على روح الحياة قوله تعالى الله يتوفى الانفس الآية تقديره يتوفى الانفس التى لم تمت أجسادها فى منامها فيمسك الانفس التى قضى عليها الموت عنده ولا يرسلها الى أجسادها ويرسل الانفس الاخرى وهى أنفس اليقظة الى أجسادها الى انقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت فحينئذ تقبض أرواح الحياة وأرواح اليقظة جميعا من الاجساد ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع الى السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا تفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السماء لارواح المؤمنين الى أن تعرض على رب العالمين فيا لها من عرضة ما أشرفها اهـ قال السيوطى فى شرح الصدور وما ذكره من ان الروح فى القلب قد جزم به الغزالى فى كتابه الانتصار وقد ظفرت له بحديث أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن الزهرى ان خزيمة بن حكيم السلمى ثم البهزى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال يا رسول الله أخبرنى عن ظلمة الليل وضوء النهار وحر الماء فى الشتاء وبرده فى الصيف ومخرج السحاب وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة وعن موضع النفس من الجسد فذكر الحديث الى ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما موضع النفس ففى القلب والقلب معلق بالنياط والنياط يسقى العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق الحديث بطوله وهذا مرسل وله طرق أخرى مرسلة وموصله فى المعجم الاوسط للطبرانى وتفسير ابن مردويه وكتاب الصحابة لابى موسى المدينى وابن شاهين قال ابن حجر فى الاصابة والحديث فيه غريب كثير واسناده ضعيف جدا انتهى قلت قال فى الاصابة فى ترجمته رواه ابن مردويه فى التفسير من طريق أبى عمران الجونى عن ابن جريج عن عطاء عن جابر ان خزيمة بن ثابت وليس بالانصارى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن البلد الامين فقال مكة رواه الطبرانى فى الاوسط من هذا الوجه مطولا جدا وقال لم يروه عن ابن جريج الا أبو عمران قال أبو موسى رواه أبو معشر وعبيد بن حكيم عن ابن جريج عن الزهرى مرسلا لكن قال خزيمة بن حكيم السلمى وكذا سماه ابن شاهين من طريق يزيد بن عياض عن الزهرى فذكره مطولا فى نحو ورقتين وفيه غريب كثير واسناده ضعيف جدا مع انقطاعه ورويناه فى تاريخ ابن عساكر من طريق عبيد بن حكيم عن ابن جريج مطولا كذلك وروى عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن خزيمة بن حكيم أيضا (ولا يبعد ان تعاد الى الجسد فى القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث) من القبر

(والله

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذى تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد فى القبر ولا يبعد أن تؤخر الى يوم البعث

والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليه بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى (٣٧٧) الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين أن تسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن الملك والمال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله

(والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده) وأهل السنة اثبتوا الاحياء في كل من الحالين وأما بين النفختين فهو حال خمود وهمود بموت الخلق بينهما من غير أن يكون بينهما حي سوى الملك الاله الواحد القهار والدليل على الاحياء في القبر مبني على صحة ما ورد به الخبر ونزل عليه القرآن من عذاب القبر لان العذاب والالم لا يصح الا للحي (وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية) قال السيوطي في شرح الصدور ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم الى أن الروح تبقى بعد موت البدن وخالف فيه الفلاسفة دليلنا كل نفس ذائقة الموت والذائق لابد أن يبقى بعد المذوق وعلى هذا فهل يحصل لها فناء ثم تعاد توفية بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان أولا بل تكون من المستثنى في قوله الا من شاء الله قولان حكاهما السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم وقال الاقرب انها لا تفنى وانها من المستثنى كما قيل في الحور العين انتهى وفي كتاب الروح لابن القيم اختلف في ان الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده على قولين والصواب انه ان أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى وان أريد انها تعدم فلا بل هي باقية بعد خلقها بالاجماع في نعيم أو عذاب انتهى وقد أخرج ابن عساكر عن محمد بن وضاح أحد أئمة المالكية قال سمعت سحنون بن سعيد وذكر له عن رجل يذهب الى ان الارواح تموت بموت الاجساد فقال معاذ الله هذا قول أهل البدع وقد قال بهذا القول جماعة من فقهاء الاندلس قديما منهم عبد الاعلى بن وهب بن محمد بن عمر وبن لبابة ومن متأخريهم كالسهيلي وابن العربي وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الارواح بعد مفارقتها الابدان ترد ذلك وتبطله وأما ما أخرجه ابن السني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المقابر قال السلام عليكم أيتها الارواح الفانية والابدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحا منك وسلاما فانه مع ضعف سنده مؤول بان المراد بفناء الارواح ذهابها من الاجساد المشاهدة (نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا يفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله

ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثانى انه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا فى النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره و ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا و يتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا و ينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل فى أمره أو على ان الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه فى العصاة عليه فانظر الى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح وهتك

ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه الشواغل والعوائق اذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله) ومانعة من الانس به (فهذا أحد وجهى المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثانى انه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له) قبل (فى الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا فى النوم والناس) كما قيل (نيام فاذا ماتوا انتبهوا) روى ذلك من قول على رضى الله عنه كما سبق الكلام عليه مرارا وانكشاف الاحوال لهم عند الموت دل عليه قول عمر رضى الله عنه احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون و يقال لهم وفى رواية واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فانه يخيل لهم أمور صادقة وقد تقدم (وأول ما ينكشف له ما يضره و ينفعه من حسناته وسيآته) فيفرح ويحزن (وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه وكان يشغله من الاطلاع عليه شواغل الدنيا) وعلائقها (فاذا انقطعت الشواغل) وبطلت العوائق (انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا و يتحسر عليها تحسرا يؤثر) أى يختار (ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة) فلا يمكنه ذلك (وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقد روى الديلمى من حديث جابر اذا حضر الانسان الوفاة جمع له كل شئ يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (و ينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعنى فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة) أى القدر الذى يتبلغ به الى أعمال الآخرة (فان من طلب الزاد للبلغة) أى المقصد (فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد بعينه) بل لاجل التبلغ (وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة) الداعية (وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغنى عنه) كما روى عن مالك بن دينار انه كان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول لوددت ان هذه أجدتنى فى الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب وكان يقول لو صلح لى ان آكل الرماد لاكلته ولو صلح الى ان أعمد الى بردى فاقطعه باثنين فاتزر بقطعة وأتردى بقطعة لفعلت رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق يوسف بن عطية السفار وروى عنه أيضا انه قال خلطت دقيقى بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره رواه أبو نعيم من طريق يعلى الوراق (فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه فهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه) عند انقطاع النفس (قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد) كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه) ان أدركه الفضل (ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل فى أمره) فلا يؤاخذه (أو) اعتمادا (على ان الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله فأخذه الملك بغتة) من غير ترقب (وعرض عليه جريدة) وهى شبه الدفتر (قد دونت) أى حررت وجمعت (فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه فى العصاة عليه فانظر الى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزى والافتضاح

وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فان كلا من الضرب والقطع يرجى برء ألمه وهتك الستر والفضوح لا برء له واليه يشير الخبر فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة (فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة) منوطة (بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من أمر ربي) روى الشيخان من حديث ابن مسعود قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا يا محمد ما الروح فما زال متوكئا على العسيب فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد تقدم وأخرج ابن جرير بسند مرسل ان الآية لما نزلت قالت اليهود هكذا نجده عندنا وقد اختلف الناس في الروح على فرقتين فرقة أمسكت عن الكلام فيها لانها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر وهذه الطريقة هي المختارة قال الجنيد الروح شئ استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من انه موجود وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف وقد ثبت عن ابن عباس انه كان لا يفسر الروح فأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن الروح قال الروح من أمر ربي لا تنالوا هذه المسئلة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله وعلم نبيه وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال السيوطي مسئلة أبهمها الله في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها من أين للمتعمقين الاطلاع على حقيقة أمرها وقد نقل ابن القاسم السعدي في الافصاح أن أماثل الفلاسفة أيضا توقفوا عن الكلام فيها وقالوا هذا أمر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول اليه قال ووقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر قال ابن بطال الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبي حكمته اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب الاولى وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال النووي وأصح ما قيل في ذلك قول امام الحرمين انها جسم لطيف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر (فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه) وقد اختلف أهل الطريقة الاولى هل علمها النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن بريدة قال لقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقالت طائفة بل علمها وأطلعه الله عليها ولم يأمره ان يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف في علم الساعة (وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار أما الآيات فما ورد في) حق (الشهداء) وهم المقتولون في المعركة (اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) أما الاخبار فقد روى أنه (لما قتل صناديد قريش) أي رؤساؤهم (يوم بدر) في الوقعة الكبرى وأمر بهم فسحبوا الى قليب هناك (ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد ان وقف على شفير القليب (فقال يا فلان يا فلان يا فلان) وسماهم بأسمائهم (قد وجدت ما وعدني ربي حقا) من النصرة (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) من الخزي والقتل (فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات) القائل لذلك عمر بن الخطاب (فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لا اسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب) قال العراقي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب انتهى قلت وروى الطبراني من حديث أنس قال أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطأ الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا

وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربي فليس لاحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لا اسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب

وفي رواية فنادى ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وفي بعضه نظر فقد روى عروة بن الزبير من حديث عائشة قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الاما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فألقوا عليه ماغيبه من التراب والحجارة لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم وقال ابن اسحق حدثني بعض أهل العلم انه صلى الله عليه وسلم قال يا أهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير انهم لايستطيعون أن يردوا شيأ وفي رواية اتخاطب قوما قد جيفوا (فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها) وقال قتادة أحياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم الحق ثم قرأت انك لاتسمع الموتى الآية فهذا فيه الانكار وأجيب بانه روى انها رجعت عن ذلك لما روى أحد من حديثها انها قالت ما أنتم أسمع لما أقول منهم وهو في المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد وقال الاسماعيلي الجمع بينهما ممكن لان قوله تعالى انك لاتسمع الموتى لاينافي قوله صلى الله عليه وسلم انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع فالله تعالى هو الذي أسمعهم بان أبلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين اما باآذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد أو الى بعضه عند المسئلة وهو قول أكثر أهل السنة واما باآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجيه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد أو الى بعضه قال وقد روى عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما أنت بمسمع من في القبور الآية وهذه الآية كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى أي ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت فاذا لاتعلق بالآية من وجهين أحدهما انها انما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لايسمعهم اذا شاء الا هو يفعل مايشاء وهو على كل شيء قدير انتهى (والآية) المذكورة (نص في) بقاء (أرواح الشهداء) قال ابن عباس نزلت في قتلى أحد استشهد منهم سبعون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الانصار رواه الحاكم وصححه جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر (ولا يخلو الميت من سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي والطبراني من حديث أبي سعيد لكن بتقديم الجملة الثانية على الاولى ورواه الطبراني أيضا من حديث أبي هريرة وسندهما ضعيف ورواه البيهقي في كتاب عذاب القبر من حديث ابن عمر بلفظ القبر حفرة من حفر جهنم والباقي سواء وقد تقدم في كتاب الرجاء والخوف (وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ماسيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله وروى أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت باسناد ضعيف وقد تقدم ورواه الديلمي وابن لال في مكارم الاخلاق بلفظ اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته وقد تقدم في أكثروا ذكر هادم اللذات وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته (وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار) قال العراقي متفق عليه من حديث ابن عمر اهـ قلت وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه وتمامه عندهم يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وفي لفظ لهم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة

فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في أرواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح على ان الموت معناه تغير حال فقط وان ماسيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة

فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة ورواه كذلك أيضا الطيالسي وأحمد والنسائي وأبو يعلى والطبراني فالبخاري والنسائي روياه من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ومن طريق الليث عن نافع والترمذي وابن ماجه من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع ومسلم من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر وأبو يعلى والطيالسي من طريق جويرية عن نافع عن ابن عمر والطبراني من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ورواه هناد في الزهد بلفظ ان الرجل ليعرض عليه مقعده من الجنة والنار غدوة وعشية في قبره ورواه اللالكائي في السنة بلفظ ما من عبد يموت الا ويعرض روحه والباقي سواء وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال فهم اليوم يغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة (وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال) قال القرطبي قيل هذا العرض مخصوص بالمؤمن الذي لا يعذب وقيل لا ويحتمل ان المؤمن الذي يعذب يرى مقعديه جميعا في وقتين أو في وقت واحد ثم قيل هذا العرض انما هو على الروح وحدها ويجوز أن يكون عليها مع جزء من البدن ويجوز أن يكون عليها مع جميع الجسد فترد اليه الروح كما ترد عند المسئلة اهـ (وعن أبي قيس) عبد الرحمن بن ثابت مولى عمرو بن العاص مات قديما سنة أربع وخمسين روى له الجماعة (قال كنا مع علقمة) بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي مات بعد الستين روى له الجماعة (في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته) رواه الطبراني من طريق سفيان عن أبي قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته (وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم) انها (من أهل الجنة هي أم من أهل النار) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفا وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفي رواية لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم الى أين مصيرها الى الجنة أم الى النار وتقدم للمصنف بلفظ لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتانى القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة) قال العراقي رواه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فيه القبور وقال ابن أبي الدنيا فتانان اهـ قلت وفي لفظ لابن ماجه فتنة القبر وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب قال القرطبي هذا عام في جميع الامراض لكن يقيد بالحديث الآخر من قتله بطنه لم يعذب في قبره وقال النسائي وغيره المراد به الاستسقاء وقيل الاسهال والحكمة في ذلك انه يموت حاضر العقل عارفا بالله تعالى فلم يحتج الى اعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الامراض فانهم تغيب عقولهم قال السيوطي في شرح الصدور ولا حاجة الى شيء من هذا التقييد فان الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ وانما هو من مات مرابطا لا من مات مريضا وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات لاجل ذلك اهـ قلت وقد رواه ابن ماجه أيضا بهذا اللفظ من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع ورواه أحمد بلفظ من مات مرابطا وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الاكبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط الى يوم القيامة وروى نحوه الحكيم من حديث سلمان من مات مرابطا في سبيل الله أجير من فتنة القبر وجرى عليه صالح عمله الذي كان يعمل الى يوم القيامة ورواه البغوي وابن حبان وابن عساكر بلفظ من مات مرابطا في سبيل الله أمن من عذاب القبر ونمى له أجره الى يوم القيامة وروى مسلم من حديث سلمان رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان وروى الترمذي وصححه من حديث فضالة بن عبيد كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر وأخرجه أبو داود بلفظ ويؤمن من فتاني القبر وروى أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه يجرى عليه أجر عمله حتى يبعثه الله

وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن أبي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا ووقي فتانات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة

وقال مسروق ماغبطت أحدا ماغبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت أمشى يوما مع أبى

الدرداء فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما أحب الموت لانه لايحبه الا المؤمن

والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما أحب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة ولهذا قال عبد الله بن عمر وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات فى سجن فاخرج منه فهو يتفسح فى الارض ويتقلب فيها وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان فى الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لانهم ما أقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا

مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا الى

بالآخرة والبائع لايلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما أعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما أقل التفاته

ويؤمن من فتانى القبر وروى البزار من حديث عثمان من مات مرابطا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله تعالى آمنا من الفزع الاكبر وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد الخدرى من توفى مرابطا وقى فتنة القبر وأجرى عليه رزقه فهذه الاحاديث التى سردناها دالة على ان الصواب من الحديث المتقدم من مات مرابطا لامريضا (وقال مسروق) بن الاجدع الهمدانى التابعى الثقة اسمه عبد الرحمن (ماغبطت أحدا ماغبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله) رواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى الموت وهذا لفظ الاخير ولفظ ابن المبارك ماغبطت شيأ بشئ كمؤمن فى لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا ورواه ابن أبى شيبة عن وكيع عن مسعر عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال مامن شئ خير للمرء من لحد قد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله هكذا رواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه وفى رواية مامن شئ خير للمؤمن وقد روى نحو هذا القول عن عمر بن عبد العزيز رواه أبو نعيم فى الحلية وعن أبى عطية المذبوح رواه ابن المبارك فى الزهد ولفظه أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد فى لحد أمن من العذاب وقد تقدم شئ من ذلك فى فضل الموت (وقال يعلى بن الوليد كنت أمشى يوما مع أبى الدرداء) رضى الله عنه (فقلت له ماتحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده) رواه ابن سعد فى الطبقات وابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد قال ابن أبى شيبة حدثنا محمد ابن فضيل عن الاعمش عن غيلان بن بشر عن يعلى بن الوليد قال كنت أمشى مع أبى الدرداء قال قلت ياأبا الدرداء فذكره (وانما أحب الموت لانه لايحبه الا المؤمن ولذلك كان غنيمته كما فى حديث عائشة وتحفته كما فى حديث عبد الله بن عمرو (و) لما كانت الدنيا سجن المؤمن كان (الموت اطلاق المؤمن من السجن) وقد روى ابن أبى الدنيا انه قيل لعبد الاعلى التيمى ماتشتهى لنفسك ولمن تحب من أهلك قال الموت (وانما أحب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لابد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوى الله وذكره والانس به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة) وقد روى ابن أبى شيبة عن عبادة بن الصامت قال أتمنى لحبيبى أن يقل ماله ويعجل موته وروى ابن السكن فى المعرفة من حديث زرعة بن عبد الله يحب الانسان الحياة والموت خير لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب وروى أحمد فى الزهد من حديث محمود بن لبيد اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب (ولهذا قال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضى الله عنهما (انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو) قال (روحه) شك من الراوى (مثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فهو يتفسح فى الارض ويتقلب فيها) رواه ابن المبارك فى الزهد بلفظ الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فجعل يتقلب فى الارض ويتفسح فيها وقال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا غندر حدثنا يعلى بن عبيد عن يحيى بن قطة عن عبد الله بن عمر وقال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فاذا مات المؤمن يخلى سربه حيث شاء (وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان فى الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذى كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله) فقد روى النسائى وابن أبى الدنيا والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت ماعلى الارض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع اليكم ولها نعيم الدنيا ومافيها الا الشهيد فانه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله (لانهم ما أقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل فى طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لايلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما أعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما أقل التفاته

الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق فى بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب للموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم أن ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم ما يشتهون فكان

الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق فى بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة) وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى المخارق عن عبد الله بن عمرو قال ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلة يوم القيامة الذين يلقون العدو وهم فى الصف الاول فاذا واجهوا عدوهم لم يلتفت يمينا ولا شمالا واضع سيفه على عاتقه يقول اللهم انى اخترتك اليوم بما أسلفت فى الايام الخالية فيقبل فيقتل على ذلك فذلك من الشهداء الذين يتلبطون فى الغرف الاعلى من الجنة حيث شاؤا (فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم أن ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون) كذا فى النسخ والتلاوة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم (فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه) دلالة صريحة أو ضمنية (و) كذا (كل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (ألا أبشرك يا جابر وقد كان استشهد أبوه) عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى الخزرجى السلمى معدود فى أهل العقبة و بدر وكان من النقباء واستشهد باحد (قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك فاقعده بين يديه فقال تمن على عبدى ما شئت أعطيكه قال يارب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق منى انك اليها لا ترجع) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت باسناد فيه ضعف وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقى الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبدى تمن على أعطك قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه انه قد سبق منى انهم لا يرجعون اهـ قلت وكذلك رواه البيهقى فى الدلائل وابن مردويه فى التفسير ولفظهم جميعا عن جابر قال لقينى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر مالى أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبى وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لقى الله أباك قال بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا اباك فكلمه كفاحا وقال يا عبدى تمن على أعطك قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية قال الرب تعالى قد سبق منى انهم لا يرجعون قال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وأما حديث عائشة فرواه كذلك الحاكم فى المستدرك بلفظ ألا أبشرك أشعرت ان الله أحيا أباك فساقه سياق ابن أبى الدنيا وصححه وتعقبه الذهبى وروى مالك فى الموطأ عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا فى قبر واحد مما يلى السيل فحفر عنهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين الوقتين ستة وأربعون سنة (وقال كعب) الاحبار رحمه الله تعالى (يوجد رجل فى الجنة يبكى فيقال له لم تبكى وأنت فى الجنة قال أبكى انى لم أقتل فى الله الا قتلة واحدة فكنت أشتهى أن أرد فاقتل فيه قتلات) رواه ابن أبى الدنيا فى الموت (واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله وعظمته ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف) بعيد الاقطار (لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهى العود الى السجن الضيق المظلم) وقد نقل ابن القيم فى كتاب الروح ان للنفس أربعة دور وكل دار أعظم من التى قبلها الاولى بطن الام

هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم و بين ما يشتهون فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله عز وجل قد أحيا أباك واقعده بين يديه وقال تمن على عبدى ما شئت أعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة أخرى قال له انه قد سبق منى انك اليها لا ترجع

وقال كعب يوجد رجل فى الجنة يبكى فيقال له لم تبكى وأنت فى الجنة قال أبكى لانى لم أقتل فى الله الا قتلة واحدة فكنت أشتهى أن أرد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الاشجار والازهار والثمار والطيور فلا يشتهى العود الى السجن المظلم

وذلك محل الحصر والضيق والظلمات الثلاث الثانية هذه الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر الثالثة دار البرزخ وهى اوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار اليها كنسبة الدار الاولى الى هذه الرابعة لتى لادار بعدها دار القرار الجنة أو النار ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شان الاخرى اه (وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضى فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات اه قلت وكذلك عزاه السيوطى فى شرح الصدور لابن أبى الدنيا ولفظه قال عمرو بن دينار ان رجلا مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح هذا مرتحلا فذكره (فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم) وعالم البرزخ داخل فى الآخرة (وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع الى بطن أمه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفى عن سليم بن عامر الخبائرى مرسلا هكذا اه قلت بقية بن الوليد الكلاعى من رجال مسلم صدوق كثير التدليس عن الضعفاء وجابر بن غانم السلفى بضم السين المهملة وفتح اللام نسبة الى السلف بطن من الكلاع روى عن سليم بن عامر وأسد بن وداعة وعنه يحيى بن صالح الوحاظى وبقية وكان ينزل حماه وسليم بن عامر الكلاعى ويقال له الخبائرى بخاء معجمة وموحدة أبو يحيى الحمصى ثقة تابعى روى له مسلم والاربعة قال أبو حاتم فى المراسيل روى عن عوف بن مالك مرسلا ولم يدرك المقداد بن الاسود ولا عمرو بن عبسة وأرخوا وفاته سنة ثلاثين ومائة ومما يقوى هذا المرسل ما رواه الحكيم فى نوادره من حديث أنس ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا الا مثل خروج الصبى من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيا (وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى قتادة بلفظ مر عليه بجنازة فقال ذلك وهو عند ابن أبى الدنيا فى الموت باللفظ الذى أورده المصنف اه قلت ورواه كذلك مالك وأحمد وعبد بن حميد والترمذى بلفظ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت جنازة فقال مستريح أو مستراح منه الحديث (أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه) قلت هو فى حديث أبى قتادة عند الشيخين قالوا يارسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها الى رحمة الله تعالى والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وعند النسائى من حديث أبى قتادة المؤمن يموت فيستريح من أوصاب الدنيا ونصبها وأذاها والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وروى ابن أبى شيبة فى المصنف عن يزيد بن أبى زيادة قال مر بجنازة على أبى جحيفة فقال استراح واستريح منه (وقال أبو عمر صاحب السقام مر بنا) عبد الله (بن عمر) رضى الله عنه (ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيأ وانما الارواح التى تعاقب وتثاب الى يوم القيامة) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور وانه نزل ابن عمر الى جانب قبور قد درست فاذا جمجمة الخ ونحو ذلك ما رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند أسماء بنت أبى بكر حين صلب الحجاج ابنها عبد الله بن الزبير فأتاها ابن عمر يعزيها فقال يا هذه اتقى الله واصبرى فان هذه الجثث ليست بشئ وانما الارواح عند الله قالت وما يمنعنى من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام الى بغى من بغايا بنى اسرائيل وروى سعيد ابن منصور فى سننه ان ابن عمر عزاها فقال لا تحزنى فان الارواح عند الله تعالى فى السماء وانما هذه جثة وروى ابن سعد فى الطبقات عن خالد بن معدان قال لما انهزمت الروم يوم اجنادين انتهوا الى موضع لا يعبره الا انسان انسان فجعلت الروم تقاتل عليه فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل ووقع على تلك الثلمة

وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضى فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع الى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السقام مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فأمر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيأ وانما الارواح التى تعاقب وتثاب الى يوم القيامة

فسدها فلما انتهى المسلمون اليها هابوا أن يوطؤه الخيل فقال عمرو بن العاص ان الله قد استشهده ورفع روحه وانما هو جثة فأوطؤه الخيل ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه و رواه الواقدى كذلك وزاد ثم جمعه عمرو بعد ذلك وجعله فى نطع فواراه قال السيوطى فى شرح الصدور قال ابن رجب هذه الآثار لاتدل على ان الارواح لاتتصل بالابدان بعد الموت انما تدل على ان الاجساد لاتتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها ومن أكل التراب لها فان عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا وانما هو نوع آخر يصل الى الميت بمشيئة الله تعالى (وعن عمرو بن دينار) المكى أبو محمد الاثرم الجمحى مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة (قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون فى أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم) رواه أبو نعيم فى الحلية وسيذكر قريبا نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى وغيره وقد ورد مايدل ان ذلك للشهيد خاصة وأخرج ابن منده من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حبان بن جبلة قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشهيد اذا استشهد انزل الله جسدا كأحسن جسد كان ثم يقال لروحه ادخلى فيه فينظر الى جسده الاول مايفعل به و يتكلم فيظن انهم يسمعون كلامه و ينظر اليهم فيظن انهم يرونه حتى تأتيه أزواجه يعنى من الحور العين فيذهبن به (وقال مالك بن أنس) رحمه الله تعالى (بلغنى ان أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت عن خالد بن خداش سمعت مالك بن أنس يقول ذلك ورواه ابن منده من طريقه فقال أخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر أخبرنا ابن أبى الدنيا فذكره ومسئلة مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الاجساد مشهورة مختلف فيها وهذا أحد الاقوال وروى نحو هذا القول عن سلمان رضى الله عنه قال أما المؤمنون فان أرواحهم فى الجنة وهى تذهب حيث شاءت رواه البيهقى فى البعث وفى لفظ ان أرواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت رواه ابن المبارك فى الزهد وفى لفظ ان أرواح المؤمنين تذهب فى برزخ من الارض حيث شاءت بين السماء والارض حتى يردها الله الى جسدها (وقال النعمان بن بشير) الانصارى رضى الله عنهما (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الامثل الذباب تمور) أى تضطرب (فى جوّها) وهو مابين السماء والارض (فالله الله فى اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكماله الازدى فى الضعفاء وقال لايصح اسناده وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل بكماله فى ترجمة أبى اسمعيل السكونى عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه ان كلا منهما مجهول وقد ذكر ابن حبان فى الثقات مالك بن أدى اه قلت ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المقامات وكذا الحكيم فى النوادر والبيهقى فى الشعب كلهم عن النعمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فى اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم ورواه بكماله أيضا الحكيم وابن لال ووقع فى نسخة الكمال الدميرى الامثل الذباب يمر فى وعلى الهامش التى الارض القفر الخالية (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا والمحاملى باسناد ضعيف ولاحمد من رواية من سمع أنسا عن أنس ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الاموات الحديث اه قلت حديث أبى هريرة رواه أيضا الديلمى فى مسند الفردوس والاصبهانى فى الترغيب وأما حديث أنس فرواه أيضا الحكيم فى النوادر وابن منده فى كتاب الاحوال وتمامه فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا ونحو ذلك مارواه الطيالسى فى مسنده من حديث جابر بن عبد الله ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم فى قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم ان يعملوا بطاعتك وروى ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب قال تعرض أعمالكم على الموتى فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وان رأوا سوأ قالوا اللهم راجع به وروى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه

وعن عمرو بن دينار قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون فى أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك ابن أنس بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان ابن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الامثل الذباب تمور فى جوها فالله الله فى اخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور

تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وروى ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر عن أحمد بن عبد الله بن أبي الحوارى قال حدثني أخى محمد بن عبد الله قال دخل عباد الخواص على ابراهيم بن صالح الهاشمى وهو أمير فلسطين فقال له ابراهيم عظنى فقال قد بلغنى ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك (ولذلك قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة) بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجى الانصارى أحد السابقين رضى الله عنه (وكان قد مات) شهيدا بمؤتة وكان ثالث الامراء بها فى جمادى الاولى سنة ثمان وتأخر أبو الدرداء الى خلافة عثمان (وهو خاله) أخو أمه وأبو الدرداء اسمه عويمر وهو ابن عامر بن قيس بن أمية بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج الانصارى الخزرجى وقال خليفة بن خياط أم أبي الدرداء محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وهذا القول قد رواه ابن المبارك فى الزهد والاصبهانى فى الترغيب عن أبي الدرداء انه كان يقول اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا يخزى به عبد الله بن رواحة وكان يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن وروى ابن أبي الدنيا فى كتاب الموت عنه انه كان يقول اللهم انى أعوذ بك أن يمقتنى خالى عبد الله بن رواحة اذا لقيته وفى الباب ما رواه ابن أبي شيبة فى المصنف والحكيم فى النوادر وابن أبي الدنيا عن ابراهيم بن ميسرة قال غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر بقاص وهو يقول اذا عمل العبد العمل فى صدر النهار عرض على معارفه اذا أمسى من أهل الآخرة واذا عمل العبد العمل فى آخر النهار عرض على معارفه اذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب اللهم انى أعوذ بك أن تفضحنى عند عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم فقال القاص والله لا يكتب الله ولايته لعبد الا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله وروى ابن المبارك فى الزهد عن عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له استأذن على ابنة أخى وهى زوجة عثمان وهى ابنة عمرو ابن أوس فاستأذن له عليها فدخل فقال كيف يفعل بك زوجك قالت انه الى لمحسن ما استطاع فقال يا عثمان أحسن اليها فانك لا تصنع بها شيأ الا جاء عمرو بن أوس فقلت وهل يأتى الاموات أخبار الاحياء قال نعم ما من أحد له حميم الا ويأتيه أخبار أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وهنئ به وان كان شرا ابتأس وحزن (وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص) رضى الله عنهم (عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين) تكون (هى قال فى صور طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الارض السابعة) رواه ابن أبي الدنيا فى الموت وابن المبارك فى الزهد الا ان الاخير قال فى صور طير وزاد ابن أبي الدنيا بعد قوله السابعة فاذا مات المؤمن مر به على المؤمنين وهم أندية فيسألونه عن بعض أصحابهم فان قال مات قالوا اسفل به واذا كان كافرا هوى به الى الارض السافلة فيسألونه عن الارض فان قال مات قالوا على به * اعلم ان الاخبار الواردة فى مقر الارواح بعد الموت كثيرة وفيها اختلاف فنها فى أرواح المؤمنين عامة ومنها فى الشهداء منهم خاصة ومنها فى ولدان المؤمنين وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحنث ومنها فى أرواح الكفار فالوارد فى أرواح المؤمنين عامة هذا القول عن عبد الله بن عمرو وانها فى صور طير بيض فى ظل العرش وقول مالك السابق انها مرسلة تذهب حيث شاءت ونحو قول ابن عمر وما رواه ابن منده والطبرانى وأبو الشيخ عن ضمرة بن حبيب مرسلا قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار قال فى سجين وروى البيهقى فى البعث والطبرانى وأبو نعيم عن عبد الله بن عمر وقال الجنة مطوية فى قرون الشمس تنشر فى كل عام مرتين وأرواح المؤمنين فى طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة وأخرجه ابن منده عنه مرفوعا وأخرجه الخلال عنه موقوفا بلفظ أرواح المؤمنين فى أجواف طير خضر كالزرازير يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها وروى ابن منده عن أم كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكى أهل البيت

ولذلك قال أبو الدرداء اللهم انى أعوذ بك ان أعمل عملا أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين اذا ماتوا أين هى قال فى حواصل طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الارض السابعة

فقال ان أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوى الى
قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا الحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان أرواح الكفار فى حواصل طير
سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى الى جحر فى النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا
ويقرب من ذلك ما رواه مالك فى الموطا وأحمد والنسائى بسند صحيح عن كعب بن مالك رفعه انما نسمة المؤمن طائر
يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعث وروى أحمد والطبرانى بسند حسن عن أم هانئ انها
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال صلى الله عليه وسلم تكون النسم
طيرا تعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها وروى ابن سعد من طريق محمود بن
لبيد عن أم بشر بنت البراء انها قالت يا رسول الله هل يتعارف الموتى قال تربت يداك النفس الطيبة طير خضر
فى الجنة فان كان الطير يتعارفون فى رؤس الشجر فانهم يتعارفون وروى ابن عساكر من طريق ابن لهيعة
عن أبى الاسود عن أم فروة بنت معاذ السلمية عن أم بشر امرأة أبى معروف قالت سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنتزاور يا رسول الله اذا متنا يزور بعضنا بعضا فقال تكون النسم طيرا تعلق شجرة حتى اذا كان يوم
القيامة دخلت فى جثتها وروى ابن ماجه والطبرانى والبيهقى فى البعث بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت يا أبا عبد الرحمن ان لقيت فلانا فاقرأه منى السلام
فقال يغفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل من ذلك فقالت أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نسمة المؤمن
تسرح فى الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر فى سجين قال بلى قالت فذاك ومنها ما رواه البيهقى فى الدلائل وابن أبى
حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما من حديث أبى سعيد الخدرى أتيت بالمعراج التى تعرج عليه أرواح بنى آدم
فلم ير الخلائق أحسن من المعراج اما رأيت الميت يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج فصعدت
أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فاذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس
طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين
وروى أبو نعيم بسند ضعيف من حديث أبى هريرة ان أرواح المؤمنين فى السماء السابعة ينظرون الى منازلهم
فى الجنة وروى أبو نعيم أيضا عن وهب بن منبه قال ان لله فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها
أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الارواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا
قدم عليهم ومن ذلك ما تقدم من قول ابن عمر لاسماء حين عزاها فى ابنها عبد الله بن الزبير لا تحزنى فان الارواح عند
الله فى السماء رواه سعيد بن منصور فى سننه وقيل انها بين السماء والارض وروى سعيد بن منصور فى سننه وابن
جرير فى كتاب الادب له عن المغيرة بن عبد الرحمن قال لقى سلمان الفارسى عبد الله بن سلام فقال له ان مت قبلى
فاخبرنى بما تلقى وان مت قبلك أخبرتك قال وكيف وقد مت قال ان الروح اذا خرج من الجسد كانت بين السماء
والارض حتى يرجع الى جسده فقضى ان سلمان مات فرآه فى المنام فقال أخبرنى أى شئ وجدته أفضل قال
رأيت التوكل شيأ عجيبا وروى ابن المبارك فى الزهد والحكيم فى النوادر وابن أبى الدنيا وابن منده عن سعيد بن
المسيب عن سلمان قال ان أرواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت ونفس الكافر فى سجين قال
ابن القيم البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد فى الارض بين الدنيا والآخرة وروى الحكيم عن سلمان
قال أرواح المؤمنين تذهب فى برزخ من الارض حيث شاءت بين السماء والارض حتى يردها الله الى جسدها
ومنها ما رواه المروزى فى كتاب الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال ترفع أرواح المؤمنين الى جبريل فيقال
أنت ولى هذه الى يوم القيامة وروى ابن أبى الدنيا عن وهب بن منبه قال أرواح المؤمنين اذا قبضت ترفع الى ملك
يقال له رمائيل وهو خازن أرواح المؤمنين وروى عن أبان بن تغلب عن رجل من أهل الكتاب قال الملك الذى على
أرواح الكفار يقال له دومة وروى ابن منده من طريق سفيان عن أبان بن تغلب عن رجل قال بت ليلة بوادى
برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة وحدثنا رجال من أهل الكتاب ان دومة

هو الملك الموكل بارواح الكفار ومنها ما رواه المروزى فى كتاب الجنائز وابن منده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال أرواح الكفار تجمع ببرهوت سبخة بحضرموت وأرواح المؤمنين تجمع بالجابية برهوت باليمن والجابية بالشام وروى ابن عساكر عن عروة بن رويم قال الجابية تجبى اليها كل روح طيبة وروى أبو بكر بن النجار فى جزئه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال خير وادى الناس وادى مكة وشر وادى الناس وادى الاحقاف واد بحضرموت وفيه أرواح الكفار وروى ابن منده وابن أبى الدنيا عن على قال أبغض بقعة فى الارض الى الله واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وروى ابن أبى الدنيا عن على قال أرواح المؤمنين فى بئر زمزم وروى الحاكم فى المستدرك عن الاخنس بن خليفة الضبى ان كعب الاحبار أرسل الى عبد الله بن عمرو يسأله عن أرواح المسلمين أين تجتمع وأرواح أهل الشرك أين تجتمع فقال عبد الله اما أرواح المسلمين فتجتمع باريحاء وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء فرجع رسول كعب اليه فأخبره بالذى قال فقال صدق

(فصل) وأما أرواح الشهداء فروى مسلم من حديث ابن مسعود أرواح الشهداء عند الله فى حواصل طير خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وروى أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس قال أرواح الشهداء تجول فى أجواف طير خضر تعلق فى ثمر الجنة وروى عن أبى سعيد الخدرى رفعه الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب تعالى هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها فيقولون لا غير انا وددنا انك أعدت أرواحنا الى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل فى سبيلك وروى هناد فى الزهد وابن منده من حديث أبى سعيد ان أرواح الشهداء فى طير خضر ترعى فى رياض الجنة ثم يكون مأواها الى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب وذكر نحوه وروى أبو الشيخ من حديث أنس يبعث الله الشهداء من حواصل طير بيض كانوا فى قناديل معلقة بالعرش وروى ابن منده عن سعيد بن سويد انه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال بلغنى ان أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو ثم تروح الى رياض الجنة تأتى ربها سبحانه وتعالى تسلم عليه وروى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر فى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها وروى عن أبى الدرداء انه سئل عن أرواح الشهداء فقال هى طائر خضر فى قناديل معلقة تحت العرش تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت وروى أحمد وعبد بن حميد وابن أبى شيبة والطبرانى والبيهقى بسند حسن من حديث ابن عباس الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية وروى هناد فى الزهد وابن أبى شيبة عن أبى بن كعب قال الشهداء فى قباب فى رياض بفناء الجنة يبعث اليهم ثور وحوت فيعتركان فيلهون بهما فاذا احتاجوا الى شئ عقر أحدهما صاحبه فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شئ فى الجنة وروى البخارى عن أنس قال لما قتل حارثة قالت أمه يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة منى فان يكن فى الجنة فاصبر وان يكن غير ذلك ترى ما أصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها جنان كثيرة وانه فى الفردوس الاعلى وروى ابن أبى شيبة والبيهقى عن ابن عباس عن كعب قال جنة المأوى فيها طير خضر ترتقى فيها أرواح الشهداء تسرح فى الجنة وأرواح آل فرعون فى طير سود تغدو على النار وتروح وروى هناد فى الزهد عن هزيل قال ان أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر وأرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها وروى الترمذى من حديث كعب بن مالك ان أرواح الشهداء فى طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة قوله تعلق بضم اللام أى تأكل العلقة وهى ما يتبلغ به من العيش وروى ابن أبى شيبة عن عكرمة قال أرواح الشهداء طير بيض فقاقيع فى الجنة وروى عبد الرزاق عن قتادة قال بلغنا ان أرواح الشهداء فى صور طير بيض تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش